



جُمْهُورِيَّةُ الْعِرَاقِ

وَزَارَةُ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِّ وَالبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

جَامِعَةُ كَرْبَلَاءَ / كَلِيَّةُ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ

قِسْمُ الدِّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْفِقْهِ

صِفَاتُ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ: تَفْسِيرُ الْأَمْثَلِ أَنْمُودَجًا - دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّة-

رِسَالَةٌ مُقَدَّمَةٌ إِلَى مَجْلِسِ كَلِيَّةِ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ / جَامِعَةِ كَرْبَلَاءَ

وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ مُتَطَلِّبَاتِ نَيْلِ دَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ فِي الشَّرِيعَةِ وَالْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

كُتِبَتْ مِنْ قِبَلِ الطَّالِبِ

أَيْمَنَ عَقْلَ رَجُوبَ

بِإِشْرَافِ

أ. د. مُحَمَّدَ حُسَيْنِ عَبَّودِ الطَّائِي

أ. م. د. أَسْمَاءِ قَاسِمِ مُحَمَّدٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

سورة الشورى - الآية 11

ترشيح الرسالة للطبع

نظراً لإنجاز رسالة الماجستير (فصولها ومباحثها) الموسومة بـ (صفات الله وانبيائه وملائكته
والجنة والنار في النص القرآني تفسير الأمثل انموذجاً دراسة موضوعية) لطالب الماجستير (أيمن
عقل رجوب) فإني أرشحها للطبع .

التوقيع:


المشرف الاول : د. محمد سليم
مكان العمل : جامعة كربلاء / كلية العلوم / كركوك
التاريخ : ١٠ / ١٦ / ٢٠٢٥

التوقيع:

المشرف الثاني : د. أسماء قاسم محمد
مكان العمل : جامعة كربلاء / كلية العلوم / كركوك
التاريخ : ١٠ / ١٦ / ٢٠٢٥

إقرار المشرف


أشهد أنّ رسالة الماجستير الموسومة بـ (صفات الله وانبيائه وملانكته والجنة والنار في النص القرآني تفسير الأمثل انموذجاً دراسة موضوعية) التي قُدمت من قبل الطالب (أيمن عقل رجوب) وقد تم إعدادها بإشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير؛ في الشريعة والعلوم الإسلامية .

التوقيع: 
المرتبة العلمية: استاذ مساعد دكتور

الإسم: د. أسماء ماسود محمد

مكان العمل: جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

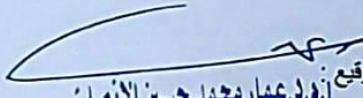
التاريخ: ٢٠٢٥ / ١٠ / ٢٠

التوقيع: 
المرتبة العلمية: استاذ دكتور

الإسم: د. محمد عبيد

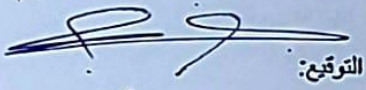
التاريخ: ٢٠٢٥ / ١٠ / ٢٠

بناء على التوصيات المتوافرة أرفع هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع: 
الإسم: د.عمار محمد حسين الأنصاري
رئيس القسم
التاريخ: ٢٠٢٥ / ١٠ / ٢٠

شهادة الخبير اللغوي

اطلعت على رسالة الطالب ()
بـ (آيات الصناعات في تفسير الأمتل - دراسة صورية)
(وقومتها لغوياً وأجد أنها صالحة للمناقشة .



التوقيع:

المرتبة العلمية: دكتور

الاسم: أحمد محمد الحسيني

مكان العمل: جامعة كربلاء / كلية

العلوم الإسلامية

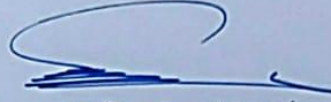
التاريخ: ٥ / ٨ / ٢٠٢٥

إقرار لجنة المناقشة

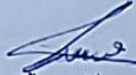
نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطلعنا على هذه رسالة الماجستير الموسومة بـ (صفات الله وانبيائه وملانكته والجنة والنار في النص القرآني تفسير الأمثل انموذجاً دراسة موضوعية) وناقشنا الطالب/ة (أيمن عقل رجوب) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً) لنيل شهادة الماجستير؛ في الشريعة والعلوم الإسلامية.



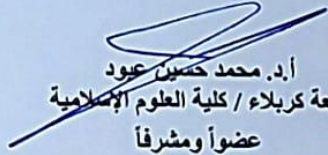
د. رزاق حسين فرهود
جامعة الكوفة / كلية الفقه
رئيساً



أ.م.د. خضير جاسم حالوب
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
عضواً



أ.م.د. مواهب صالح مهدي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
عضواً



أ.د. محمد حسين عيود
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
عضواً ومشرفاً



أ.م.د. أسماء قاسم محمد
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
عضواً ومشرفاً



التوقيع:
الاسم: أ.د. محمد حسين عيود الطائي
العميد

التاريخ: ٢٠٢٠ / ١٠ / ٢٥

صُنِّفَتْ في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

الإهداء

لوجهك اللهم يا سابقاً بالنعم، يا واسع الكرم، لوجهك الكريم يا صاحب الفضل العظيم، وإلى مقام نبيك الكريم وآله الطاهرين والأئمة الإثني عشر صلواتك اللهم وسلامك عليهم أجمعين، أهدي هذا العمل الذي به أرجو رضاكم في الدنيا والآخرة.

إلى روح والدي الرجل الطيب الذي طالما شجعنا على تعلم القرآن الكريم، هذه الروح التي لم تفارقتي ساعة واحدة.

إلى أمي الحبيبة المباركة كشجرة زيتون بمئات السنين من العطاء.

إلى سندي إلى مددي والحبيبة التي لولا قداسة مقام الأبوة لما سبق شكرها شكر، إلى الأم في عطاءها وحنانها، زوجتي الحبيبة.

إلى عضدي، إلى فخري وأزري وكلّ عزيّ إخوتي وأخواتي وأبنائهم جميعاً.

إلى شهداء أمتي المخلصين، وعلى رأسهم سماحة السيد حسن نصر الله قدس الله روحه الطاهرة.

إلى أساتذتي الأفاضل المخلصين كلهم بلا استثناء، وخاصة في كلية العلوم الإسلامية في جامعة كربلاء المقدسة.

إلى مشايخ الدين الأفاضل في اللاذقية الحبيبة.

إلى اللاذقية الحبيبة وكل من فيها من الأحبة بلا استثناء الذين رافقوني دوماً بالدعاء والأمل.

لكم جميعاً أهدي هذا الجهد سائلاً الله جلّ في علاه أن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم.

الشكر والعرفان

الحمد لله حمداً دائماً بدوامه، الحمد لله حمداً باقياً ببقائه، الحمد لله حمداً خالداً بخلوده، الحمد لله كما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله، الحمد لله الذي وفقني إلى الخوض في علوم كتابه الكريم، والحمد لله الذي جاء بي إلى كربلاء المقدسة، وأسكنني قرب الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، الحمد لله الذي رزقني هذه الدراسة، ووفقني إلى معرفة الأساتذة الأفاضل في كلية العلوم الإسلامية.

إنّ أول من يستحق شكري وعرفاني وتقديري هو العراق الحبيب الذي استضافني بكل كرم في ربوعه المباركة، وبين أهله الطيبين، وعلى مقاعد الدراسة.

عظيم شكري وتقديري الى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور محمد حسين عبود الطائي صاحب الفضل الكبير، والذي استقبلني من أول يوم دخلت فيه الكلية بكل حب عندما كان معانواً علمياً، وغمرني بكرمه آنذاك، ومن ثم تابع سنده ودعمه اللامحدود لي خلال فترة الدراسة والبحث، ولم يدخر جهداً في توجيهي إلى كل ما هو صحيح وسليم في بحثي.

إلى المشرف الثاني الدكتورة أسماء قاسم أستاذتي صاحبة الفضل الكبير الذي لا ينسى.

إلى الأستاذ الدكتور ضرغام كريم الموسوي الذي كان الأخ والسند حين استقبل أوراقي، ودلّل كل المصاعب الروتينية التي واجهتني خلال دراستي، وتفضل عليّ بإختيار عنوان هذا البحث، له كامل الشكر والتقدير.

إلى الأستاذ الدكتور محمد ناظم محمد لكل لطفه وتعاونه خلال تدريسه لنا.

إلى رئيس القسم الحالي الأستاذ الدكتور عمار محمد حسين الأنصاري والذي كان أيضاً له عليّ فضل التدريس والتعلم ومازال.

إلى جميع أستاذتي الأفاضل الكرام الذين درسوني في هذه الرحلة المباركة، والذين لطالما أخلوني بكرمهم ولطفهم وتعاونهم، وما أحسست يوماً إلا أنّي بين إخوتي وأهلي.

إلى زملائي وإخوتي وأحبي أيضاً كل شكري وتقديري لهم على لطفهم ومحبتهم التي أحاطوني بها.

ويستمر جزيل شكري وأمتناني إلى كادر الدراسات العليا من الإداريين والموظفين فرداً فرداً لطيب أخلاقهم وتعاونهم، وكذلك جميع العاملين في كلية العلوم الإسلامية فرداً فرداً كل الشكر والإحترام.

أيضاً أتابع شكري وتقديري وعظيم إحترامي إلى الإداريين والمشرفين في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة الذين كانوا معي خلال زيارتي المتكررة لهم في غاية التعاون والتقدير والإحترام.

وأقدم أيضاً بالشكر الجزيل ووافر الإمتنان إلى أعضاء لجنة المناقشة الكريمة الذين تكبدوا عناء قراءة الرسالة، وعناء القيد والمناقشة وتحملوا مني ما تحملوه، لهم جزيل الشكر ووافر الإمتنان.

أمين عقل رجّوب

كتاب الأمتل في تفسير كتاب الله المنزّل هو من التفاسير المعاصرة الجامعة، ألفه آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي مع مجموعة من العلماء من زملائه وتلامذته، وهذا يضيف عليه قيمة علمية كبيرة، وتجعله منبعاً مهماً لفهم أي القرآن الكريم، أختار الباحث عنوان الدراسة صفات الله وأنبيائه وملائكته والجنّة والنار في النص القرآني تفسير الأمتل أنموذجاً دراسة موضوعية، وقد اهتمت الدراسة بمعالجة وجهة نظر المفسّر الشيرازي في طرح مفهومه عن الآيات التي وصفت ماسبق ذكره، وقد وجد الباحث أنّ المفسّر استخدم أساليب متنوعة في تفسيره، فتارة أفرد عناوين خاصة في هذه الصفات، موضحاً إياها ومستخلصاً عبرها ومنافعها، وأحياناً يمر عليها بأسطر قليلة، وقد أيد شروحاته بدراسات تفسيرية سابقة، وبروايات شريفة، وكلما وجد ما يعزز وجهة نظره في العلوم الحديثة لجأ إليها، وبذل الباحث جهداً في إظهار الجهد التفسيري للمفسّر الشيرازي، والذي تبين أنّه جهداً مخلصاً أضاء به على جميع ما أورده القرآن الكريم من وصوفات، ويوصي الباحث بتركيز الإهتمام على التفاسير الجامعة المعاصرة في الدراسات والأبحاث لما تحمله من منافع تُظهر شمولية القرآن الكريم، وتهدف الرسالة إلى معرفة الطريقة والأساليب التي عالج بها تفسير الأمتل هذه الصفات لكونه تفسيراً معاصراً تربوياً يهتم كثيراً بالمحاور الأخلاقية والاجتماعية، وقد هدفت الرسالة إلى معرفة ما توصل إليه صاحب الأمتل من آراء تربوية استخلصها من الآيات، وكيف استخدمها في توضيحاته لنفع القراء وتحريض همهم على طاعة الله سبحانه والالتزام بالقرآن الكريم، وتكمن أهمية الدراسة في التركيز على النواحي العملية للقرآن الكريم، وفهم الطريقة المعاصرة التي نهجها المفسّر الشيرازي في معالجة النص القرآني، وخاصة أنّ تفسير الأمتل هو من التفاسير الشمولية للقرآن الكريم، وقد خلّصت الدراسة إلى أنّ الأمتل قد نجح في تسليط الضوء على كل وصف يمكن توظيفه في تربية النفس البشرية، وأنّ هناك ضرورة إلى إيجاد صلة وصل نافعة بين القراء وهذا التفسير.

الكلمات المفتاحية: الله، الأنبياء، الملائكة، الجنّة، النار، الصفات، الأمتل، الشيرازي، تفسير.

المحتويات:

أ.....	الآية الكريمة.....
ب.....	الإهداء.....
ت.....	الشكر والعرفان.....
ث.....	الخلاصة.....
ج.....	المحتويات.....
1.....	المقدمة.....
7.....	الفصل التمهيدي: الإطار النظري لمفردات العنوان والسيرة الذاتية لصاحب تفسير الأمتل:...
9.....	<u>المبحث الأول: الإطار النظري لمفردات العنوان:</u>
9.....	المطلب الأول: مفهوم الصفات لغة واصطلاحاً.....
10.....	المطلب الثاني: الله لغة واصطلاحاً.....
10.....	المطلب الثالث: مفهوم التفسير.....
12.....	<u>المبحث الثاني: السيرة الذاتية لصاحب تفسير الأمتل:</u>
12.....	المطلب الأول: ولادته واسمه ونسبه.....
12.....	المطلب الثاني: اساتذته وتلامذته.....
12.....	المطلب الثالث مؤلفاته أقوال العلماء فيه.....
14.....	المطلب الرابع نبذة عن تفسير الأمتل.....
16.....	الفصل الأول: آيات صفات الله في تفسير الأمتل:.....
18.....	<u>تمهيد</u>
19.....	<u>المبحث الأول: الصفات الثبوتية:</u>
19.....	المطلب الأول: معنى الصفات الثبوتية.....
20.....	المطلب الثاني: الصفات الثبوتية في تفسير الأمتل.....
55.....	<u>المبحث الثاني: الصفات السلبية ومواردها في تفسير الأمتل:</u>
56.....	المطلب الأول: معنى الصفات السلبية.....

- 56.....المطلب الثاني: لا معبود إلا الله تعالى
- 57.....المطلب الثالث: التوحيد في الخالقية لا خالق إلا الله تعالى
- 60.....المطلب الرابع: لا حاكم إلا الله سبحانه
- 64.....المطلب الخامس: الله تعالى ليس بجسم في تفسير الأمتل
- 68.....المبحث الثالث: صفة النور
- الفصل الثاني: صفات نبي الله آدم (عليه السلام) والأنبياء أولى العزم عليهم السلام في تفسير الأمتل: 70
- 72.....المبحث الأول: صفات نبي الله آدم (عليه السلام):
- 72.....المطلب الأول: آدم (عليه السلام) في الجنة
- 78.....المطلب الثاني: آدم (عليه السلام) في الأرض
- 81.....المبحث الثاني: صفات الانبياء أولى العزم (عليهم السلام):
- 83.....المطلب الأول: نوح (عليه السلام)
- 91.....المطلب الثاني: إبراهيم (عليه السلام)
- 108.....المطلب الثالث: موسى (عليه السلام)
- 124.....المطلب الرابع: عيسى (عليه السلام)
- 133.....الفصل الثالث: صفات عموم الأنبياء عليهم السلام:
- 135.....المبحث الأول: : إدريس، هود، صالح، لوط، شعيب (عليهم السلام):
- 135.....المطلب الأول: إدريس (عليه السلام)
- 136.....المطلب الثاني: هود (عليه السلام)
- 139.....المطلب الثالث: صالح (عليه السلام)
- 141.....المطلب الرابع: لوط (عليه السلام)
- 144.....المطلب الخامس: شعيب (عليه السلام)
- 149.....المبحث الثاني: إسْمَاعِيل ، إسْحَاق ، يعقوب، يوسف (عليهم السلام):
- 149.....المطلب الأول: إسْمَاعِيل (عليه السلام)

152.....	المطلب الثاني: إسحاق (عليه السلام)
155.....	المطلب الثالث: يعقوب (عليه السلام)
160.....	المطلب الرابع: يوسف (عليه السلام)
171.....	<u>المبحث الثالث: أيوب، ذوالكفل، إلياس، داوود (عليهم السلام):</u>
171.....	المطلب الأول: أيوب (عليه السلام)
173.....	المطلب الثاني: ذوالكفل (عليه السلام)
174.....	المطلب الثالث: إلياس (عليه السلام)
176.....	المطلب الرابع: داوود (عليه السلام)
180.....	المطلب الخامس: سليمان (عليه السلام)
187.....	<u>المبحث الرابع: هارون، يونس، زكريا يحيى (عليهم السلام):</u>
187.....	المطلب الأول: هارون (عليه السلام)
190.....	المطلب الثاني: يونس (عليه السلام)
193.....	المطلب الثالث: زكريا (عليه السلام)
195.....	المطلب الرابع: يحيى (عليه السلام)
199.....	الفصل الرابع: صفات النبي محمد صلى الله عليه وآله وصفات القرآن الكريم في تفسير الأمتل:
201.....	<u>المبحث الأول: صفات النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):</u>
201.....	المطلب الأول: بشرية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)
207.....	المطلب الثاني: النبي الأمي
208.....	المطلب الثالث: الشاهد و البشير النذير
213.....	المطلب الرابع: عالمية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
216.....	المطلب الخامس: نبي الرحمة
217.....	المطلب السادس: المحمود دائماً وأبداً
224.....	المطلب السابع: الموحى إليه

230.....	<u>المبحث الثاني: صفات القرآن الكريم في تفسير الأمتل:</u>
231.....	المطلب الأول: النور الهادي.
235.....	المطلب الثاني: الحق المحكم.
241.....	المطلب الثالث: الرحمة المباركة.
243.....	المطلب الرابع: المعجز الشافي.
248.....	الفصل الخامس: صفات يوم القيامة والجنة والنار والملائكة في تفسير الأمتل:
250.....	<u>المبحث الأول: صفات يوم القيامة:</u>
251.....	المطلب الأول: القيامة واليوم الآخر والآخرة والساعة.
254.....	المطلب الثاني: البعث ويوم الخروج والقارعة ويوم الفصل ويوم الدين.
257.....	المطلب الثالث: الطامة الكبرى ويوم الحسرة والغاشية والواقعة ويوم الحساب ويوم الوعيد.
258.....	المطلب الرابع: يوم الأزفة ويوم الجمع يوم التغابن والحاقة ويوم التناد يوم التلاق.
263.....	<u>المبحث الثاني: الملائكة:</u>
263.....	المطلب الأول: جبريل وميكائيل (عليهما السلام).
265.....	المطلب الثاني: خزنة النار وخزنة الجنة.
267.....	المطلب الثالث: الملائكة القائمين بشؤون الخلق.
270.....	<u>المبحث الثالث: صفات الجنة:</u>
270.....	المطلب الأول: الجنة لها أبواب.
272.....	المطلب الثاني: عيون الجنة وأنهارها.
275.....	المطلب الثالث: عرضها كعرض السماوات والأرض.
277.....	<u>المبحث الرابع: صفات النار أو صفات جهنم:</u>
277.....	المطلب الأول: المحطمة، لظى، المؤلمة، السعير، خالدة العذاب، المتأججة.
279.....	المطلب الثاني: ذات أبواب، محيطة بالكافرين، المرصاد الرهيب، الهاوية، دار الذل.

283.....	<u>المبحث الخامس: صفات الشيطان:</u>
283.....	المطلب الأول: الجهل المطلق
284.....	المطلب الثاني: مضلّ ومفسد
286.....	المطلب الثالث: عدوّ للإنسان وغادر
287.....	المطلب الرابع: متكبر متعال وضعي
289.....	الخاتمة
291.....	التوصيات والنتائج:
292.....	النتائج
293.....	التوصيات
294.....	المصادر والمراجع
	الخلاصة باللغة الانكليزية.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، الحمد لله حمداً دائماً بدوامه، الحمد لله حمداً خالداً بخلوده، الحمد لله حمداً باقياً ببقائه، الحمد لله كما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله، وصلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وآل محمد والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته.

عندما بدأ الباحث في دراسة الماجستير كانت الدراسات القرآنية محور اهتمامه، لذلك ركّز في بحثه عن عنوان رسالته على المواضيع القرآنية، لما يعلمه كل عاقل عن عظمة كتاب الله سبحانه وأهميته المتجددة، ولأنّ القرآن الكريم هو سبيل النجاة الوحيد في النهضة الإنسانية، وخروجها من فمّ الجشع الذي ينهش جسدها كل ساعة، ولأنّ فهم القرآن الكريم هو الوسيلة الأنجح لإحداث تغيير في تفكير المجتمع الإنساني، لذا ذهب الباحث بفكره إلى الدراسات التفسيرية، وركّز بحثه على التفاسير الحديثة لما فيها من مراعاة لحاجات المجتمع وتطوره.

وجد الباحث في تفسير الأمل الحديث مادة مناسبة جداً لما يجول في خاطره من أفكار، أحبّ أن تظهر للقراء والمهتمين بفهم آي القرآن الكريم، ولأنّ هذا التفسير مازال بعيداً عن أقلام الباحثين، ولكونه كُتب بطريقة سلسلة تراعي جميع طبقات القراء بالأخصّ طبقة الشباب المثقف.

روافد الدراسة:

لجأ الباحث في دراسته في المرتبة الأولى إلى تفاسير القرآن الكريم، لأنّها موضوع الدراسة التي من خلالها سيصل إلى إظهار وجهة نظر صاحب تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، أيضاً كتب الحديث والروايات المعتمدة في الفكر القرآني الإسلامي، وأيضاً إلى كتب بعض المفكرين الإسلاميين المهمين، وغيرهم من أهل المعرفة والعلم.

أهمية الموضوع:

تم اختيار العنوان من القرآن الكريم لأنّها من أهم المواضيع في الفكر الإسلامي، وأعظمها أهمية هي صفات الله سبحانه لأنّها أهم موضوع في علم الكلام الإسلامي، ولأهميتها في إظهار القدوة لكل مؤمن في الوصول إلى الكمال، وصفات الرسل جميعاً (عليهم الصلاة والسلام)، وكيف تعامل معها القرآن الكريم لأنّ صفات الرسل أيضاً موضوع محوري في تعليم الخلق منهج سليم ودقيق في الوصول إلى الله سبحانه، ومن ثمّ بقية الصفات كالملائكة، ويوم القيامة، والجنّة، والنار، والشياطين، وكلها لها دور أساسي في البناء المعرفي للمسلم ولغير المسلم، ولأنّ هذا البناء المعرفي هو حجر الأساس في إحداث نهضة حقيقية في حياة الإنسانية، وتمّ اختيار تفسير الأمل في كتاب الله المنزل لأنّه تفسير معاصر مؤلفه آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي مع زملائه وتلامذته من العلماء الذين عمدوا في هذا التفسير إلى توجيه الإهتمام إلى جميع القراء بجميع مستوياتهم

الفكرية، وتمت مراعاة طبقة الشباب المثقف، لخلق رابط حقيقي معرفي بينهم وبين القرآن الكريم، وهذا ما أثار إعجاب الباحث وإهتمامه للبحث في هذا التفسير.

أسباب اختيار الموضوع:

كما سبق وذكرنا آنفاً لتسليط الضوء على الصفات في القرآن الكريم، لما فيها من أهمية معرفية تساهم في بناء الشخصية المؤمنة، كذلك نوضح أنّ سبب اختياري لتفسير الأمتل هو قلة الدراسات والبحوث العلمية حول هذا التفسير رغم أهميته واتساع هذه العنوانات بالدراسات المعاصرة سعياً إلى تناولها تناولاً علمياً معمقاً، إذ أنه حاول مناقشة المواضيع القرآنية من أوجه عدة، ودون أن يتكفّر تعقيد المباحث، وقد ربط الكثير من عناوين هذه المواضيع بالدراسات المعاصرة لكي يشبعها بحثاً، وكثيراً ما عمد إلى استخلاص عبر تربوية وجّه القراء إليها.

أهداف البحث:

1. تسليط الضوء على الصفات في القرآن الكريم، واستخلاص العبر المفيدة لكل وصف في القرآن الكريم.
2. السعي لإظهار ما وصفه الله سبحانه في كتابه الكريم لغاية نفع العباد في دنياهم وآخرتهم من وجهة نظر الشيخ الشيرازي وزملائه العلماء بحسب فهمهم المعاصر وخبرتهم في استنهاض الهمم لتوجيههم للطاعة.
3. توجيه الأنظار باتجاه الدراسات التفسيرية المعاصرة كوسيلة أساسية في فهم القرآن الكريم يُردُّ بها على الحدائين والمستشرقين والآراء المخالفة للقرآن الكريم لدفع شبهاتهم.
4. لفت عناية الباحثين والقراء إلى أهمية تفسير الأمتل كمادة تفسيرية معاصرة فيها الكثير من المنافع المعرفية، وتُظهر شمولية النص القرآني.
5. إغناء الدراسات العلمية والبحثية حول تفسير الأمتل لما يحمله من أهمية علمية.

منهجية البحث:

اعتمد الباحث في معالجة مطالبه البحثية على المنهج الوصفي، لكون عنوان بحثه مرتكز على الصفات، والتي لا تظهر إلا بالوصف، إذ أنّ الدراسة الموضوعية في القرآن الكريم تتطلب منّا استعراض معظم الآيات التي تتحدث عن موضوعنا المطروح، ونحن في إظهار صفات أي شيء لا غنى لنا عن المنهج الوصفي، وقد اعتمد الباحث أيضاً على المنهج المقارن إذ لجأ الباحث إلى الاستعانة بأراء بعض المفسرين حول الآيات محل البحث، لكي يتمكن من هذه المقارنة أن يُظهر الصفة المراد مناقشتها في المطالب، ولم يكن للباحث بدءاً من الإستعانة بالمنهج الإستقرائي التحليلي، لكي يستقر رأي المفسر صاحب الأمتل، وطريقته في شرح وإظهار الصفات موضوع

الآيات، إذ أنّ هناك الكثير من الصفات استنبطها المفسر من الآيات، وصفات تغاضى عنها المفسر لتكرار ورودها، وهنا كانت حاجتنا للإستقراء والتحليل.

مشكلة الدراسة:

الفكرة الأساسية التي قصد الباحث إظهارها كمشكلة للدراسة هي كيفية تعاطي صاحب تفسير الأمثل مع آيات الصفات إنطلاقاً من كونه تفسيراً معاصراً، جمع في ثنايا صفحاته آراء مفسرين سابقين مع روايات الرسول والأنمة (عليهم الصلاة والسلام)، وكيف قدمها لجمهوره من القراء، والطريقة التي استعان بها لإيصال رسالته إلى عموم الشباب المسلم.

الصعوبات:

إنّ أول الصعوبات التي واجهت الباحث هي اتساع العنوان، إذ أنّ الصفات كثيرة جداً ومواضيعها واسعة وبالأخص صفات الله سبحانه، ولتخفيف حدة هذه الصعوبة اكتفى الباحث في دراسة صفات الله سبحانه والرسول والقرآن والملائكة ويوم القيامة والجنة والنار والشيطان، لأنّها أهم المواضيع وأوضحها، والصعوبة الثانية هي تكرار بعض الصفات لكل شيء وصفه القرآن الكريم، إذ أنّ المفسر أحياناً يُسهب في شرح هذه الصفات وتفسيرها حتى ولو كانت متكررة، إنّما ينظر لها من منظور آخر، وهناك صفات لم يتطرق لإعادة شرحها لسبق ذكرها في شروحات سابقة، والصعوبة الثالثة هي الوقوع في إشكالية التمييز بين صفات وأحوال الشيء الموصوف وخصوصاً في صفات الأنبياء، وهنا حاول الباحث أن يستفيد من توضيح أحوال الأنبياء في إظهار الصفة التي تحدث عنها المفسر، وهنا احتاج الباحث للمنهج الإستقرائي التحليلي، ورابعها اتساع المصادر التفسيرية في شرحها، والحاجة في دراستها إلى وقت طويل، إضافة إلى صعوبات أخرى تتعلق بأحوال شخصية أصابت الباحث لما تعرّض له بلده وأهله من أحوال أمنية سيئة، وسيطرة الإرهاب على أمن وطنه وأهله، وخسارة بعض أقاربه في المجازر المؤلمة التي حلّت، ومارافق ذلك من قلق وتوتر وآلام نفسية حدثت معه.

الدراسات السابقة:

1. المعرفة القلبية في القرآن الكريم من منظور تفسير (الأمثل في كتاب الله المنزل) للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الباحثين: د. مصطفى جعفر طيّاري دهاقاني، د. عدنان خضير مرهش، جامعة واسط، كلية التربية الأساسية، 2025م.
2. ماهية الذنب من منظور القرآن والسنة: على ضوء تفسير الأمثل لآية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي، الباحث عدنان خضير مرهش الزلزلي، مجلة ميسان، 2024م.

3. أثر السياق في إيضاح معاني المفردات في تفسير الأمتل، الباحثين: محمد الفتلاوي، مظفر شبلاوي، جامعة الكوفة، مجلة الكوفة، 2024م.
 4. آيات العقّة والحجاب في القرآن الكريم (تفسير الأمتل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي أنموذجاً)، م.م نسيم ظاهر حبيب الربيعي، جامعة واسط، كلية التربية الأساسية، 2024م.
 5. رسالة ماجستير في (توجيه المعنى التفسيري في تفسير الأمتل) للطالب مظفر حسين شبلاوي، قسم التربية الإسلامية في كلية التربية الأساسية بجامعة الكوفة، 2023م.
 6. الجوانب النفسية في تفسير الأمتل للشيخ الشيرازي (آيات التحدي إنموذجاً)، م.م. حيدر علي حسين، مديرية تربية ديالى، 2022.
 7. المعاد في القرآن الكريم تفسير الأمتل أنموذجاً (دراسة موضوعية)، م.د. عقيل عباس ريكان، جامعة المستنصرية، كلية العلوم الأساسية، 2022م، إذ تحدث الباحث في رسالته عن المعاد في اللغة والاصطلاح عند المتكلمين، وأنّ المعاد ذكر في آيات كثيرة، وكلها تدل على يوم القيامة، وعودة الخلق للحساب، وأنّ من أسماء المعاد القيامة والبعث وإحياء الموتى والرجوع الى الله والحشر ولقاء الله والنشر، وتحدث عنه الكريم منطلق المعاد ورد شبهاتهم وإختلاف انكاراتهم وبما ردّ عليهم، أمّا ما يخص بحثنا هو صفات يوم القيامة لما جاءت في الذكر الحكيم، وكيف فسرها صاحب الأمتل والتشارك في البحثين قليل جداً.
 8. مقالة في مجلة واسط للعلوم الإنسانية تحت عنوان (أثر أسلوب الطباق والمقابلة في تفسير الآيات الخبرية/تفسير الامتل للشيرازي انموذجاً)، أ. م. د. صالح كاظم صكبان العبودي، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة واسط، 2021م، إذ ركز الباحث في بحثه على قضايا بلاغية ولم يتحدث في قضايا تفسيرية.
 9. (منهجية التفسير الجمعي ... الأمتل أنموذجاً) مقارنة دلالية في تفسير الأمتل للشيرازي، تأليف الأستاذ المساعد الدكتور نعمة دهش فرحان الطائي، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، 2018.
 10. القيم الحضاريّة السياسيّة في تفسير الأمتل، الباحثين: فاضل عبد العباس النعيمي، سراء عبد الحسين تقي، مجلة بابل، 2017م.
- تختلف رسالة الباحث عن هذه الدراسات السابقة بإتساع العنوان وشموله لمواضيع متعددة ذُكرت في القرآن الكريم، في حال الدراسات السابقة كانت مركّزة على عناوين محددة ومركزة.

خطة البحث:

بعد وضع المقدمة قسّم الرسالة إلى خمسة فصول وهي كالآتي:

- فصل تمهيدي وضّح فيه مفردات العنوان، وتحدّث فيه عن التفسير والمفسّر.
- الفصل الأول تضمن الحديث عن صفات الله سبحانه وتقسيماتها.
- تضمن الفصل الثاني صفات آدم (عليه السلام) وصفات الأنبياء أولي العزم (عليهم السلام).
- تحدّث الباحث في الفصل الثالث عن صفات عموم الأنبياء (عليهم السلام).
- تمت المناقشة في الفصل الرابع عن صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم.
- أوضح الباحث في الفصل الخامس والأخير صفات يوم القيامة والملائكة والجنّة والنار والشيطان.
- ثم انتهى البحث بالخاتمة والنتائج والتوصيات.

الفصل التمهيدي

الفصل التمهيدي: الإطار النظري لمفردات العنوان والسيرة الذاتية لصاحب تفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل

ويتكون من المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: الإطار النظري لمفردات العنوان: ويتكون من المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم الآيات لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مفهوم الصفات لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: مفهوم التفسير لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: السيرة الذاتية لصاحب تفسير الأمثل: ويتكون من المطالب الآتية:

المطلب الأول: ولادته واسمه ونسبه.

المطلب الثاني: أساتذته وتلامذته.

المطلب الثالث: مؤلفاته وأقوال العلماء فيه.

المطلب الرابع: نبذة عن تفسير الأمثل.

المبحث الأول:

الإطار النظري لمفردات العنوان:

ويتكون من المطالب الآتية:

المطلب الأول: ويتكون من الآتي:

الله "اسم علم للباري سبحانه وتعالى"،⁽¹⁾ وقيل "مشتق من (لاه) أي احتجب فمعناه أنه المحتجب بالكيفية عن الأوهام"،⁽²⁾ وقيل "مشتق من قوله من قولك ألهمت بالمكان إذ أقمت فيه، فإنه تعالى استحق هذا الاسم لدوام وجوده"،⁽³⁾ وروي عن الإمام علي عليه السلام: "إن الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه، والله هو المستور عن درك الأبصار المحجوب عن الأوهام والخطرات".⁽⁴⁾

النَّبِيُّ لَعَةً: "على وزن فَعِيل، مأخوذة من النَّبَأِ؛ سُمِّيَ به النَّبِيُّ لِأَنَّهُ عِنْدَهُ نَبَأُ الْغَيْبِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ التُّبُوَّةِ بِمَعْنَى الرَّفْعَةِ"،⁽⁵⁾ واصطلاحاً: "هو الإنسانُ الْمُخْبِرُ عن الله تعالى بغير واسطةٍ من البشر".⁽⁶⁾

الملائكة لغة: "جمع مَلَكٍ واختلف العلماء في اشتقاقه فذهب أكثر العلماء إلى أنه من الألوكَة وهي الرسالة"،⁽⁷⁾ وقيل: "الألوك: الرسالة"،⁽⁸⁾ "هذا الإشتقاق ينسجم مع عمل الملائكة بلحاظ أنها رسل الله تعالى".⁽⁹⁾

الجنة لغة: "المصدر جنّه جنّاً إذ ستره فكأنّها سترة واحدة لشدة إلتفافها وإظلالها"،⁽¹⁰⁾ اصطلاحاً: "هي دار النعيم في الدار الآخرة من الإجتنان وهو الستر لتكاثف أشجارها وتظليلها بإلتفاف أغصانها".¹¹

النار لغة: "قال ابن فارس النون والواو والراء أصل صحيح يدل على إضاءة واضطراب وقلة ثبات، منه النور والنار، سُمِّيَا بذلك من طريق الإضاءة ولأنّ ذلك يكون مضطرب سريع

(1) تفسير الأمل، ج 30، ص 470.

(2) مجمع البيان للطبرسي، ج 1، ص 52.

(3) مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، ج 6، ص 110.

(4) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص 89.

(5) انظر تفسير الميزان، ج 14، ص 58.

(6) ينظر بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، تأليف آية الله الشيخ محمد رضا المظفر، محاضرات السيد

محسن الخزاعي، ج 1، ط 5، سنة 1418 هـ، ص 211.

(7) مجمع البيان للطبرسي، ج 1، ص 159.

(8) لسان العرب ابن منظور، ج 10، باب أليكا، ص 392.

(9) الملائكة في التراث الإسلامي، الشيخ حسين النصاروي، ص 19.

(10) لسان العرب، ابن منظور، ج 13، ص 100.

(11) المصدر السابق نفسه.

الحركة"،⁽¹⁾ اصطلاحاً: "الضوء والحرارة متلازمان فإتّهما يتحصلان من التّموّج والاهتزاز الشّدِيد في ذرات الشّيء وداخله، فإذا كان النظر إلى جهة الضوء يقال إنّه النور، ويطلق عليه النور، وإذا لوحظ النظر إلى جهة الحرارة يطلق عليه نار"،² والنار اصطلاحاً أيضاً: "هي دار العذاب والإهانة أعدّها الله لأعدائه الكافرين الذين كفروا به وعصوا رسوله".³

المطلب الثاني: الصفات لغّةً واصطلاحاً

ويتكون من الآتي:

أولاً: الصفات لغّةً: جمع صفة والمصدر وصف الشّيء له وعليه وصفه حلّاه، الوصف وصفك الشّيء بحليته ونعته،⁽⁴⁾ الصفة كالعلم والسواد،⁽⁵⁾ الصفة هي الحالة التي يكون عليها شيء من حليته ونعته كالسواد والبياض والعلم والجهل.⁽⁶⁾

ثانياً: الصفات في اصطلاح علوم القرآن الكريم:

توصل الباحث بعد قراءة مستفيضة إلى أنّ مفهوم الصفات اصطلاحاً في اصطلاح علوم القرآن الكريم وعلم الكلام، عندما تُذكر كلمة الصفات دائماً يقصد بها صفات الله عز وجل، وما عُرف منها من الصفات الثبوتية، وهي صفات الكمال، وأيضاً الصفات السلبية وهي صفات الجلال، وأيضاً هناك تقسيم آخر للصفات هو صفات الذات وصفات الفعل.⁽⁷⁾ ولكن كلمة الصفات محل بحثنا لن يكون المقصود بها فقط صفات الله عز وجل، وإنما سيتناول أيضاً صفات الأنبياء، والملائكة، والقرآن الكريم، ويوم القيامة، والجنّة، والنار، والشيطان.

المطلب الثالث: مفهوم التفسير

ويتكون من الآتي:

التفسير لغّةً: "التفسير من الفسر البيان، فَسَرَ الشّيء يَفْسِرُهُ، يفسره بالكسر ويفسره بالضم وفسره أبانه".⁽⁸⁾ "التفسير والتأويل والمعنى واحد قوله عز وجل: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾"⁽⁹⁾، والتفسير

⁽¹⁾ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5، ص368.

⁽²⁾ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفي، ط1، طهران 1393هـ، ج12، ص279.

⁽³⁾ رسالة في أسس العقيدة، محمد بن عودة السعدي، ط1، 1425هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ص74.

⁽⁴⁾ لسان العرب ابن منظور: المجلد التاسع، مادة (فسر)، ص425.

⁽⁵⁾ المصدر السابق نفسه، ص426.

⁽⁶⁾ المعجم الوسيط، ج2، ط2، 1420هـ، معجم اللغة العربية دار الدعوة، باب الواو، ص137.

⁽⁷⁾ ينظر الإلهيات على هدي الكتاب والسنة، محاضرات الشيخ جعفر السبحاني، بقلم الشيخ حسن محمد مكي العاملي،

ط5، 1423هـ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ج1، ص82-83.

⁽⁸⁾ ابن الاعرابي، أبو عبدالله محمد بن زياد بن الاعرابي الهاشمي، إمام لغة وراويّة، 150-231هـ.

⁽⁹⁾ القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية 33.

كشفت المراد عن اللفظ المُشكِل والتأويل رد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر، واستفسرته كذا أي سألته أن يفسره لي، الفسر نظر الطبيب إلى الماء، التفسره البول الذي يستدل به على المرض وينظر فيه الاطباء يستدلون بلونه على على علة العليل".⁽¹⁾

ثانياً: التفسير اصطلاحاً:

عرّف بعض العلماء التفسير في الاصطلاح: "هو علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والاسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيتها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها"².

وعرّفه الزركشي ت (794):⁽³⁾ "أنه علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو والصرف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ"⁽⁴⁾.

(1) لسان العرب ابن منظور، المجلد الخامس، ط1، 1424 هـ - 2003 م، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص 64.
(2) الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج4، ط1، 1426 هـ - 2006 م، ص864.
(3) بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، 794-745 هـ.
(4) البرهان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ج 1، ط1، 1428 هـ - 2007 م، دار الكتب العلمية بيروت، ص29.

المبحث الثاني

السيرة الذاتية لصاحب تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

ويتكون من المطالب الآتية:

المطلب الأول: ولادته، اسمه ونسبه

ولادته: ولد الشيخ مكارم الشيرازي عام 1345 هـ — بمدينة شيراز، الموافقة لسنة 1924م،

اسمه ناصر مكارم الشيرازي، نسبه ناصر مكارم بن محمد باقر بن محمد كريم الشيرازي.⁽¹⁾

المطلب الثاني: أساتذته وتلامذته

أساتذته: "أنهى دراسته الابتدائية والثانوية في سن الرابعة عشر، والتحق بحوزة آقا بابا خان في شيراز، وأنهى كل مراحلها حتى السطح المتوسط والعالي في غضون أربع سنوات، وفي السنة الثامنة عشر من عمره التحق بالجامعة الإسلامية الكبرى في قم، وتردد على دروس الآيات العظام كالسيد المعظم الآية الكبرى حسين البروجردي، وبعدها التحق بحوزة النجف الأشرف، ودرس حلقات البحث الخارج عند السيد محسن الحكيم والسيد ابو القاسم الخوئي والسيد عبد الهادي الشيرازي، إذ أجازته سماحه الآية العظمى محمد حسين كاشف الغطاء، وكذلك آية الله العظمى الأصهباني رضوان الله عليهم، وبسبب الظروف هاجر إلى قم المقدسة، ولكن كمدرس وعالم، ودرس فيها السطح العالي".⁽²⁾

تلامذته: منهم الذين ساهموا في تأليف تفسير الأمتل، "محمد رضا الأشثياني، محمد جعفر الإمامي، داوود الإلهامي، أسد الله الإيماني، عبد الرسول الحسنی، محسن القراءتي، محمد المهري، وهم جميعاً من العلماء الأفاضل".⁽³⁾

المطلب الثالث: مؤلفاته وأقوال العلماء فيه:

أولاً: مؤلفاته:

له جملة مؤلفات مثل: مديريت فرمندا هي در اسلام باللغة الفارسية، ومعاد وجهان بس از مرك باللغة الفارسية، والتعزير وحدوده باللغة الفارسية، والحيل الشرعية والحلول الصحيحة باللغة الفارسية، وأحكام نوجوانان باللغة الفارسية، وأحكام الشباب باللغة الفارسية، وأحكام النساء باللغة

(1) ينظر الموقع الإلكتروني الرسمي لسماحة الشيخ الشيرازي، متاح على:

<https://www.makarem.ir/main.aspx?typeinfo=3&lid=2>

(2) شبكه المعارف الاسلاميه الثقافيه، متاح على:

<https://www.almaaref.org/maarefdetails.php?id=14132>

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، تأليف ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1،

1434هـ-2013م، بيروت-لبنان، ج1، ص13.

الفارسية والعربية، وألف مسألة فقهية باللغة الفارسية والعربية والإنجليزية والصينية والأوردية والروسية والتركية والآذرية، ونفحات الولاية في شرح نهج البلاغة، وآيات الولاية في القرآن الكريم، وأمثال القرآن، ونفحات القرآن، والأخلاق في القرآن، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ودروس في الحياة جديد، وحكم الأضحية في عصرنا، والربا والبنك الإسلامي، والخطوط الأساسية للإقتصاد الإسلامي، وزبدة الأحكام، وأنوار الاصول، والفتاوي الجديدة، والقواعد الفقهية، ورسالة توضيح المسائل، وأجوبة المسائل الشرعية، ودروس في العقائد الإسلامية، ومئة وثمانون سؤال وجواب، ومسائل مهمة حول رؤيه الهلال، ومناسك الحج، وأنوار الفقاهاة، وأنوار الفقاهاة كتاب الخمس والأنفال، وأنوار الفقاهاة في أحكام العترة الطاهرة، وكتاب التجارة والمكاسب المحرمة، والوهابية على مفترق طريقين، والشيعية واليهود ونقطة الالتقاء، ومعاد وعالم ما بعد الموت، والإتصال بالأرواح.(1)

ثانياً: دوره في الثورة الإسلامية الإيرانية:

لقد كان له دور فعال في الثورة الإسلامية الأمر الذي كلفه الاعتقال في سجون الشاه والنفي إلى جهار جابهار ومهاباد وأنارك كما كانت له مشاركة مؤثره مع الخبراء الاوائل في تدوين القانون الأساس.(2)

ثالثاً: أقوال العلماء فيه:

ورد في تقرير السيد محسن الحكيم قدس سره على تقارير الشيخ ناصر مكارم الشيرازي لبحثه الخارج، جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، وله الحمد والصلاة والسلام على رسوله وآله الطاهرين، لقد نظرت في بعض مواضع هذا التقرير، بمقدار ما سمح به الوقت، فوجدته متقناً غاية الإتقان ببيان رائق، وأسلوب فائق، يدل على نضوج في الفكر، وتوقد في القريحة، واعتدال في السليقة، فشكرت الله سبحانه أهل الشكر على توفيقه كتاب العلامة المهذب الزكي الألمي الشيخ ناصر الشيرازي سلمه الله تعالى، ودعوته سبحانه أن يسدده ويرفعه إلى المقام العالي في العلم والعمل إنه ولي التسديد وهو حسينا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين.

محسن الطبطبائي الحكيم 9 جمادى الاولى 1370.(3)

(1) الموقع الإلكتروني لمكتب المرجع الديني آية الله العظمى مكارم الشيرازي، المصدر السابق.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) سر النجاح و الموقية (ذكريات من حياة آية الله العظمى مكارم الشيرازي)، المؤلف: مسعود مكارم، ط1، دار النشر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، 1431هـ - 2009م، قم- إيران، ج1، ص35.

المطلب الرابع: نبذة عن تفسير الأمتل وخصائصه:

أولاً: نبذة عن تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل:

من المشكلات العلمية الواضحة في بعض علوم الدين والفقه هو صعوبة التعامل مع بعض المؤلفات في الدين وعلوم القرآن والفقه، وذلك أن المؤلفات الدينية الهامة كُتبت بلغة خاصة يصعب أحياناً على العوام وغير أهل الاختصاص فهمها والتعامل معها بسلاسة، وهذا ما دفع الكثير من الشباب الإيراني والمتقنين إلى التوجه للعلامة الشيخ الشيرازي طالبين منه تفسيراً قرآنياً يحل لهم هذه المعضلة، هذا ما ذكره الشيخ حفظه الله في كل مكان تحدث فيه عن تفسير الأمتل قائلاً: "فإن الكثير من طلاب الجامعات والشباب المثقفين كانوا يأتون إلينا، ويطلبون تفسيراً باللغة الفارسية خالياً من التعقيدات في البيان".⁽¹⁾ "ومن هنا فكرت بكتابة تفسير يحوي دقائق الأمور التفسيرية للآيات الكريمة، وفي الوقت نفسه يكون سهلاً ميسوراً يتضمن كذلك بيان الحلول التي يعيشها الناس".⁽²⁾ "أملنا إن يكون هناك تفسير شامل ينفع العلماء الفضلاء وكذلك عامة الناس لا سيما الشباب الأعداء وشريحة طلاب الجامعات".⁽³⁾

وتفسير الأمتل هو نتيجة عمل جماعي دؤوب لعدة علماء، منهم تلامذة الشيخ الشيرازي، وقد ذكرنا بعضهم سابقاً مع بعض الأفاضل، حيث قام الشيخ بتقسيم العمل بين العلماء في فروع متعددة ومع توجيهات موحدة ومحددة قاموا بدراسة مصادر كثيرة وحوالي ستة عشر تفسيراً لأهم العلماء والمفسرين من كلا الفريقين، وأختاروا كل ما هو مناسب لهذا العصر الذي نحيا فيه مع مراعاة توجهاته العلمية الحديثة، إذ تمت دراستها والبحث فيها بكل صبر ودقة لكي تحقق الفائدة المرجوة لمن طلبها، فكان تفسير الأمتل.⁽⁴⁾

ومن العلماء الذين شاركوا في هذا السفر الجليل محمد رضا الاشتياني، الشيخ محمد جعفر الإمامي، الشيخ داود الإلهامي، الشيخ أسد الله الإيماني، الشيخ عبد الرسول الحسني، الشيخ حسن الشجاعى، السيد نور الله الطباطبائي، الشيخ محمد عبد الله، الشيخ محمد القراءتي، الشيخ محمد محمدي الاشتهاردي.⁽⁵⁾

ثانياً: خصائص تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل:

انطلاقاً من الأسباب التي لأجلها قام المؤلف مع تلاميذته بتأليف هذا التفسير المبارك، وهي جعل فهم القرآن الكريم أمراً ميسراً لكل من يحب أن يقرأه، ويعي مضامينه، وطريقته في معالجة

(1) المصدر السابق نفسه، ص 94.

(2) المصدر السابق نفسه، ص 95.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 95.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 1، ص 11.

(5) المصدر السابق نفسه، ص 13.

المواضيع الحياتية المعاشة، لذلك جاء هذا التفسير بخصائص مميزة منها: ابتعاده عن العبارات العرفانية، والمواضيع الأدبية، مركزاً على المواضيع الاجتماعية، مشبهاً إياها دراسة وتمحيصاً وبعض السور والآيات لها مواضع مستقلة، عمد التفسير إلى معالجة هذه المواضيع موضعاً إياها للقراء بشكل ميسر، وقد ركز التفسير على معاني المفردات ودرس أسباب النزول لما لهذين الأمرين من دور دقيق في الوصول للمعاني العميقة للآيات، منذ نزول القرآن الكريم وهو عرضة لكثير من التساؤلات والشبهات والإعتراضات للنيل منه، وقد عمد إلى هذه الإشكالات وعالجها وأظهرها لكي يزيل كل إبهام حول القرآن الكريم، إذ ابتعد المؤلفون في هذا التفسير عن المصطلحات العلمية المعقدة تسهيلاً للفهم، ولكن في المقابل جعلوا في الهوامش ما يفيد المتخصصين والمتعمقين من هذه المصطلحات.⁽¹⁾

ثالثاً: مؤلفات مقتبسة من التفسير:

1. خلاصة تفسير الأمتل خمس مجلدات وقد ترجم إلى اللغة الانجليزية.
2. قصص تفسير الأمتل .
3. لغات التفسير الأمتل أربع مجلدات.
4. العبادة في تفسير الأمتل بالفارسية.
5. 180 سؤال وجواب في تفسير الأمتل بالفارسية.⁽²⁾

(1) المصدر السابق نفسه ، ص12.

(2) ينظر سر النجاح والموفقية، الشيرازي ، ج1، ص59-96.

الفصل الأول

الفصل الأول:

آيات صفات الله في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

تمهيد

المبحث الأول: الصفات الثبوتية:

- المطلب الأول: معنى الصفات الثبوتية.
- المطلب الثاني: آيات الصفات الثبوتية في تفسير الأمتل.

المبحث الثاني: الصفات السلبية:

- المطلب الأول: معنى الصفات السلبية .
- المطلب الثاني: آيات الصفات السلبية في تفسير الأمتل.

تمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽¹⁾، بحسب ما ورد في كلام جميع الأئمة والمفسرين في كل المذاهب، أنّ هذه العبادة لله سبحانه لا تتم إلا بالمعرفة، وأنّ هذه المعرفة أجلّ ما يقوم به العباد، وقد خلق الله تعالى لنا العقول المذهلة بتركيبها المادي، وبطريقة عملها والتي تعدّ عند كل فطن أنّها أدل دليل على وجود الله سبحانه، عندما سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن العقل قال: "ما عبّد به الرحمن واكتسبت به الجنان"⁽²⁾، والعقل كما وصفه أحد العلماء "أنّ العقل ما يمكنه اكتناه الماهيات وأما ما لا ماهية له فليس للعقل أن يعرف كنهه، فبالعقل يُعرف الله تعالى بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية"⁽³⁾.

الفكرة الأولى تتمثل في أن طبيعة العقل البشري في التعامل مع الأشياء وفهمها مبنية على أن يكون لهذه الأشياء ماهيةً يمكن معرفتها وفهمها من خلال هذه الماهية، والله سبحانه وتعالى حاشا أن تكون له ماهية وأن تحدّه صفة، لذلك احتاج العقل البشري لهذه الصفات حتى يتمكن من تقريب الفهم وتوضيح الفكرة حول الإله.⁽⁴⁾

والفكرة المهمة الثانية تكمن في التقسيمات الكثيرة التي حصلت في الأمة الإسلامية على جميع الأصعدة ولعدة أسباب، كان أهمها الإنقسام الفكري، والذي نتج عنه نقاشات كثيرة حول صفات الله سبحانه وأسمائه، وقدمها وحدثها، ووصلت إلى تقسيم صفات الله سبحانه عدة تقسيمات، وبعده مسميات، أشار إلى بعضها صدر الدين الشيرازي إذ قال: "الصفة إما إيجابية ثبوتية وإما سلبية تقديسية وقد عبّر الكتاب عنها عن هاتين بقوله ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾⁽⁵⁾، فصفة الجلال ما جلّت ذاته عن مشابهة الغير وصفة الإكرام ما تكرمت ذاته بها وتجلّت"⁽⁶⁾.

وقد ذكر الشيخ جعفر السبحاني تقسيم الصفات قائلاً: "أنّ صفاته سبحانه تنقسم إلى قسمين ثبوتية وسلبية أو جمالية وجلالية"⁽⁷⁾. هذا التقسيم أصبح راسخاً في الفكر الإسلامي، فالصفات إذاً ثبوتية جمالية وسلبية جلالية.

(1) سورة الذاريات، الآية 56.

(2) معاني الأخبار، الشيخ الجليل الأقدم أبو جعفر محمد بن محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، المتوفى 381هـ، صححه وعلّق عليه الأستاذ علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسي بقم المشرفة، ص 240.

(3) تعليقه على نهاية الحكمة، محمد تقي مصباح اليزدي، مؤسسة الطريق الحق، قم 1405هـ، التعليقة رقم 62، ص 86.

(4) ينظر الإلهيات على هدي الكتاب والسنة، جعفر السبحاني، ج 1، ص 88.

(5) سورة الرحمن، الآية 78.

(6) الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الأربعة، صدر الدين محمد الشيرازي متوفى 1050 هـ، دار احياء التراث العربي، طباعة بيروت 1410 هـ، ج 6، ص 118.

(7) الإلهيات على هدي الكتاب والسنة والعقل، جعفر السبحاني، ج 1، ص 82.

المبحث الأول

الصفات الثبوتية

الله سبحانه وتعالى جعل لنفسه صفات هي وسيلة لعباده يمكنهم بها من معرفته.⁽¹⁾ وهي أسماء تدل على أحوال ذات الشيء المراد وصفه وتعريفه.⁽²⁾

المطلب الأول: معنى الصفات الثبوتية:

الصفات الثبوتية مصطلح يقصد به دائماً الصفات التي تثبت للباري عز وجل اتصافه بكل جمال وكمال.⁽³⁾

أكد على هذا المعنى الشيخ جعفر السبحاني قائلاً: "فإذا كانت الصفة مثبتة لجمال في الموصوف ومشيرة إلى واقعية في ذاته سميت ثبوتية ذاتية".⁽⁴⁾

ويُفهم من ذلك أنّ الصفات تنطبق على ذات الله سبحانه، وكان هذا دائماً محل كلام المتكلمين في كل المذاهب، فما هو مدى انطباق الصفات على الذات؟ وكيف تنطبق الصفات على الذات؟ ومسار الآيات والخطب والكلمات أنّ الذات تجلّ عن الوصف، وبهذا أشار مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في أول خطبة له في نهج البلاغة إذ قال: "أن أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيدَه وكمال توحيدَه الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه"⁽⁵⁾.

وإذا جمعنا عبارة صفات تثبت لله عز وجل مع نفي الصفات عنه سبحانه، نجد كلمة الإمام لا تخالف الآيات الكريمة التي تصف الله سبحانه في كثير منها، ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في موضع آخر: "لم يُطلع العقول على تحديد صفته"⁽⁶⁾، كل هذه الخطب والكلمات تدلّ أنّ معرفة الله سبحانه بذاته وكنهه هو من الأمور المستحيلة على عقولنا مهما عظمت، وأياً كان الطريق الذي سنتبعه سواء كان سلوكاً عرفانياً، أو معرفة عقلية، والإمام الصادق (عليه السلام) قال: "إنّ الكلام في الله لا يزداد الا تيّهاً"⁽⁷⁾.

(1) ينظر الدر المنظم في اسم الله الأعظم، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفي سنة 911هـ، ط1، 1422هـ- 2001م، ص 9.

(2) ينظر المصدر السابق نفسه.

(3) ينظر التوحيد بحوث في مراتبه ومعانيه، تقرير الأبحاث السيد كمال الحيدري، بقلم جواد علي كسار، ج 1، ط 7، ص 116.

(4) الإلهيات على هدي الكتاب والسنة، جعفر السبحاني، ج 1، ص 82.

(5) نهج البلاغة، مجموع مختاره الشريف الرضي من كلمات الإمام علي، بخط الدكتور محمد صبحي الصالح، بيروت 1967م، الخطبة الأولى، ص 39.

(6) نهج البلاغة، المصدر السابق، خطبة رقم 49، ص 88.

(7) التوحيد، الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن باباويل قمه، المتوفي 381 هـ، تحقيق السيد هاشم طهران، دار المعرفة، بيروت، ص 457.

"وفي الصفات الثبوتية الذاتية جرى تقسيمها بحسب آراء المتكلمين إلى صفات الذات وصفات الفعل، وصفات الذات هو ما يكفي في وصف الذات به فرض نفس الذات فحسب، كالقدرة والحياة والعلم، وصفات الفعل ما يتوقف توصيف الذات به على فرض الغير، والغير وراء الذات، وهو فعله سبحانه وتعالى".⁽¹⁾

هناك تعريف آخر لتمييز صفات الذات عن الفعل، وهو أنّ كل ما يجري على الذات على نسق واحد الإثبات دائما هو من صفات الذات، وأمّا ما يجري على الذات على الوجهين بالسلب تارة وبالإيجاب تارة أخرى فهو من صفات الأفعال، وعلى هذا الفرق فالعلم والقدرة والحياة لا تحمل عليه سبحانه إلا على وجه واحد هو الإيجاب، ولكن الخلق والرزق والمغفرة والرحمة تحمل عليه بالإيجاب تارة وبالسلب تارة أخرى، فنقول خلق هذا ولم يخلق ذلك، غفر للمستغفر ولم يغفر للمصرّ على الذنب.⁽²⁾

المطلب الثاني: الصفات الثبوتية في تفسير الأمثل في كتاب الله المنزّل:

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (29)،⁽³⁾ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (2)،⁽⁴⁾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (39)،⁽⁵⁾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۗ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (58)،⁽⁶⁾ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ (58)،⁽⁷⁾ ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (164)،⁽⁸⁾ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (3)،⁽⁹⁾ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (16)،⁽¹⁰⁾.

(1) الإلهيات على هدي الكتاب والسنة، جعفر السبحاني، ج 1، ص 84.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) سورة البقرة، الآية 29.

(4) سورة آل عمران، الآية 2.

(5) سورة إبراهيم، الآية 39.

(6) سورة النساء، الآية 58.

(7) سورة الفرقان، الآية 58.

(8) سورة النساء، الآية 164.

(9) سورة الحديد، الآية 3.

(10) سورة الرعد، الآية 16.

بعدما أوردنا بعض التوضيحات حول الصفات وتقسيماتها إلى ثبوتية وسلبية، وتقسيم الثبوتية إلى ذاتية وفعلية، وأن الصفات الثبوتية الذاتية هي العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والإدراك، والسمع، والبصر، والأزلية، والأبدية، والآن لنرى كيف تعامل معها الشيخ الشيرازي.

أ. الصفات الثبوتية الذاتية:

أولاً: علم الله سبحانه وتعالى:

فمن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: "العلم هو من كماله"⁽¹⁾، والإمام الكاظم (عليه السلام) قال: "علم الله لا يوصف منه بأين، ولا يوصف العلم من الله بكيف، ولا يفرد العلم من الله، ولا يبين الله منه، وليس بين الله وبين علمه حد"⁽²⁾.

علم الله عزوجل علم ذاتي لا حدود له، وأي باحث عن معرفة الله عزوجل لا بد وأن يحصل له يقين راسخ أن هذه الذات العلية لا يسعها ولا يصح في معرفتها إلا أن تكون ذات عالمة عارفة بكل تفاصيل هذا الوجود، فلا يثبت أن يكون فيها أقل مقدار من الجهل، ولا يثبت أن تكون بحاجة لمن يمددها بالعلم، لأن ذلك يعني نقصاً أو حاجة لغيره، فكما أننا لا نقبل من أي شخص أن يتحدث فيما لا يعلم فكيف يمكن أن يكون خالق كل شيء ينقصه أقل مقدار من العلم، وعلى هذه المعاني دلّت الآيات الكريمة وكلمات المعصومين (عليهم السلام)، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن علم الله عزوجل وتصفه بصفات متداخلة مع بقية صفاته، ولكن أمكن أن نفردها منها مجموعات، منها آيات تدل على علم الله سبحانه، وإحاطته بكل شيء، وآيات تدل على علمه بالغيب، وآيات تدل على علمه بالظاهر والباطن وآيات تدل على علمه سبحانه بمخلوقاته، على هذا التقسيم سنبحث هذه الصفة في تفسير الأمتل:

أما آيات إحاطة علمه ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾⁽³⁾، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (270)،⁽³⁾، وضّح صاحب تفسير الأمتل أن الله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء، لكن هنا ركز المفسر في شرحه وتوضيحه أن الله تعالى سبحانه يعلم أدق وأهم تفاصيل تخص عملية الإنفاق والنذور، بكل أوجهها من القلة والكثرة والجودة، وحليتها وحرمتها، ونيتها وما يتبعها، قاصداً في هذا الكلام أن يحيط القارئ بما أراده الله سبحانه وتعالى أن يصل إلى عباده من مضمون الآية الكريمة، وغايتها التربوية في النية الطيبة في الإنفاق، وفي إتقاء الله في عباده أثناء الإنفاق، وأن يراعي المنفق كل هذه القواعد والأسس، لأن الله يعلم بها، وسوف يحاسبه على كل تفصيل سواء كان قبل الإنفاق أو خلاله أو بعده، وهذا من دقيق لطف الله سبحانه في اصلاح حال

(1) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص 144.

(2) المصدر السابق نفسه، ص 149.

(3) سورة البقرة - الآية 270

العباد المنفقين والمستحقين رجاء اصلاح المجتمع، وقد اتقن الشيخ الشيرازي حفظه الله تبسيط هذه الفكرة وتوضيحها، وتقديمها في اظهار علم الله سبحانه، حتى يعلم العبد مراقبة الله له في كل تفصيل، فتكون صدقته وإنفاقه حاملاً لكل معاني الإخلاص، انطلاقاً من نية المنفق وحتى يوم موته، يدل على شديد عناية الله سبحانه بأحوال العباد، والمجتمع الاسلامي حتى يكون خالياً من أي من مظاهر الأذى والنفاق.⁽¹⁾

وأيضاً من معاني إحاطة علمه سبحانه قوله تعالى: ﴿ وَحَاجَهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ(80)﴾⁽²⁾، بإسلوبه السلس المريح أوضح المفسر صاحب الأمتل أن القدرة على الضرر والنفع لا تصدر من الذي لا علم له ولا معرفة، لأنّ الجاهل بأحوال الأمور عاجز عن إحداث الأثر فيها، فكيف لأصنام ليس لديها أدنى قدرة أن تثير في داخل أيّ كان أيّ خوف أو قلق، بل إنّ الله سبحانه وحده هو صاحب المشيئة والفعل في كل شيء، ويقابل عجز هذه الاصنام أنّ الله سبحانه يعلم كيف يحرك الخلق للضرر والنفع، وقد جعل المفسر عجز الاصنام في قبالة علم الله سبحانه كدليل أنّ العلم والمعرفة هي الأساس في كل شيء في هذا الوجود.⁽³⁾ ومن الآراء التي ذكرها العلماء أنّ العليم والخبير والشهيد والحافظ والمحصي، كلها من أسامي الصفات التي تدلّ على علم الله سبحانه ومعرفته، وكل واحدة منها تختص بإظهار ناحية من نواحي إحكام الله سبحانه وإحاطته بكل تفاصيل ما خلق وذرأ.⁽⁴⁾

ومن الآيات الدالة على إحاطة علمه قوله تعالى: ﴿ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا افْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ(84)﴾⁽⁵⁾، ذكر المفسر صاحب الأمتل أنّ الله سبحانه وتعالى علم علماً مطلقاً كونه خالق الخلق، وهو الذي أوجد الوجود، وقد أوجده على التوحيد، ولغاية التوحيد، ومعرفته سبحانه، قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽⁶⁾، هذا الذي علمه سبحانه لأنبيائه (عليهم السلام)، وأنشأهم عليه على أسس من العلم والفهم والتفكير العقلي حتى قيام الساعة، فكيف له سبحانه بعد أن أنشأنا على التوحيد، وأمرنا به وأن نعلمه لعباده، وقد علم علماً مطلقاً أنّ هذا الأصلح لنا، ومعرفته سبحانه مطلقة، فلا حاجة له في مراجعة أموره، لذلك تهديدكم لنا لن يخيفنا، وهذه إشارة أنّ علمه سبحانه مطلق بالذي كان والذي سيكون،

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 119.

(2) سورة الانعام، آية رقم 80.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 7، ص 109.

(4) ينظر الأسماء والصفات، الإمام الحافظ أبي بك أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفي 458هـ، حقق

نصوصه الدكتور عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1417هـ - 1997م، ج 1، ص 182.

(5) الأعراف، آية 89.

(6) الذاريات، الآية 56.

علم أزلي سرمدى، لذلك حاشاه أن يخطئ في تقدير الأمور وأن يتقلب، وهذا المقام الرفيع له في عقولنا يحول دون أن تؤثر فينا تهديداتكم مهما كانت.(1)

أما صاحب تفسير البحر المحيط في تفسير هذه الآية، ذكر أن الله سبحانه عالم عارف بكل ما هو كائن في هذا الوقت، وفي سابق الوقت، وما سيكون في المستقبل، وبكل تفاصيل أحوال عباده، وأحوال قلوبهم، وتقلبها من ناحية ما فيها من المعارف، والأهواء، والأمراض، والذي يعلم بأحوال القلوب لا بد من أن علمه مطلق تام.(2)

ومن آيات إحاطة علمه سبحانه وتعالى قوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(3)، يقول المفسر: "يعلم تقلبها وتنقلها من مكان لآخر وحيث ما كانت فإن الرزق يصل إليها منه"(4). سبحانه يعلم تقلبات عقول خلقه على كثرتها وتعدد أحوالها على مدار الساعات والدقائق، وفيها يرتب الله سبحانه أرزاق عباده مكاناً وزماناً لكي تصلهم.

ومن الأدلة على اتساع علمه سبحانه وتعالى، وعلى إحاطته بكل صغيرة وكبيرة، قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ (2) (5)، وقد استفاد الشيخ مكارم الشيرازي في توضيح هذه الآية، إذ لم يترك أي شيء من سمته النزول والصعود سواء المادي والمعنوي يحصل بين السماء والأرض إلا ذكره، للتدليل على عميق علم الله تعالى ذكره، وعلى اتساعه، وعلى عجز أعظم العلماء وأعظم الاختراعات عن الإحاطة بكل هذه العلوم وتنسيقها، وعملها مع بعضها بعضاً، بتناغم يأخذ سحره بألباب العقول والقلوب مجبرة إياها على التسبيح، فقد ذكر حبات المطر، والبذور والجذور والغازات المختلطة، وذكر الكنوز وأدق خلق الله سبحانه، ومعرفته بالبراكين وماتخرج، والملائكة وأعمال العباد، والشياطين، حتى آهات المظلومين يعلمها الله تعالى.(6)

وهذا أيضاً يظهر في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (12) (7)، طالما أنه سبحانه هو الخالق وهو المكوّن الأوحد لهذا الخلق كله من السماوات وما فيها بكل تفاصيلها

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 8، ص 355.

(2) ينظر تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي، توفي 745 هـ، دراسة وتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، طبعة جديدة مراجعة ومصححة، 2001 م- 1422 هـ، المجلد الأول، المجلد الرابع، ص 346.

(3) سورة هود، آية 6.

(4) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 13.

(5) سورة سبأ، الآية 2.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 20، ص 450-451.

(7) في سورة الطلاق، آية 12.

والارض وكيف له سبحانه إنفاذ أمره فيها بكل دقة فهو صانعها بإتقان شديد، هذه الإحاطة الكاملة كلها تدل أنه سبحانه وتعالى وعده حق في كل ما وعد به وخاصة في أمر الرجعة يوم القيامة للحساب وأن نصرته لأتباعه حق مطلق غير قابل للرد والنقاش.⁽¹⁾

ذهب صاحب رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز إلى قريب من ذلك، حيث استعرض بعض ما جاء في الأحاديث والروايات عن هذه السماوات والأرضين، وما بينها من المسافات، وما فيها من الخلق وأحوالهم، وتشابه هذه الأحوال مع حالنا في الأرض، وتعدد هذه الأحوال، وأن حكم الله وتقديره وقضائه نافذ فيهم، وهو متحكم بشؤونهم، ويصلهم وحي الله سبحانه، وكل ذلك فقط ليعلّم الله خلقه على مدى عظمة وقوة قدرة الله سبحانه، وإحاطته وتحكمه في خلقه في سابق حالهم، وفي لاحق أمورهم.⁽²⁾

وبعد أن أثبتنا دقة علمه وعظيم قدرته سبحانه، يجب أن نعلم أن هذا الخالق المطلق في دقته هو أحكم الحكماء في تنظيم شؤون عباده القانونية، والدينية، والأخلاقية، والاجتماعية، والأسرية، والفردية، وأن واجبنا بعد أن عرفنا أن نسعى لإمتثال أوامره فلن نتفعلنا معرفتنا بعلمه وعمقه ودقته واتساعه، إذا لم نعرف أن غايته سبحانه وتعالى من هذه الصفة ومن هذا التعليم أن يوصلنا لنتيجة، مفادها أننا تحت رحمة عليم حكيم وجبت طاعته، والتسليم له سبحانه.⁽³⁾

هناك آيات دلت على علمه سبحانه وتعالى بظواهر كل الأمور وبواطنها، قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (74)⁽⁴⁾، يقول المفسر: "فهو يعلم خفاياهم بمقدار ما يعلم من ظاهرهم وما يعلنون والغيب والشهادة عنده سياتان"⁽⁵⁾، إذا كان علمه سبحانه وتعالى محيط بالشيء قبل حصوله، وقبل انعقاد النية في قلوب العباد يعلمها الله سبحانه، إنما هنا أراد تعالى أن يذكر العباد بأن كل خواطر قلوبهم هي عند الله سبحانه قبل أن تخطر وحتى بعد أن تخطر، وحتى عندما تظهر هذه الخفايا للعلن، فهو سبحانه على علم به، الغيب هو غيب عندنا، نحن قاصرين عن معرفته، وفهمه، ومعرفة إلى أين سيؤدي.⁽⁶⁾

وقد أشار سبحانه وتعالى في سورة ق إلى علمه، بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (16)⁽⁷⁾، حتى في تقلب الأفكار داخل الضمير

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 27، ص 230.

(2) ينظر رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف الإمام الحافظ عز الدين بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسعيني الحنبلي، 589- 661 هجري، دراسة وتحقيق الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بندهيش، ج 2، ط 1، مكة المكرمة، 1429هـ - 2008م، ج 8، ص 174-175.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 27، ص 230.

(4) سورة النمل، آية 74.

(5) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 12، ص 123.

(6) ينظر المصدر السابق نفسه.

(7) سورة ق، الآية 16

البشري والعقل وتفاعلها قبل انعقادها كفكرة يعلمه الله تعالى، يقول المفسر: "وجملة ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يمكن أن تكون إشارة إلى أن خالق البشر محال أن لا يعلم بجزئيات خلقه" (1). إ من المستحيل أن لا يكون الخالق عالماً بأدق التفاصيل الخاصة، كما الصانع من البشر على عجزه وقلة حيلته، يعلم بكل أجزاء وتفاصيل آله التي صنعها، ومهما جرى لها هو على علم بها، فكيف الحال بالخالق المدبر، وحال الوسوسة في تقلب الأفكار هو من الإبداع الرباني في عقولنا، وطريقة عملها، وربنا على علم بكل شيء في دواخلنا عقلاً وفي حال أبداننا، وما يظهر من أفكارنا وأفعالنا.

ومن الآيات أيضاً قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (3)، (2) وبعد أن ذكر المفسر أن الله سبحانه لا يشمل عنصر الزمان ببداية ونهاية، فهو سرمدى لا نقدر حصره بالمدة والزمن، وأنه سبحانه أول في كل شيء من الماديات والمعنويات، بلا بداية، وآخر بلا نهاية، وأنه سبحانه فوق كل عباده، وظاهر في كل خلقه، وباطن عنهم، خفي شديد الخفاء. (3) ذكر هذا المعنى أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: "هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته وهو الباطن لها بعلمه ومعرفة" (4).

بعد هذا التوضيح قال المفسر: "إذاً من البداية وسيبقى في النهاية وموجود في ظاهر وباطن العالم سيكون عالماً بكل شيء قطعاً" (5)، ويرى الباحث أن الذي خلق العقول هو قطعاً المعرفة بذاتها والعلم بذاته، لأنك تجد نفسك أمام عظمة هذه الخلقة البديعة عاجزاً عن إيصال الفكرة في مقدار إحاطته علماً، لأنه سبحانه يعلم مدى تقلبها على مدار الثواني، وأحياناً كيف تنشغل هذه العقول بالمعنويات والماديات وتنتج فيها بنفس اللحظة، وهو يخبر عن دقائق تقلبها.

عن علمه بخفايا الصدور قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (13)، (6) وقد نقل بعض المفسرين عن ابن عباس قوله في سبب نزول هذه الآية: "أن جماعة من الكفار أو المنافقين كانوا يذكرون الرسول الله صلى الله عليه وآله بالسوء بدون علمه، وكان جبريل (عليه السلام) يخبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك وكان بعضهم يقول للآخر ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ﴾ فنزلت هذه الآية موضحة أن جهرهم أو إخفائهم لأقوالهم هو مما يعلمه

(1) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 25، ص 141

(2) سورة الحديد، الآية 3.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 26، ص 491.

(4) نهج البلاغة، الخطبة 186.

(5) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 26، ص 491.

(6) سورة الملك، آية 13

الله" (1). المفسر صاحب الأمتل جمع قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (14) (2)، مع الآية التي هي محل النقاش موضحاً أن كلا الآيتين دليلاً وتأكيداً على أن خالق القلوب هو العالم بأسرارها وما تخفيها من أحاسيس وأفكار. (3)

صاحب رموز الكنوز ربط سبب معرفه الله بما في الصدور بكونه خالقها فهو أدرى بحالها، وأن معنى اللطيف الخبير هو كل ما ظهر وكل ما خفي من معارف وأحوال خلقه. (4)

المنطق البديهي أن الله سبحانه على علم بمكونات خلقه، عقولهم وقلوبهم، ويردف سبحانه وتعالى في سورة غافر قائلاً: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (5). من دقيق علمه أنه يعلم حركة عيون العباد أجمعين، وإذا نظرت عيونهم إلى أي شيء، وعلى مدار اللحظات، ويعلم بها، وهذا دليل على عظمة شأنه، ودقيق علمه، أنه يعلم ما الذي تحدثه في القلب من وساوس وأفكار، يعني حتى تناغم القلب مع النظر ونتائجه هو سبحانه على علم به، وهذا مما يحير العقول في عظمته. (6)

قوله تعالى: ﴿وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (59) (7)، في شرح المفسر الشيرازي لهذه الآية أخذ عدة معاني للمفاتيح منها أن كل مفاتيح الغيب هي بيد الله تعالى، وأن خزائن الله تعالى كلها التي لا نعلم عنها شيئاً، أمورها ومفاليدها بيده سبحانه وتعالى، يقول المفسر عن توضيحه لعلم الله عز وجل بالبر والبحر "فالقول بان الله يعلم ما في البر والبحر كناية عن إحاطته بكل شيء وهذه الإحاطة بما في البر والبحر إنما تمثل في الحقيقة جانباً من علمه الأوسع"، (8) فالله عز وجل على ضوء هذا الكلام يعلم اهتزاز أوراق الأشجار في كل مكان، ونمو هذه الاشجار بالبراعم والازهار والاوراق حتى يعلم بجريان الرياح فيما بين الجبال، وفي كل مكان تهب فيه الرياح، ويعلم عدد ذرات المكونة لكل أجسام مخلوقاته، ويعلم بكل ما يخطر في أذهاننا وعقولنا من أفكار مهما دقت سواء نطقنا بها أم لم نطق بها، والله عز وجل عالم بهذه الأمور بدقة متناهية، وجعل له أثراً فلسفياً وتربوياً، والفلسفي أنه ربما يفهم أن علمه بالكليات، ولكن في الحقيقة علمه سبحانه بأدق الجزئيات،

(1) تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الامام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، 544- 604 هـ، مقدمة الشيخ خليل محي الدين الميس، ج3، ص 66. و تفسير روح البيان، الامام العالم الشيخ الفاضل إسماعيل حق البروسوي، المتوفى 1137هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ج1، ص 66.

(2) سوره الملك، آية 14.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 27، ص 266

(4) ينظر رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، الإمام الحافظ عز الدين بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسعيني الحنبلي، المصدر السابق، ص 205.

(5) سوره غافر، آية 19.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج23، ص 46.

(7) سورة الأنعام، الآية 59.

(8) تفسير الامتل، ج7، ص80.

والأثر التربوي الواضح والجلي في هذه المعرفة أنّ معرفة الإنسان بأنّ ربه الذي خلقه، والذي سيحاسبه يعلم كل شيء عنه، وكل أسرار له، وأسرار وجوده، وكل ما قاله ونواه وفكر به كل هذه الأمور واضحة تمام الوضوح أمام الله سبحانه وتعالى، هذا الاعتقاد في الانسان يجعل منه رقيباً على ذاته مما يؤدي به إلى قدرة أكبر في أن يسيطر على كل ما يفعله ويقول، حتى ما يفكر به وينوي القيام به،⁽¹⁾ وهو الله في السموات وفي الأرض، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ط يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾⁽²⁾، الإشارة إلى أن تفسير الإلوهية في كلام المفسر أنّ الحاكمية والخالقية والتدبير والحضور كلها شؤون حتمية للألوهية، وهي التوضيح الأتم لمعناها، وكونه ذلك فهو من المؤكد أنّه عالم بكل تفصيل مهما دقّ و صغّر، أضاف عليه تفصيل مهم جداً هو معرفته سبحانه وتعالى بالأسرار الداخلية للنفس البشرية والعقل وأفكاره، وهذا تدليل على عظمة الخالق أنّه خلق نفساً لا مادة لها، وعقلاً لا مادة له، هذه النفس وهذا العقل يضمّر ويفكر ويخطر له، وأنّه سبحانه على علم بخفايا هذه النفس وتقلبات أهوائها وافكارها، فهو من باب أولى أنه على دراية بكل ما تكسبه هذه النفس من أمور مادية ومعنوية.⁽³⁾

وفي آية كريمة أخرى في سورة التوبة يدلل سبحانه على المعنى نفسه حيث يقول: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾⁽⁴⁾.

إنّ حديث النفس الخاص، وأسرار المنافقين فيما بينهم يعلمها الله تعالى، لأنّه يعلم الغيب الذي لا يعرفه أحد سواه، الغيب الذي حصل والغيب الذي سيحصل، والآية هنا في معرض الحديث عن المنافقين الذين يضمرون النوايا السيئة وأنهم سوف يعاقبون عليها ببقاء النفاق سمة تلاحقهم حتى يوم القيامة وهو في محل توبيخهم.⁽⁵⁾

صاحب الأمتل في حديثه عن علم الله سبحانه بمخلوقاته هو واضحة الواضحات، لكونه صانعها من الإبتداء، والمتفضل عليها بالفيض المستمر طيلة مدة بقائها، والممد لها بكل لوازم بقائها واستمرارها، العالم بها في كل لحظة بسرّها وجهرها، لأنه المسير لها لإرادته وتقديراته، لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾⁽⁶⁾.⁽⁷⁾

(1) ينظر تفسير الأمتل، ج7، ص80-81.

(2) سورة الأنعام، الآية 3.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 7، ص 11.

(4) سورة التوبة، آية 78.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 8، ص 206.

(6) سورة، هود آية 6.

(7) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 12-13.

علم الله سبحانه وتعالى أحاط احاطة مطلقة بكل خلقه، ولم ولن يغيب عن علمه شيء، وكل ما في هذا الوجود منطوق خاضع لسلطانته سبحانه، ورهن قدرته، وضمن مشيئته، وتحت رحمته.(1)

وفي سورة أخرى دلت الآيات على علم أدق وتفصيلات أخرى حول دقة علمه سبحانه، قائلاً: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مَنَا مِنْ شَهِيدٍ﴾ (2)، ﴿إِلَيْهِ﴾ هذا الضمير يجعل له سبحانه وحده الإختصاص بتوقيت يوم القيامة، لما لهذا الإخفاء من أثر كبير وعميق في تنشئة الخلق، ومراقبة أفعالهم، ومع علم الساعة أسرار هذا الوجود بكل مخلوقاته التي نعرفها والتي لا نعرفها، وما يتم فيما بينها من عمليات التكاثر والحمل.(3)

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (4)، يقول المفسر صاحب الأمتل: "يعلم ما يلج في الأرض..... الله تعالى يعلم بذلك جزءاً جزءاً وذرة ذرة". (5) كل ما يلج في الأرض دون تحديد يجعلنا على دراية، أنه كل ما ينزل ويأتي من السماء من الأمور المادية والمعنوية، هو في نطاق علم الله سبحانه، وكيف لا؟ وهو سبحانه الخالق لكل شيء، والمدبر لكل شيء حتى الذرة، وليس فقط في الأرض، إنما في كل هذا الوجود بمجراته، وما بين مجراته علمه وأمره بين يديه سبحانه، وهذا التدليل من الخالق في الآيات هو لتذكير العباد، وجعل أفكارهم تتركز حول سعة علمه سبحانه، لأنه أسهل على الإنسان أن تحرض تفكيره فيما يراه من غيب لم يراه، لذلك ذكر الله سبحانه عن ما يلج في الأرض التي تراها أيها الإنسان وما ينزل فيها وما يخرج منها وأنت تعالينه وتراه، وأنت وكل معرفتك تعجز عن حصره وعدّه، ولكن ربك الذي خلقك وإياه يعلمه على وجه الدقة.(6)

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (7)، أورد المفسر صاحب الأمتل هذه الصفة من علم الله عز وجل كما جاءت في بعض التفاسير أنه سبحانه يعلم كل ما يقوله الكفار والمنافقين، أو حتى ما يخفونه في قلوبهم وهو في نطاق معرفه الله سبحانه، فهو لا يخفى عنه شيء سواء أظهره أم أخفوه.(8)

(1) ينظر أسماء الله الحسنى، الشيخ هادي القرشي، ص148.

(2) سورة فصلت، الآية 47.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23، ص 185

(4) سورة الحديد، الآية 4.

(5) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 26، ص 494.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 26، ص 494.

(7) سورة الملك، آية 13 و14

(8) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 27، ص 265.

الله سبحانه عالم بكل سر، عارف بكل ما خفي، ولو كان في الصدور والعقول، وما يجول فيها الآن، وما سيجول فيها مستقبلاً، وما جال فيها سابقاً، والله سبحانه يعلم كل أعمال عباده خيرا وشرها، وعلمه المطلق مكنه من العدل في قضائه لها وعليها.⁽¹⁾

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، استهل المفسر صاحب الأمتل في سؤال استتكري، هل من المعقول أن الله الذي خلق كل شيء دقيقه وعظيمه ولبه وظاهره وجعل فيه أسرار بقاءه وانتشاره وغايته؟ هل يعقل أن يخفى عليه شيء منه؟ طبعا لا، فعلمه سبحانه يعجز أن تخوض في عظمته عقول العلماء وأقلام الكتبة.⁽²⁾

وفي نفس المعنى ذكر الله سبحانه في سورة النساء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ...﴾⁽³⁾، ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (8) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9) سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (10)⁽⁴⁾، تحدث المفسر صاحب الأمتل بفكرة لطيفة عن علم الله المطلق، وكيف أنه هو الأساس، وركيزة مكملة لبحث التوحيد والمعاد، فهذا العلم قائم عليه تكوين هذا الوجود من أوله إلى آخره، بعجيب خلقه وأسراه، وعليه سيكون يوم القيامة وحساب العباد.⁽⁵⁾

ثانياً: قدرته سبحانه في تفسير الأمتل:

وفي قدرته سبحانه في التي شهدت كل مخلوقاته وأفعاله على أنها لا حد لها، تتجلى بدقة متناهية، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽⁶⁾، يقول صاحب الأمتل: "وفي الآية إشارة إلى قدرة الله المطلقة"⁽⁷⁾، وبكلمة واحدة عرف المفسر قدرة الله بأنها مطلقة، وفي هذه الكلمة غنى عن كل اتجاهات هذا الإطلاق، ومن أي منحنى نظرت إلى قدرة الله تجدها مطلقة، لا يحدّها شيء، ولا يعجزها شيء، كيف لا وهي القدرة التي أوجدت هذا الوجود بكل تفاصيله وأحواله.⁽⁸⁾

قدرة الله سبحانه تجلت معانيها أيضاً في آية الكرسي بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾⁽⁹⁾، سبحانه وتعالى كله حياة، كله علم، كله قدرة، وحكومته مطلقة تامة ليس فيها نقص.⁽¹⁰⁾ أشار إليها في كثير من الآيات ﴿وَسِعَ

(1) ينظر أسماء الله الحسنى، الشيخ هادي القرشي، ص 70.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 27، ص 266.

(3) سورة النساء، آية 63.

(4) سورة الرعد، الآيات 8-10.

(5) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 12، ص 350.

(6) سورة آل عمران، الآية 6.

(7) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 165.

(8) ينظر المصدر السابق نفسه.

(9) سورة البقرة، من الآية 255.

(10) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 70.

الفصل الأول: آيات صفات الله في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل ...

كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يمكن أن تشير كلمة (كرسي) إلى حكومة الله المطلقة، ونفوذ قدرته في السماوات والأرض، كما تشير في الوقت نفسه إلى علمه النافذ، قوله سبحانه (وَلَا يَأْتِيهِمْ يَوْمَئِذٍ حِجَابٌ) أوضح المفسر صاحب الأمتل معنى الأود بالقدرة، ودل على أن الله سبحانه لا حدود لقدرة في فعل أي شيء، كما أنه لا حدود لعلمه ومعرفة وحياته ووجوده، وفي شرح معنى القدرة يستشعر الناظر أنها كلها في المعنى الكامل للألوهية والسيطرة والتحكم.⁽¹⁾

يقول المفسر صاحب الأمتل: "الحياة بمعناها الواسع الحقيقي هي العلم والقدرة. وعليه، فإن من يملك العلم والقدرة اللذين لا متناهيان يملك الحياة الكاملة. حياة الله هي مجموعة علمه وقدرته. وفي الواقع، بالعلم والقدرة يمكن التمييز بين الحي وغير الحي. أما النمو والحركة والتغذية والتكاثر، فهي صفات كائنات ناقصة ومحدودة؛ فهي تكمل نقصها بالتغذية والتكاثر والحركة. أما الذي لا نقص فيه، فلا يمكن أن يتصف بهذه الصفات".⁽²⁾

صاحب تفسير الأصفى فسّر كلمة الحي بكلمتين، هما العالم والقدير، وهو ما ذهب إليه صاحب الأمتل من توضيح معنى حياة الله سبحانه في هذه الآية، أما الكرسي فصاحب تفسير الأصفى ذكر أنها العلم وخصصها أنها العلم الذي لم يُطلع عليه أحداً من خلقه، في حال أن العرش هو علم عرفه للأنبياء والرسل، وأن هناك معنى آخر للعرش، هو الخلق والكرسي وعاء هذا الخلق، وكما فسّر الأمتل الأود بالثقل، فسره الأصفى كذلك.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26))،⁽⁴⁾ دلّ صاحب الأمتل أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل هذا الخلق، والمتصرف بكل تفصيل فيه، هو الممد له بطاقة البقاء والإستمرار، فبدايةً هذا الخلق كله ملكٌ لخالقه، وهو وحده مالك القدرة الكاملة على تصريف شؤون هذا الخلق، وتسيير أموره وأحواله.⁽⁵⁾

وقد فسّر الأمتل قدرة الله في قوله تعالى: (لِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (120))،⁽⁶⁾ حين ربط تفسير قدرة الله سبحانه بأن كل أعمال العباد رهن بهذه القدرة، فلا المطيعين لهم القوة على الطاعة إلا بقدرته، ولا العصاة قادرين على النجاة من حساب الله

(1) المصدر السابق نفسه، ص 78.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) ينظر تفسير الأصفى، الفيض الكاشاني، ط1، 1433هـ-2012م، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، ص42.

(4) سورة آل عمران، الآية 26.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج3، ص 201.

(6) سورة المائدة، الآية 120.

سبحانه، ولا الخروج عن هذه القدرة، فهي قدرة ليس فقط على الخلق والتكوين، وإنما قدرة على أعمال العباد والإحاطة بها، وتقدير عقابها وثوابها، فهو سبحانه شمل كل العباد بقدرته.(1)

وفي سورة الأعراف تحدث المفسر عن هذه القدرة العظيمة في الآية التي ذكرت طلب موسى لرؤية الله عز وجل ﴿.....فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ نَكًا وَحَرَ مُوسَى صَعِقًا.....﴾(2)، إذ ذكر أنّ هذه القدرة بجزء منها عظيمة ويعجز الخلق عن إدراكها، والمتجلى في هذه الآية بحسب المفسر هو جزء من خلق الله سبحانه، أو جزء من قدرة الله تعالى، ولم يثبت لها النبي بعظمة مقامه، وعظمة قدره، ولا الصالحين من أصحابه، فكيف برؤيه الله سبحانه، وهنا المفسر صاحب الأمتل بحث احتمال آخر للتفسير وهو مطلب موسى (عليه السلام) وهو الإدراك الباطني والمعرفة الباطنية، وحتى هذا رغم أنّه نفى مثل هذا التفسير إلا أنّه أيضاً لم يقبل فيه إمكان رؤية الله سبحانه، أو فهم حقيقة هذه القدرة لا ظاهراً ولا باطناً.(3)

ذكر صاحب تفسير الثعالبي أنّ إعادة الأحياء للحساب، من أهون الأمور على الله سبحانه، وأقربها إلى قدرة الله سبحانه.(4)

وفي قوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(74)،(5)، وفي تفسير الشيرازي أنّ الله تعالى قادر بقدرة لا مثيل لها أمّا الأصنام التي يعبدونها المشركون فهي أضعف وأهون من إعادة أي شيء أخذه الذباب منها.(6) كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلُهمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾(73)،(7).

إنّ هذا التحدي مستمر إلى يوم البعث والنشور، وليس فقط في خلق مخلوق متكامل كالذباب، إنّما في جزئيات هذا المخلوق. وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(19)،(8)، قد دلّل صاحب الأمتل من خلال الآية على أنّ الخالق الذي خلق الكون والوجود كله ابتداءً من دون سابق تعلم أو خبرة أمر سهل جداً بالنسبة له أن يعيد هذا الخلق ويجدده ويرتبه بترتيب جديد، فالأولى أن تكون الصعوبة في الخلق الأول لأنّ التجديد أسهل من

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 4، ص 443-442.

(2) سورة الأعراف، من الآية 143.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 8، ص 420.

(4) ينظر تفسير الثعالبي، المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، الإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن أبي زيد الثعالبي المالكي، 786 - 875 هـ، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار

احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، 1418 هـ - 1997 م، ج 3، ص 419.

(5) قرآن كريم سورة الحج آية 74.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 16، ص 389.

(7) سورة الحج، الآية 73.

(8) قرآن كريم، سورة العنكبوت آية 19.

الخلق الأول. الشيء الأول الذي يجب أن نفهمه أن القدرة لله عز وجل ليس فيها أي مفهوم أو أي مقدار من مقادير الصعوبة أو السهولة فهذه المفاهيم عندنا نحن البشر المحدودين بعلومنا وبقدرتنا وحواسنا وعقولنا وجوارحنا أما هو سبحانه فهو مطلق في كل شيء ولا يتشبه بنا. (1)

وفي قوله تعالى: ﴿بَيَّنَّا إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (16)، (2) ، وضَّح المفسر صاحب الأمتل من خلال هذا الدليل والتوضيح أن قدرة الله عظيمة في إحصاء أعمال العباد مهما صغرت، فلا يجب علينا أن نتهاون في ارتكاب المعاصي؛ لأن من يحاسبنا دقيق أشد الدقة في إحصاء أعمالنا، حتى بنوايا هذه الأعمال. (3)

يكمل دلالاته رب العزة في قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْئُسٍ وَجِدَّةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (28) ألم تر أن الله يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (29)، (4) ، تتحدث الآية عن قدرته اللامتناهية فنقول ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْئُسٍ وَجِدَّةٍ﴾ أن الله سميع بصير في الرد على تساؤل كفار قريش المستغربين في الخلق المتدرجة لهم وللوجود كيف للأحد المعبود أن يخلقهم دفعة واحدة يشير صاحب الأمتل: الله خالق كل شيء بمادته وحركته، وأفكاره، وطباعه، متحكِّم بذراته، وحتى أنوية ذراته والكتروناتها، وحقيقة الأمر تعجز أقلام أي كاتب وعقله في توصيف مدى قدرة الله في كل مخلوقاته من حيث دقة خلقه سواء في صغر هذا الخلق، أو من حيث كبره واتساعه، ونحن مهما بلغت معارفنا وقدراتنا نبقى نقارن قدرة الله عز وجل بقدراتنا، وننظر إلى هذه القدرة انطلاقاً من قدراتنا نحن أو من عقولنا وفهمنا. (5)

وهذا ما يخبر عنه القرآن الكريم أن هذه القدرة مختلفة قوله تعالى ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْئُسٍ وَجِدَّةٍ﴾، فكيف سنبلغ معارف الله التي يعجز عن تدوينها شجر الأرض كله لو صار أقلاماً، وكان حبره سبعة أضعاف بحار الأرض، (6) وشرع في توضيح مدى إتساع هذه القدرة في رحمتها، وترتيب سير أحوال الناس في الليل والنهار، وطولها وقصرها بما يتناسب مع الطبيعة البشرية، وبيان الرحمة في هذا الترتيب، وظهور الفضول وكيفية جعل جرمين عظيمين كالشمس والقمر لخدمة أحوال البشر، وأن هذا الترتيب لا يستمر إلى ما لا نهاية إنما له أمد ونهاية. (7)

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 19، ص 27.

(2) سورة لقمان، الآية 16.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 19 ص 211.

(4) سورة لقمان، الآية 28-29.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 19، ص 225.

(6) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 224.

(7) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 226-227.

الفصل الأول: آيات صفات الله في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل ...

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (17)﴾⁽¹⁾، وقد جاء في تفسيرها على حسب الأمتل أنّ قدرة الله عزوجل من باب قوته وسيطرته، وحاجة الكل له، واستغنائه هو عن الكل، وأنه سبحانه إذا أوقف فيض بركاته عن هذا الكون لأصبح عدماً مطلقاً.⁽²⁾

وأيضاً عن قدرته يقول الله عزوجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا^٣ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ^٤ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾⁽³⁾، إذ نظر المفسّر صاحب الأمتل إلى حقيقة راسخة، وحاول إظهارها في تفسير هذه الآية، أنّ الوحيد القادر على حفظ، وصيانة، وتدبير هذا الخلق خالقه وحاكمه، وهو الله سبحانه وتعالى، هذه القدرة مرتبطة حكماً بكونه خالقاً مدبراً مستمراً بسبل بركاته على هذا الوجود دونما انقطاع.⁽⁴⁾

واستمر بالتدليل على هذه القدرة في نفس ذيل الآية (...^٥ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ^٦...)، أشار صاحب الأمتل إلى تفرد سبحانه بهذه القدرة، نافيةً إياها عن أيّ من المخلوقات، سواء كانت هذه المخلوقات ذات قدرة عظيمة كالملائكة، وهي صاحبة قدرة، ولكنها قدرة مستمدة مستعارة من الله جلّ وعلا، أو حتى الأصنام التي هي صناعتكم، وهي أهون من أن نصف ضعفها وهوانها، وفي معرض تفسيره هذه الآيات، جعل المفسّر الشيرازي ملاحظة بعنوان متميز سمّاه الصغير والكبير سيان أمام قدرة الله عزوجل، استخلص من خلال هذه العنوان، أنّ هذه الآيات غايتها الإشارة إلى قدرة الله تعالى، وأنّ هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تشير إلى هذه القدرة، إبتداء من الآيات التي تشير إلى خلق الله العظيم، وحتى الآيات التي تتحدث عن خلق الصغير الدقيق كالبعوضة وغيرها، مما دقّ وصغُر قدرًا أو قيمة، فلا السماوات وعظمتها وكبرها يعجزه، ولا البعوض والذباب يتعبه، وقال مستعيناً بوصف أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: "وما الجليل واللطيف والثقل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء"⁽⁵⁾.⁽⁶⁾

وكذا في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ^٧ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ^٨ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ^٩ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ

(1) سورة فاطر، الآية 15-17.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 21، ص 40.

(3) سورة فاطر، الآية 41.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 21، ص 79.

(5) نهج البلاغة، الشريف الرضي من كلمات الإمام علي، خطبة 185.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 21، ص 79.

الفصل الأول: آيات صفات الله في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل ...

شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(83)﴿(1)﴾. بعد أن استعرض المفسر صاحب الأمتل ضعف وجهل بعض العباد في طرح تساؤلات غبية سطحية، لو تفكروا فيها أبسط تفكير لخلجوا منها في وصف قدرة الله العظيمة، أن الذي يخلق ابتداءً بدون سابق مثال، له عليه أهون أن يعيد ما كان له سابق وجود، وأنه في قدرته قادر أن يجمع الأضداد في الخلق، وهذا ما يعجز عنه كل صانع، ثم أكمل في تفسير قدرة الله سبحانه بأنها مجرد أن تصير إرادة تحصل وتتحقق، دون أن يحتاج إلى لفظ أو قول، ولكنه سبحانه استعمل كلمة (كُن) لأنها كلمة صغيرة جداً، وفي قصرها وصغرها دليل على سرعة تحقق مراد الله عزوجل. (2)

إنما كلمة (كُن) لنا نحن، وعلى نفس هذه المعاني، ونفس هذه الإرادة والقدرة، دلّ في الآية التالية: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(68)﴿(3)﴾، ذكر المفسر صاحب الأمتل أن الآية الكريمة تذكر وجهاً من وجوه قضيتي الإحياء والإماتة، واللذان أعجزتا أعظم العلوم، وبقيتا غامضتين ومجهولتين، والإماتة فعل تمكن من إحداثه كثير من الخلق، فكلنا يمكن أن نميت، أما الإحياء فقد عجز عنه الجميع، أيضاً كل حي في هذا الوجود هو صنع الله سبحانه، وخلقها، وفعله، ودوام إفاضته عليه بأسباب البقاء، أيّاً كان هذا الحي، ومهما كان وضعه، وأمر حياته هو من الله وبيد الله سبحانه، ومتى أوقف الله سبحانه عنه أسباب الحياة كان الموت نتيجة حتمية له. (4)

وأيضاً قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۗ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(4)﴿(5)﴾، صاحب الأمتل دلّ أن العرش هنا هو كناية عن القدرة، وصفة القدرة هنا والتي دلل عليها سبحانه وتعالى بالعرش، أن سلطانه وحاكميته على كافة الخلق، في كل تفصيل صغير أو كبير، تامة كاملة بعلمه وبكونه موجود حاضر مع كل الخلق، وأن هذا الخلق أمره كله عائد إليه، وهذا دليل إحكام حاكميته لعظيم قدرته، وهو المعنى الكامل في كلمه العرش، وفي الآيات اللاحقة لها ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾(5)﴿(6)﴾، هذا الملك العظيم وعودته إليه دلالة على عظيم القدرة، لكونه المالك لها على اتساعها، وعدم قدرة أي مخلوق على حصرها، أو حتى مجرد معرفتها، وهي فوق كل ذلك عائدة له سبحانه. (7)

(1) سورة يس، الآية 78-83.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 21، ص 179

(3) سورة غافر، الآية 68

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23، ص 150.

(5) سورة الحديد، الآية 4.

(6) سورة الحديد، الآية 5.

(7) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 26، ص 495-496.

وفي آيات أخرى تحدث المفسر عن القدرة ، والآيات هي (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (2) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (1) ، وقد نظر المفسر صاحب الأمتل على أن جلال الله سبحانه، وجماله في قدرته العظيمة على الخلق، وفي تملكه سبحانه لكل تفاصيل خلقه، وفعلاً هذه قدرة عظيمة، وعقولنا دائماً تنظر إلى كل ما هو حولنا أنه بحاجة إلى مسير ومدبر، لأنّ نظرنا إلى الأمور بحسب قدرتنا والتي مهما عظمت لن تحيط بكنه قدرة الله سبحانه، لكنّ هذه العقول نفسها رتبها الله سبحانه على مبدأ السببية والتدبير، لكي تدلنا على أنّ لهذا الوجود مدبر ومسبب، لكنك أيها الإنسان عاجز عن إدراك هذه القدرة اللامتناهية، بدقتها وكبرها فليس لك إلا أن تخضع لهذه القدرة الرهيبة طوعاً أو كرهاً (2)

وحول الموضوع نفسه القدرة في قوله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) (40) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (41)) (3) ، ذكر المفسر الشيرازي هذه القدرة العظيمة ليست في الخلق الأعظم والأجمل، إنّما أيضاً في القدرة على تغيير واقع كامل بكل تفاصيله إلى واقع أفضل وأعظم منه، وهو أمر هين، لا يمكن لشيء أن يوقف إرادة الله تعالى في تحقيق ما يريد، وهذا تحدي من الله يدل به سبحانه على عظيم قدرته إرغاماً لذوي الألباب وغيرهم، أنّه القادر القاهر فوق عباده (4)

ثالثاً: صفة الإرادة:

نفصل قبل ذلك، قبل الخوض في صفة الإرادة، أن إرادة الله لها نوعان: "الإرادة التكوينية، وهي التصرفات التي تقع في شؤون عالم الخلق، مثل التكوين والإبداع والمعجز وخلق الأعمال والأفعال؛ والآخر: الإرادة التشريعية، وهي الأوامر والنواهي الصادرة عن الله سبحانه، وعليه، فإن الإنسان يتبع الإرادة التشريعية ويلتزم بأحكام الحلال والحرام والدين، ولا يمكنه أن يخرج عن دائرة الإرادة التكوينية" (5)، والإرادة هنا محل البحث هي الإرادة التكوينية.

في الآية الكريمة: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (40)) (6)، ورد في تفسير الأمتل "لعلّ لا حاجة لتبيان أنّ كن إنّما ذكرت لضرورة اللفظ وإلا لا حاجة في أمر الله لـ

(1) سورة التغابن، الآيات 1-4.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 27، ص 191.

(3) سورة المعارج، الآيات 40-41.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 28، ص 366-367.

(5) موسوعة الأسئلة العقائدية، ج 1، تأليف مركز الأبحاث العقائدية، إيران، قم المقدسة، ط 1، ص 510.

(6) سورة النحل، آية 40.

الفصل الأول: آيات صفات الله في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل ...

(كُنْ) أيضاً فأرادته سبحانه وتعالى كافية في تحقيق ما يريد⁽¹⁾، وضَّح هذه الإرادة الإمام الرضا (عليه السلام) إذ قال: "الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من العقل، وأمّا من الله عز وجل فأرادته إحدائه لا غير ذلك؛ لأنّه لا يتروى ولا يهيم ولا يتفكر، وهذه الصفات منفية عنه وهي من صفات الخلق، فأرادة الله تعالى هي الفعل لا غير ذلك، يقول له (كُنْ) بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همّة ولا تفكير ولا كيف كذلك كما أنّه بلا كيف"⁽²⁾.

وفي صفة إرادته سبحانه وتعالى، كثير من الآيات الواردة ذكرت هذه الإرادة، وماهيتها وإمضائها، آيات كثيرة أوضحها المفسّر في الأمتل، دون أن يدخلنا في بحوث علم الكلام، وبنفس منهجه الذي سار عليه في تفسير الأمتل، حاملاً هذه التوضيحات على فطرة راسخة، ذكرها كتاب الإلهيات إذ قال: "يجب على كل إلهي - في إجراء صفاته سبحانه عليه- بتجريدها من شوائب النقص، وسمات الإمكان وحملها عليه بالمعنى، الذي يليق بساحته مع التحفظ على حقيقتها، وواقعيتها حتى بعد التجريد"⁽³⁾، وفي نص المفسّر حول تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَنَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (253)⁽⁴⁾: "تؤكد الآية أنّ الله تعالى قادر على منع الاختلافات بين الناس بالإرادة التكوينية، وبالجبّر لكنه يفعل ما يريد وفق الحكمة المنسجمة مع تكامل الإنسان، ولذلك تركه مختاراً"⁽⁵⁾، موضحاً أنّ الحكمة الرائعة التامة في هذه القضية، وأنّه لماذا الله يترك عباده على حريتهم؟ وضّح أجمل ما في غاية الله سبحانه، أنّ إرادته محكومة بحكمة الله سبحانه ورحمته، فقد خلق الخلق ليتكاملوا، إن تكاملوا جبّراً فلا لذّة لهذا التكامل، وليس عليه أجر ولا ثواب، ولا على نقصه عقاب⁽⁶⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (48)⁽⁷⁾، ذكر المفسّر صاحب الأمتل بما معناه في تفسير هذه الآية، أنّ الإرادة الإلهية دائماً متلازمة مع حكمته، كأنهما صفة واحدة، فأرادته سبحانه دائماً حكيمة⁽⁸⁾. وفي الآية السابعة عشر من سورة المائدة ذكر الله سبحانه هذه العبارة: ﴿...قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً...﴾، تحدث عن الإرادة كونها متضمنة في الخالق والقدرة، فكونه الخالق القادر،

(1) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 13، ص 53.

(2) عيون أخبار الرضا (ع)، الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، إصدار مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ج 2، ص 1، ص 119. أيضاً أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، توفي 329هـ، ج 1، باب الإرادة، الحديث الثالث، ص 109.

(3) الإلهيات على هدي الكتاب والسنة والعقل، الشيخ جعفر السبحاني، ص 174.

(4) سورة البقرة، الآية 253.

(5) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 253.

(6) ينظر المصدر السابق نفسه.

(7) سورة المائدة، الآية 48.

(8) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 6، ص 448.

فإرادته هي الماضية، لأنّ أمثال عيسى (عليه السلام) نبي من البشر حالهم كحالهم، مخلوق محدود القدرة.⁽¹⁾

أمّا صاحب تفسير الميزان فقد عمد إلى دراسة هذه الإرادة، كدليل على الألوهية فقال: "فخلقه ما يشاء وقدرته على كل شيء هو البرهان على ملكه، وأنّ ملكه هو البرهان، على أنّ له أن يريد إهلاك الجميع، ثم يمضي إرادته لو أراد، وهو البرهان على أنّه لا يشاركه أحد منهم في ألوهيته"⁽²⁾، و يرى الباحث أنّ صاحب تفسير الأمتل نظر للإرادة على أنّها متضمنة في القدرة، بما أنه القادر له الحق أن يريد ويشاء، أمّا صاحب الميزان فقد عبّر بما معناه، بما أنّه يريد فهو دليل على أنّه المالك وعلى أنّه القادر، لأنّ المالك القادر هو الذي يحق له أن يريد أو لا، وكلها تدل على تفرده بالألوهية سبحانه وتعالى.

في الآية ﴿... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ...﴾ (35) ⁽³⁾، رؤية المفسّر صاحب الأمتل لإرادة الله سبحانه، أنّها إرادة بكامل ومطلق الحكمة، وخاصة في غاية الخلق، فهذه الإرادة بإصلاح العباد عند الله عزوجل بحق المعرضين عن الله، وذكره وشرائعه، قد أوقفها الله تعالى لغاية أن يثبت عليهم أنّه لن يكون لهم من الله هذا التوفيق، إذا لم يكن باختيار منهم، وإلا على ماذا يثيبهم إذا كان سبحانه هو السائق لهم، وهذا مقتضى المنطق والعقل، وهو بحكمته ومعرفته أنّهم لا خير فيهم، بسبب إصرارهم على الكفر لذلك لم يرد هدايتهم.⁽⁴⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مَخْتَلِفِينَ﴾ (118) ⁽⁵⁾، بحسب صاحب الأمتل ما من شيء بمقدوره إيقاف إرادة الله سبحانه ومشيتته، ولكن كما وضحنا سابقاً، أنّ هذه المشيئة دائماً مرتبطة بالحكمة من الخلق، وهي حكمة العبادة لاستحقاق الثواب والعقاب، ولاجل أن يتكامل الخلق في سيرهم لربهم سبحانه وتعالى.⁽⁶⁾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (40) ⁽⁷⁾، دلت المفسّر صاحب الأمتل على سهولة وبساطة فعل الله تعالى، وتحويل إرادته إلى حدث تام، وصوّر الأمر علينا نحن البشر كم هو سهل أن نتصور أي شيء، بمجرد ذكره تحصل صورته في أذهاننا مهما كبر هذا الشيء أو صغر، وهذا نحن البشر الضعفاء المحدودين في كل شيء، فكيف بخالق الوجود، وهذا مثال جميل ولطيف في التدليل على قدرة الله سبحانه في إحداث إرادته ومشيتته، بمجرد وجدت هذه

(1) المصدر السابق نفسه، ص 395.

(2) ينظر الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطبطبائي، ط1، 1430 هـ، مطبعة روح الأمين، قم، ج 5، ص 178.

(3) سورة الأنعام، الآية 35.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 7، ص 48.

(5) سورة هود، الآية 118.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 175.

(7) سورة النحل، الآية 40.

الإرادة عنده. (1) واستدل عليها بقول الإمام الرضا (عليه السلام) حيث سأله أحد أصحابه أخبرني عن الإرادة من الله تعالى وعن الخلق، فقال عليه السلام: "الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، أما من الله عز وجل فإرادته إحدائه لا غير ذلك، لأنه لا يروي، ولا يهيم، ولا يتفكر، وهذه الصفات منفية عنه، وهي من صفات الخلق، فإرادة الله تعالى هي العقل لا غير ذلك، يقول له كن فيكون، بلا لفظ، ولا نطق، ولا لسان، ولا همّة، ولا تفكر، ولا كيف، كذلك كما أنه بلا كيف" (2).

رابعاً: حياته سبحانه:

استدلّ العلماء على حياته سبحانه بحسب صاحب كتاب الإلهيات حيث قال: "وبما أنه سبحانه عالم وقادر، ذرّك وفعل، لملازمة العلم للدرك، والقدرة للفعل، وهما نفس الحياة عند تطورها بحذف الزوائد، ولأجل ذلك نرى الحكماء يستدلون على حياته بقولهم: أنه تعالى حيّ، لامتناع كون من يمكن أن يوصف بأنه قادر عالم غير حي" (3). من الأدلة التي ساقها العلماء على حياته سبحانه، أن فاقده أي كمال لا يمكن أن يعطي أي كمال، فهو سبحانه كيف يكون خالقاً قادراً عالماً واهباً للخلق كل سجاياهم وأهمها الحياة؟ وكذلك مفيض لهم على الدوام في هذه الحياة، وأدوات استمرارها، كيف له أن يكون غير حي؟ فواهب الحياة حكماً هو الحي الدائم، وفي كتابه الكريم وصف نفسه سبحانه أنه حي قائلاً: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ...﴾ (4)، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ...﴾ (5). في وصف الإمام الصادق (عليه السلام) لحياة الله سبحانه وتعالى قال: "إن الله علم لا جهل فيه، حياة لا موت فيه، نور لا ظلمة فيه" (6). في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ كلمة (الحيّ) حاول المفسر صاحب الأمتل توضيحها أن الحي من كانت حياته دائمة مستمرة حقيقية، فحياة الله سبحانه هي جوهر ذاته، وليست مستعارة من غيره. (7) على نفس هذا المعنى أشار الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) قائلاً: "إن الله لا إله إلا هو كان حياً بلا كيف ولا أين، كان عز وجل إلهاً حياً بلا حياة حادثة..... بل حي بنفسه" (8) أمّا صاحب الميزان فقد قال: "الحي الذي لا يموت ليفيد التعليل فإن الحي الذي لا يموت لا يفوته فائت، فهو المتعين لأن يكون وكيلاً" (9).

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج13، ص53.

(2) أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، ج1، ص109 باب الإرادة، الحديث الثالث.

(3) مصدر الإلهيات على هدي الكتاب والسنة، الشيخ جعفر السبحاني، ج1، ص157.

(4) سورة الفرقان، الآية 58.

(5) سورة البقرة، الآية 255.

(6) توحيد الشيخ الصدوق، ص148.

(7) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج3، ص70.

(8) توحيد الشيخ الصدوق، ص152-153.

(9) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج15، ص232.

ولإظهار حقيقة صفة الحياة لله عزّ وجل، أفرد لها المفسّر صاحب الأمتل مقارنة بين حياته سبحانه وحياة البشر، حتى يمكن فهمها، واصفاً حياة الله سبحانه بأنها هي الحياة الحقيقية، وغيرها ليست حياة حقيقية، لأنّه بالنظر المنطقي للأمر كيف لنا أن نعتبر أنّ حياة لا يمكن لها أن تستمر وتزدهر إلا بإفاضة مفيض لها لأسباب بقائها، أن نعتبرها حياة حقيقية، نبقى ننظر لها بعين النقص لأنها محكومة بالفناء، وهي نفسها تبقى متطلعة لحياة كمالها في بقائها، وأكمل المفسّر مفهوماً آخر أوسع للحياة، بأنّ صاحب العلم المطلق والقدرة المطلقة، هو فقط حياته تكون حياة كاملة، وليس لنا أن نشبه حياتنا بحياة الله سبحانه، فلا تقاس صفاته على صفاتنا.(1)

أما في شرح (الحيّ) في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا(58)، هو سبحانه حي بلحظة الخطاب الإلهي من ربّ العزة لرسوله الكريم، كان حياً وصفة حياته أنّها لا تنتهي، فهذه الجملة (الَّذِي لَا يَمُوتُ) تعني أنّه لم يسبق له أن مات، ومستقبلاً لن يقع عليه الموت، فحياته سبحانه كمال مطلق، نابع من كونه العالم المطلق، والقادر المطلق، والمريد الوحيد، النافذة إرادته في كل في كل خلقه.(2) حياة القديم سبحانه مثل نور هذه الشمس، تنير كل ماتقع عليه وتظهره.(3) الحي هو الباقي على الدوام لا يقربه الموت والفناء، ولا يحل عليه النعس والنوم، لأنّ كل هذا يتسبب في فقد معرفته وشعوره.(4)

قوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ(65)﴾(5)، يشرح المفسّر صاحب الأمتل حياة الله سبحانه في هذه الآية، بأنّ حياة الله سبحانه هي نفس ذات الله، غير محتاجة إلى أحد سواه، وهي حياة سرمدية، لا تعرف الموت، ولن تعرفه، في حال أنّ كل حياة الكائنات الأخرى مؤقتة، لها بداية ونهاية، وتستمد كل أسباب وجودها من ذات الله سبحانه.(6)

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 70.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 294.

(3) ينظر شرح الأسماء الحسنی، كتاب في توحيد الشهود والعيان، تصنيف العارف بالله الشيخ صدر الدين القنوي، المتوفي 673 هجري، ضبطه الشيخ الدكتور عاصم ابراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، ط1، 212م، لبنان، ص134.

(4) ينظر أسماء الله الحسنی معانيها واسرارها وخصائصها، الحاج عبد العظيم جاسم، ص88.

(5) سورة غافر، الآية 65.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج23، ص 101.

وهذا ما عرّف به الشيخ الصدّوق⁽¹⁾ حياة الله تعالى في كتاب التوحيد: "هو حي بنفسه لا يجوز عليه الموت والفناء وليس يحتاج إلى حياة يحيا بها".⁽²⁾ الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: "كان حياً بلا كيف ولا أين... وكان الله حياً بلا حياة حادثه... بل كان حياً بنفسه".⁽³⁾

خامساً: صفة السميع البصير:

أما في صفة السميع البصير يقول صاحب الإلهيات: "قد ثبت عند البحث عن مراتب علمه، أنّ جميع العوالم الإمكانية حاضرة لديه سبحانه، فالأشياء على الاطلاق، والمسموعات، والمبصرات، خصوصاً أفعاله سبحانه وفي الوقت نفسه علمه تعالى، فالعالم بجواهره وأعراضه، حاضر لدى ذاته، وعلى هذا فعلمه بالمسموع كاف في توصيفه بأنّه سميع، كما أنّ علمه بالمبصر كاف في توصيفه بأنّه بصير الإله"⁽⁴⁾. لا نلاحظ على صاحب الأمتل أنّه أغرق أو فصل في صفة السميع البصير، ففي أكثر شروحاته عمد إلى تفسيرها إمّا حرفياً أو لم يتطرق لها، ويرى الباحث أنّ الداعي لذلك أنّ المفسّر افترض أنّ القراء تشكل عندهم تصوّراً واضحاً عنها لكثرة الحديث عن صفات الله عزوجل وعظيم قدرته، وسعة علمه، ودقته، وخصوصاً بخفيات الأمور، فالذي يعلم السر وأخفى، فكلمة (سميع) تقضي أنّه يسمع أدق الأصوات، والكلمات والنوايا والأدعية والنجوى مهما قلت ومهما كثرت.

في شرح الآية 137 من سورة البقرة ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137)﴾، اكتفى صاحب الأمتل في توضيح أنّ الله سبحانه يسمع جميع ما نطق به هؤلاء الكفار، ويعلم بجميع خططهم الخبيثة ضدك يا رسول الله، وهو سيتكفل برد شرورهم عنك.⁽⁵⁾

في الآية 256 من سورة البقرة ﴿... وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، على المعاني السابقة نفسها أشار المفسّر إلى علم الله سبحانه بكل مايقوله هؤلاء القوم، سواء أكان قولاً جهراً أو في سرّهم، وهو يعلم كل ما حوت قلوبهم ونواياهم.⁽⁶⁾

"السميع الذي يدرك المسموعات سرّاً و جهراً، ولا يشغله سماع عن سماع، ولا يعزب عن ادراكه مسموع، وأن يخفى ويسمع السر والنجوى، بل هو أدقّ من ذلك وأخفى".⁽⁷⁾

قال أبو عبدالله (عليه السلام): "سميعٌ بصير، سميع بغير جارحة، بصير بغير آلة".⁽⁸⁾

(1) الشيخ الصدّوق هو أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، توفي 381هـ.

(2) توحيد الشيخ الصدّوق، ص 218.

(3) توحيد الشيخ الصدّوق، ص، 152-153.

(4) الإلهيات على هدي الكتاب والسنة، الشيخ جعفر السبحاني، ج 1، ص 106.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 1، ص 394.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 81.

(7) شرح الاسماء الحسنی، كتاب في توحيد الشهود والعيال، القنوي، ص 77.

(8) الكافي - الشيخ الكليني، ج 1، ص 83.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (58)،⁽¹⁾ صاحب الأمتل أوضح صفتي السميع البصير، هنا، بأتكم أيها هالناس تحت عين الله سبحانه، بجميع أفعالكم، وهو يسمع كل ماتحدثون به، ويرى جميع أعمالكم، ظاهرها وباطنها.⁽²⁾

في سورة النساء آية 134 ﴿...وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، يقول المفسر الشيرازي: "والله يعلم نوايا الجميع، ويسمع كل صوت، ويرى كل مشهد"⁽³⁾.

عن أبي جعفر (عليه السلام): "إنه سميع بصير، بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع"⁽⁴⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (13)⁽⁵⁾، وقد جمع المفسر سمع الله سبحانه بعلمه، وعلمه بسمعه، فبعد أن ذكر أن الله سبحانه يسمع نجوى الكائنات كلها، تحدث عن علمه سبحانه بحركة النملة الضعيفة في ليلة مظلمة على صخرة مصمتة، ومن المؤكد أن علمه بحركتها أمر حتمي، ولكن وصفه هذا يدل على شدة ضعف الصوت لهذه الحركة وخفائه، ومع ذلك الله سبحانه يسمعه، ويعلمه مدلاً بذلك على دقة وإحاطة علمه سبحانه بكل شيء، منبهاً خلقه أنه ما من شيء غائب عنه، محذراً إياهم حتى ضمائرهم يسمع ما فيها، فعلى كل الوجود الخضوع للرب المعبود، لأنهم عنده منظورون ومحاسبون.⁽⁶⁾

اختصر صاحب تفسير الكشاف (السميع العليم) أن الله سبحانه يسمع كل ما يمكن أن يكون مسموعاً، والكل هنا شملت دقيقه وعظيمه وأيضاً ذكر الكل حول أي شيء ممكن أن يكون معلوماً ولكن ربط هذا السمع والعلم بأن يكون مشتملاً بالليل والنهار،⁽⁷⁾ ومن الممكن أن يكون هذا وهذا الوجود معلوم ومسموع لا يشتمل على الليل والنهار وهذا كثير اما صاحب الأمتل فقد جعل هذا المعلوم المسموع مطلقاً ولم يحصره بشيء

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (17)⁽⁸⁾، تكلم المفسر الشيرازي حول سمع الله سبحانه للصوت الحسي الصادر من النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالدعاء لنصرته، والمؤمنين،

(1) سورة النساء، آية 58

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 147.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 280.

(4) الكافي، الشيخ الكليني، ج 1، ص 108.

(5) سورة الأنعام، الآية 13.

(6) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 7، ص 21.

(7) ينظر تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف الإمام ابي القاسم جار

الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، 467- 538 هـ، لبنان ط4، 2600 م، ج2، ص9.

(8) سورة الأنفال، الآية 17.

ومع هذا السمع لصوت نبيه (صلى الله عليه وسلم) في الدعاء علم صدقهم وصدق نواياهم، فاستجاب لدعائهم، وهذا ما قصد به المفسر جمع سمع الله سبحانه للصوت الحسي الصادر من الرسول (صلى الله عليه وسلم)، والمعنوي الباطني، وعلمه بحقيقته النوايا، وهو مما يدل على إحاطته سبحانه الكاملة لكل شؤون عباده.⁽¹⁾ وجد الباحث من خلال متابعتة لصفتي السميع العليم، تكرار الأفكار والمعاني، التي طرحها المفسر في مناقشة جميع هذه الآيات. يقول المفسر الشيرازي: "معرفة صفات الله تعالى إن علومنا و علوم الكائنات جميعاً محدود لذلك لانستطيع أن نصل إلى كنهه وحقيقة ذات الخالق غير المحدودة، لأن المعرفة الحقيقية شيء والإحاطة به لا تنعي الإحاطة به، فكيف يستطيع الكائن المحدود أن يحيط بالذات غير المحدودة".⁽²⁾

أمر مهم في قوله تعالى: ﴿سَبِّحْنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَابَائِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (1)،⁽³⁾ تبعاً لفهم المفسر صاحب الأمتل أن الله سبحانه عالماً عارفاً بحقيقة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقابليته واستعدادته لكل مقامات الرفعة والعلو، وقد ظهرت هذه العظمة في كل أقواله وأفعاله.⁽⁴⁾ من جانب آخر "لا تستطيع أفاضاً أن تبين ذات الله وصفاته المطلقة غير المحدودة، ولأن أفاضنا موضوعاً لتلبية حاجتنا في حياتنا اليومية، لذلك سنصل إلى معاني خاطئة من خلال استخدام أفاضنا في توصيف صفات الخالق الكمالية، كالعلم والقدرة والحياة والولاية المطلقة والمالكية وسائر الصفات الأخرى".⁽⁵⁾

في قوله تعالى: ﴿وَكَايُنُ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ (60)،⁽⁶⁾ إذ كان هناك بعض الاختلاف في ذكر أن الله سبحانه إضافة إلى علمه وسمعته لكل أحوال البشر، واختلاف ألسنتهم وضمائرهم، زاد عليها المفسر معرفته سبحانه بحال جميع الدواب، لأنه محل الآية ذكر حال الدواب كلها، وأن أمر رزقها له سبحانه، وهو يعلم أحوالها كلها، سامع لحاجاتها، خبير بها.⁽⁷⁾

وفي قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كُنُفٍ وَإِحْدَثٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (28)،⁽⁸⁾ بما أن الله سبحانه بعد ذكر إشكال أورده المفسر صاحب الأمتل، أن الأعمال تفتني، بأن الله سبحانه علم وسمع ورأى كل كلام وأعمال وأفعال العباد، وكلها عنده مسجلة ومدونة وباقية، لا شيء عنده يدعى

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 9، ص 28.

(2) تفسير الأمتل، ج 15، ص 483.

(3) سورة الإسراء، الآية 1.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 13، ص 194.

(5) تفسير الأمتل، ج 14، ص 385.

(6) سورة العنكبوت، الآية 60.

(7) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 19، ص 87.

(8) سورة لقمان، الآية 28.

الفصل الأول: آيات صفات الله في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل ...

بالفناء المطلق، لذلك يوم الحساب سيرونها جميعاً حاضرة أمامهم، يحاسبون عليها بدقة، وهذا أمر لا يشكل أدنى جهد عند الله عزوعلاً.⁽¹⁾

وفي متابعة جميع الآيات التي تخص صفتي السميع والبصير، وجد الباحث أن المفسر تعاطى معها بكلام متقارب، لم يكن فيه عميق إختلاف، ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُمْ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۗ وَإِنِ اهْتَدَيْتُمْ فِيمَا يُرْجَىٰ إِلَيَّ رَبِّي ۗ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ (50)⁽²⁾، زاد المفسر على كلامه السابق أن الله سبحانه حتى الذرة يسمعها ويعرفها قريب منها.⁽³⁾

في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (20)⁽⁴⁾، أكد المفسر صاحب الأمتل على أن لا بد لمن نصب نفسه حاكماً، ومحاسباً للخلق، أن يكون على دراية مطلقة بكل ماتحته، وفي تفسيريه للآية ذكر أن جميع المسموعات والمبصرات، الله سبحانه محيط بها إحاطة تامة، وذكرها أنها في نطاق علمه ومعرفته، ولولا ذلك لما حق له أن ينصب نفسه قاضياً، أراد أن يدلل لنا أن القضاء الحق من لوازمه العلم المطلق.⁽⁵⁾

"البصير عبارة عمّن رؤيته صفة ذاته لا بجارحة".⁽⁶⁾

في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (36)⁽⁷⁾، حاول المفسر صاحب الأمتل أن يظهر لنا رحمة الله تعالى من خلال صفة السمع، وكأن الله سبحانه يريد أن يطمئننا، أنه لن يتركنا فريسة سائغة لإبليس وأعماله، فذكر أنه سميع مقارنة بعلمه، أي أنه يسمع هذه الوسوس، وهو عالم بالغاية منها، وعالم بضعفنا، ويقدم لنا الحل بالإلتجاء إلى الله تعالى، والإحتماء به.⁽⁸⁾

إن الله كان سميعاً بصيراً، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۗ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (58)⁽⁹⁾، يقول صاحب الأمتل: "فهو يراقب أعمالكم وهو يسمع أحاديثكم، ويرى أفعالكم".⁽¹⁰⁾

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (134)⁽¹¹⁾، يقول المفسر الشيرازي: "الله يعلم بنوايا الجميع ويسمع كل صوت، ويرى كل

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 19، ص 226.

(2) سورة سبأ، الآية 50.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 20، ص 530.

(4) سورة غافر، الآية 20.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23 ص 47.

(6) شرح الأسماء الحسنی، الشيخ القنوي، ص 79.

(7) سورة فصلت، الآية 36.

(8) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23، ص 169.

(9) سورة النساء، الآية 58.

(10) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 147.

(11) سورة النساء، الآية 134.

مشهد ويعرف أعمال المنافقين وأشباههم".⁽¹⁾ تعليقنا على كلام المفسر عن هذه الصفات، فالبصير صيغة مبالغة من الرؤية، و هو صيغة مبالغة من رؤية المبصرات ورؤية المبشرات هي العلم بها، وكل علماء الكلام يقولون هذا الكلام ان البصير هو العلم بالمبصرات والسميع هو العلم بالمسموعات، والتي تدل على عمق الرؤيا والخبرة بأسرار وخفايا الأمور، وهذا حال الخالق سبحانه مع كل خلقه، وفي كل المشاهد والأعمال، وفي كل أصناف الخلق، كان كلام المفسر بدون أي تعقيد أو تفصيل حول هاتين الصفتين، سوى أنه أوضح مراد الله عزوجل من الآيات، وكأن غايته إيصال هذه الفكرة بهذه البساطة، لتحصيل الفائدة منها في تربية العباد، وتعليمهم، وهذا أسلوبه الذي درج عليه في تفسير الأمتل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (17)،⁽²⁾ كنى الشيخ الشيرازي عن علم الله سبحانه، بكل خفايا وأسرار أفعال عباده، بأنها عين واستخدام العين هي دليل لتوكيد على وضوح الفعل بالرؤية وعدم قدرة العباد على الإنكار، لأن الإنسان أمام فكرة الرؤيا أشد توكيداً وثباتاً في النفس، وهذا لكي يثبت في نفوسهم الخوف من مراقبة الله عز وجل لهم، وهذا حاله سبحانه في تأكيد هذه الصفات، لأنها أقرب لمفاهيمهم رغم أنه سبحانه ليس عنده عين ترى كعيوننا ولا أذن تسمع كأذاننا.⁽³⁾

ويتابع سبحانه في الآية (96) في السورة نفسها ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (96)، ورد في تفسيرها عن الأمتل أنه قد جمع الصفتين الخبير، والبصير، لكي يدل على شدة علمه، ومعرفته، وإحاطته إحاطة دقيقة بكل قول وفعل، وكل نية في اللسان والجوارح والقلوب والعقول، كلها حاضرة عند الله سبحانه بكل وضوح وكل فهم وكل تفصيل، وهو فوق ذلك محاسب عليها كل بحسب عمله فاحذروا عباد الله.⁽⁴⁾

وقد عدل الله سبحانه عن سميع بصير إلى خبير بصير، لأن السياق هو الموجه، إذ كان الكلام متعلق بالكلام والأصوات عبر القرآن الكريم بصفة السميع البصير، وإذا كان السياق متعلق بأحوال القلوب والسرائر والبواطن، استعمل القرآن الكريم الخبير والبصير. ومع متابعة بقية الآيات التي ذكرت صفتي السميع والبصير، وجد الباحث أن المفسر لم يأت بتفاصيل وكلام زائد عما ذكرناه في هذه الصفات، وبقي كلامه فيها شرحاً بسيطاً، الغاية منه توضيح معاني فقط، لذلك اكتفينا بذكر ما سبق حتى لا نطيل البحث.

(1) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 280.

(2) سورة الإسراء، الآية 17.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 13 ص 228.

(4) ينظر المصدر السابق، ج 14، ص 373.

سادساً: صفة الإدراك:

تعريف الإدراك في اللغة: "هو بلوغ أقصى الشيء ومنتهاه".⁽¹⁾ الإدراك هو العلم بالمدرَك أي الإدراك نوع من أنواع العلم وهو علم خاص يشمل بعلم الموجودات الجزئية العينية.⁽²⁾ رأي ثان الإدراك لا يتعلق بالعلم وهو وصف مستقل وزائد على العلم، فنتعلم ما لا ندركه وندرك ما لا نعلمه، الإدراك مغاير للعلم، مثال علم الإنسان بما لا يدركه كعلمه بالمعلومات والموجودات كإدراك النائم للأصوات، وحقيقة الإدراك بالحياة على حسب الرأي الأول أنه تعالى مدرك لأنه حي، وكل من كان حياً فهو مدرك، والرأي الثاني إدراك الله سبحانه لا يستن إلى كونه حي، إن الإدراك من صفات الله سبحانه الفعلية والحياة من صفات الله سبحانه الذاتية.⁽³⁾

ومفهوم الإدراك في تفسير الأمتل له اتجاهان، الأول بيان صفة الإدراك، والثاني بيان قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (103)، ويشدد المفسر على أن معنى الإدراك هو العلم المحيط لا بمعنى الإحساس المادي.

دلّ الله سبحانه على نفسه صراحة بأنه مدرك، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (103)،⁽⁵⁾ وهي صفة ذكرها علماء الكلام، وعدّوها من صفاته سبحانه، ولكن هذا الإدراك عدّوه من معاني العلم والإحاطة، عدّت كثيراً من الكلمات ذات الدلالة على أي معاني معرفية يمكن أن تقع تحت مفهوم الإدراك، خمسة منها ثبتت مطلقة لله عز وجل، وهي العلم، والحفظ، والحكمة، والخبرة، والشهادة.⁽⁶⁾ كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (3)،⁽⁷⁾ وقوله تعالى ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (21)،⁽⁸⁾ وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (271)،⁽⁹⁾ وقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (53)،⁽¹⁰⁾ وقوله تعالى ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (83)،⁽¹¹⁾ مما عناه المفسر في هذه الآية عن تفرّد الله سبحانه بصفة خاصة له وحده، فهو الوحيد القادر على رؤية كل شيء، في الوقت الذي ما من مخلوقاته قادر على رؤيته، وذلك لعدم إمكانية رؤيته لعدة أسباب، أولها كونه ليس بجسم، فلذلك لا يحد، وليس له كثافة أو جهة تسعه، وحتى بمفهوم الإدراك العام والعميق هو سبحانه يسع خلقه في كل شيء بالإحاطة مكاناً وزماناً،

(1) معجم الوسيط، مادة درك.

(2) ينظر النكت الإعتقادية للشيخ المفيد، الفصل الأول، ص 25.

(3) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 199.

(4) سورة الأنعام، الآية 103.

(5) المصدر السابق نفسه.

(6) ينظر الإلهيات على هدي الكتاب والسنة والعقل، الشيخ جعفر السبحاني، ج 1، ص 164.

(7) سورة الحديد، الآية 3.

(8) سورة سبأ، الآية 21.

(9) سورة البقرة، الآية 271.

(10) سورة فصلت، الآية 53.

(11) سورة يوسف، الآية 83.

والتقدير، والإحاطة بالتحكم والتصرف وكل هذا الخلق ملكه، وهو المتصرف فيه وهو الكفيل بحفظه، وصيانه بحكمته، وتقديره، وكما قلنا قد تعددت المعاني التي تؤدي لنفس مفهوم الإدراك⁽¹⁾. ومن هذه المعاني صفة الخبير أي العميق المعرفة ذات الأمد الطويل الناتج عن كثير من الخبرات والتجارب حتى صار عالماً بحال كل قضية يتعاطاها، ولكن عندما نُقال لله تعالى لا نعني أنه سبحانه بحاجة للتجارب والعمق والدراسة وإنما هو الخبير من مطلق علمه سبحانه بكل تفصيل ومن منطلق أنه الخالق وأنه مفيض الوجود وأسبابه على عباده، وفي التعمق في معاني الإدراك التي أوردها العلماء كالعلم والحفظ والحكمة والخبرة والشهادة كل هذه المعاني أورد المفسر فهمه لها بمعاني متقاربة، كنا قد بحثنا في بحث صفه العلم عن علمه سبحانه أما معاني الحفظ والخبرة، والحكمة، والشهادة، وهي كثيرة جدا في الكتاب الكريم⁽²⁾.

والمفسر كعادته في التعامل مع المعاني يقدمها بإسلوب سلس نورد بعض منها، ففي معاني الحفيظ في سورة هود الآية (57): ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾⁽³⁾، ذكر صاحب الأمتل تفسيره لهذه الكلمات أنه سبحانه وتعالى لا يفوته شيء، وهو حاشاه أن يترك رسله والمطيعين هملاً، ولا يغيب عنه قدر ذرة من حساب عباده، فعلمه أحاط بكل شيء، وقدرته وسعت كل شيء⁽³⁾.

عند صاحب تفسير الأصفى الحفيظ هو الرقيب، فأعمال العباد عنده واضحة، وهو غير غافل أو ناسٍ للبحث في ذنوبكم والنظر فيها⁽⁴⁾.

في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَاكٍ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾⁽⁵⁾، يقول المفسر: "حتى لا يتصور أتباع الشيطان بأن أعمالهم وأقوالهم تتلاشى في الدنيا أو أن الله ينسى كلا بل إن الله يحتفظ بكل ذلك إلى يوم الجزاء"⁽⁶⁾. وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾⁽⁶⁾، يقول صاحب الأمتل: "حتى يحاسبهم في الوقت المناسب ويعاقبهم جزاءً لأعمالهم"⁽⁸⁾، يرى الباحث أن في هذه الآيات الثلاث مع شروحها وتوضيحاتها من كتاب الأمتل، نجد أن المعاني كلها متقاربة، وأنه حاشا على الله أن يضيع أعمال خلقه وأقوالهم ونواياهم، فكلهم لهم حسابهم، المسيء بإساءته، والمحسن بإحسانه، وهو الذي يصون أحبته وأنبيائه، وأن كل شيء

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 7، ص 147.

(2) ينظر المصدر السابق نفسه.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 90.

(4) ينظر تفسير الأصفى، الفيض الكاشاني، ط 1، ص 228.

(5) سورة سبأ، الآية 21.

(6) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 20، ص 489.

(7) سورة الشورى، الآية 6.

(8) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23، ص 208.

عند الله سبحانه محفوظ ليوم الحساب، وكل عبد سينال جزاء عمله، فالحفيظ تعني شدة دقته في الحفظ، وهذا تنبيهها للمسيء وتحذيراً له، وبشرى للمؤمن أنّ صبره في طريق الحق، ونصرته أيضاً لن تضيع، إذا كنا سنربط ما ذكره المفسر من معاني كلمة الحفيظ في هذه الآيات، ومعنى كلمة الإدراك، فنلاحظ أنّه استخدم شمولية حفظه في تفسير الآية الأولى (إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) ذكر أنّه لا يغيب عنه مثقال ذرة من حساب الآخرين، وذكر أنّ الله تعالى عالم بكل شيء وقادر عليه، حتى في تفسير سورة سبأ ﴿...وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾، ففي التفسير استخدم كلمة (بكل ذلك) في شرحه للآية (21) من سورة سبأ في الجزء (20) صفحة (489)، وفي الآية الأخرى سورة الشورى ﴿...اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ...﴾ إذ ذكر معناه في الحساب يوم القيامة، وهذه كلها تعبيرات تدلّ على الإحاطة، والشمول، والتي تؤدي إلى نفس معنى الإدراك.

هناك معنى آخر للإدراك وهو غير العلم، وينقسم الى قسمين أولاً أن تعلم الشيء ولا تدركه، كما نحن نعلم بالمعلوم ولكن لا ندركه، ثانياً أن تدرك الشيء ولكن لا تعلمه، كالنائم يسمع الاصوات فيستيقظ فهو يدرك الأصوات ولكن لا يعلمها.

وعند استقراء دلالة الحفيظ في تفسير الأمتل، نجدها آتت على أربعة معانٍ، أولاً الحراسة والرعاية، ثانياً الضبط والإحصار، ثالثاً مقابلة الغفلة والنسيان، رابعاً الاستمرار في الحفظ.

- ومن صفات إدراكه سبحانه صفة الحكيم والخبير:

الحكيم لغة: "هو العال وصاحب الحكمة، والحكم المتقن للأمر".⁽¹⁾

معنى الحكيم اصطلاحاً: "هو الحكيم المتقن فعله".⁽²⁾

أكثر ما أوردها المفسر صاحب الأمتل في ناحية معانيها الحقيقة اللغوية، فالحكيم الذي يضع الشيء موضعه، والخبير هو العالم بتفاصيل الأمور وخفاياها ماضياً، وحاضراً، ومستقبلاً لكثرة التجارب، والمفسر استعملها في إظهار كل حكمة من الآيات المذكورة فيها، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۗ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽³⁾، إذ ورد في تفسيرها في الأمتل أنّ حكمة الله سبحانه وحسن تدبيره أوجبت لكل شخص جملة من الوظائف والحقوق، جعلها في أساس قانون خلقه، وهذه الوظائف والحقوق تتناسب مع قدرة هذا الشخص وقابليته الجسدية والروحية، وعليه ألزم كلّ منّا أداء ما عليه، وألزم المجتمع أداء حقوقنا.⁽⁴⁾ صيغة الإدراك غير صفة الحكيم،

(1) مختار الصحاح، مادة حكم.

(2) الإلهيات على هدي الكتاب والسنة، الشيخ جعفر السبحاني، ص127.

(3) سورة البقرة، الآية 228.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 9.

فالحكيم هو أن يضع الشيء موضعه بلا زيادة ولا نقصان، ولا يخلق الشيء عبثاً، فالإدراك هو الإحاطة بالشيء أي العلم بسلبياته وإيجابياته، فإذا كان حكيماً أن يضع أو يوجد الشيء محذراً من سلبياته أو يجعل موارد تدفع السلبيات.

وفي التفسير البسيط، (العزير الحكيم) هو المالك الذي يأمر وينهى كما يريد، وكيف ما شاء، يمتحن عباده، وكل حكمه وأمره، ونهيه عن حكمة وتدبر مطلقين.⁽¹⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (240)،⁽²⁾ ، دَلَّ المفسر الشيرازي من خلال كلامه أن حكمة الله عزو علا من معرفته لما هو أصلح لعباده، أوردها في تشريعات وقوانين، وهذه الحكمة لن تستشعروها إلا بالالتزام بهذه التشريعات، أي واضع القوانين يعلم ما هو أصلح، فعلياً التسليم بما يشرعه ولا نكون قلقين خائفين، فالله سبحانه الذي يسد الأبواب بخبرته ومعرفته، يفتح أبواباً برحمته.⁽³⁾

وكذلك من معاني الإدراك ذكرنا صفة الشهيد، والتي تعني الشاهد الحاضر، ففي الآية القرآنية ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (41)،⁽⁴⁾ ، أجراها المفسر صاحب الأمتل على معاني الإدراك، أي أتكم إذا خالفتم أو أمري في توزيع الموارد بالحق، فإنني أعلم ذلك منكم، وأنه لن يخفى علي كل الذي تعملوه من خير أو شر، لأنني عالم عارف مدرك كل الإدراك بكل شيء.⁽⁵⁾

وكذلك من معاني الإدراك، أشار المفسر إلى أن الثنائيات الواردة في صفات الباربي عزوجل هي ليست عفوية، إنما تمثل جانباً دقيقاً من المعنى بحسب السياق لكل ثنائية.

سابعاً: صفة الأزلية والأبدية (أو جمالية وجلالية):

الأزلية لغة: هو "القديم الباقي، أي قديم أزلي باقٍ أبدي".⁽⁶⁾

وفي صفة الأزلية والأبدية تأتي إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (3)،⁽⁷⁾ ، نزه المفسر الله سبحانه عن الزمان والمكان، وكيف يقاس بالأزمنة؟ وهو سبحانه الذي خلق الزمان وأوجهه، وهو سبحانه جلّ عن أن يكون له شيء قبله، لكان أقدم منه وأصبح محتاجاً إليه، فهو معلل كل علة وسبب كل وجود، إضافه إلى أنه لا نهاية له، لأنه إذا قبلنا

(1) ينظر تفسير البسيط، أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحد، متوفي 468هـ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الورتان، دار المصور العربي، مصر-الاسكندرية، ج 23، ص 221.

(2) سورة البقرة، الآية 240.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 40.

(4) سورة النساء، الآية 41.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 102.

(6) الإلهيات على هدي الكتاب والسنة، جعفر السبحاني، ص 183.

(7) سورة الحديد، الآية 3.

أنه سوف يأتي يوم أو ساعة يكون الله فيها غير موجود فهذا يعني أننا أكلناه إلى العدم، وهذا محال عليه سبحانه، فكلا الأمرين بداية ونهاية، هو من سمات ممكن الوجود ولا يمكن أن تقع على واجب الوجود بذاته سبحانه.⁽¹⁾ وفي جواب أمير المؤمنين (عليه السلام) لحبر من الأخبار حين سأله: يا أمير المؤمنين متى كان ربك؟ فقال له: "ثكلتك أمك، ومتى لم يكن حتى يقال له متى كان، كان ربي قبل القبل بلا قبل ويكون بعد البعد بلا بعد".⁽²⁾

"الأزلي استمرار الوجود في الزمن الماضي، والأبدي استمرار وجوده في المستقبل، والسرمدى لاستمرار وجوده فيهما".⁽³⁾

إذاً هي من الصفات الإلهية التي ترجع إلى القدم والبقاء، وهي من الذوات الإلهية التي لا تنفك عنها.

أما وصفه سبحانه لذاته أنه الظاهر، فهي تدل على أنه الله سبحانه هو أوضح الواضحات في وجوده، لأنه واضح في كل خلقه، وكيف يخلو منه شيء؟ فالكل خلقه، وكل مخلوق فيه ملايين الأدلة على وجوده سبحانه، أما كونه باطناً فلائنه سبحانه عجزت أعظم العقول عن بلوغ حقيقة ذاته.⁽⁴⁾ فقد ورد وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: "لا تحيط به الأفكار، ولا تقدّره العقول، ولا تقع عليه الأوهام".⁽⁵⁾

ب. الصفات الثبوتية الفعلية:

عند تقسيم صفاته سبحانه، تقسم إلى ثبوتية وسلبية، والصفات الثبوتية على حسب كتاب الإلهيات هي (على نوعين: صفات الذات وصفات الفعل، و الفرق بين النوعين، هو أنّ الصفات تكفي في توصيف سبحانه بها فرض ذاته، فهي صفات الذات كالقدرة، والحياة، والعلم، أما الصفات التي يتوقف توصيفه سبحانه على صدور فعل منه، وفرض شيء غير الذات، فهي صفات الفعل المنتزعة من فعله سبحانه).⁽⁶⁾

أولاً: التكلّم:

"اتفق المسلمون على أنّ الله سبحانه متكلم، والدليل عليه إجماع الأنبياء (عليهم السلام)، فإنّه تواتر أنّهم كانوا يثبتون له الكلام"⁽⁷⁾، وأهم المسائل التي عُرضت بين علماء الكلام، مسألة

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 26، ص 490.

(2) توحيد الشيخ الصدوق، ص 188

(3) شرح الفصول النصيرية، السيد عبد الوهاب الأستر آبادي، من أعلام القرن التاسع الهجري، تحقيق قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط1، 1433 هـ - 2014 م، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، ص 76.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 26، ص 490-491.

(5) توحيد الشيخ الصدوق، ص 84

(6) الإلهيات على هدي الكتاب والسنة، الشيخ جعفر السبحاني، ج 1، ص 187.

(7) شرح الفصول النصيرية، السيد عبد الوهاب الأستر آبادي، ص 43.

الكلام الإلهي، وحدثت بسببها كثير من المناقشات والخلافات، وقد عرفت قديماً (بمحنة خلق القرآن) وكان لها أسباب، منها اختلاط المسلمين بغيرهم من الأقوام والثقافات، أو تحريض الخلفاء على مثل هذه الأمور، لكي تصرف الناس عن حقيقة تسلطهم وجورهم.⁽¹⁾ ولن نخوض في عمق هذا البحث لأنّ له أبعاداً كثيرة وتشعبات لا حصر لها، أنما أوردنا ما قلناه لنرى بأي عين نظر مفسّر الأمتل لحقيقة كلام الله سبحانه، في تفسيره للآيات الكريمة، ففي الآية الكريمة: ﴿وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوْا فَمِنْهُمْ مَنْ اٰمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا اَفْتَنَّاوْا وَلَكِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيْدُ﴾ (253)، أشار المفسّر الشيرازي بدون توسعة إلى أنّ الكلام هنا المقصود به هو الكلام الذي تمّ من ربّ العزة إلى النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلة الإسراء والمعراج، وكأنّه يقصد الكلام المباشر بينه سبحانه ونبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، ودلّل أنّه لو كان المقصود به الوحي لكان شمل الجميع، لأنّ الله قال في محكم تنزيله ﴿وَمَا كَانَ لِیَسْرِ أَنْ یُكَلِّمَهُ اللّٰهُ اِلَّا وَحِیًا اَوْ مِنْ وَّرَآءِ حِجَابٍ اَوْ یُرْسِلَ رَسُوْلًا فَیُوحِیْ بِاِذْنِهِ مَا یَشَآءُ ۗ اِنَّهُ عَلِیُّ حَكِیْمٌ﴾ (51)،⁽³⁾ أما الآية فهي تقول منهم من كلم الله وهي تبعية.⁽⁴⁾

وفي قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللّٰهُ مُوسٰی تَكْلِیْمًا﴾ (163)،⁽⁵⁾ تدلّ عبارة المفسّر في الأمتل على أنّ الكلام هنا من الله سبحانه كان كلاماً مباشراً، بخطاب مباشر وليس وحي بواسطة الملائكة، أو إلهام، وذكر أنّها قضية مهمة جداً، وفي نهاية تفسير الآية أورد شرحاً بسيطاً ببضعة أسطر عن كيفية هذا الكلام، بعد أن وضّح أنّ الوحي إلى الأنبياء (عليهم السلام) يكون بأكثر من طريقة، إما بالملائكة، أو بالإلهام القلبي، أو بصورة صوت يسمعه النبي.⁽⁶⁾ وأورد في الأمتل قائلاً: "أي أنّ الله يخلق الأمواج الصوتية في الفضاء، أو الأجسام، فيسمعها أنبيائه، وبهذه الوساطة كان يتم التخاطب بينهم وبين الله سبحانه وتعالى"⁽⁷⁾، والأهمية في قضية أنّ الله سبحانه كلم موسى تكليماً، هي أنّها كانت خصيصة لسيدنا موسى (عليه السلام)، ميّزه فيها عن غيره من الأنبياء أنّ الله كلمه تكليماً.

وفي سورة الأعراف ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسٰی لِمِیْقٰتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ اَرِنِیْ اَنْظُرْ اِلَیْكَ ۗ قَالَ لَنْ تَرٰنِیْ وَلَكِنْ اَنْظُرْ اِلَی الْاَجْبَلِ فَاِنْ اَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرٰنِیْ ۗ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسٰی صَعِقًا ۗ فَلَمَّا اَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ ثُبْتُ اِلَیْكَ ۗ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُؤْمِنِیْنَ﴾ (143)،⁽⁸⁾ المفسّر لم يسهب في طبيعة هذا التكلّم، وقال: "ولكن سرعان ما سمع الجواب من جانب المقام الربوبي"⁽⁹⁾، وفي الآية التي بعدها قال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسٰی اِنِّیْ اصْطَفٰیْنٰكَ عَلٰی النَّاسِ بِرِسَالٰتِیْ وَبِكَلٰمِیْ فَخُذْ مَا اٰتٰیْنٰكَ

(1) ينظر الإلهيات، الشيخ جعفر السبحاني، ج 1، ص 189.

(2) سورة البقرة، الآية 253.

(3) سورة الشورى، الآية 51.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23، ص 395-396.

(5) سورة النساء، الآية 163.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 314.

(7) المصدر السابق نفسه، ص 316.

(8) سورة الأعراف، الآية 143.

(9) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 2، ص 418.

وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144) (1)، أورد المفسر بنفس الجواب السابق، عن فكرة الأمواج الصوتية، لكن أضاف عليه أنّ هذه الأمواج ممكن أن تنبعث من خلال الشجرة من الوادي الأيمن، أو من جبل طور، وتبلغ بعدها مسمع سيدنا موسى (عليه السلام)، وأضاف أنّ من يتصور أنّ هذا التكلم بهذا النحو ممكن أن يدلّ على جسمانية الله تعالى هو تصور غير دقيق أبداً، (2) وقد أورد إضافة ثانية، أنّ الدليل على أنّ الكلام هو من قبل الله عز وجل، هو شيء معروف عند سيدنا موسى (عليه السلام)، على وجه اليقين في قلبه وعقله، أمّا إلهاماً من الله سبحانه، أو وحياً، أما تأويل المفسر على حقيقة الأمواج الصوتية المنتشرة في الهواء، أو المنبثقة من الشجرة، أو الطور، فهو مما لم نجد عليه دليلاً عند المفسر. كذلك في سورة الشورى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ (51)﴾ (3)، ذكر المفسر نفس قضية الأمواج الصوتية في تفسير كلام الله سبحانه، معللاً ذلك أنّ الله سبحانه منزّه عن الجسمانية. (4) وتابع في شرح هذا التكليم أنّه من خلال شرح الوحي وحقيقة الوحي، وكيف يتم بين الله سبحانه وأنبيائه (عليهم السلام)، بأنّه ربما كان وحياً كنوح (عليه السلام)، أو بإرسال الرسل كنبينا (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث يلقي في روح وقلب نبيه كالنفث في الروح، أو ربما تقمّص صفة البشر كحال دحية الكلبي، أو على شكل رنين جرس في أذن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو ربما ظهر جبريل (عليه السلام) بنفس الصورة التي خلّق عليها. (5)

ثانياً: صفة الصدق:

الصدق لغة: "ضد الكذب، أصل صدق يدل على قوة في الشيء قولاً وغيره، ومن ذلك الصدق سمي بذلك لقوته في نفسه، ولأنّ الكذب لا قوة له قيل هو أصل في اللغة ثبات الشيء، ويقال صدقه قيل قولهم، وصدق الحديث انبأه بالصدق، ويقال صدقت القومة أي قلت لهم صدقاً". (6) الصدق وهو: "الإخبار عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب". (7)

ومن الصفات الذاتية الفعلية صفة الصدق، والتي ذكرت في قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (95)﴾ (8)، إذ لم يتعمق المفسر صاحب الأمتل في تفسيره عبارة (صَدَقَ اللَّهُ)، ولم يذكرها إنّما ذكر ما بعدها، وهو أنّ النبي إبراهيم الخليل (عليه

(1) سورة الأعراف، الآية 144.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 8، ص 424.

(3) سورة الشورى، الآية 51.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23، ص 284.

(5) ينظر المصدر السابق، ج 23، ص 285-286.

(6) ينظر العين للخليل بن أحمد، ج 5، ص 56. مقاييس اللغة لابن فارس، ج 3، ص 339. لسان العرب، ابن منصور،

ج 10، ص 193. مختار الصحاح للرازي، ص 174.

(7) الواضح في أصول الفقه، ابن عقيل، ج 1، ص 129.

(8) سورة آل عمران، الآية 95.

السلام) هو على دين الحق لم يُزغ عنه مثقال ذرة، وكان كلامه تضمن أن الصدق من الله آتٍ في الذي علمه لسيدنا ابراهيم (عليه السلام)، من الحلال والحرام، وهو الذي وصل لسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحنفية الحقّة، وهو ما يطهّره من إدعاءات المشركين العرب⁽¹⁾. أمّا في تفسير الميزان فقد وجدنا شرحاً وافياً يظهر من خلال المعنى، والغاية من ورود هذه الجملة (صَدَقَ اللهُ) أنّ سيدنا محمد (عليه وآله أفضل الصلاة والسلام) بعد اتهامات اليهود والمشركين لدعوته بالباطل، انطلاقاً من الاختلافات بالحلال والحرام في الطعام والشراب، أنّه تحدّاهم أنّ الحلال في الطعام والشراب هو نفسه الذي كان عند الخليل (عليه السلام) في شريعته، وهو نفسه الذي أتيت به، وهو نفسه الذي في توراتكم أيها اليهود، وإن أردتم المحاججة أحضروا توراتكم لنراها، ولما عجزوا عن إحضار التوراة خوف الفضيحة، ثبت أنّ كلام الله سبحانه، وتعاليمه صدق وحق عند الخليل (عليه السلام)، وعند موسى (عليه السلام)، وعندى أنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في دعوتي، لذلك صدق الله بالذي جاءه في شرائعه، وكذبتم أنتم.⁽²⁾

أمّا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (122)⁽³⁾، فهو من الدلائل على صدقه سبحانه وتعالى وهي كثيرة، ففي كل اسم من أسمائه سبحانه أدل دليل على صدقه فالعالم بكل شيء دليل على أنّه أصدق الموجودات، والقادر لا يمنعه شيء من الصدق، وهو أسمى الصفات وهو ذاته الذي خلق العقل بفطرة حب الصدق والإطمئنان له، والخبير والحكيم والشهيد، كلها تدل على أنّه بحكمته، وخبرته، وحضور كل الوجود أمامه، تدلّ أنّ صدقه سبحانه أمر بديهي لأنّه الخير والرحمة ولأنّها أعظم الصفات التي أمر بها، وهي الصفات التي تجعل العباد يسعون إليه، لأنّه صادق في قوله وفعله، ووعدده وفي ذاته.⁽⁴⁾

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: "إنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره نوراً لا ظلام فيه وصادقاً لا كذب فيه"⁽⁵⁾، ومن الأدلة على صدق وعده قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ...﴾⁽⁶⁾، وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ﴾ (74)⁽⁷⁾، ورد شرح الآيتين في الأمتل أنّ الله سبحانه أنفذ وعده الذي وعده لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالدخول إلى مكة

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج4، ص 297.

(2) ينظر تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج3، ص 255-256.

(3) سورة النساء، الآية 122.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، في ص 267.

(5) توحيد الشيخ الصدوق، ص 151.

(6) سورة الفتح، من الآية 27.

(7) سورة الزمر، الآية 74.

المكرمة، وأنفذ وعده للمؤمنين بدخول الجنة، والفوز بنعيمها،⁽¹⁾ وهي جنة الخلد لقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾⁽²⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾⁽²²⁾،⁽³⁾ فسرها المفسر صاحب الأمتل أن وعد الله سبحانه الذي وصل إلى المؤمنين على لسان رسوله هو وعد حق، وهو سبحانه أجل وأعز من أن يصدر عنه إلا الحق والصدق، لأن الصدق صفة من ذاته متحقق بوجوده وسيطرته وهو صفة من فعله أنه يحقق ما يعد ويفعل ما يريد سبحانه وتعالى.⁽⁴⁾

سلك المفسر لبيان صفة الصدق اتجاهين: الأول: بيان صفة الصدق ضمن سياق صفات الله تعالى، الثاني: تفسير الآيات ضمن معنى الصدق. ثانيًا: الإشارة إلى الفرق بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية: الشيرازي في هذا الباب قد أشار إلى قاعدة معروفة عند المتكلمين، وهي: الصفات الذاتية هي التي تثبت لله من دون لحاظ، أي تعلق بالخلق، مثل العلم والقدرة... إلى آخره، والصفات الفعلية هي التي تتقوم بالإضافة إلى الخلق وإلى مقام الفعل، مثل الخالق والرازقية. إذا يميل المفسر ويتفق مع القائلين بأن الصدق من صفات الفعل.

ثالثاً: صفة الخالق:

في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾⁽¹⁰²⁾،⁽⁵⁾ يرد صاحب الأمتل على بعض مفسري أهل السنة الذين يقولون بالجبر، وأن الله خالق لجميع الأشياء، بما في ذلك أفعالنا؛ لأن أفعالنا هي أشياء، لذا فهو سبحانه الذي خلقها، ويرد عليهم بقول القائلين بحرية الإرادة والاختيار، بأن حتى لو كان الله سبحانه خالقاً لأفعالنا، فإن ذلك ليس بتعارض مع حريتنا في الاختيار. ويوضح ويحل، حسب رأي الفلاسفة القائلين، أنه ليس هناك علتان في عرض واحد، مهما كان ذلك ممكناً لوجودهما معاً،⁽⁶⁾ وفي الواقع، القرآن الكريم يجري كل المخلوقات بكل آثارها، وليس لها تأثير مستقل؛ إنما كل هذه المؤثرات مالكتها وعلتها إلى الله سبحانه وتعالى.⁽⁷⁾

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 520.

(2) سورة الزمر، الآية 73.

(3) سورة الأحزاب، الآية 22.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 20، ص 317.

(5) سورة الأنعام، الآية 102.

(6) ينظر تفسير الأمتل، ج 7، ص 149-150.

(7) ينظر مفاهيم القرآن الكريم، الشيخ جعفر السبحاني، ج 1، ص 347.

رابعاً: الرزاق:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (58)⁽¹⁾، يقول المفسر إن ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ إشارة إلى أصل قدرة الله، و﴿الْمَتِينُ﴾ إشارة إلى كمال القدرة، وحين تقترن هذه الكلمة بالرزاق، وهو صيغة مبالغة أيضاً، فإنها تدل على هذه الحقيقة، وهي أن الله تعالى له منتهى القدرة والتسلط في إيلاء الرزق وإعطائه لمن يشاء، وهو يوصل الرزق إلى أي جهة كانت، وقال الشيرازي أيضاً: "وجميع ما في الوجود مجتمعون على مائدته الكريمة"⁽²⁾. هنا، صاحب الميزان يوضح الكلام بأن الله يعيد كل شيء إلى اسمه الجلال 'الله'، وجعل هذا الاسم أساس كل شيء، والرزاق ذكره ووضحه كاسم مبالغة، ودل به على كثرة من يرزقهم، وأن ذكر هذه الأسماء الثلاثة هو لحصرية القدرة على الرزق بالله سبحانه، وليدل على قوته وتحكمه في إيصال رزقه لخلقه مهما كثروا وأينما كانوا.⁽³⁾

(1) سورة الذاريات، الآية 58.

(2) تفسير الأمتل، ج 25، ص 218-219.

(3) الميزان في تفسير القرآن، للطباطبائي، ج 18، ص 563.

المبحث الثاني

الصفات السلبية ومواردها في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

بعد أن البحث في الصفات الثبوتية في المبحث الأول، واستعراض شرح صاحب الأمتل لهذه الصفات، لزم علينا أن نبحت شرحه للصفات السلبية، حتى نستكمل مباحث هذا الفصل، وعليه يتكون من يتكون هذا المبحث من المطالب الآتية:

المطلب الأول: معنى الصفات السلبية.

المطلب الثاني: لا معبود إلا الله تعالى

المطلب الثالث: لا خالق إلا الله تعالى.

المطلب الرابع: لا حاكم إلا الله سبحانه.

المطلب الخامس: الله تعالى ليس بجسم في تفسير الأمتل.

المطلب الأول: معنى الصفات السلبية:

سبق البحث في تقسيم صفات الله الذاتية، وأن علماء الكلام جعلوها قسمين، صفات ثبوتية وصفات سلبية، وسموها أيضاً صفات الجمال والإكرام، قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)﴾⁽¹⁾، وصفات الجلال والتنزيه، فالصفات الثبوتية كما ذكرت سابقاً، هي كل صفة تعدّ كمالاً له سبحانه وتعالى، ودليل جماله وتمامه، كالعلم والحياة وكونه قديراً ومختاراً ومُريداً، أما الصفات السلبية فهي كل صفة ترفعه سبحانه عن أي نقص أو شائبة تشوب وجوده سبحانه وتعالى، وأهم هذه الصفات هي عدم وجود شريك له ولا ند، فهو سبحانه أحد واحد، وهي التي تسمى بالتوحيد، والتوحيد في صفات السلب تعني، أنه واحد لا نظير له، ولا مثيل، غير متركب، ولا يقبل التعدد، ولا ينثني، ولا ينكر، وأنه أحد بسيط لا جزء له، لا خارجاً ولا ذهنياً، وأن صفاته سبحانه هي عين ذاته، وأنه لا خالق إلا هو، وهو المدبّر الوحيد لهذا الوجود، وهو الحاكم الأوحد في شؤونه، وهو الوحيد الجدير بالطاعة المطلقة، وهو ما يجعل له هو حق الطاعة بأمره، ومنه فقط تصدر الشرائع، فهو المستحق للعبادة والخضوع. فالشفاعة منه، والمغفرة منه، وآيات الكتاب الكريم مليئة بهذه المعاني، ولو أردنا إيرادها لطل الكلام في هذه المقدمة، إنما نوردتها من خلال بحثنا لها في الآيات.⁽²⁾

المطلب الثاني: لا معبود إلا الله سبحانه:

لكون الآيات كثيرة مستفيضة في هذه المعاني من التوحيد، والصفات السلبية يصعب حصرها كلها، نحاول دراستها أولاً بحسب معاني التوحيد، وربما بذلك نتمكن من تغطية رأي المفسر في هذه الصفات، ونبدأها بقوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39)﴾⁽³⁾، بما معناه هل من المعقول أن تتركوا عبادة الله الواحد الأحد المتصرف لشؤون الخلق أجمعين؟ وتتبعوا عبادة آلهة متعددة، وهو يفاضل هذا الإله العظيم، الذي فرض سيطرته على الوجود على هذه الألهة المتعددة، التي لا تملك لكم أية منفعة، فهذا الواحد الأحد هو المتصرف في شؤونكم، وإن تتبعوه خير لكم، وهو سيكون سبب نجاتكم ونصركم على الذين يستغلونكم، ويسئون لكم.⁽⁴⁾ صاحب الكشاف جعله رب غالب لا يُغالب، ولا يقبل الشراكة، فهو منفرد في ربوبيته، وغالب على أمر عباده.⁽⁵⁾

(1) سورة الرحمن، الآية 78.

(2) ينظر الإلهيات على هدي الكتاب والسنة، جعفر السبحاني، ج2، بحث الصفات السلبية بتصرف.

(3) سورة يوسف، الآية 39.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 256.

(5) ينظر تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله أبو القاسم، 467-538هـ، دار الكتب العلمية، المجلد الثاني، ص 453.

في سورة الرعد ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (16)﴾⁽¹⁾، فيه إشارة إلى أن فساد عقيدة الشرك، الذي يؤدي للإعتقاد بخالق غير الله سبحانه، بل الله سبحانه هو الواحد الأحد، الذي خلق كل شيء، هو الواحد المتفرد بهذا الخلق، وعليه دللت الآية السابقة في نهايتها.⁽²⁾

ولكن قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)﴾⁽³⁾، هنا شرح المفسر صاحب الأمتل كلمة ﴿أَحَدٌ﴾ بأنها تدلُّ على أن ذات الله سبحانه بسيطة، أي أنها ليست مترتبة من أجزاء، لا في الواقع الخارجي ولا في التصور الذهني، وليس لها جنس ولا فصل، وقد جلَّت عن الماهية، وتنزهت عن الحدود، في حال أن الواحد جعلها المفسر واحدية تدلُّ على وحدة ذاته سبحانه، عندما تقارن مع التكثر في العالم الخارجي.⁽⁴⁾

تحدث صاحب الميزان عن هذا الموضوع أن السورة وصفت الله سبحانه أن ذاته أحدية، أي كل ما دونه يرجع إليه في جميع حوائجه، دون أن يكون شريكاً له، لا في الذات، ولا الصفات، ولا الأفعال، وأنَّ الأحد هو الذي لا يقبل الكثرة، لا في الواقع الخارجي، ولا ذهنياً وعقلاً، فكلمة أحد تخرجه عن العدِّ والتكثُر.⁽⁵⁾

مفهوم الوحدانية في تفسير الأمتل جاء على أربعة أقسام، وبيان أثرها النفسي والخلقي: التوحيد في الذات ويُذكر فيه الآيات التي تؤكد أن الله سبحانه ليس له نظير ولا مثيل، وأنه بسيط لا جزء له ولا كسور، كما في سورة الإخلاص. الوحدانية في الصفات: كالعلم والقدرة، فهي عين ذاته، الوحدانية في الخالقية والتدبير كخالقية والرازقية، الوحدانية في العبادة ونذكر فيها الآيات التي توجب العبادة لله وحده.

المطلب الثالث: التوحيد في الخالقية (لا خالق إلا الله تعالى):

"الخالق هو الذي يخرج الأشياء من العدم إلى الوجود بتقدير وتدبير وعلم وقدرة".⁽⁶⁾

والقرآن الكريم هو كتاب الله سبحانه، الذي لا يدل إلا على خالق واحد متفرد مستقل، وهو أصل الخلق كله، وكل الخالقين دونه، وهم في طول هذه الخالقية لله سبحانه، ولا يمكن لهم أن يكونوا

(1) سورة الرعد، الآية 16.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج12، ص362.

(3) سورة الإخلاص، الآية 1.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج3، ص49.

(5) ينظر تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج20، ص643-644.

(6) أسرار معرفة الله، الدكتور سمير عبد الحليم، ص8.

مستقلين في خلقهم وقدرتهم على الإيجاد، وآيات كتاب الله سبحانه.⁽¹⁾ كما في قوله تعالى: ﴿...قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (16)﴾⁽²⁾، ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۗ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101)﴾⁽³⁾، ﴿وَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102)﴾⁽⁴⁾، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)﴾⁽⁵⁾، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ فَآنَىٰ تُؤَفَّكَونَ (62)﴾⁽⁶⁾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۗ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرِزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآنَىٰ تُؤَفَّكَونَ (3)﴾⁽⁷⁾، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54)﴾⁽⁸⁾، ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6)﴾⁽⁹⁾، خلق كل شيء ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ دليل الشيرازي على أن التوحيد هنا في هذا الموضوع من أشد الأمور وضوحاً حيث ادعى باطلاً أصحاب العقائد الفاسدة أن الله شركاء وأولاد بدون أي حجة أو دليل على ذلك، وقد أسهب قليلاً في توضيح بعض هذه الأفكار وذكر بعضاً ممن ادعاه مستنكراً ذلك أشد الاستنكار منهم مؤكداً على موضوع أن الله هو الخالق لكل شيء حتى أنه صدر تفسير هذه الآيات بعنوان خلق كل شيء، وعاد وأشار إلى هذه النقطة بعنوان متفرد طارحاً بعض آراء أهل الجبر أنه كونه الخالق فكل شيء بيده سبحانه حتى أفعالنا وردود أهل الإختيار والفلاسفة عليهم أنه لو كان هو الخالق والأمر كله له سبحانه لكان ترك لنا حرية الإختيار، وهذا لا يعارض سلطته و تحكّمه سبحانه.⁽¹⁰⁾

في سورة الزمر: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)﴾، أورد المفسر صاحب الأمتل، العبارات واضحة جلية أن هذه الآية فيها توحيد في الخلق، والتوحيد في الربوبية، وعندما نقول هنا في بحث الصفات السلبية أي نفى أن يكون خالق سوى الله أو ربّ سواه حيث قال: "العبرة الأولى في الآية تشير إلى توحد الله في الخلق، والثانية تشير إلى توحد في الربوبية"⁽¹¹⁾.

(1) ينظر مفاهيم القرآن الكريم، الشيخ جعفر السبحاني بقلم جعفر الهادي، مؤسسة الإمام الصادق، إيران قم، ج1، ص346.

(2) سورة الرعد، الآية 16.

(3) سورة الأنعام، الآية 101.

(4) سورة الأنعام، الآية 102.

(5) سورة الزمر، الآية 62.

(6) سورة غافر، الآية 62.

(7) سورة فاطر، الآية 3.

(8) سورة الأعراف، الآية 54.

(9) سورة الحشر، الآية 6.

(10) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج12، ص365-366. وأيضاً ينظر ج22، ص497.

(11) المصدر السابق نفسه، ص 497.

الله سبحانه خالق كل شيء، صاحب فتح القدير يرى كل مافي هذا الوجود هو سبحانه خالقه، وهو الذي يقوم بحفظه، وتدبير كل ما خلقه، دون أي شريك يساعده، أو أحد يستعين به، وخزائن هذا الوجود كلها بيده سبحانه.⁽¹⁾

وأردف الشيرازي مؤكداً أنّ التوحيد توحيد الله سبحانه في كونه هو الخالق الأوحد، هي قضية محسومة حتى عند المشركين، أكد عليها في الآية 38 من السورة نفسها، قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، ولكن دائماً الضياع والانحراف يكون في التوحيد في الربوبية، وأنّ الله شريك في تدبير أمور عباده، لذلك يلجؤون لهذا الشريك المتصوّر في أذهانهم، وكل الرسالات والأديان جاءت لإعادتهم إلى جادة الصواب، أنّ الله الخالق هو وحده المدبّر، وبيده الأمر، والطاعة واجبة له سبحانه، وأوامر أنبيائه (عليهم السلام) هي الجديرة بالإتباع.⁽²⁾

صاحب فتح القدير استنبح إشراكهم لغير الله سبحانه في العبادة، ونسبه إلى غفلتهم الشديدة، وعدم كمال عقولهم، وإدراكهم الذي جرهم لهذا الخطأ الرهيب.⁽³⁾

وفي سورة الأعراف، قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54)﴾، تحدث المفسّر في الأمتل عن خلق الله تعالى، الذي تم في ستة أيام، وناقش حقيقه هذه الأيام، وماهيتها، وأنه ربما قصد فيها دورات، وعددها إلى ست دورات، ربما وجد فيها في كل دور ما يشبه اليوم، متسائلاً بعدها عن علّة عدم خلق الله سبحانه للعالم في لحظة واحدة؟ رغم قدرته عليها، معللاً ذلك أنّ الخلق المتدرّج أعظم في إظهار قدرة الله سبحانه وعظّمته، ولكن نرى أنّ هذا التعليل يرجع الى أنّ إرادة الله سبحانه شاءت ذلك.⁽⁴⁾

وعلى المعنى نفسه تدل الآية من سورة الزخرف: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۗ فَآنَى يُؤْفَكُونَ (87)﴾، وفي الآية من سورة الأنبياء ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۗ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22)﴾، أدلّ الأدلّة على التوحيد في الربوبية، فقد ساق المفسّر في إثبات التوحيد، ونفي تعدد الألهة، وهو برهان التمانع، وأجرى ملخصاً له، مفاده أنّه مهما كانت هذه الألهة على درجة من الحكمة والإتفاق لن يكونوا متطابقين، وسنجد اختلافاً في إنتاجهم، وهذا يمنع أن يكون لهذا الوجود عدة آلهة، لأنّه في انسجام عظيم دقيق.⁽⁵⁾

(1) ينظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، توفي بصنعاء 1250هـ، دار المغني، بيروت لبنان، ط1، هـ 1418-1997م، ج1، رؤية الله وفلسفة الميثاق والولاية، عبد الحسين شرف الدين العاملي، إعداد وتحقيق مهد الانصاري القمي، ط1، دار اللوح المحفوظ، ايران طهران، ج4، ص619.
(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج22، ص497.
(3) ينظر فتح القدير، الشوكاني، ص607.
(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج8، ص323-324.
(5) ينظر المصدر السابق، ج15، ص212.

وأيضاً شرح المفسر قضية إتخاذ الله سبحانه للولد، بأنها لم تكن خاصة بالمسيحين في رؤيتهم لعيسى (عليه السلام) ابناً لله سبحانه، حيث كان مشركو قريش ينظرون نفس النظرة، إلى أن الملائكة هنّ بنات لله سبحانه، معتقدين خطأً أنّ الإبن هو جزء من أبيه، وله نصيب وقسمة من الربوبية والألوهية، وهذا من أوضح معاني الشرك.(1)

ثم نفى هذا الشرك نفياً قاطعاً، لأنه سبحانه قد علّله بقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (91)﴾(2)، بنفس معاني برهان التمانع، وهو نفس معاني الآيات، وهذا الأمر سيؤدي بالوجود إلى الفناء، عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: "ما عرفني من شبهني بخلقي"(3).

"نعم دلّت البراهين الفلسفية أن الخلق لا ينفك عن الإيجاد والإبداع"(4) والباحث في هذه الكلمة يجد أنّ معنى الخالق في كل صورة، هي إيجاد وإبداع، حتى في معنى الآية ﴿...أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ...﴾(5)، المادة صحيح موجودة، لكن الصورة إبداع(6).

المطلب الرابع: لا حاكم إلا الله سبحانه:

إنّ المراد من الحكم في جملة ﴿...إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ...﴾(7) هو الحاكمية القانونية التي تنبعث من الولاية الحقيقية، المنبعثة من خالقيته ومالكيته سبحانه، لا الحاكمية التكوينية بمعنى التصرف في الكون بالإيجاد، والإعدام، والإحياء، والإماتة(8).

في وحدانيته سبحانه بحاكميته المطلقة على كل الوجود، ذكر المفسر في الأمتل الآية القرآنية الكريمة ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ (8)﴾(9)، إنّ هذا السؤال الهدف منه تثبيت مطلق الحاكمية لله سبحانه على هذا الوجود، ومن لوازم هذه الحاكمية أن تتم محاسبة الخلق محسنهم ومسيئهم، ومن الدلائل على وحدانية الله سبحانه، كونه هو ومن يرسلهم من الرسل والملائكة، هم الأحق بالطاعة والإتباع، والآيات تدل عليه ومنها: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ٤٠﴾(10)، عبر المفسر صاحب الأمتل أنّ على المؤمنين طاعة الله سبحانه،

(1) ينظر المصدر السابق، ج 16، ص 454.

(2) سورة المؤمنون، الآية 91.

(3) توحيد الشيخ الصدوق، ص 73.

(4) مفاهيم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني بقلم جعفر هادي، ج 1، ص 351.

(5) آل عمران، الآية 49.

(6) ينظر مفاهيم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني بقلم جعفر هادي، ج 1، ص 351.

(7) سورة يوسف، الآية 40.

(8) مفاهيم القرآن الكريم، الشيخ جعفر السبحاني بقلم جعفر هادي، ج 1، ص 658.

(9) سورة التين، الآية 8.

(10) سورة النساء، الآية 59.

وطاعة من أمر الله عزوجل بطاعته لأنهم منه، وعنه يأمرون، وإليه يدعون، كونه سبحانه الخالق، وهو المالك، والمكون، والمدبر لكل شؤون هذا الوجود.⁽¹⁾

فقد استند المفسر في كلامه إلى الآيات القرآنية ومعناها الظاهر، كالأمر: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾، وباستخدامه لكلمة من البديهي هنا، قال: "ومن البديهي أنه يجب أن تنتهي جميع الطاعات إلى طاعة الله"⁽²⁾، وهذا استدلال عقلي.

صاحب الطبري قال: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ربكم فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه"⁽³⁾.

وعلى هذه المعاني في الآية 64 من نفس السورة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (64)، بحسب مضمون الآية، ووجه لطاعة الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، فهم الذين يبينون حكم الله سبحانه، وفي الآية 80 من نفس السورة ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۗ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (80)، هنا ركز المفسر صاحب الأمتل أن طاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هي نفسها طاعة الله سبحانه بدون فصل، ذلك أن كل الأنبياء وما يأتون به من أوامر، هي وحي من الله سبحانه، بشكل مطلق و متطابق، وحقيقة إن هذا الأمر دقيق، فلا تصح طاعة أي مخلوق دون الله تعالى، إذا كان صاحب أي منصب لا يقبل من مرؤوسيه طاعة غيره، لأنه سيعطل المؤسسة، فكيف سيقبل رب العزة ذلك، ومن باب أولى أن طاعة الرسل أهم من طاعة غيرهم، كونهم مؤيدين من الله تعالى، وصادقين وهم يحملون الفكر الأصلح لقيادة الأمم، لأن هذا الفكر صادر عن الله جلّ وعلا خالق الأمم.⁽⁴⁾ إن الله سبحانه فرض طاعة رسوله على من أرسله إليهم.⁽⁵⁾

في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (32)⁽⁶⁾، هنا قصة الطاعة مرتبطة بموضوع المحبة، فالآيات السابقة تتحدث عن المحبة، والمحبة في الدين، وعن الحب الحقيقي، ذهب المفسر في الأمتل إلى أنه من يدعي حب الله يجب عليه طاعته، ولا يكون محباً من لا يطيع الله، وكذلك الله سبحانه لا يحب الكافرين، الذين يرفضون طاعته، وهنا الملازمة واضحة بين طاعة الله وطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).⁽⁷⁾

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج5، ص 150.

(2) تفسير الأمتل، ج5، ص 149-150.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف بتفسير الطبري، المتوفي 310 هـ، تأليف الامام أبي جعفر محمد بن

جرير الطبري، ضبط وتعليق محمود شاكر، ط1، 1421 هـ - 2001م، ج5، ص 176.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج5، ص 187-188.

(5) ينظر جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ص 187.

(6) سورة آل عمران، الآية 32.

(7) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج3، ص 215-216.

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عُنُقَهُ وَانْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (20)⁽¹⁾، ذكر المفسر في الأمتل أن الآيات تدعو للطاعة التامة لأوامر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، في السلم والحرب، ربما غايته التنبيه أن هناك تهاون في أوامر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، لما فيها من التوكيدات والتنبيهات اللاحقة على ضرورة الإصغاء والانتباه، ومن معاني التوحيد أننا كلنا نقرّ وندين أن الله وحده سبحانه صاحب الحق في التشريع، وسنّ القوانين، وله الحكم فيها.⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿...وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾⁽³⁾، وأيضا قوله عز وجل: ﴿...وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (45)⁽⁴⁾، وفي قوله تعالى: ﴿...وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁽⁵⁾، والآية ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (50)⁽⁶⁾، الله سبحانه الخالق العالم القادر، ربّ الأرباب، ومالك الملك، العليم القدير، هو بعلمه وإحاطته بكل شيء هو الأعم، والأفهم، وأمر تدبير الخلق كله إليه وبيده، فهو الأحق بالطاعة، وهو الأدق بإصدار التشريعات، وكل من يرفض تشريعات الله سبحانه بأن يعمل بها هو، أو أن يطبقها على الآخرين، أو أن يعطلها، فهو على درجة من الكفر، والمعصية، وجب تحذيره، وحضّه على العمل الصحيح، والمفسر في الأمتل لهذه الآيات فقد نظر فيها بعين فاحصة، محاولاً إخراج كل ما فيها من نفع، فقد وقف عند مسألة السكوت عن أحكام الله سبحانه، والإبتعاد عنها، ونبّه إلى أن ذلك يؤدي إلى الضلال، ودمار المجتمع، وأظهر معه أنّ هذه درجة من درجات الكفر، موضحاً مراتب الإيمان، ومنبهاً على خطورة وأهمية دور العلماء والمفكرين في النهوض بحال الأمم، وعدم الخوف والقلق من أي شيء، وأن يكون الجميع على كلمة واحدة، ونهج واحد في تطبيق أحكام الله سبحانه.⁽⁷⁾

وجد الباحث أنّ المفسر في الأمتل ضرب مثلاً للظلم، الذي من الممكن أن يكون في المجتمع في حال لم تطبق شرائع الله سبحانه وأحكامه، فالذي يخالف هذه الأحكام، هو ظالم لربه بعدم تقديره حق قدره، وظالم لنفسه بعدم وضعها على محل الطاعة، وظالم لمجتمعه بعدم إحقاق الحق، وهذه الشرائع كانت موجودة في كل الكتب السماوية، وكل هذه الأمثال بالخروج عن حقوق الله سبحانه، وحقوق العباد، وحقوق النفس يصبح من الفاسقين، وفي حقيقه الأمر أنّ كل هذه الأمور هي التي ترجع بنا جميعاً إلى الساعة، التي لم يكن فيها دين، أو شرع بعد أن نزلت عليهم أقدس

(1) سورة الأنفال، الآية 20.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 9، ص 30.

(3) سورة المائدة- الآية 44.

(4) سورة المائدة- الآية 45.

(5) سورة المائدة- الآية 47.

(6) سورة المائدة- الآية 50.

(7) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 6، ص 439-443.

الفصل الأول: آيات صفات الله في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل ...

التشريعات، وأفضلها من عند ربِّ العزة سبحانه، كامل الرحمة، وهو أمر ميسر للعباد، قرب العباد أدري بهم، ووضع لهم ما هم قادرين عليه.⁽¹⁾

كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): "الذي نأى من الخلق فلا شيء مثله، الذي خلق الخلق لعبادته وأقدرهم على طاعته بما جعل فيهم".⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (59)⁽³⁾، وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (4)، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾ (73)⁽⁵⁾، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (85)⁽⁶⁾، هذه الآيات تضمن شعار الأنبياء (عليهم السلام) جميعاً، في نشر التوحيد وترسيخ جذوره، وتربية بني البشر جميعاً، بكل حرص ورعاية، كمن يزرع حديقة جميلة بأجمل الأزهار، وأفضل الأشجار، لكي يجعلوا البشرية طاهرة من كل ما يعيق نموها، من عقائد الوثنية والإلحاد، أو التوجه لغير اله سبحانه بالتوحيد والعبادة.⁽⁷⁾

وهذا ما سيجعل جميع العباد يأتون طائعين، متوجهين، عابدين لله جلّ وعلا، كما في الآية الكريمة ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنَ عَبْدًا﴾ (93)⁽⁸⁾، وقد أوضح المفسر أنّ إخلاص العباد كلهم في الطاعة والعبودية لله تعالى، لا يعني أنّ الله سبحانه بحاجة طاعتهم وعبوديتهم، بل على العكس، هم الذين يحتاجون هذه الطاعة والعبادة، ويحتاجون دوام بركات الله سبحانه عليهم.⁽⁹⁾

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (36)⁽¹⁰⁾، كلام صاحب الأمتل يعني أنّ الله سبحانه هو الخالق، وهو المفيض المستمر برحمته، وقوته لعباده، وأرزاقهم منه، أمورهم بيده وحده، وهو لهم محاسب، وبهم رحيم، وعنده التدبير، هذا الإله هو الوحيد الجدير أن يُعبد، وعلى هذا أرسل الله رسله، وكتبه، لأنّ به صلاحهم وصلاح مجتمعاتهم، وعليه يجب أن نعمل على تنظيف مجتمعاتنا وعقولنا، من كل من يعطل أو يعيق برامج

(1) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 446.

(2) توحيد الشيخ الصدوق، ص 38.

(3) سورة الأعراف، الآية 59.

(4) سورة الأعراف، الآية 65.

(5) سورة الأعراف، الآية 73.

(6) سورة الأعراف، الآية 85.

(7) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 8، ص 334.

(8) سورة مريم، الآية 93.

(9) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 8.

(10) سورة النحل، الآية 36.

الله سبحانه الإصلاحيّة، لأنّها ستكون خراب ودمار المجتمعات، ونهايتها عذاب جهنّم أعادنا الله منها. (1)

أنّ الله سبحانه أرسل كل رسلة بعبادة الله سبحانه وحده، وطاعة إبليس هي الغواية وهي الضلال. (2)

المطلب الخامس: الله تعالى ليس بجسم:

المفسر نزّه الخالق عن التجسيم، وقد اعتمد في ذلك على محاور عدة، وهي: نفي التجسيم الصريح، وكذلك المنهج التأويلي الرمزي، واستشهد بالآيات القرآنية على نفي التجسيم والتمسك بالعقيدة الصحيحة؛ إذ إن القول بالتجسيم يؤدي إلى الشرك.

أما في كونه سبحانه وتعالى ليس بجسم، ولا في جهة، ولا محلّ، ولا حالّ، ولا متحدّ، فقد اتفق جميع الموحدين وأهل التنزيه أنّ الله سبحانه وتعالى ووفقاً لأدلة الكتاب، والسنة، وأدلة العقل، أنّه عزّوجلّ كامل الكمال، غنيّ عن أي من مخلوقاته، والآيات والأحاديث كثيرة في هذا المجال، ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15)﴾ (3)، أي غنيّ عنهم وعن الحلول بهم، أو الاتحاد معهم، أو أي شيء من صفاتهم، فهو ليس بجسم، ولا في جهة، ولا في محل، فكل هذه تجعله محتاج لغيره، وهذا نقص فيه سبحانه وكذلك حلوله، أو اتحاده حاجة لغيره، والله غنيّ حميد. كما ورد في كتابه تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ (4)﴾ (4)، وجوده مع الكل، يعني وجوده في كل مكان، وعدم ثباته في جهة، وكذلك ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (255)﴾ (5)، أي حيّ بذاته قائم بها، وأيضاً ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَمَّا يُكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (6)﴾ (6)، تدلّ على سعة وجوده في كل مكان وزمان، أيضاً ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَنَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (7)﴾ (7)، قوله ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (88)﴾ (8)، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)﴾ (9)، كل هذه تدلّ على أنّ وجه الله سبحانه أي ذاته، وهو لا يحده شيء، وليس في جهة، ولا يحده زمان، والكل زائل فان، وهو باقٍ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج13، ص 46.

(2) التفسير البسيط، أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحد، ج13، ص55-56.

(3) سورة فاطر، الآية 15.

(4) سورة الحديد، الآية 4.

(5) سورة البقرة، الآية 255.

(6) سورة المجادلة، الآية 7.

(7) سورة البقرة، الآية 115.

(8) سورة القصص، الآية 88.

(9) سورة الرحمن، الآية 27.

وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) (1) ليس كمثلته شيء، لا جسم، ولا جهة، ولا وصف يحدّه، ويدل عليه، أو يشبهه سبحانه. (2)

لنرى كيف تعامل المفسّر صاحب الأمتل مع هذه الآيات، والمواضيع حول نفي الجسمية عن الله سبحانه، وهذا المفهوم ليس مطروحاً صراحة في الكتاب العزيز، لكن بعض الآيات أشارت إلى ذلك كما في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۗ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (10)﴾ (3)، والآية (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) (4)، وقوله تعالى: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) (2) (5)، وأيضاً قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يُكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (7)﴾ (6)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115)﴾ (7)، قال المفسّر الشيرازي حول آية الكرسي: "بديهي أنّ القيام كما هو شائع في الكلام اليومي، هو الوقوف وبالهئية المعروفة، ولكن بما أنّ هذا لا يتفق مع الله المنزه عن الصفات الجسمية، لذلك فالمقصود به هو القيام بالخلق، والتدبير، والتعهد" (8)، وعلى المعنى نفسه دلل في سورة آل عمران، الآية الثانية، أما في الآية السابعة من سورة المجادلة، التي كنا نرجو فيها شرحاً واسعاً لنفي الجسمية عند المفسّر، ولكن لما كانت عبارته مختصرة، موضّحاً أنّه سبق لنا وأن حددنا بأنّ الله تعالى منزّه عن الجسمية، أو أي شيء من خواصها. (9)

ولكن عندما حاولنا العودة إلى ما تقدم من كلام المفسّر، لم نجد تطرق لهذا الموضوع بوضوح أو اسهاب، إلا في عبارة برر فيها طلب موسى (عليه السلام) لرؤية الله سبحانه، إذ قال: "ولم يكن مقصودة مشاهدته بالعين، التي تستلزم جسمانيته تعالى، وتنافي نبوة موسى (عليه السلام)" (10)، وموسى (عليه السلام) طلب رؤية الله سبحانه إثر الإلحاح من الذين أختارهم، فحقيقة النبي المعصوم الكامل في البشر، هو على يقين مطلق أنّ الله سبحانه ليس جسماً، ولن تكون رؤيته بالعين ممكنة، وهذا التبرير في مكانه، إذأ يبقى مناقشته صفة أنّ الله سبحانه ليس بجسم، تعتمد الأدلة

(1) سورة الشورى، الآية 11.

(2) ينظر الإلهيات على هدي الكتاب والسنة والعقل، الشيخ جعفر السبحاني، ص 109-116، بتصرف.

(3) سورة الحديد، الآية 4.

(4) سورة البقرة، الآية 255.

(5) سورة آل عمران، الآية 2.

(6) سورة المجادلة، الآية 7.

(7) سورة البقرة، الآية 115.

(8) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 70.

(9) ينظر المصدر السابق نفسه، ج 27، ص 18.

(10) المصدر السابق، ج 8، ص 420.

الفصل الأول: آيات صفات الله في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل ...

النقلية من الأحاديث الشريفة للمعصومين (عليهم السلام)، ومن الممكن أن تكون هذه الأحاديث النقلية قد وردت بمناقشات مفسرين آخرين، ولكن صاحب الأمتل لم يركز على هذه الفكرة، ومن بعض الأحاديث في تنزيه الخالق عز وجل عن الجسمانية، قول الإمام الرضا (عليه السلام): "أصفه كما وصف به نفسه من غير صورة، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس"⁽¹⁾، والإمام الصادق (عليه السلام) قال: "الحمد لله الذي لا يحس، ولا يجس، ولا يمس، ولا يدرك بالحواس الخمس"⁽²⁾، كل هذه صفات الأجسام، وقد نفاها الإمام الصادق (عليه السلام) عن الله عز وجل.

وعن الصفات السلبية أيضاً، امتناع رؤيته سبحانه وتعالى، رغم أنّ هذا الأمر صار بداية في الفكر الإسلامي، إلا أن الذي يرجعه لطاولة النقاش، هي سجالات الكلاميين في إمكانية رؤية الله سبحانه يوم الحساب، أو في الجنة، لكن عند صاحب الأمتل ناقش هذا الأمر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن نَرَاكَ إِنَّا كُنَّا إِلَيْكَ جِبَلًا فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجِبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)﴾⁽³⁾، وأفرد له صفحات عدة، حيث ذكر فيه مطالبة أصحاب موسى (عليه السلام) برؤية الله سبحانه واستجابة موسى (عليه السلام) لهم، وعلل لماذا موسى أجابهم في طلبهم، وهو النبي المعصوم، وكيف قال في جوابه؟ ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۗ﴾⁽⁴⁾ (155)، موضحاً أنّ موسى (عليه السلام) لم يطلب ذلك لنفسه، ولا لأصحابه العلماء، إنّما الأمر كان إظهاراً منهم لقضية استحالة رؤيته سبحانه، حجة على الجهلة من بني اسرائيل⁽⁵⁾.

وحول إمكانية رؤيته، أجاب المفسر أنّه لو استقر الجبل في مكانه لتجلى أثره من آثار الله سبحانه، لأمكنه رؤيته، وهذا الذي لم يحصل، ولن يحصل أيضاً⁽⁶⁾. ومن كلام المفسر الشيرازي في هذا الأمر قوله: "إنّ هذه الآية من الآيات التي تشهد بقوة وجلاء أنّ الله غير قابل للرؤيا، والمشاهدة مطلقاً لأنّ كلمة (لن) حسب ما هو مشهور بين اللغويين للنفي الأبدى، وعلى هذا الأساس يكون مفهوم جملة ﴿لَن نَرَاكَ﴾ إنّك لا تراني في هذا العالم ولا في العالم الآخر"⁽⁷⁾، وعليه دلّ حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ قال: "كلم موسى تكليماً بلا جوارح، وأدوات، ولا شفة، ولا لهوات، سبحانه وتعالى عن الصفات"⁽⁸⁾، وعنه قال الإمام الحسين (عليه السلام): "لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس"⁽⁹⁾.

(1) توحيد الشيخ الصدوق، ص 52.

(2) توحيد الشيخ الصدوق، ص 65.

(3) سورة الاعراف، الآية 143.

(4) سورة الاعراف، الآية 155.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 8، ص 418-419.

(6) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 421.

(7) المصدر السابق نفسه، ص 422.

(8) توحيد الشيخ الصدوق، ص 85.

(9) المصدر السابق، ص 86.

وفي نفي التشبيه عنه سبحانه وتعالى، في معرض تفسير الآية الكريمة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (11) (1)، يقول المفسر الشيرازي: "أن أكبر منزلق يواجه السائرين في طريق معرفة الله عزوجل، يتمثل في التشبيه، إذ يشبهون الخالق جلّ وعلا بصفات مخلوقاته، وهو أمر يؤدي للسقوط في وادي الشرك" (2)، وأوضح أيضاً كل الأفكار، وكل الصفات، وكل التخيلات، وكل التبريرات، وكل التصورات التي من الممكن أن تخطر في أذهاننا، وعلى ألسنتنا عن الله سبحانه وتعالى، فالله غيرها سبحانه، وإذا بحثنا عن الله سبحانه من خلالها، فغير الله نقصد. (3)

قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (103) (4)، صاحب الأمتل ذكر أن الآلة العقلية أثبتت استحالة رؤية الله سبحانه بالعين المجردة، وذلك كون العين ليس بمقدورها أن ترى إلا الأجسام، فكل ما ليس جسماً أو شيئاً من حيثيات الجسم لن تستطيع العين رؤيته، والله سبحانه أجلّ وأعلا من محدودية المادة المكونة للجسم. (5) إذا قرن الإدراك بالبصر فهت منه رؤية العين، وهذه الآية أشارت إلى سمو الله سبحانه عن كل ما في الوجود، وقد تفرد وحده أنه سبحانه هو الذي يشاهد كل خلقه، وهم لا يشاهدونه، وفيها مطلق المدح لله سبحانه. (6) هناك روايه للإمام الرضا (عليه السلام) قال: "لا تقع عليه الأوهام ولا يُدرك كيف هو". (7)

وأعظم الذكر الذي تعلمناه عن المعصومين (عليهم السلام) هو قول (الله أكبر)، لأن معناها أن الله سبحانه أكبر من أي شيء ممكن أن يخطر في أذهاننا، وكذلك قولنا (سبحان الله)، وهذا تنزيه له أيضاً عن كل كلام، أو تصور، أو وصف يمكن أن تعالجه ألسنتنا وعقولنا، فالله سبحانه مطلق في كل شيء، ولا نهائي في قدرته، وفي علمه، وفي رحمته، ومغفرته، ورزقه، وجبروته، وعنه قال أمير الموحدين (عليه السلام): "لم يحدث فيمكن فيه التغيير والانتقال ... الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله، ولا مقدار احتذى عليه من معبود كان قبله ... ولم تحط به الصفات، فيقوم بإدراكها إياه، متناهيًا محدوداً، وما زال - ليس كمثله شيء - عن صفة المخلوقين متعالياً، وانحسرت الأبصار عن أن تناله فيكون بالعيان موصوفاً، وبالذات التي لا يعلمها إلا هو عند خلقه معروفاً" (8)، وفي نفس الحديث ذكر أيضاً قوله (عليه السلام): "لا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك، فتكون من الهالكين" (9).

(1) سورة الشورى، الآية 11.

(2) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23، ص 215.

(3) ينظر المصدر السابق، ج 23، ص 215.

(4) سورة الأنعام، الآية 103.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 7، ص 147.

(6) ينظر رؤية الله وفلسفة الميثاق والولاية، عبد الحسين شرف الدين العاملي، إعداد وتحقيق مهد الانصاري القمي، ط 1، دار اللوح المحفوظ، ايران طهران، ص 30.

(7) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 3، ص 308.

(8) توحيد الشيخ الصدوق، ص 56.

(9) نفس المصدر السابق، ص 61.

المبحث الثالث:

صفة النور

لم نذكر صفة النور في الصفات الثبوتية الذاتية، أو الفعلية، ولا في الصفات السلبية، على الرغم من صفات الله عز وجل الواضحة، والتي قيل فيها كثيراً، نذكرها منفردة هنا، "في معنى النور هو الظاهر في نفسه المُظهِر لغيره، وهو الذي أنار بصائر القلوب بسِرِّ التدبير والإعتبار"⁽¹⁾، ناظرين كيف نهج المفسّر في إيضاحها في تفسير الأمتل، إذ أول ما نظر في معاني النور أخذ معانيها من القرآن الكريم، موضحاً أنّ النور هو هداية الله سبحانه، وهداية أنبيائه (عليهم الصلاة والسلام)، وقال أيضاً بأنّها هداية الملائكة، والعلماء، وأيضاً من معانيها التي أوردتها هي العلم، والمعرفة، وسعة الإدراك، وأيضاً ذكر أنّ النور هو القرآن الكريم، والأئمة (عليهم السلام)، والإيمان، ومن هذه المعاني انتقل للحديث عن بركات النور التي لا تحصى، وعن خصائصه العظيمة، من كونه سبباً لكل خير سواء أكان مادياً أو معنوياً، حتى عرج به على خيرات هذه الأرض التي نحن عليها، وكيف أنّ النور هو سبب في هذه الخيرات، مستندلاً بنور الشمس الذي ينمي النباتات و يحمل الحرارة التي تتسبب في تغير الرياح، وكيف أنّ النور هو أسرع الأشياء، وأنّ كل حركة في الأرض سببها النور، وبعدها ركّز في أجمل معاني النور، وأنّه هو نفسه سبب الوضوح والظهور، وهذه سمته الأساسية، وأن بالنور تظهر الأشياء وتوضح، ولولا النور لم نرى شيئاً.⁽²⁾

ثم قال: "إذا استعملت كلمة النور بمعناها الواسع، أي الظاهر في ذاته، والمظهر لغيره، في هذه الحالة يصبح استعمال كلمة النور للذات المقدسة حقيقة، ولا تشبيه فيها، لأنّه لا يوجد أظهر من الله تعالى في العالم، وكل الأشياء تظهر من بركات وجوده".⁽³⁾

وقد عرض صاحب تفسير الميزان إلى مقارنة ومقدمة فيها تقريب لما ذكره الأمتل في مقدماته، حول النور، وحقيقته، وخصائصه، ولكن عندما وصل للآية الكريمة: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾⁽³⁵⁾⁽⁴⁾ قال: "فهو سبحانه نور، يظهر به السماوات والأرض، وهذا هو المراد بقوله الله نور السماوات والأرض، حيث أضاف النور الى السماوات والأرض، ثم حمل على اسم الجلالة، وعلى هذا ينبغي أن يُحمل قول من قال أنّ المعنى الله منور السماوات والأرض، وعمدة الغرض

(1) أسماء الله الحسنى وأثرها في الواقع النفسي والاجتماعي، الدكتور الشيخ محمد هويدي، دار المحجة البيضاء، بيروت لبنان، ط1، 1439 هـ-2008م، ص254.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 103-105 بتصرف.

(3) المصدر السابق، ج 11، ص 105.

(4) سورة النور، الآية 35.

الفصل الأول: آيات صفات الله في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل ...

منه أنه ليس المراد بالنور النور المستعار القائم لها، وهو الوجود الذي يُحمل عليها تعالى الله عن ذلك وتقدّس⁽¹⁾.

يرى الباحث أننا إذا زوَجنا بين كلام كلا المفسّرين، لوجدناه كلاماً دقيقاً يفِي بالعرض، فأبي معنى رحمانى معرفى، يزيد فى إدراكنا لنورانية الله سبحانه فى هذا الوجود هو معنى صائب، فالله سبحانه هو موجد الوجود برمته، وهو الممد لهذا الوجود بأسباب البقاء، والنمو، والازدهار، هذا معنى نورانى، وأيضاً ما فى هذا الوجود من علوم، وأفكار، ومعارف، فهو من الله سبحانه، علمه أنبيائه (عليهم السلام)، وهم أسسوا لنا العلوم، وفيه قال الإمام الرضا (عليه السلام): "هاجِد لأهل السماء وهاجِد لأهل الأرض"⁽²⁾، وهذا معنى نورانى، لأنه يجلو من عقولنا كل إبهام حول أي شيء، لأن الجهل شر مطلق، أيضاً حركة الأرزاق، وتيسيرها لكل الخلق من كبيره إلى دقيقه، هو معنى نورانى، فى حركة عدل الله سبحانه، فى هذا الوجود، سواء بسنّ الشرائع، أو القوانين، أو بإحقاق إرادة الله سبحانه، أيضاً هو معنى نورانى، وفى أيّ باب وضعت الله عزّوجلّ فيه وجدته أساسه وأسّته.

وفى نهاية هذا الفصل نجد أنّ الصفات يمكن تقسيمها كالتالى:

الصفات السلبية	الصفات الثبوتية	
	فعلية	ذاتية
لا معبود إلاّ الله سبحانه، ليس له مثيل، لا خالق إلاّ الله سبحانه، لا حاكم إلاّ الله سبحانه، ليس بجسم، لا يمكن رؤيته	التكلم، الصدق، الحكمة، الخلق، الرزق	الحياة، العلم، القدرة، السمع، البصر، القُدَم

فالصفات السلبية تؤكد تنزيه الله سبحانه عن كل نقص وعيب، وأتّه لا يشبه المخلوقات فى صفات النقص، والصفات الثبوتية هي كمال الله تعالى المطلق وتفرّده بالجلال والجمال.

(1) تفسير الميزان، ج 15، ص 86.
(2) توحيد الشيخ الصدّوق، ص 167.

الفصل الثاني

الفصل الثاني:

صفات الأنبياء (ع) أولي العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

ويتكون من المباحث الآتية:

المبحث الأول: صفات نبي الله آدم (ع): ويتكون من:

المطلب الأول: آدم (عليه السلام) في الجنة.

المطلب الثاني: آدم (عليه السلام) على الأرض.

المبحث الثاني: صفات بقية الأنبياء أولي العزم (ع): ويتكون من:

المطلب الأول: نوح (عليه السلام) .

المطلب الثاني: إبراهيم (عليه السلام) .

المطلب الثالث: موسى (عليه السلام) .

المطلب الرابع: عيسى (عليه السلام) .

المبحث الأول:

صفات نبي الله آدم (عليه السلام) في تفسير الأمتل

هل آدم (عليه السلام) نبي؟ والجواب: روي عن أبي ذر الغفاري (رحمه الله) أنه قال: "قلت يا رسول الله، كم عدد الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي. قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاثة عشر ألفاً، جمع غفير. قلت: من كان أول الأنبياء؟ قال: آدم. قلت: وكان من الأنبياء رسلاً؟ قال: نعم، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه. ثم قال: يا أبا الذر، إن أربعة من الأنبياء شرعيون: آدم وشيس وأخنوخ، وهو إدريس".⁽¹⁾

يتكون من مطلبين وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: آدم (عليه السلام) في الجنة:

ورد في كنية آدم (عليه السلام) في الجنة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: "أهل الجنة ليست لهم كُنْأ إلاّ آدم (عليه السلام) فإنه يكنى بأبي محمد توقيراً وتعظيماً".⁽²⁾

عندما ذكر الله سبحانه آدم (عليه السلام) في القرآن الكريم، ذكره في صفة علمه، وحقيقة هذا العلم كما جاء في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)﴾.⁽³⁾

وقد ذكر آدم (عليه السلام) في هذه الآية الكريمة أنه المعني بتعليم الله سبحانه، وأنه هو الذي اختبر الله سبحانه به طاعة ملائكته (عليهم السلام) أجمعين بعد تعليمه، وأمره لهم بالسجود له، ودلّ المفسر صاحب الأمتل أنّ هذا التعليم لم يكن تعليماً لغوياً بسيطاً لا حجة فيه، إنّما كان تعليماً شاملاً لكل الأسماء، وأحوالها، وغيبياتها حتى يكون هذا المخلوق فيه من الكمال ما يجعله في قابلية أنّ يكون خليفة الله سبحانه في أرضه، كما قال في الآيات السابقة لها: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ (30)﴾⁽⁴⁾، وأنهم احتجوا على هذه الخليفة أنه سيكون غير مؤهل لخلافة الله سبحانه ونفى المفسر الشيرازي في معرض هذا التعليم أنّ يكون تعليماً لغوياً، وأنّ هذا الاحتجاج بمحلّه، لأنّ الملائكة لم يكن ليخاطبها الله عزوجل بالكلام العادي الذي نتحدث فيه مع بعضنا فهم (عليهم السلام) طريقة في التواصل مع الله سبحانه فوق الكلام، هذا إضافة إلى أنّ هذا

(1) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج 11، ص 32.

(2) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء،

ط1، 1429 هـ-2008 م، بيروت- لبنان، ج 11، ص 107.

(3) سورة البقرة، الآية 31-33.

(4) سورة البقرة، الآية 30.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل .

التعليم من الله سبحانه وتعالى إلى آدم كان علم بالأسماء وعلم بحقائق وغيبيات هذه الأسماء، وهذه المخلوقات.⁽¹⁾

وعندما أنبأ آدم الأسماء للملائكة إنّما كان إنبأؤهم بالأسماء فقط، وإنّما هو سيعلم الأسماء والحقائق، ودلّل أيضاً أنّ هذه المخلوقات كان كانت موجودة تحت غيب الله سبحانه الذي تفرد به عن الخلق، وعندما احتج الملائكة على ربهم أنّ هذا الخلق سيكون على غير ما أوجب الله اختبرهم ربهم إذ علموا أسماء الخلق، ولما عجزوا صيرهم إلى آدم (عليه السلام) لكي ينبئهم ليس فقط بالأسماء لفظاً، وإنّما بأحوال هذا الخلق وما غاب عنهم من ظاهر وجودهم وهنا حصل الإفهام بحق الملائكة فأذعنوا لإرادة الله، وأقروا بالجهل إلا ما علمهم الله، وأنّه تفضل على آدم (عليه السلام) بالعلم دونهم، وأقام حجته عليهم قائلاً ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾. (3) إذ قال صاحب الميزان: "وبالجملة فما حصل للملائكة من العلم بواسطة إنباء آدم لهم بالأسماء، هو غير ما حصل لآدم في حقيقة العلم بالأسماء بتعليم الله تعالى، فأحد الأمرين كان ممكناً في حق الملائكة، وفي مقدرتهم دون الآخر، وآدم إنّما استحق الخلافة الإلهية بالعلم بالأسماء دون انبائها إذ الملائكة إذ قالوا في مقام الجواب ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾⁽⁴⁾ فنفوا العلم".⁽⁵⁾

وفي تفسير الأمتل عندما تحدث عن صفات آدم (عليه السلام) ذهب إلى أنّه كان قد خلُق بصفات خاصة، لا نستطيع أن نقارنها بصفاتنا نحن البشر، ولا بصفات غيره من الخلق، فهو أول مخلوق من البشر إذ قال: "كان يمتلك بفضل الله قابلية خارقة لفهم الحقائق"⁽⁶⁾، وشاء الله تعالى أن ينقل هذه القابلية من مرحلة القوة إلى مرحلة الفعل، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾⁽⁷⁾، واستمر المفسّر في توضيح هذا التعليم وماهيته، وهل هو مجرد أسماء؟ أم هو أسماء بمعانيها وحقائقها؟ وكان المفسّر يحاول أن يظهر أنّ مجرد ذكر الأسماء فقط ليس فيه الفضل والفخر، ما يميز آدم (عليه السلام)، إنّما التعليم كان عاماً شاملاً عميقاً فقال: "هذا العلم بالكون وبأسرار الموجودات وخواصها، كان مفخرة كبيرة لآدم (عليه السلام) طبعاً".⁽⁸⁾ إذ أنّ علم آدم (عليه السلام) علم عميق يشتمل الحقائق والدقائق وكل ما يخص الموجودات، إضافة إلى أنّ الله سبحانه وتعالى أعطى آدم (عليه السلام) القدرة، والمعرفة أنّ يطلق المسميات على الأشياء، وأنّ

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج1، ص113.

(2) سورة يوسف، الآية 96.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج1، ص13.

(4) سورة البقرة، الآية 32.

(5) تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، المصدر السابق، ج1، ص89.

(6) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج1، ص112.

(7) سورة البقرة، الآية 31.

(8) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج1، ص113.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

بإمكانه التعبير عن كل الأشياء باللغة والقول، وهذا في طياته عين الرحمة الإلهية في تسهيل التعامل والتواصل بين الخلق، إذ ذكر المفسر ذلك في صفات آدم (عليه السلام) فقال: "كما فتح الله لآدم قابلية التسمية ليستطيع أن يضع للأشياء أسماء".⁽¹⁾

وقد استكمل المفسر في استعراضه لصفات هذا المخلوق الكريم على الله سبحانه، وكيف بعد تمكينه من العلم، وتعليم الملائكة الأسماء، وعند سؤال أبي العباس للإمام الصادق (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (31)،⁽²⁾ ماذا علمه؟ قال الإمام (عليه السلام): "الأرضيين والجبالي والسماء والأودية ثم نظر إلى بساط تحته فقال وهذا البساط مما علمه"⁽³⁾.

وفيما ذكر صاحب مجمع البيان في تفسير الآية، أنه اختلف حول الطريقة التي علم الله سبحانه بها آدم (عليه السلام) الأسماء، فقال صاحب المجمع: "قيل علمه بأن أودع قلبه معرفة الأسماء وفتق لسانه بها، فكان يتكلم بتلك الأسماء كلها، وكان ذلك معجزة له لكونه ناقضاً للعادة، وقيل علمه إيّاها بأن اضطره الى العلم بها، وقيل أيضاً علمه لغة الملائكة، ثم علمه بتلك اللغة سائر اللغات، وقيل إنما علمه أسماء الأشخاص بأن أحضر تلك الأشياء وعلمه أسمائها في كل لغة، وأنه لأي شيء يصلح، وأي نفع فيه، وأي ضرر".⁽⁴⁾

وفي فقره أسماها المفسر الشيرازي (آدم (عليه السلام) في الجنة) في تفسير الآيات في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (36)،⁽⁵⁾ لم يتحدث عن ظروف آدم (عليه السلام) في الجنة، إنما تحدث عن قصة السجود لآدم (عليه السلام)، وحقيقة هذا السجود أنه كان سجود عبادة لله تعالى، وتكريم وتعظيم لآدم (عليه السلام) كونه حوى بعض العلوم، فقال: "حقاً أنّ هذا الموجود اللائق لخلافة الله على الأرض، والمؤهل لهذا الشوط الكبير من التكامل، وتربية أبناء عظام كالأنبياء، وخاصة النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)، يستحق كل هذا الاحترام".⁽⁶⁾

والذي نفهمه من كلام المفسر في الأمتل في تفسير هذه الآيات أنّ آدم (عليه السلام) كان مخلوقاً جديراً بالتكريم، لما أودع فيه خالقه سبحانه من صفات عظيمة أهمها المعرفة والعلم، ولكي

(1) نفس المصدر السابق.

(2) سورة البقرة، الآية 31.

(3) تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، المصدر السابق، ، الطباطبائي، المصدر السابق، ج1، ص

91.

(4) مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الاسلام، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ط1، 1430 هـ-2009م،

دار القارئ للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ج1، ص110.

(5) سورة البقرة، الآيات 34-36.

(6) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج1، ص115.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

يتم الحديث عن آدم (عليه السلام) في هذه الآيات بحث المفسر في حقيقة ذنب آدم (عليه السلام)، وسببه بإظهار حقيقة آدم وتقديره فقال: "المكانة التي ذكرها القرآن الكريم لآدم سامية ورفيعة، فهو خليفة الله في الأرض، ومعلم الملائكة، وعلى درجة كبيرة من التقوى والمعرفة، وهو الذي سجدت له الملائكة المقربون، ومن المؤكد أن آدم هذا لا يصدر عنه ذنب إضافة إلى أنه كان نبياً، والنبى معصوم".⁽¹⁾

وتابع في تفسيره أن النهي الذي جاء به الله سبحانه لآدم هو نهى إرشادي، فيه مصلحة لآدم لأن الأكل منها يؤدي بك للخروج من الجنة، أي بمعنى لمصلحتك أنت، وهذا من الممكن جداً أن نفعل أشياء ليست ذنوباً، إنما فيها خسارات مؤلمة لنا، وعلينا تحمل عواقبها.⁽²⁾

وأردف في موضع آخر أن الجنة التي كان فيها آدم (عليه السلام) لم تكن محل تكليف، إنما كانت اختباراً فقط، فقال: "الجنة التي مكث فيها آدم (عليه السلام) لم تكن محلاً للتكليف، بل كانت دورة اختبارية وتمهيدية لآدم كي يهبط بعدها إلى الأرض".⁽³⁾

وفي الآية 33 من سورة آل عمران: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33))، ذكر الله عز وجل آدم (عليه السلام) موصوفاً بالإصطفاء مع نوح وآل إبراهيم وآل عمران (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، وقد حاول المفسر أن يبينه على قضية مهمة أن هذا التمييز لم يكن مانعاً لآدم (عليه السلام) من أن يكون مختاراً صاحب إرادة كاملة في إجتباء طريقه، وأن هذه الآية سيقنت كدليل أن الله سبحانه لا يمكن أن يختار وينتقي من عباده إلا أنقاهم ليكونوا محل رسالته، ومحل معرفته، والقرب منه والاختيار عنه.

وقد تابع المفسر في الحديث عن هذه الآية أن بعض الباحثين حاولوا من خلال هذه الآية أن يستدلوا أن آدم (عليه السلام) لم يكن الخلق الأول لوجود عبارة على العالمين، لكن رد على هذا الرأي فقال: "أنه ما من دليل أنه أن عالمين هم أناس قد عاصروا آدم، بل قد يكون القصد هو مجموع المجتمعات البشرية على امتداد التاريخ".⁽⁴⁾

وفي الآية 59 من سورة آل عمران: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59))، ما يهمنا فيها صفة آدم (عليه السلام) الآية، وهو بصدد نفي الألوهية عن عيسى (عليه السلام) يأتي في مكانه إن شاء الله، قال المفسر صاحب الأمتل: "فكما أن خلق آدم من تراب لا يستدعي التعجب"⁽⁵⁾، إذ إن آدم (عليه السلام) مخلوق من تراب في آيات، وفي آيات أخرى

(1) نفس المصدر السابق، ص 119.

(2) ينظر المصدر السابق، ص 121.

(3) نفس المصدر السابق.

(4) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 219.

(5) نفس المصدر السابق، ص 247.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل

ذكر الله عز وجل أنّ خلقه كان من طين، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾⁽¹⁾، والطين والتراب مادة واحدة، وأصل واحد، والأصل التراب ومضافاً له الماء، ولكن المفسّر لم يورد أي شيء في شرح هذا الخلق سوى أنّ آدم من تراب، إلّا أنّه في شرح الآية 71 من سورة ص: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (71)﴾، فقال المفسّر: "ولكي لا يتصوّر البعض أنّ أصل خلق الإنسان هو ذلك الطين وحسب، إضافة الآية التالية ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (72)⁽²⁾، وبهذا الشكل انتهت عملية خلق الإنسان، امتزاج روح الباري عز وجل الطاهرة مع التراب، فخلق مخلوق بحيث لم يسبق له مثيل"⁽³⁾.

وقد تحدّث أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الخلقة من التراب، فقال: "ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها تربة، سنّها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلّة حتى لزبت، فجل منها صورة ذات أحناء ووصول، وأعضاء وفصول، أجمدها حتى استحكمت، وأصلدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت، لوقت وأمد معلوم"⁽⁴⁾ وقال أيضاً: "ونفخ فيها من روحه"⁽⁵⁾.

أمّا عن الروح وحقيقة هذه الروح، فقد قال أبو جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل ﴿وروح منه﴾، قال: "هي مخلوقة خلقها الله عز وجل بحكمته في آدم وعيسى (عليهما السلام)"⁽⁶⁾.

وقد ذكر المفسّر أنّ أصل خلق الإنسان، وهو هنا يقصد به الإنسان آدم (عليه السلام)، هو الإنسان والمخلوق الأول على هذه الصورة، وأنّ هذا المخلوق الكريم كرامته متحصلة من كون فيه نفخ من روح الله عز وجل، وفي تفسير الميزان تحدث المفسّر بإشارة مهمة في نوعية الاصطفاء، وحدد في نوعيته أنّ الاصطفاء فيه كان اصطفاء تقديم وترتيب أولوية، فأدم (عليه السلام) قال فيه مع من ذكرهم على العالمين، ولم يقل من العالمين، ونبه أنّ هذا الاصطفاء هو غير ذلك الاصطفاء، فالتقديم هنا أنّ كان أنّه جعل آدم (عليه السلام) الأول، خلقه من النوع الإنساني البشري المعروف، وقد جعله الله في الأرض، وأنّه (عليه السلام) أول من جعل له شريعة ودين، وهي أمور ذكر المفسّر أنّها كانت له وحده دون غيره في خلقه، إذ قال المفسّر الطبطباي: "فأمّا آدم فقد أصطفي على العالمين بأنّه أول خليفة من هذا النوع الإنساني، جعله الله في الأرض، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

(1) سورة ص، الآية 71.

(2) سورة ص، الآية 72.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 22، ص 291 - 292.

(4) نهج البلاغة، الشريف الرضي، المصدر السابق، الخطبة الأولى، صفة خلق آدم عليه السلام، ص 42.

(5) نفس المصدر السابق.

(6) الاحتجاج، العلامة أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، من علماء القرن السادس، مؤسسة

الأعلمي للطبوعات، بيروت-لبنان، ج 2، ص 56.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل .

لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً⁽³⁰⁾ (1)، وأول من فُتِحَ له باب التوبة⁽²⁾، هو آدم (عليه السلام)، هذا أمر لم يذكره صاحب الأمتل في معرض شرحه للآية الكريمة قال: (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) (122) (3)، وقال صاحب الميزان: "أيضاً وأول من شرع الدين قال تعالى (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا أَيُّكُمْ مَنِّي هُدَى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) (79) (4)، فهذه أمور لا يشاركه فيها غيره" (5).

وفي قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (59) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (60) (6)، لم يذكر صاحب الأمتل في صفات آدم (عليه السلام) سوى مقارنة خلق آدم (عليه السلام) بخلق عيسى (عليه السلام)، وأنه جعل عيسى (عليه السلام) إلهاً لأنه من غير أب، فأدم (عليه السلام) أولى بهذا القول، وهم لم يقولوا في آدم (عليه السلام) ما قالوه في عيسى (عليه السلام) (7).

وفي حقيقة جنّة آدم (عليه السلام) نجد قوله تعالى: (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (19) (8)، والآيات لم تورد ما يصف آدم (عليه السلام) بشكل واضح، إنّما في تفسير الأمتل وبحسب الآية الكريمة تحدث عن جنّة آدم عله السلام، مما هي؟ وماهي؟ وأوضح أنها لم تكن من جنّة الآخرة، إنّما هي من جنّات الدنيا وفيها كل نعيم وخير، وهي لم تكن محل تكليف، أباحها الخالق عزوجل لأدم وزوجه (عليهما السلام) إلا شجرة واحدة، وكيف بدأت خطة إبليس عليه اللعنة في محاولات إغواء آدم وزوجه (عليهما السلام)، وما يهم هنا في وصف هذه الجنّة أنّها كانت محل تكليف وجنّة القيامة لا تكليف فيها أيضاً، إذ قال المفسّر: "وفي هذه الأثناء صدر أول تكليف ونهي إلى آدم وحواء من جانب الله" (9).

وأيضاً نستفيد منها في صفات آدم (عليه السلام)، هل كان قابلاً للغواية؟ وهل عنده استعداد للمعصية؟ أم أنّه في حال عصمة مطلقة؟ وقد ناقشها هذه القضية سابقاً، ومبررات معصية آدم إن جاز لنا تسميتها بمعصية بالمعنى الذي نعرفه، وفي فقرة جاء بها كاتب تفسير الأمتل جعلها تحت عنوان هل ارتكب آدم المعصية؟ شرع المفسّر في هذه الفقرة بإجراء مقارنة بين آدم (عليه السلام)

(1) سورة البقرة الآية 30.

(2) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، المصدر السابق، ج 3، ص 126.

(3) سورة طه، الآية 122.

(4) سورة الصافات، الآية 79.

(5) تفسير الميزان، ج 3، ص 126.

(6) سورة آل عمران، الآية 59، 60.

(7) ينظر تفسير الأمتل، ج 3، ص 246-247.

(8) سورة الأعراف، الآية 19.

(9) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 8، ص 267.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

في القرآن الكريم وآدم (عليه السلام) عند اليهود والنصارى، إذ جعلوه في مرتبة قبيحة من المعصية، وهي أنه طمح إلى الألوهية.⁽¹⁾

أما حول مكانته في الإسلام عند عامة المسلمين بكل طوائفهم العقلية والنقلية، فإن آدم (عليه السلام) لم تكن معصيته كمعاصي العباد، إنما هو عصيان نسبي وترك للأولى، ولكن كون هذا الترك للأولى، وحتى ورد أيضاً أنّ النهي الذي وقع لآدم (عليه السلام) لم يكن تحريماً بالمطلق، إنما نهي من باب حفظ النفس، وعليه استحق المؤاخظة من الله تعالى، إذ قال فيه المفسر: "أنّ نهي آدم عن الشجرة الممنوعة لم يكن نهياً تحريمياً، بل كان ترك للأولى ولكن نظراً إلى مكانة آدم ومقامه ومرتبته عدّ صدوره أمراً مهماً وخطيراً واستوجب مخالفة هذا النهي وإن كان نهياً كراهياً وتنزيهياً تلك العقوبة والمؤاخظة من جانب الله تعالى".⁽²⁾

المطلب الثاني: آدم (عليه السلام) في الأرض:

ثم شرع المفسر الشيرازي في إظهار صفاء آدم (عليه السلام) وعصمته، وأنه من الأنقياء، وأن ما حصل معه لم يكن إلا نتيجة الضغط المستمر من إبليس لعنه الله، قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (21) ⁽³⁾، وقد ذكر بعض المفسرين في بعض الأحاديث والروايات أنّ إبليس أقسم لآدم (عليه السلام) أنّه يحدثه بالصدق، وآدم (عليه السلام) لم يكن يعلم بسبب التقديس الحاصل له عنده لله عز وجل أن هناك مخلوق يمكن أن يقسم بالله كاذباً، إلا أن الله سبحانه لم يجعل آدم (عليه السلام) في منع عن رحمته المطلقة التي وسعت كل شيء إلا المشرك، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (22) ⁽⁴⁾، والآية تتحدث في توبة آدم (عليه السلام) الواضحة في الآيات ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (37) ⁽⁵⁾، وفي توبة آدم (عليه السلام) قال المفسر: "مع أنّ توبة آدم قد قبلت إلا أنّ عمله أدى إلى عدم استطاعته الرجوع إلى الحالة الأولى، ولذلك فإنّ الله سبحانه أصدر أمره لآدم وحواء عليهما السلام وكذلك الشيطان أن يهبطوا جميعاً من الجنة، قال سبحانه: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَآمَنَّا بِاتِّبَاعِكُمْ مَنِّي هُدَىٰ فَمَن آتَّبَعِ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾، أنّي أعلمكم طريق النجاة والسعادة مفتوح أمامكم، فأما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى".⁽⁶⁾

وقد جاءت هذه التوبة من تعليم الله سبحانه له كيف يتوب، وكيف يرجع إلى الطاعة، وهي بالكلمات التي تلقاها منه، وهذه الكلمات قد قال فيها المفسرون كلاماً كثيراً، وأهمه وما نعتقده أنّ

(1) ينظر تفسير الأمتل، ج8، ص273.

(2) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج8، ص274.

(3) سورة الأعراف، الآية21.

(4) سورة طه، الآية122.

(5) سورة البقرة، الآية37.

(6) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج15، ص181.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

هذه الكلمات هي أن يقسم على الله بأسماء أهل البيت الخمسة (عليهم الصلاة والسلام)، وقد قُبلت توبة آدم وزوجه (عليهما السلام)، ولكن قبول هذه التوبة لم يمنع حصول مراد الله سبحانه من هبوطهم إلى الأرض التي لها خلقوا، ولها قد حضرهم ربهم بترتيب الأمور على ما جرت عليه، لكن دون تدخل من الله سبحانه، إلا أنه ترك لآدم وزوجه عليهما السلام الحرية المطلقة في اختيارهما، وقد سبق علمه عند الله سبحانه، فقال المفسر: "وبملاحظة أن آدم قد خلق للحياة على وجه الأرض وكانت الجنة أيضاً بقعة خضراء وفيرة النعمة في هذا العالم، فإن هبوط ونزول آدم هنا يعني النزول المقامي لا المكاني، أي أن الله سبحانه قد نزل مقامه لتركة الأولى، وحرمة من كل نعم الجنة تلك، وابتلاه بمصائب هذه الدنيا ومتاعها".⁽¹⁾

وقد ناقش المفسر أن هبوط آدم (عليه السلام) هبوط مقامي لكنه لم يظهر كيفية هذا الهبوط المقامي، وربما قصد أن آدم بقي في الجنة التي ذكر أنها بقعة خضراء، أي هو بقي في مكانه إلا أنه لم يعد موفوراً له النعم واليسير، إنما لما كشفت له سوءته كذلك حكم عليه الله سبحانه أنه لا يأخذ شيء من متاع هذه الجنة التي هو فيها إلا بمشقة وتعب وحرص، وقد ابتلاه أيضاً بعداوة إبليس وعبادة أبنائه، والمقصد أنه بمشقة مع أسرته لتحمل مسؤولياتهم كالزوجة والأولاد، والحرص على تربيتهم واطعامهم وهدايتهم مع وجود إبليس وعبادته، وما فيه من التعب الشيء الكافي ليكون شقاء ونكد له طيلة حياته.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾⁽²⁾، صاحب نور الثقلين جاء بها من كتاب روضة الكافي أن هذه الكلمات هي: "قال لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي، فاغفر لي وأنت خير الغافرين، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي، فاغفر لي وارحمني وأنت أرحم الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم".⁽³⁾ إضافة إلى الرواية المشهورة حول سؤاله التوبة محمد وآل بيته (عليهم الصلاة والسلام)، عن عبدالله بن عباس قال: "سوء النبي صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقى آدم من ربه فتاب عليه؟ قال سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليّ"⁽⁴⁾، أيضاً في نور الثقلين أورد الكاتب حديث عن أبي عبدالله (عليه السلام) فيه تصديق لما جاء به صاحب الأمتل من تعرض آدم (عليه السلام) للمشقة، أن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: "لما هبط آدم إلى الأرض احتاج

(1) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 185.

(2) سورة البقرة، الآية 137.

(3) تفسير نور الثقلين، المحدث الجليل العلامة الخبير عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، توفي 1112 هـ،

تحقيق الرشيد علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى، ج 1، ص 87.

(4) مناقب علي بن أبي طالب، الحافظ أبي الحسن علي بن محمد الواسطي المعروف بان المغازلي، توفي 483 هـ،

تحقيق وتعليق أبي عبدالرحمن تركي بن عبدالله الوداعي، صنعاء، ط 1، 1224 هـ-2003 م، الحديث 89، ص 115.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولي العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

للطعام والشراب، فشكى إلى جبريل، فقال له جبريل (عليه السلام): يا آدم كن حزاناً، قال فعلمني دعاء؟ قال: اللهم اكفني مؤونة الدنيا وكل هول دون الجنة، وأبسني العافية حتى تهنئي المعيشة".⁽¹⁾

وقد أورد صاحب الميزان رواية أشار فيها إلى فضل النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مع وصيته مع وصيه وأهل بيته، وأن ما جرى لآدم (عليه السلام) من توقف في قبول العهد لهم وعدم العزم على الإقرار بالولاية لأمر المؤمنين (عليه السلام) إذ قال: "ومن الكافي والعلل مسندا عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليهما السلام قال في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَنَسِيَ وَاَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾⁽²⁾، قال عهد إليه في محمد والأئمة (عليهم السلام) من ولده فترك، ولم يكن غرضهم أنه هكذا إنما سموا أولي العزم لأنهم عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته فأجمع عزمهم أن ذلك كذلك والإقرار به".⁽³⁾

هذه من الروايات المهمة التي جاءت في تفسير الميزان، وهذه الأفكار المطروحة بكثرة في كتب الحديث والتفسير، عند اصحاب مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ولها أدلتها في القرآن الكريم والحديث، لكن صاحب تفسير الأمتل ابتعد قليلا عن الخوض فيها، في مثل هذه الاعماق، لأنه كان يتجه باتجاه واحد لم يحد عنه، وهو أن يقدم تفسيراً ميسراً يصل به لعقول أكثر القراء من طبقات بعيدة بإختصاصها عن الدين، دون أن يتركهم من التوجيه لما هو أعمق لمن أراد التعمق.

الخلاصة:

صاحب تفسير الأمتل ركز على الجانب التربوي والوعظي، وصاحب تفسير مجمع البيان ركز على الجانب الروائي والتاريخي، أما صاحب الميزان فركز على الجانب الفلسفي في قصة آدم (عليه السلام).

و توقف المفسر الشيرازي عند توبة نبي الله آدم (عليه السلام) تتلخص بالآتي: هي ليست ذنباً بمعناها الاصطلاحي، أي أنه ترك الأفضل. إنما عودته إلى مقام القرب، فهي عودة إلى مقام القرب الإلهي. يؤكد المفسر أن جميع الأنبياء معصومين، وما وقع من نبي الله آدم، ليس معصية بالمعنى الفقهي، وأنه لم يكن هناك تكليف شرعي قبل نزوله إلى الأرض، وقد ربط المفسر هذه القصة ببعدها التربوي.

(1) نفس المصدر السابق.

(2) سورة طه، الآية 115.

(3) تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، المصدر السابق، ج 14، ص 438.

المبحث الثاني:

صفات الأنبياء الأولي العزم

تمهيد:

من أهم الأسباب التي دعت الباحث إلى تخصيص ذكرهم (عليهم السلام) هي أنهم أصحاب شرائع، وأتباعهم موجودون إلى اليوم، ولهم كتب وعقائد، وهم في حال اختلاط دائم مع المسلمين. كما أن واقع الحال يفرد ذكرهم دائماً، إضافة إلى أن كتب العقائد مملوءة بسجلات عقائدية وفكرية مع أبناء هذه الشرائع. والقرآن الكريم يفردهم ويميزهم، ويذكرهم أكثر لأنهم أصحاب كتب وشرائع، ولأن قصصهم مع أقوامهم مهمة جداً في إظهار الجانب التربوي للدعوة النبوية الشريفة في تعليم البشرية. كذلك، لأنهم أصحاب معجزات ظاهرة وباهرة، وكانت محورية في تاريخ البشرية، وسبباً في تحول جذري في هذا التاريخ، مثل نوح (عليه السلام) الذي جاء بالطوفان، وإبراهيم (عليه السلام) الذي جاء بالدين الحنيف، وهو أبو الأنبياء، وموسى (عليه السلام) الذي أنقذ بني إسرائيل وأيضاً الخصوصية في قضية اليهود، وحالهم الآن في البشرية، وقد كانت له معجزات باهرة، وعيسى (عليه السلام) الذي أحيا الموتى وشفى المرضى الميؤس منهم، وجاء بشريعة ملأت الأرض، حتى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، خاتم النبيين، الذي جاء بالقرآن الكريم، وغير وجه التاريخ البشري، والمسلمون الآن يعدون حوالي مليار ونصف مسلم.

معنى أولي العزم:

ورد في تفسير الآية الكريمة ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾⁽¹⁾، في عيون أخبار الرضا عن أبي الحسن الرضا (عليهم السلام) قال: "إنما سمّي أولو العزم، لأنهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وذلك أن كل نبي كان بعد نوح، أي على شريعته و منهجه، وتابعاً لكتابه، إلى زمن إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وكل نبي كان في أيام إبراهيم كان على شريعته إبراهيم (عليه السلام) و منهجه إلى زمن موسى (عليه السلام)، وكل نبي كان في زمن موسى (عليه السلام) كان على شريعته و منهجه، وتابعاً لكتابه إلى أيام عيسى وكل نبي كان في أيام عيسى (عليه السلام) وبعده كان على شريعة عيسى (عليه السلام) و منهجه وتابعاً لكتابه، والى زمن نبينا محمد (عليه وآله أفضل الصلاة والسلام)، فهؤلاء الخمسة هم أولوا العزم".⁽²⁾

(1) سورة الأحقاف، الآية 35.

(2) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، المصدر السابق، ج 2، ص 421.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولي العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

وورد أيضاً في تفسير الميزان: "أبا عبد الله (عليه السلام) يقول سادة النبيين والمرسلين خمسة، وهم أولوا العزم من الرسل عليهم دارت الرحي نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى جميع الأنبياء".⁽¹⁾

أما في المعنى اللغوي للكلمة فإن: "كلمة (الأولو) بمعنى الأصحاب، أو من يملكون الشيء، أما العزم فهي اتخاذ القرار بعمل ما".⁽²⁾

وفي المراد من كلمة (العزم) فقد ورد عدة معاني، اعتمد أحدها بعض المفسرين، وبعضهم اعتمد المعاني كلها، ومنهم من قال أن العزم هو الصبر، ومنهم من قال الوفاء بالعهد والميثاق المأخوذ من الأنبياء، ومنهم من قال أن العزم هو الحكم والشرع الديني، وقد أشار صاحب الميزان إلى هذه المعاني كلها واعتمدها في تفسيره، فقال صاحب الميزان: "ومعنى العزم هنا إما الصبر كما قال بعضهم لقوله تعالى ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (23)،⁽³⁾ وإما العزم بمعنى الوفاء بالميثاق المأخوذ من الأنبياء مما يلوح إليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (115)،⁽⁴⁾ وإما العزم بمعنى العزيمة وهي الحكم والشرعية".⁽⁵⁾

وعندما ذهبنا إلى صاحب الأمتل، فقد أورد أن العزم يعني الإرادة الراسخة القوية، واستدل بقول الراغب في مفرداته، إذ قال: "إنّ العزم هو عقد القلب على إمضاء الأمر"⁽⁶⁾، وأورد أيضاً أن الصبر والوفاء بالعهد من معاني العزم، وأن من اتصف بهذه الصفة من الأنبياء كانوا عرضة لمواجهات شديدة في نشر شرائعهم وهداية الخلق،⁽⁷⁾ وقد ذكر أن هناك روايات كثيرة في معاني أولي العزم في مصادر الشيعة والسنة، منها أن أولي العزم هم خمسة، وقد أورد الشيرازي نفس حديث الإمامين الصادق والباقر (عليهما السلام) الذي أوردناه آنفاً، واستدل أيضاً في تفسيره الدر المنثور والكشاف، واستعرض آراء من قال أن أولي العزم هم الأنبياء الذين أمرهم الله سبحانه بمجاهدة أعدائهم من الكفار ومحاربتهم، وذكر رأي الذين قالوا أن جميع الأنبياء (عليهم السلام) هم من أهل الإرادة القوية، لذا فجميعهم أولي عزم، وقد أيد صاحب الأمتل التفسير الأول الذي ذكره في حديث الإمام الصادق (عليه السلام) أنهم خمسة، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم الصلاة والسلام جميعاً).⁽⁸⁾

(1) نفس المصدر السابق، ج 18، ص 444.

(2) مفردات الراغب الاصفهاني، 2009 م، دار القلم الدار الشامية، مفردات الراغب كلمة عزم، ص 334.

(3) سورة الشورى، الآية 23.

(4) سورة طه، الآية 115.

(5) تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، المصدر السابق، ج 18، ص 442 - 443.

(6) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 24، ص 506.

(7) ينظر المصدر السابق، ص 506.

(8) ينظر المصدر السابق، ص 507-508.

وقد ثبت صاحب تفسير الميزان المعنى الثالث أنه هو المعنى الصحيح المعتمد، استناداً إلى روايات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) حول هذه الآية، واستناداً إلى قوله تعالى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ (13)، وأورد أيضاً ما ناقشه المفسرون حول من هم الأنبياء أولو العزم؟ أن كل الأنبياء هم من أولو العزم بعضهم قال تسعة، وبعضهم قال سبعة، وبعضهم قال ستة، ولكن لم يقبل بما جاء أصحاب هذه الأقوال من أدلة إما لضعفها أو لأن بعضها لم يكن فيه دليل، ولذلك بقي على الخمسة الذين حددتهم روايات أهل البيت (عليهم السلام)، منها الروايات التي أوردناها آنفاً.

ومن الآيات التي تدلُّ على أنهم أولي العزم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (7)، قال صاحب مجمع البيان: "خَصَّ هَؤُلَاءِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الشَّرَائِعِ" (3).

الإشارة إلى مفهوم أولي العزم عند هؤلاء المفسرين ليست على نسق واحد: فالطبرسي يركز على كونهم أصحاب الشرائع، والطباطبائي يركز ويضيف بُعداً للعالمية والشمولية، بينما الشيرازي يُبين الشرائع المستقلة.

ولكي تتم صورة هذا البحث، فلا بد من الولوج في المطالب الآتية:

المطلب الأول: نوح (عليه السلام)

وقد سُمي نوح نوحاً (عليه السلام)، لما ورد عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): "قال كان اسم نوح عبد الملك إنما سُمي نوحاً لأنه بكى 500 سنة" (4)، هذه الرواية إذا دلت على شيء فإنما تدل على أجمل صفات المؤمن وهي الرحمة العظيمة التي كان يتحلى بها، وعلى التقوى والخشوع لله لحد البكاء من خشية الله والشوق إليه والبكاء من جهل العباد، ومن "خصائص نوح (عليه السلام) هو من أولي العزم سادة الأنبياء، أرسله الله إلى عامة البشر بكتاب وشريعة فكتابه أول الكتب السماوية المشتملة على الشرائع، وشريعته أول الشرائع، وهو الأب الثاني للجنس الحاضر من الإنسان، إليه ينتهي أنسابهم وجميع ذريته لقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (77)، (5)، (6) وعلى هذا فهو من الأنبياء الذين اختصهم الله سبحانه بصفات عظيمة،

(1) سورة الشورى، الآية 13.

(2) سورة الأحزاب، الآية 7.

(3) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، المصدر السابق، ج 8، ص 105.

(4) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج 1، ص 78، باب 20.

(5) سورة الصافات، الآية 77.

(6) قصص الأنبياء، الطباطبائي، إعداد وتحقيق الشيخ قاسم الهاشمي، ط 2، مطبعة البرهان، دار المجتمع، رقم 929

على 150.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

وبركات كريمة جعلته أهم قادة البشر، وأنه مبارك كثير الشكر لربه، شديد الإيمان والتعلق به، احتسبه الله عزوجل في الصالحين.⁽¹⁾

وقد ذُكر اسم نوح (عليه السلام) في آيات كثيرة فاقت الثلاثين آية، وفي العديد من الآيات ذكر اسم نوح (عليه السلام) مقروناً بقومه، والمقصود فيها قوم نوح، إذ لم يفرد ذكره (عليه السلام) فيها، ولم تكن هذه الآيات تعني نوحاً (عليه السلام) بقدر ما تعني قومه. أول الآيات التي بدأت ببعض تفاصيل شخصية سيدنا نوح (عليه السلام) هي الآية 71 من سورة يونس قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ نُوحٌ رَبِّهِ إِنِّي نَذَرْتُ لِقَوْمِي فِي الْحَضْرَةِ أَنْ يُكْفَرُوا بِي إِذْ دَعَوْتُ بَيْنَهُمْ إِلَى تَعْبَادِكُمْ فَكَفَرُوا بِي إِلَّا قَوْمِي فَأَمَّا إِيَّاهُمْ فَسَبَّحْتَ بِحَمْدِكَ فِي الْحَضْرَةِ وَأَنذَرْتُهُمْ وَأَنذَرْتُ نَفْسِي يَا مُنذِرِ إِنَّكَ أَتَى عَالَمَهُمُ الْيَوْمِ الْقِيَامِ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنتَ الْعَظِيمُ الْحَكِيمُ) (يونس: 71).

وقد أفرد المفسر في الأمتل سطوراً يصف فيها النبي نوح (عليه السلام) فقال: "أن نوحاً رسول الله الكبير، صبر وصمد مقابل أعدائه الأقوياء المعاندين وواجههم بقاطعية وحزم، وفي منتهى الشجاعة والشهامة مع أصحابه القليلين الذين كانوا معه، وكان يستهزئ بقواهم، ويريهم عدم اهتمامه بخطتهم وأفكارهم وأصنامهم، وبهذه الطريقة كان يوجه ضربة قاسية عنيفة إلى أفكارهم".⁽²⁾ بهذه الاسطر القليلة أظهر المفسر أجلاً صفات القائد الديني الكامل، فوصفه بالكبير، وهي تحمل معنيين وكلاهما منطبق على نوح (عليه السلام) من حيث كبره بالعمر فهو أكبر الأنبياء والبشر، مما ذكر أن عمره الشريف كان ألفين وخمس مائة سنة،⁽³⁾ وكذلك هو كبير بالشخص والصفات الأخلاقية والإيمانية، وقد ركز كلامه في صموده العظيم ضد كل من خالفه وحاربه، وكان حازماً معهم حزم العارف المتيقن بكل التفاصيل والنتائج، وأنها ستكون لصالح الحق وأهله، على الرغم من القلة القليلة التي كانت معه.

وقد ظهر هذا الحزم والعلم واليقين بطريقة استهزائه بكل أعدائه، ووسائلهم وقوتهم، وتحداهم حتى بإتحادهم ضده، لأنه كان على دراية ويقين بخطه وربه وإيمانه. وهذا الذي حصل بعد الطوفان ونجاته هو ومن معه وفناء أعدائه، وقد أكد الطوسي صاحب التبيان في تفسير القرآن الكريم على صفة التوكل في نوح (عليه السلام) في جميع أموره، وأن توكله في أمر كيدهم عليه أظهره لهم على وجه التهديد لهم، بأن الله قبالة تصرفهم وتوكيد ثقته بالله عزوجل أنه معه وسوف ينصره.⁽⁴⁾

(1) ينظر المصدر السابق، ص 65.

(2) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 10، ص 445.

(3) ينظر النور المبين، نعمة الله الجزائري، ص 113.

(4) ينظر التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، 385-460هـ، قدم له

الامام المحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني، ط 1، 1434هـ-2013م، ج 5، ص 279.

وفي سورة هود ذكر الله سبحانه نبيه نوح (عليه السلام) في الآية 25: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (25)، وقد تعامل المفسر صاحب الأمتل هذه الآية مع صفة النذير المبين، على أنها صفة عامة لكل أنبياء الله أنهم منذرين، فشرع في توضيح هاتين الصفتين، وأهمية كون النبي أي نبي هو نذير من الله ضد أي خطر، ومشعر للخلق بكل الأخطار الحاصلة لهم، وأنه يوضح لهم مواضع الخطر ويكشف لهم مكانها، وكيفية العلاج منها وتفادي أضرارها، وعلمهم بأن الإنذار من المخاطر له مفعول قوي وفعال في هزّ عميق مشاعر العباد لإحداث الصحوة فيهم، وهي وظيفة كل الأنبياء. (1)

وتابع المفسر في شرح الآيات الكريمة التالية في قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۖ إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (29) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ ۖ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (30) (2)، مع عنادهم العظيم، وتماديهم في الغي، وأذية نوح رغم طول مكوثه، بينهم إلا أنهم أبو واستكبروا، وهذا ما يدل ضمناً على صدقه وصدق دعوته، لأنه لم يطلب منهم أي منافع لقاء هذه الدعوة، ولو كان غير صادق لما تحمل هذا الأذى الكبير لقاء لا شيء، متابعاً محاججتهم في كون أتباعه من الفقراء فقط، وذكر احتجاجه أن يا قوم إذ أنا طردت فقراء المؤمنين وهم حاجوني أمام الله سبحانه فبماذا أرد عليهم؟ وهذا كله دليل على راحة عقله وصدق يقينه، وهي صفات لازمة للنبوة، وإلا لما استحق من الله سبحانه هذا الإختيار، إضافة إلى أنه ليس من السهل على العاقل الطيب أن يطرد الأناس الصالحين فهو أمر مرجح، وفيه مسؤولية عظيمة أمامهم، وأمام الله تعالى يوم الحشر، وحتى في الدنيا هو جالب لمصائب الدنيا، فكونوا عقلاء يا قومي وقدروا موقفي ولا تطالبوني بما لا تتحملوه أنتم. (3)

أما في مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم لم يفرد المفسر حديثاً عن صفات نوح (عليه السلام)، إنما فقط دلل على كلمات الآيات حول نوح (عليه السلام) كونه نبي يحمل التحذير والبشارة، (4) وبالعودة إلى تفسير الأمتل المفسر دلل وفق الآيات على بشرية النبي نوح (عليه السلام)، في عدم كونه عالماً بالغيب، ولا بكونه من الملائكة، ولا يملك خبرات خاصة، به إنما هو مجرد بشري مثلهم، محتجاً عليهم بأن كون النبي يجب أن يكون من البشر، لأن البشر أجدر أن يشعر بهم، ويقدر متطلباتهم، ويمكن لهم الفهم منه للمشابهة، وإلا لكان الله سبحانه أرسل منذريه من الملائكة، والأنبياء الصادقين إذ ليس لهم بأن يدعوا مراتباً وعلوم ليست لهم، فمعرفة علم الغيب وما

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج11، ص46-47.

(2) سورة هود، الآية 29، 31.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج11، ص51.

(4) ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ط1، ج5، ص143.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل

عند الله تعالى هي أمور اختص بها سبحانه ذاتاً، وليس لملائكة ولا لغيرهم أن ينازعوا ذات الله تعالى ما عنده، إضافة إلى أن الأنفع لهم أن يكون النبي مثلهم يسهل عليهم وعليه التفاهم.⁽¹⁾

وتستمر الآيات الكريمة في شرح قصة نوح (عليه السلام) والطوفان، وما حصل فيه من تفاصيل بأسلوب غاية في التشويق، حتى في الأمر الإلهي ببناء السفينة، ووصف حال نوح (عليه السلام) حين بناء السفينة وكيف أنه كان في رعاية الله المطلقة، وأنّ هذا العمل المتقن لم يكن ليتحقق لولا إحاطته بالرعاية المطلقة والتعليم الكامل من الله سبحانه لبناء السفينة، فنوح (عليه السلام) وقومه لم يكونوا جيران بحر، ولا نهر، ولم يسبق لهم أن عملوا بها، أو عرفوا صناعتها، لكن الله سبحانه ألهم نوحاً (عليه السلام) طرق صناعتها، وألهمه الصبر على هذه الرعاية في صاعة السفينة، وخلال سرد هذه التفاصيل وتوضيحها لم يتطرق المفسّر إلى نوح (عليه السلام) بشكل خاص، إنما تحدث عن بناء السفينة، وقوم نوح واستكبارهم، ورعاية الله سبحانه لنوح، وبعض أحوال هذه السفينة حتى وصل في تفسير الآيات في القصة إلى ركوب أصحاب نوح (عليه السلام)، ووصفهم بالقلّة، فكل هذه المدة الطويلة من الدعوة من نبي من أنبياء الله (عليهم السلام) لم يؤمن مع نوح على بعض الأقوال سوى ثمانين شخص، كما ذكر المفسّر منوهاً أن هناك من ذكر أنهم ربما أقل، ولكن مع هذا الأمر استدلالاً لطيفاً على صبر وجلد واستقامة سيدنا نوح (عليه السلام)، وطول أمله بالله عزّ وجلّ، وعدم يأسه من تقبل الآخر لفكره ومنهجه، فذكر المفسّر الشيرازي ذلك قائلاً: "استجاب لنوح خلال هذه الفترة ثمانين شخصاً فقط، وتشير بعض الروايات الأخرى إلى عدد أقل من ذلك، وهذا الأمر يدل على ما كان عليه هذا النبي العظيم نوح (عليه السلام) من الصبر، والإستقامة في درجة قصوى، بحيث كان ما يبذله من جهد لهداية شخص واحد عشر سنوات تقريباً".⁽²⁾

وحين ذكر المفسّر أنّ النبي نوح (عليه السلام) كان يجلس مع كل مؤمن من أصحابه عشر سنين متواصلة، مركزاً جهوده عليه فقط دون غيره لكي يهديه، ويعلمه الدين والتوحيد، وإنما عمد إلى ذلك من باب التقريب الذي أراد به أن يُظهر حجم الصبر الهائل، والجهد الكبير في عمل نوح (عليه السلام) قياساً بعدد الذين آمنوا معه، وهذا دليل يقين شديد منه (عليه السلام) وحب رهيب وحنان يفوق حب الآباء لأبنائهم، وقد دلّل على هذه الصفة المفسّر فقال: "هذا التعب الذي لا يبذله الناس حتى لأولادهم".⁽³⁾

وكيف أنّ نوحاً (عليه السلام) في حبه لقومه وصبره عليهم فوق الأب، ولم يدّخر وقتاً ولا جهداً في سبيل إصلاحهم وهدايتهم، وهذا حال النبي أي نبي فهو الأمين على العباد، وهو الهادي

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 51.

(2) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11 ص 64.

(3) المصدر السابق نفسه.

لهم، والمنذر، والمربي الذي يعرف أصول التربية الصحيحة والصبر الحقيقي، حتى لو كان ولده جاهلاً قاسي القلب، هكذا تعامل مع قومه. أيضاً فإنه مما يدل على أن نوح كان لطيفاً في تعامله مع قومه، صاحب مجمع البيان ذكر ذلك في معالجته لقصة نوح (عليه السلام)، فقال: "إني سلكت معهم في الدعوة كل مذهب، وتلطفت لهم في ذلك غاية التلطف فلم يجيبوا"⁽¹⁾. وكذلك مع ولده الذي من صلبه، ذكر صاحب الأمتل حنانه وصبره، فقال: "لم يكن نوح هذا النبي العظيم أباً فحسب، بل كان مربياً لا يعرف التعب والنصب، متفائلاً بالأمل الكبير، بحيث لم ييأس من ابنه القاسي القلب فناده عسى أن يستجيب له، ولكن للأسف كان أثر المحيط السيء عليه أكبر من تأثير قلب أبيه المحترق"⁽²⁾.

وقد أضاف المفسر صاحب الأمتل إلى كل صفات نوح النبي (عليه السلام) من كونه الأب الرؤوف، والمربي الصبور المتعب، أنه كان يحمل تفاؤلاً كبيراً في نفسه تجاه هداية ولده وقبوله للإيمان، وصعوده في السفينة لكي ينجو، هذا الصعود الذي لم يكن يعني نجاة البدن فحسب بل قبول ولده للتوحيد وطهارة روحه، حتى يستحق أن يكون في سفينه أبيه، لكن قسوة القلب الناتجة عن الخلو من التوحيد، لم تكن لتسمح له بقبول الدعوة رغم ظهور المخاطر التي باتت واقعاً بيد الطوفان، فهو عناد منعقد بجهل مطبق على الروح والعقل.

قال تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۗ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46) ﴾⁽³⁾، والله سبحانه يذكر نداء نوح الأب العطوف الرحيم، الذي تهيج فيه عاطفة الأبوة سائلاً الله عز وجل أن يشفعه في ابنه الذي هو من أهله، فيعود الله تعالى عليه بالتذكير أن ابنك وعمله من أهل الباطل، ولا شفاعاة في أهل الباطل لأنه استحكم فيهم الإنكار، والكفر، وعاقبتهم الوحيدة الزوال والفناء في الدنيا، وعذاب النار في الآخرة⁽⁴⁾.

وقد تحدّث صاحب مجمع البيان في تفسير هذه الآيات عن تهذيب وأدب نوح (عليه السلام) الفائق في خطابه لربه سبحانه وتعالى، حين ناداه بكلمة (رَبِّ) قاصداً أنك أنت الذي تملكني وأنت خالقي، وأنت رازقي، مع تسليم مطلق لأمر الله تعالى⁽⁵⁾.

(1) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، المصدر السابق، ج10، ص112.

(2) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 65.

(3) سورة هود، الآيات 45-46.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج11، ص 75، 76.

(5) ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ج5، ص243.

وبمتابعة الآيات التي تحدثت عن نوح (عليه السلام)، قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (3)،⁽¹⁾ فإنه يتأكد لدينا أنه كان عبداً شكوراً "شكور صيغة مبالغة بمعنى كثير الشكر"⁽²⁾.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: "كان نوح (عليه السلام) إذا أصبح وأمسى يقول: أشهد أنه ما أمسى بي من نعمة في دين أو دنيا فإنها من الله تعالى وحده لا شريك له، له الحمد عليّ بها، والشكر كثيراً، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، فكان هذا شكره"⁽³⁾ وقد تابع المفسر في الحديث عن صفة الشكر في نوح (عليه السلام) موضحاً أنّ جميع الأنبياء يحملون هذه الصفة العظيمة إلا أنّ نوح تميز بها، لأنه كان مواظباً عليها في كل ما يتناوله من شراب أو طعام مع كل شربة وكل لقمة، وكلما وصلت إليه نعمة مباشرة يذكر الله تعالى ويشكره عليها.⁽⁴⁾ ومن جميل الدعاء الذي تعلمناه من أهل العصمة، أننا كلما شكرنا الله، وجب له علينا سبحانه الشكر لأنه ألهمنا الشكر، فكيف لنوح أن لا يشكر ربه، وقد كافاه الله سبحانه على صبره وحسن تأديته لرسالاته النبوية، أنه انتقم من كل من خالفه في رسالته، وأورثه كل الأرض وجعل البشرية جمعاء من نسله، ورفع ذكره إلى يوم الحشر، هذا فضلاً عن الوعد له بنعيم الجنان والقرب من الله بعد القيامة والحساب. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ۗ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (7)،⁽⁵⁾ وهذه الآية تؤكد أنّ النبي نوح (عليه السلام) هو من أولى العزم، وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى ذكر أخذ العهد والميثاق من جميع النبيين، ومن الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذكر معهم سيدنا نوح (عليه السلام)، فقد حدد هؤلاء الخمسة للتوكيد على أنّ الميثاق عليهم أشدّ وأوكد، ورسالتهم أشمل من غيرهم لأنهم من أولى العزم، وأصحاب الشرائع، ودعوتهم ربما تكون أهم من دعوات غيرهم،⁽⁶⁾ وقد تم تحديد هؤلاء الأنبياء (عليهم السلام) بالذكر، لأنهم هم الذين نزلت عليهم الشرائع السماوية، والكتب الإلهية،⁽⁷⁾ ويرى الباحث أنّ الصفة المضمرّة على وفق ماشرحه الشيرازي لنوح (عليه السلام) في هذه الآية أنّه من أولى العزم، والصفة الأدق أنّه ممن يتمسكون بالعهود والمواثيق.

وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (75) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (77) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (78) سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79) إِنَّا

(1) سورة الإسراء، الآية 3.

(2) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 13، ص 203.

(3) تفسير القمي، ط جمادى الأولى، سنة 1435 هـ، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، اشراف المحقق السيد محمد باق الموحّد الأبطحي الاصفهاني، ج2، ص576.

(4) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 203.

(5) سورة الأحزاب، الآية 7.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 20، ص 299.

(7) ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، المصدر السابق، ص105.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81) ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ (82) (1)، وقد ذكر المفسر الشيرازي صفة من صفاته (عليه السلام)، قال: "وسمّاه شيخ الأنبياء والأول للعزم" (2). ربما قصد منه ما هو معروف أنّ نوحاً (عليه السلام) قد عاش عمراً طويلاً، قارب الألف عام، ومن كونه من أولى العزم فهو أول من سنّ الله سبحانه له الشرائع لكي يعلمها للبشرية، وهنا الآيات تحدثت عن دعاء سيدنا نوح (عليه السلام) على قومه، ووصف هذا الدعاء بالشديد، وقرنه بأنّه قد يأس من هدايتهم، واستمر فيما جاء بعد ذلك من أسطر في إظهار حقيقة ما وصل إليه سيدنا نوح (عليه السلام) من اليأس والغم، الذي أصابه بسبب تكذيب قومه له، واستهزائهم به وبأصحابه المؤمنين، ومن إهانتهم وتحديهم له، رغم طول مكوثه معهم، وشدة صبره وحنانه عليهم وأياديه لهم، رغم ذلك فهم مصرون مستكبرون اتهموه بكل التهم وأذوه كل الأذية، وكذبوه هذا الإستكبار منهم وضعه في كرب وغم، وأوصله إلى يقين أنّه لا أمل فيهم، لذلك عمد إلى الدعاء عليهم وطلب النصر من الله، وهذا ما تحقق له فأزاهم الله تعالى، وأبقاه هو وأصحابه وأورثهم الأرض وما عليها، وجعل بقية الخلق من ذريته، واتبعه بعظيم الذكر، وطيب الصفات التي خلدها الله له في كتابه الكريم، (3) وقال نصاً: "فقد وصفت القرآن المجيد بالنبى المقاوم، والشجاع، والصبور، والرحيم، والعطوف، وأطلق عليه لقب شيخ الأنبياء، وتاريخه أسطورة للمقاومة والثبات" (4).

وقد ورد في سورة نوح تفاصيل أكثر حول قصته مع قومه، ودعوته لهم، وصبره عليهم، ودعائه لهم، ثم دعائه عليهم، بعدما تبين له أنهم لا ينفعه صبره عليهم، يظهر ذلك في الآيات: (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (1) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (2) أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَانْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَانْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ (3) يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (4) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) (5)، قال المفسر في الأمتل عن الآيات الأولى من سورة نوح: "نوح (عليه السلام) الذي كان هو من أولى العزم، وصاحب أول شريعة إلهية، وله دعوة عالمية، جاء إلى قومه بعد صدور هذا الأمر، قال يا قوم إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ" (6).

وقد تابع المفسر في شرح هذه السورة من كونه منبهاً لهم، ومحذراً من عواقب عدم التزامهم بالتوحيد والعقيدة، والعمل على وفقها في عبادة الله والتقوى والالتزام بأخلاقيات هذا التوحيد، مذكراً إياهم أن التزامهم هو الطريق لتحصيل بركات الدنيا والآخرة، وتركه والسير في

(1) سورة الصافات، الآيات 75-82.

(2) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 21، ص 237.

(3) ينظر المصدر السابق، ص 237-239.

(4) المصدر السابق نفسه، ص 239.

(5) سورة نوح، الآيات 1-6.

(6) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 28، ص 372.

غيره هو الجالب لهم لكل غضب وعقوبة من الله عزّ وجلّ، وأنّ نوح (عليه السلام) كان صبوراً عليهم رفيقاً بهم في هذه الدعوة، حتى كرمه الله سبحانه بهذا الإخلاص، وخلّده في الذكر الحكيم، قائلاً ربي أنّي دعوت قومي ليلاً ونهاراً، ولكنهم أصروا على العصيان، وازدادوا في أذيتهم والصدّ عنه،⁽¹⁾ قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾⁽²⁾.

ومن جميل الاستدلال على إخلاص نوح وصبره، وطول دعوته لقومه، وحبه لهم، وجهلهم عليه رغم كل الحب والعطف، الذي بدا منه في قوله وفعله، ما أورده المفسّر نقلاً عن بعض المفسّرين فقال: "أنّ بعض المعاندين كان يذهب بابنه إلى نوح (عليه السلام) فيقول له إحذر هذا لا يغوينك، فإنّ أبي قد جاءني إليه وأنا صغير مثلك فحذرنى مثل ما حذرتك"⁽³⁾. لتخيل أن الجد والإبن والحفيد عاصر دعوة نوح (عليه السلام)، فهو نبي لم يعرف اليأس، ولا التعب ولا الملل، وربما يبس الرجل منا من تعليم ابنه، وهو فلذة كبده، حتى لو لم يكن الولد يرفض ما نقول له، إنما يتعلم ببطء.

وقد جاء نوح (عليه السلام) بعد كل ذلك عظيم المكافأة من الله سبحانه وتعالى مع المديح، فقال عنه رب العزة: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81)﴾⁽⁴⁾، سلام معظم مبارك من الله جلّ في علاه إلى نبيه نوح (عليه السلام)، يبقى هذا السلام ما بقي الدهر، وما ذكر الله سبحانه على عظيم قدره، وطول صبره، وعلوّ همته، هذا سلام قلّ نظيره في القرآن الكريم، ذلك أنّ نوح (عليه السلام) من المحسنين، وأيّ احسان أعظم مما فعل نوح (عليه السلام) بالصبر والرحمة والعطف، وهذا السلام لصيقاً بنوح (عليه السلام)، حتى كأنّه صفة ملازمة له، إذ حيث ما ذكر ينطبع في أذهان البشرية جمعاء أنّه نبيّ خصّه الله سبحانه بالسلام الأبدي.⁽⁵⁾

النتيجة:

الجانب القرآني والتاريخي:

1. تفسير الأمتل يعرض قصة نوح بجانب تربوي معاصر واخلاقي.
2. تفسير مجمع البيان يركز على عرض القصة بالتسلسل القرآني والتاريخي

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج28، ص372-374.

(2) سورة نوح، الآيات 6-7.

(3) تفسير مجمع في تفسير القرآن، الطبرسي، ج1، ص306.

(4) سورة الصافات، الآية 79-81.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج21، ص239.

3. تفسير الميزان يميل في التحليل للنص في ضوء سياقها القرآني، ويهتم بتفكيك الدلالات اللغوية والفلسفية.

الموقف العقائدي:

1. تفسير الأمتل يركز على نوح كنموذج ورسالة وقائد يحتذى به بمعاني الصبر.
2. الطبرسي يبرز نوح (عليه السلام) له مقام أولى العزم ويؤكد على عصمته.
3. الطبطبائي يتناول نوح (عليه السلام) من زاوية أنه شخصية قرآنية فلسفية.

الطوفان والسفينة:

1. بتفسير الأمتل يفسر الطوفان كعقاب شامل للفساد.
2. الميزان يدرس القصة من جانب عقلي فلسفي، الدروس والعبر الأمتل يركز على التربية الاجتماعية.
3. التبرزي يركز على الدروس الأخلاقية.
4. الطبطبائي يربط الأسرة بمفاهيم القرآني كالاتصال والإيمان والكتب والكفر.

والنتيجة أن كل مفسر قد درس نبي الله نوح (عليه السلام) من زاوية مختلفة ، فمجمع البيان درسها من جانب نقل تاريخه، والأمتل من جانب اجتماعي معاصر، والميزان تحليلي عقلي فلسفي.

المطلب الثاني: إبراهيم (عليه السلام):

العلة التي سمّي لأجلها إبراهيم (عليه السلام) "سمعت بعض المشايخ من أهل العلم يقول أنّه سُمي إبراهيم لأتّه همّ فيرّ، وقد قيل أنّه همّ بالآخرة وتبرّاً من الدنيا".⁽¹⁾ وعن أبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام) قال: "اتخذ الله إبراهيم خليلاً لكثرة سجوده على الأرض، وقال أيضاً لأتّه لم يردّ أحداً ولم يسأل أحداً غير الله عز وجل"،⁽²⁾ وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: "ما اتخذ الله إبراهيم خليلاً إلا لإطعامه الطعام وصلاته بالليل والناس نيام"⁽³⁾، وعن أبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾⁽⁴⁾، قال: "أنّه كان يقول إذا أصبح وأمسى أصبحت ربي محمود، أصبحت لا أشرك بالله شيئاً، ولا أدعو مع الله إلهاً آخر، ولا أتخذ من دونه ولياً، فسمي بذلك عبداً شكوراً".⁽⁵⁾

(1) علل الشرائع، الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، المتوفى 381هـ، تصحيح وتعليق السيد فضل الله الطبطبائي، ط2، المطبعة العلمية، 1367-1384هـ، إيران-قم، ج1، ص 85، باب 31.

(2) المصدر السابق نفس، ص 86، باب 32.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) سورة النجم، الآية 37.

(5) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، نفس المصدر السابق، ص 89، باب 33.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

إنَّ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) هو أفضل الأنبياء (عليهم السلام) بعد نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو أيضاً أبو الأنبياء (عليهم السلام) قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽¹⁾، وعن علي ابن إبراهيم القمي قال: "ثم تنزل عليه الحنيفية وهي الطهارة وهي عشرة أشياء*"⁽²⁾.

وقد ورد ذكر إبراهيم (عليه السلام) في سورة البقرة، الآية 124 ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ فَقَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَقَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي طَّقَالَ لَا يَبْنَؤُا عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)﴾، أول ما افتتح المفسر في تفسير هذه الآية الكريمة أطلق على نبينا إبراهيم (عليه السلام) صفة بطل التوحيد، فقال: "هذه الآية وما بعدها تتحدث عن بطل التوحيد نبي الله الكبير إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام"⁽³⁾.

واستمر من خلال شرحه للآيات الكريمة في الحديث عن بطولات إبراهيم (عليه السلام)، وكيفية استحقاقه لكل أوسمة التعظيم، والتبجيل من النبوة، والرسالة، والإمامة، وكيف أنه بعد أن تلقى من ربه المهام التي وكلت إليه، وكيف أداها بكل صبر وإخلاص، وأوصلها إلى أصحابها كاملة تامة، مع دروسها العملية من الدعوة الميدانية لقومه، وصبره على أذيتهم، وكيف ناقشهم في عبادتهم، وكيد أصنامهم، وصبره على نار النمرود، وتجاوزه لمحنة ذبح الولد، ومفارقة الأهل والأولاد في صحراء قاحلة، وبناء الكعبة، وما كابده في مشواره مع التوحيد، وكله أثبت به حبه وولائه وإخلاصه لربه سبحانه في الطاعة، ولقومه في الهداية، حتى استحقاقه فيها رتبة الإمامة والتي تعني النبوة والرسالة ضمناً، فبعد أن كان النبي المخلص المؤيد بوحى الله سبحانه، أدى رسالته لقومه وصبر عليها أجمل صبر، واستحق أن يكون أمامهم وإمام الخلق أجمعين، والإمامة بحسب ما ذكر المفسر، وما ورد في كتب التفسير تجمع الرئاسة الروحية، والرسالية، والرئاسة الدنيوية.⁽⁴⁾

وقد شرح صاحب البرهان هذه الابتلاءات، أن الله سبحانه ابتلى إبراهيم (عليه السلام) حتى يظهر عظيم شخصيته، وأنه مستحق لكل تكريم وتبجيل، وذكر أن هذه الابتلاءات هي صفاته المتأصلة في شخصه الكريم، وأولها ذكر اليقين وأيده بقوله تعالى: ﴿...وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤَقِنِينَ (75)﴾⁽⁵⁾، وثانيها المعرفة بأن ربنا سبحانه قديم ولا شبيه له ولا مثال، وأيده بقوله تعالى: ﴿فَقَنَظَرَ

(1) سورة النحل، الآية 120.

(2) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، المصدر السابق، ج 1، ص 288.

* الحنيفية كما ورد في بحار الأنوار، ج 12، ص 7، هي عشرة أشياء: خمسة في الرأس، وخمسة في البدن، أما التي في الرأس فطم الشعر وأخذ الشارب وإعفاء اللحي والسواك والخلال، وأما التي في البدن فغسل الجنابة والظهور بالماء وتقليم الأظفار وحلق الشعر من البدن والختان.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 2، ص 251.

(4) ينظر المصدر السابق، 252 - 253.

(5) سورة الأنعام، الآية 75.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل .

نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89) (1)، وثالثها الشجاعة إذ أظهر شجاعة كبيرة في كيد الأصنام وتكسيرها، وهو وحده بينما قومه بالألاف ولم يخف من مواجهتهم وأيده بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاتِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاءً إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58)﴾ (2)، ورابعها اللحم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (75)﴾ (3)، خامسها السخاء إذ عجل في إكرام ضيفه قوله تعالى: ﴿...فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69)﴾ (4)، سادسها ثم انفراده عن أهله وقومه، وأيها بقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48)﴾ (5)، سابعها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45)﴾ (6)، ثامنها دفع السيئة بالحسنة في نقاشه مع أبيه أزر، وردّه المهذب عليه وأيده بسورة مريم بقوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأِغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47)﴾ (7). تاسعها توكله المطلق على الله سبحانه، وأيّه بما جاء في سورة الشعراء بقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82)﴾ (8)، وعاشرها في رغبته وطلبه للحكم والحكمة والبقاء بين الصالحين ومعهم من قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ (83)﴾ (9)، ثم طلبه للصدق لقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (84)﴾ (10).

بعد ذلك الإبتلاء في النفس بالحرق في نار النمرود، ثم اختباره في ذبح ولده إسماعيل، وابتلاءه في زوجاته، وفوق كل هذا نزهه ربه عن التحرّب، وجعله خالصاً من كل براثن الشرك

(1) سورة الصافات ، الآية 88- 89.

(2) سورة الأنبياء ، الآية 52- 58.

(3) سورة هود ، الآية 75.

(4) سورة هود ، الآية 69.

(5) سورة مريم، الآية 48.

(6) سورة مريم، الآية 42- 45.

(7) سورة مريم، الآية 46-47.

(8) سورة الشعراء، الآيات 78 - 82.

(9) سورة الشعراء، الآية 83.

(10) سورة الشعراء، الآية 84.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل .

لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (67) (1). ثم بعد ذلك كله حبس نفسه، وألزمها كل أنواع الطاعات وبإخلاص مطلق لله تعالى لقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (162) لا شريك له ^ط وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (163) (2)، وكذلك دعوته المجابة بكل سرعة كما في قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا بُنَيَّ لِيَدْعُنَّكَ سَعْيًا...﴾ (3)، ثم جعل كل عمره وحتى آخرته لله سبحانه ^ط ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (162) (4)، ثم ربط الله سبحانه له الخلق أجمعين، بأنه من ترك ملته ودينه، فهو لا عقل له، ولا معرفة، ولادين، وبعدها أن الله سبحانه اختاره في هذه الدنيا فجعل الصلاح سمته، وعزه يوم القيامة، ونجد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ^ط وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ^ط وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (130) (5). ثم جعله قدوة للأنبياء الذين جاؤوا بعده، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بُنَيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (132) (6)، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ^ط وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (123) (7)، ﴿...وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ^ط مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ^ط هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ...﴾ (8). هذه كلها من أعظم الإختبارات، التي لا يصمد لواحد منها فقط أفضل المؤمنين، وإبراهيم الخليل (عليه السلام) صمد لها كلها، وصبر عليها، وأداها على أتم الإستحقاق، لذلك جعله الله عز وجل إمام البشرية. (9)

وأمر الإمامة اختلف فيه علماء كل المذاهب من السنة، وبعد أن استحق سيدنا إبراهيم (عليه السلام) الإمامة، دلت المفسر على حقيقة هذه الرتبة العظيمة، فالإمام له حضور، وتدخل تكويني، وروحي في العباد، فكونه إماماً له كل التأثير على تعلق العباد بربهم، به يهتدي الناس ويقوون على عبادة ربهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فمفهوم الإمامة مفهوم هداية لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ^ط وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (10). (11)

(1) سورة آل عمران ، الآية 67.

(2) سورة الأنعام، الآية 163-162.

(3) سورة البقرة، الآية 260.

(4) سورة الأنعام ، الآية 162.

(5) سورة البقرة، الآية 130.

(6) سورة البقرة، الآية 132.

(7) سورة النحل، الآية 123.

(8) سورة الحج ، الآية 78.

(9) ينظر البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، حققه لجنة من العلماء والمحققين، ط2، 1427 هـ،

2006م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ج1، ص318-321. بتصرف

(10) سورة الأنبياء، الآية 73.

(11) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج2، ص254.

وفي استمرار الحديث عن سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، وما خصّه الله سبحانه من عظيم المكانة جعله إماماً للناس اجمعين، وسماه المفسّر في الأمتل محطّم الأصنام لأنه حطّمها حول الكعبة المشرفة تحطيم مادي ومعنوي، وفي تدليل إلى حقيقة الإمامة في سعي منه أن يوضح للقراء ماهيتها، ذكر المفسّر أنّ للإمام معاني كثيرة، منها الرئاسة في أمور الدنيا بما يشبه الملك وشؤون تسييره، وقد ذكر أن لبعض علماء السنة رأياً كهذا، ومنهم أنّه من لم يكتفِ بأن يكون الإمام كالملك، إنما يتعدى دور الإمام إلى أن يكون ملكاً وقائداً روحياً، بنفس الوقت يملك القدرة على تسيير شؤون الحكم، وتعليم وقيادة الطقوس الدينية. لكن مفهوم الإمامة بالمفهوم الذي طرح على سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، هي بمفهوم أوسع وأعمق بكثير، فهو حاكم بالمعنى المعروف للحكم والملك في أمور الدنيا، وقائد شرعي يقيم شرائع الله وحدوده، ويطبق أحكام الشرع والعدل، لكنه أيضاً مربّي يربي الأفراد والمجتمع، وتكون له القدرة على الولوج إلى عقول العباد، وقلوبهم بكلامه وأفعاله، فيغير من توجهاتهم ويؤثر عليهم، ويرفع معرفتهم، وتعلقهم القلبي والعقلي فيه، وبما جاء به من المعارف والأفعال بغاية هدايتهم، ووضعهم على الطريق الصحيح بالتوحيد الخالص والعمل الصالح.⁽¹⁾

وقد قال المفسّر الشيرازي إنّ: "منزلة الإمامة هي: في الحقيقة منزل لتحقيق أهداف الدين والهداية، أي الإيصال إلى المطلوب، وليس هي إراءة الطريق فحسب، مضافاً لما سبق فإنّ الإمامة تتضمن أيضاً الهداية الكونية، أي النفوذ الروحي للإمام، وتأثيره على القلوب المستعدة للهداية المعنوية"⁽²⁾، وقد شبّه المفسّر الإيمان بالشمس التي تبعث كل أسباب الحياة في المخلوقات كلها بشكل مادي ومعنوي، ويرى الباحث أنّ الذي جعل المفسّر يركز على هذه الصفة في بداية الحديث عن الآيات التي تتحدث عن قصة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) لدرجة أنّه سمى الفقرة التي بدأ بها بشرح الآيات "الإمامة قمة مفاخر إبراهيم (عليه السلام)"⁽³⁾. أنّه أراد أن يظهر عظمة هذه الصفة، كغاية من غايات الله عز وجل في كتابه الكريم، فالمعلوم أنّ الله جلّ في علاه أرسل القرآن الكريم إلى المسلمين بعد سيدنا إبراهيم بالآف السنين، وجعله وأسس ككتاب للعالم إلى قيام الساعة، فلما ذكر مرتبة الإمامة بهذا التعظيم فمن المؤكد أنّ له غاية تصل بها إلى أمام الموحدين علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، حتى أنّه سماه أمير المؤمنين وبعده إحدى عشر إماماً ضمنهم الإمام المهدي المنتظر عليهم جميعاً (أفضل الصلاة والسلام)، وحاشا لله سبحانه أن يترك خلقه هملاً من يوم خلقهم إلى يوم مبعثهم، فهو يعرف صعوبة اختباراتهم، لذلك جعل الأنبياء والكتب والملائكة رفقاء للإنسان في كل مسيرات حياته رافة ورحمة به، وتخفيفاً عن أعباء الدنيا، وشراسة إبليس وجنوده،

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 2، ص 253.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 251.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل .

ولهذه الغاية أوجد الإمام المهدي (عليه السلام)، وطلب منا التمسك به لأنه طوق النجاة، وانتظاره نافع كحضوره، فمن ينتظر ضيفاً كريماً ينتهياً لاستقباله بأحسن هيئة، وأجمل طلعة، وأكرم ضيافة.

وقد جعل المفسّر في فكرة الإمامة محور قصة إبراهيم (عليه السلام)، وسماها أيضاً الإمامة آخر مراحل مسيرة إبراهيم التكاملية، ليدل على أهمية الإمامة كفائدة يستفيدها القارئ في تربية نفسه، وانتظاره لإمامه صاحب الزمان (عليه السلام)، وعن ذلك قال: "أنّه قدوة وأسوة في كل المجالات ونموذج الإنسان الكامل، ومكانته في سلم معرفة الله، ومنطقه الصريح أمام عبدة الأوثان، ونضاله المرير ضد الجبابرة، وتضحياته على طريق الله عزوجل، وصموده الغريب أمام عواصف الحوادث، والإختبارات الصعبة، كل واحدة من هذه الصفات تشكل النموذج الأعلى للسائرين على طريق التوحيد".⁽¹⁾

وقد بحثنا في تفسير الميزان لنحاول أن نلقي نظرة ربما تكون أعمق، وأكثر تنوعاً مما طرحه صاحب تفسير الأمتل حول شخصية سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، فوجدناه صاحب الأمتل قارب موقفه، وشابهه في طروحاته حول حقيقة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في هذه الآيات، وحول عظمة هذه الشخصية وصلاحها في جنب الله سبحانه، ولكن كانت إفاضات صاحب الميزان ربما أوسع قليلاً، وهذا لأنّ الميزان كتفسير طبيعته وقرأئه ربما تختلف قليلاً عن أسلوب الأمتل السهل السلس، ونجد من جميل ما تحدث به عن صفة اليقين، قوله: "وقد ذكر في جملة قصص إبراهيم (عليه السلام) قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ)⁽²⁾، والآية كما ترى تعطي بظاهاها أن إراءة الملكوت لإبراهيم كانت مقدمة لإفاضة اليقين عليه، ويتبين أنّ اليقين لا ينفك عن مشاهدة"⁽³⁾، وقد زاد على صفات إبراهيم (عليه السلام) أنّه كان على يقين كامل من ربه، وهو الذي يكشف للمؤمن حجب القرب من الله تعالى ويجعله في المكانة الخاصة لأنّ اليقين هو الموصل للإخلاص.

وفي قصة إبراهيم (عليه السلام) والنمرود، قال تعالى: (الَّذِي تَرَى إِلَى الْوَالِدِ حَاجِّاً إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمَلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)⁽⁴⁾، وفي تفسيرها أشار صاحب الأمتل إلى راحة عقل إبراهيم (عليه السلام)، وإحكام تدبيره في المحاجة، وهذه صفة من المؤكد أن يتصف بها نبي الله وخليط الله، فوصفها بأنها أحسن صنائع إبراهيم (عليه السلام) حين قدّم مسألة الإحياء والإماتة كمعجزة يعجز عنها النمرود، حتى لو ادّعى

(1) المصدر السابق نفسه، ص 258-259.

(2) سورة الأنعام، الآية 75.

(3) تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطبطبائي، المصدر السابق، ج1، ص 199.

(4) سورة البقرة، الآية 258.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

بالمغالطة أنه يقدر عليها، ثم استدرجه إلى مسألة حركة الشمس وتحكم الخالق بها ليظهر عجز النمرود عن الإقدام على هذا التحدي،⁽¹⁾ وهذه المحاجبة التي حاول النمرود الهروب فيها من دعوة الإحياء والإماتة، وأظهر مغالطة ممكن أن تقسد عقول وآراء الحاضرين والاتباع، ليلحقها بدعوة أخرى في محاولاته له إشراق الشمس من مغيبها، وهذا ما أفحم الملك وفضحه وجعله عاجزا أمام إبراهيم (عليه السلام)، وأمام من حضر، وهذا يدل على نباهة وحذاقة إبراهيم (عليه السلام)، وهذا لطول باعه في التفكير في خلق الله سبحانه، وقدرته وعظيم ذكائه.

صاحب مجمع البيان دلت على فطنة إبراهيم (عليه السلام) في هذه الآية في انتقال إبراهيم (عليه السلام) من حجة إلى أخرى، أن الملك عندما أتى بحجته في الإماتة والإحياء، فإن إبراهيم (عليه السلام) لم يقطع دليله وبرهانه، إنما جاء بحجة أخرى إما تكملة للنقاش والمحاجبة، لكي يتم له النصر بدون اعتراض يكون مؤثراً في الحاضرين، أو لأنه بدلاً من إضاعة الوقت ذهب إلى حجة أقوى وأوكد، وتم لإبراهيم (عليه السلام) ما أراده بالحجة الأخرى، وخوف الملك من زيادة فضيخته، أو ربما أن الله سبحانه أخرس لسانه وألجمه عن الإستمرار، في كلا الأمرين هو تأييد الله سبحانه لإبراهيم (عليه السلام).⁽²⁾

وفي الآية 67 من سورة آل عمران، قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67)﴾، قال المفسر في الأمتل: "أن إبراهيم لم يكن من اليهود، ولا من المسيحيين، إنما كان موحداً طاهراً مخلصاً، أسلم لله، ولم يشرك به ابداً".⁽³⁾

صفة التوحيد أمر بديهي في حياة أي نبي، لأنه إن لم يكن التوحيد الخالص لله سبحانه هو نهجه وفكرته، فكيف سيكون داعياً للتوحيد، ولعل من أسباب اختيار الله سبحانه له سببه سلامة فطرته، وحسن عقله، وقد حدد القرآن الكريم أن عقيدة إبراهيم (عليه السلام) هي قائمة على الحنفية الطاهرة، لأنه كان بالغ العداوة للجهل والسير على خطى السابقين بدون أعمال للعقل، وإفساح الطريق أمام الفطرة السليمة لتزهر وتخرج ثمارها، ولأجل ذلك وضع نصب عينيه تحطيم الأصنام المادية التي هي التماثيل، وتحطيم الأصنام البشرية بكسر الملك وفضحه بالضعف، وتحطيم أصنام العقل بالحجج، وتحطيم أصنام النفس وشهواتها بتقديم كل غالي وثمان وكل عزيز أمام مذبح التوحيد لله وحده سبحانه.

أما حول كون سيدنا إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) مسلماً، فقد ناقشه الشيخ الشيرازي بعد طرحه لسؤال حول كيف كان إبراهيم مسلماً؟ بعد أن طرح نقض القرآن الكريم من كون سيدنا

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 86.

(2) ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ج 2، ص 153-154.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 4، ص 264.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل .

إِبْرَاهِيمَ (عليه الصلاة والسلام) ليس يهودياً ولا نصرانياً، فكيف له أن يكون مسلماً وقد جاء الإسلام بعد اليهودية والنصرانية بمئات السنين؟ أجاب إنَّ إسلام إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) لم يقصد لكونه تابعاً لدين نبي الرحمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: "وجواب هذا السؤال هو أنّ (الإسلام) في القرآن لا يعني اتباع رسول الإسلام فقط، بل الكلمة بالمعنى الأوسع تعني التسليم المطلق لأمر الله بالتوحيد الكامل الخالص من كل شرك ووثنية، وكان إِبْرَاهِيمَ حامل ذلك الإسلام".⁽¹⁾

قال صاحب مجمع البيان: "كذَّبَ اللهُ سبحانه اليهود والنصارى، فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا...﴾ نَزَّهَ إِبْرَاهِيمَ وَبَرَّاهُ عَنِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، لِأَنَّهُمَا صِفَتَا ذِمٍّ وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ وَالْإِجْمَاعُ عَلَى ذَلِكَ، ... ﴿...وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا...﴾، أَي مَائِلًا عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ مُسْتَقِيمًا فِي دِينِهِ".⁽²⁾ هما صفتا ذم لأنَّ ليس فيهما من الله سبحانه.

وفي الآية 54 من سورة النساء ﴿أُمُّ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54)﴾، اكتفى المفسر في الأمتل بالحديث عن سيدنا إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) ضمناً مع آله الكرام، وأنه هو بحال واحد في استحقاق المراتب العظيمة النوارنية الروحانية، أو الدنيوية المادية، ولم يكن لهم ذلك إلا لتمتعهم بكل صفات الكمال، والتكامل، والأهلية، وكونهم مستحقين مضحين قدموا الغالي، والنفيس في سبيل التوحيد.⁽³⁾

في شرح معنى الخليل وفقاً الآية 125 من سورة النساء: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (125)﴾، ذكر المفسر في الأمتل أنها قد تكون مشتقة من المصدر خلَّة وتعني الصداقة، ومنهم من قال بمعنى الحاجة، والفكرة فيها أن الكل محتاج لله تعالى، ولا ميزة فيه أمَّا الصداقة فهي ميزه لمن تميز، و أورد الرأيين وقد مال إلى معنى الخليل أي الصديق، مؤيداً رأيه بأحاديث الرسول والمعصومين (صلى الله عليهم أجمعين)،⁽⁴⁾ وهذا الكلام منطقي وهو المشهور، وحقيقة لا نجد أحداً فسّر الخليل بمعنى المحتاج، ويؤيده ما وجدناه من الروايات في غير ما احتج به المفسر. فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "ما اتخذ الله إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا إِلَّا لِإِطْعَامِهِ الطَّعَامَ وَصَلَاتِهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسِ نِيَامًا"،⁽⁵⁾ وقد ذكر الشيخ الطوسي في التبيان قال: "الخلَّة بمعنى الصداقة لأنَّ كل واحد منهما يسد خلل صاحبه في المودة والحاجة، وقيل لأنه يطلعه على أسرارهِ، فكأنَّه في يخلل قلبه، والخلل كل فرجة تقع في شيء"⁽⁶⁾،

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ج 2، ص 286.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 4، ص 141.

(4) ينظر المصدر السابق، ج 5، ص 270-271.

(5) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج 1، ص 86، باب 32.

(6) البيان في تفسير التبيان، الشيخ الطوسي، ج 3، ص 210.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

وقال: "وخصَّ إبراهيم من بين سائر الخلق بأنه خليل الله على المعنيين"⁽¹⁾، وعن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: "اتخذ الله إبراهيم خليلاً لكثرة سجوده على الأرض"، وقال أيضاً: "لأنه لم يردَّ أحداً ولم يسأل أحداً غير الله عز وجل"⁽²⁾.

وقد ذكر الله عز وجل إبراهيم (عليه السلام) من جملة أنبياء قد أوحى الله لهم، ففي الآية 163 من سورة النساء ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (163)، وهذا مما لا خلاف فيه ولا نقاش فهو نبي، والطبيعي جداً أن يوحى له كباقي الأنبياء، ولولا فكرة إيصال الوحي بين الخالق والمخلوقين، لما كان لمعنى النبوة هذه العظمة، فهي وظيفتهم، وقد أداها الجميع على أكمل الوجوه، فقال صاحب الأمتل: "وهذه الآية ترد على اليهود مؤكدة أنّ شرائع الأنبياء العظام مُستقاة كلها من ينبوع الوحي الإلهي"⁽³⁾.

الآية 74-75 من سورة الأنعام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (74) وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من المؤمنين (75)، قال صاحب تفسير الصافي: "في المجمع عن الباقر (عليه السلام) قال: كشط الله عن الأرضين حتى رآهنّ وما تحتهنّ وعن السموات حتى رآهنّ وما فيهنّ من الملائكة وحمة العرش"⁽⁴⁾، أما الشيرازي فقد تحدث عن حركة الفكر والهداية التي جرت لسيدنا إبراهيم (عليه السلام)، إذ كان أخلص عباد الله وأشدّ حباً لله، ولشدة حبه وإخلاصه لله اتخذه الله سبحانه خليلاً وحبیباً، وذلك لشدة حبه هو وتعلقه بخالقه ومرسله، ومن البديهي أن يكون بسبب هذا الحب، والتعلق شديد الكره لكل ما يسخط الله سبحانه ويغضبه، وهل هناك أشد من أن تكون هناك بين عباد الله أصنام لا تضر ولا تنفع، ويقصدها الناس بالعبودية والطاعة.⁽⁵⁾

ومن المؤكد أنّ إبراهيم (عليه السلام) كان على اليقين الفطري بوحدانية الله سبحانه، وإلا لما كان نبياً ولكن ما جرى له من الاستدلال العقلي ما هو إلا ليجمع إلى يقينه الفطري يقيناً عقلياً، يمكن به أن يكون حجة لمن يحتاج، أو ربما هو استعراض لما يخطر من عقول العباد، أو لكي نصل به إلى مرحلة عين اليقين، هو كذلك المستفاد من قصة الطيور المذبوحة، ففي قصة رؤيته للكواكب ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (77) ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (78) ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

(1) المصدر السابق نفسه، ص 211.

(2) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج 1، ص 86، باب 32.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 270-271.

(4) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، المصدر السابق، ج 1، ص 483.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 7، ص 103.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل .

(79) (1)، بدأ بالأصغر الذي أزاله وأزال تأثيره الأكبر، وهذا الأكبر الذي غاب ليدل عليه أنّ الله حاشاه من الغياب، وهو حاضر في كل وقت ومكان؛ وأنّه رغم هذا الاستدلال لم ينسب نبي الله هذا التوفيق إلى نفسه، إنّما جعله في مكانه كونه هداية الله سبحانه، فكل خير لولا فيض الله سبحانه لما كان له أن يكون.

يقول صاحب تفسير الصافي في الآية ﴿فَلَمَّا أَفَلَّ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾: "استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق، فإنّه لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه، إرشاداً لقومه وتنبهياً لهم" (2)، وبالعودة إلى تفسير الأمتل حول هذا الاستدلال أورد المفسّر آراء متعددة، لكن أقربها للعقل، والمنطق، أنّ هذا الاستدلال ربما ساقه سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في نقاشه لعبدة الكواكب كدرس لهم، وعلى مبدأ من فمك أدينك، وذكر المفسّر أنّ هناك روايات تذكر شيئاً بهذا الخصوص دون أن يذكرها، (3) وتتابع الآيات الحديث عن شجاعة سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، وجرأته في مواجهه قومه، ومواجهة آلهتهم ومعتقداتهم الباطلة، رغم تهديدهم له بأذيته، ورغم تهديدهم له من غضب هذه الآلهة، إلا أنّه (عليه السلام) مضى في إنكارها وإنكار عبوديتها، وسوق الأدلة والبراهين ضد هذه الادعاءات الكاذبة، وقلب بحكمته الطاولة عليهم، وهو الذي أصبح يهددهم بغضب ربه، ووصّفه ربه أنّه حاشاه أن يدنس إيمانه ويقينه بالشرك، أو الخوف من آلهة باطلة لا تضر ولا تنفع، وأنّه لعظيم هذا اليقين وهذه المحاجة نصره الله ورفع وأعلا شأنه من كل مكائدهم، وهذا عين العلم والحكمة من الله سبحانه لكل من سعى في طريق التوحيد وعمل فيه بإخلاص. (4)

قام صاحب الميزان بتفسير الآيات الكريمة، وأورد صفحات عدة في الحديث عن قصة إبراهيم (عليه السلام)، وأورد في هذه القصة فقرتين تحدث فيهما عن صفات إبراهيم، الأولى في مكانته عند ربه سبحانه، إذ مدحه الله عزوجل عظيم المدح، ومدح ما مرّ به من ابتلاءات، وأنّه قيل كل ذلك جعله رشيداً عاقلاً، وأنّه اختاره في الدنيا وجعله نبياً، وإماماً، وفوق ذلك ضمه في يوم القيامة إلى الصالحين، وأنّه جعله خليفه وأنه من أصحاب القوة والبصيرة، وأخذ ذكره في الدنيا والآخرة، وتحدث في فقرة أخرى، أنّ من فضله العظيم على إبراهيم (عليه السلام) أنّ الأديان التوحيدية الثلاثة يهودية ونصرانية وإسلامية كلها تنتهي في التوحيد إلى إبراهيم (عليه السلام). (5)

(1) سورة الأنعام، الآيات 77، 79.

(2) تفسير الصافي، تأليف فيلسوف الفقهاء استاذ عصره المولى محسن الملقب بالفيلسوف الكاشاني، المتوفي سنة 1091 هـ، تصحيح العلامة حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، ط1، 1429 هـ - 2008م، بيروت- لبنان، ج1، ص484.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 7، ص 106.

(4) ينظر المصدر السابق، ص 107 - 109.

(5) ينظر تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ص160 - 161 بتصرف.

ونجد أيضاً صفة السخاء لسيدنا إبراهيم (عليه السلام) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَدْ لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ (69)،⁽¹⁾ إذ لم يتحدث عنها صاحب الأمتل صراحة وبوضوح، إنما ذكرها ضمناً عندما قال: "إن من آداب الضيافة أن يُعجل للضيف بالطعام"،⁽²⁾ ولا يهتم بآداب الضيافة إلا أهل السخاء والكرم، وكما قال الإمام الصادق (عليه السلام): "السخاء من أخلاق الأنبياء، وهو عماد الإيمان، ولا يكون مؤمناً إلا سخياً، ولا يكون سخياً إلا ذو يقين وهمّة عالية، لأنّ السخاء شعاع نور اليقين، ومن عرف ما قصد هان عليهما بذل"،⁽³⁾ وفي كلمة ﴿قَدْ لَبِثَ﴾ دليل على أنه لم يدخر ولا لحظة، ولا كلمة، ولا ذرة جهد في تقديم واجب الضيافة، وإكرام ضيفه، وهذا ليس بالغريب على أبي الأنبياء (عليهم السلام)، وبطل التوحيد، ومن بذل في طريق العشق الإلهي كل شيء بكل معنى الكلمة حتى النفس، ومن غريب الانتقاد ما ذكره المفسر انتقاد بعض المغرضين بأن العجل كثير على أضياف قلة كنوع من الاتهام للنبي إبراهيم (عليه السلام) بالتبذير، وردّه المفسر بأنّ عدد الضيوف لم يذكر، ودعمه ببعض أقوال المفسرين أنّه ربما وصل عددهم إلى إحدى عشر ضيفاً، وأيضاً أن هذا العجل ربما سيأكل منه أهل بيت إبراهيم (عليه السلام) وعماله وجيرانه.⁽⁴⁾

أما في تفسير من هدي القرآن للآيات السابقة الذكر، وصف إبراهيم (عليه السلام) بالشيخ الذي انهكته محنه وابتلائته العظيمة، وقد كان في غربة روحية، وذلك لم يقعه عن التعجيل والمبادرة إلى إكرام ضيوفه أطيب إكرام، وعندما لم يبادروا لطعامه أنكر عليهم ذلك وخاف منهم، حتى آمنوا خوفه وافهموه قصتهم.⁽⁵⁾ أما الخوف والروع الذي حصل لسيدنا إبراهيم (عليه السلام)، فصاحب الأمتل أشار إليه مجرد إشارة حين لفظ إبراهيم (عليه السلام) أنهم لا يمدون أيديهم للطعام وهذا في عاداتهم ربما نية سوء. لكن في تفسير الميزان أفرد له سطوراً لكي يوضحه، ويظهر مقام نبوته عن أي معنى سلبي يمسّ مقامه العالي، فقال: "ونسبة استشعار الخوف إلى إبراهيم (عليه السلام)، لا ينافي ما كان عليه من مقام النبوة الملازم للعصمة الإلهية من المعصية والردائل الخلقية"،⁽⁶⁾ وشرع قبل هذه السطور وبعدها في توضيح معنى الإيجاس -من أوجس- وخطورة في القلب، والخير الذي يأتي من كون هذه الأمور تحصل للأنبياء أنّها ليست بمعنى الخوف السلبي، إنما بمعنى الإلهام لدفع الأذى والحذر منه، ولذلك عاجلته الملائكة (عليهم السلام) بمبتغاهم بالبشرى له

(1) سورة هود، الآية 69.

(2) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 107.

(3) ميزان الحكمة محمد الريشهري، طبعة جديدة منقحة وملونة، ط1، 1422هـ-2001م، ج 2، الناشر دار الحديث، الموزع دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ج 2، ص 1276.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 107.

(5) ينظر من هدي القرآن، السيد حسن تقي المدرسي، سلسلة علم التفسير، موضوع تفسير القرآن الكريم، ط2، دار الفارئ، 1429هـ-2008م، ج4، ص63.

(6) تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج 10، ص 514.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل .

بالغلام والعذاب لقوم لوط (عليه السلام)، وسرعان ما هدا روعه ودخل في مناقشة حال قوم لوط (عليه السلام)، وأتبع الله سبحانه الكلام عن هذه المناقشة ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (75)،⁽¹⁾ فما حقيقة هذه المجادلة؟ وهل يعقل أن نبياً في مقام العصمة يجادل أو يناقش في أمر الله؟ وخاصة أن الله سبحانه أتبع الكلام بوصف إبراهيم (عليه السلام) بالحلم والإنابة، والحليم قال صاحب الميزان فيه: "الحليم هو الذي لا يعاجل العقوبة والانتقام، والأواه كثير التأوه مما يصيبه أو يشاهده من السوء، والمنيب من الإنابة وهو الرجوع، والمراد الرجوع في كل أمر إلى الله".⁽²⁾

وهذا التدليل بالإشارة إلى صفات أبو الأنبياء (عليه السلام) الغاية منه تبرير سبب مجادلة نبي الله للملائكة، وأن هذه المجادلة إنما هي عن نية طيبة وإرادة خير، فالنبي دائماً يكون حاملاً لمعاني الرحمة رقيق القلب، ولكن في إنابته لله هو قبول مطلق لما أمر الله سبحانه به، وفي أسباب هذه المناقشة قال المفسر في الأمتل: "وذلك لأن إبراهيم لم يتضح له أن أمر العذاب صادر من الله بصورة قطعية، بل كان يحتمل أنه لا يزال لهم حظ في النجاة، ويحتمل أنهم سيرتدون عن غيبهم ويتعظون، ومن هنا فما زال هناك مجال للشفاعة لهم".⁽³⁾ وعلى ذلك رد المفسر جميع الاحتمالات التي طرحت، وبقي على هذه الأسباب، وقد ناقش ما قاله غيره من المفسرين لا نوردها هنا خوف الإطالة وأنها ليست محل البحث.

كما بيّنت الآية (73) من سورة هود: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ (73) على حسب صاحب الأمتل، أن أهل بيت إبراهيم (عليهم السلام) لعظيم صفاتهم، باركهم الله سبحانه برحمة مستمرة، حتى مولد رسول الرحمة محمد صلى الله عليه وآله والأئمة الأثني عشر من بعده، هم البركة المستمرة في آل إبراهيم عيله السلام.⁽⁴⁾

وأما في تفسير من هدي القرآن، فقد وضح المفسر أن رسل الله إلى إبراهيم (عليه السلام) تمموا له البشارات بأعظمها، أن الله تعالى عنهم راضٍ ممد لهم بكل الرفاه والخير، والرحمة، لأنهم أهل يقين وثبات، وجاهدوا في حب الله سبحانه وتقواه أعظم الجهاد.⁽⁵⁾

ونجد المناجاة الرائعة لخليل الرحمن، والإبتهال المليء بالألطف الرحمانية في كلماته، وهو يسأل ربه سبحانه ويلتجئ إليه في سورة إبراهيم الآيات 35-41 قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ

(1) سورة هود ، الآية 75.

(2) تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج10، ص517.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 112.

(4) ينظر المصدر السابق، ص110.

(5) ينظر تفسير من هدي القرآن، السيد حسن تقي المدرسي، ج4، ص64.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل .

غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ، فهو في هذا الدعاء مثال للنبي المعلم، والأب الرؤوف، ومثال العبد الصالح، والولد البار، وهذا تأديب لنا من ربنا عز وجل أتى به في كتابه الكريم على لسان نبيه وفي نهجه وحياته العملية، وفي مختصر ما أشار إليه المفسر في الأمتل من عظمة شخصية خليل الله، الذي جاهد في الله سبحانه حق الجهاد، ولم ينقطع لسانه عن شكره تعالى. (1)

وأظهر شخصية النبي الذي يؤدي وظيفته على أتم نحو، بدعائه لمكة أن تكون محل توحيد الله واجتماع الموحدين، وطلب لذريته الحفظ من الضلال، وكان رحيماً بالذين لم يقبلوا دعوته، وطلب لهم المغفرة، ثم أثنى على الله سبحانه بالشكر والحمد، وتذكير العباد بأهمية الدعاء، وأن الله سيسمع دعائهم، واستمر بتأديبه كنبى أن يطلب من الله المدد على المواظبة على العبادة، ثم طلب الإبن البار الذي يطلب الرحمة والمغفرة لوالديه، ولجميع المؤمنين، ولد بار ونبي معلم ونذير للخلق أجمعين. (2)

وبالانتقال إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (120) شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتِبَاءً وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (121) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (122)﴾ (3)، ذكر المفسر الشيرازي في شرحه لجملة ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ أربعة أسباب، اختصرها عن آراء كثيرة أوردها المفسرين فقال: "كان لإبراهيم شخصية متكاملة، جعلته أن يكون أمة بذاته" (4) وقال أيضاً: "كان إبراهيم قائداً وقُدوة ومعلماً كبيراً للإنسانية" وقال أيضاً: "كان إبراهيم عليه السلام موحداً في محيط خال من أي موحداً"، وممكن أن يكون أمة بذاته أو بأفعاله وشجاعته في قبال النمروذ، وتم شرحه أن الشخصيات العظيمة في صفاتها وبركاتها، يكون لها عظيم وواسع الأثر لتتعدى بركاتها على جماعة كثيرة من الخلق، حتى تصبح هذه الشخصية كأنها جماعة كثيرة، وهذا الشيء نلاحظه ونشعر به في حياتنا العادية، عندما نرى إنجازات بعض الأبطال المخلصين، خاصة في هذه الايام والأمة الاسلامية تجتاحها تحديات هائلة في المنطقة، وقد تجلت هذه الصفة واضحة في فترة السيد السيستاني حفظه الله، عندما أفتى بواجب الجهاد المقدس ضد عصابات التكفير، فقد كانت شخصيته كشخصية أمة، وفتواه غيرت وجه المنطقة، وحفظتها من

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 12، ص 472.

(2) ينظر المصدر السابق، ص 472-473 .

(3) سورة النحل، الآيات 120-122.

(4) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 13، ص 177.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

كوارث لا يعلمها إلا الله تعالى، فكيف بشخصيات الأنبياء (عليهم السلام)، وكيف بأبيهم إبراهيم (عليه السلام).

وتمم في ثانيها فقال: "كان إبراهيم (عليه السلام) قائداً وقوة حسنة، معلماً كبيراً للإنسانية، ولذلك أطلق عليه أمة، لأن أمة اسم مفعول مطلق على الذي تقتدي به الناس وتتصاع له"،⁽¹⁾ وربط بين المعنى الأول والمعنى الثاني، وعلل الربط بأن الإمام الصادق، المخلص، والقائد الذي يقدم أصدق معايير المواساة لمن اتبعه، إنما هو شركهم في عملهم، فهو ملهمهم، وهم اتباعه المخلصين، وهنا أيضاً نجد مصاديقه في فتوى الجهاد المقدس للسيد السيستاني حفظه الله، والتي كانت في مفاعيلها عمل أمة، وإخلاص قائد وأتباع.

أما المعنى الثالث فقد قال فيه المفسر في الأمتل: "كان إبراهيم (عليه السلام) موحداً في محيط خال من التوحيد، فالجميع كانوا يخوضون في وحل الشرك، وعبادة الأصنام، فهو والحال هذه أمة في قبال أمة المشركين الذين حوله".⁽²⁾

وبيّن في المعنى الرابع: "كان إبراهيم منبعاً لوجود أمة"،⁽³⁾ أي أنه نقطة بداية وانطلاق، ومصدر لتولد أمة عظيمة، وحقيقة كل الأديان السماوية التي تدين بها أكثر أمم الأرض تعود في منشأها إلى سيدنا إبراهيم خليل الرحمن (عليه السلام).

والمفسر الكريم صاحب الأمتل لم يمانع أن تكون هذه المعاني الأربعة مجتمعة في شخصية نبويّ عظيم، فهو خليل الرحمن، والصفة الثانية في هذه الآيات ذكرها صاحب الأمتل كما هي، ولم يشرحها، وهذا ربما مردّه إلى وضوح معنى القنوت.

وجاء في تفسير الميزان أن: "القنوت يعني الطاعة والعبادة أو دوامها".⁽⁴⁾ وكان كل وقته وكل عمله وكل تركيزه على طريق الحق، بإتباع شريعة الله سبحانه "طريق الحق حنيفاً".⁽⁵⁾ وأنه لم يكن من المشركين أي أن الله وحده هو الذي يملأ حياة وقلب وعقل خليل الرحمن، فقال المفسر: "بل كان نور الله يملأ كل حياته وفكره ويشغل كل زوايا قلبه".⁽⁶⁾

والواقع أنّ المتابع لسيرة حياة إبراهيم (عليه السلام) يجده على كل صفات العبد الصالح في ميلاده وحتى مماته سلام الله عليه. كما نجد صفة الصديق في سورة مريم ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (41)،⁽⁷⁾ الصديق هو شديد الصدق، الذي لم يعرف الكذب أبداً، وهو عاجز عن

(1) نفس المصدر السابق .

(2) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 13، ص 118.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 177.

(4) تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، المصدر السابق، ج 12، ص 536.

(5) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 13، ص 177.

(6) نفس المصدر السابق، ص 188.

(7) سورة مريم، الآية 41.

الكذب، أو هو الذي يتطابق قوله وفعله وعقيدته، وهذه المعاني كلها منطبقه تمام الإنطباق على سيدنا إبراهيم بل أكثر من ذلك أن إبراهيم (عليه السلام) هو الصدق، لأنه خليل الرحمن بموجب القرآن الكريم ﴿...وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (125)،⁽¹⁾، فهل يتخذ الرحمن إلا الصادق الصدوق في القول والفعل والفكر والنظر.⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57)﴾⁽³⁾، تحدثت عن كثير من جوانب حياة الأنبياء (عليهم السلام)، ففي خصوص سيدنا إبراهيم (عليه السلام) تحدثت عن حربه لعبادة الأصنام، بعد أن ذكر الله سبحانه سابقاً كيف دحض عبادة الكواكب، وأفحم أتباعها وها هو اليوم عكف على حرب عبادة الأصنام، وسبقت الآيات التي تفصل الحكاية وبدأها بأن إبراهيم (عليه السلام)، قد أتاه الله الرشد، والرشد كما شرحها المفسر فقال: "الرشد في الأصل بمعنى السير إلى المقصد والغاية، وأن إبراهيم عرفها وأطلع عليها منذ سنين طفولته، وقد يكون إشارة إلى كل خير وصلاح بمعنى الكلمة الواسع"⁽⁴⁾. وهذه الحكمة والعلم وحسن التدبير التي وهبها الله سبحانه لسيدنا إبراهيم (عليه السلام)، هو لإمكانيات واستحقاقات عظيمة، وعميقة في شخصيته (عليه السلام)، والقصة تشرحها الآية أن إبراهيم حطم الأصنام في غفلة عن من عبدها، وجعل القدوم الذي حطم به في عنق الصنم الأكبر، وعندما اتهمه أتباعها بتحطيمها لأنه يذكرها بالسوء، أشار لكبيرهم أنه هو الذي حطمها، فأفحموا عندما أشار لهم أن يستنبئونه عنها.⁽⁵⁾

وقد اعتقد سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، أنه بهذه الحجة ربما يصددهم عن بطلان عقيدتهم في عبادة الأصنام، ولكن الذي حصل أنهم كغيرهم من أهل الضلال، قد استحكم الجهل والكفر في نفوسهم، فعاقبوه بحرقه في النار، والتي جعلها الله برداً وسلاماً، وأنجاه وأنقذه منها ومنهم، وموضع شاهدنا هنا في هذه القصة هو ما اتصف به خليل الرحمن من الحكمة ورجاحة العقل، وحسن التدبير في عبادة الواحد الأحد، وبقينه وثباته على التوحيد، ورفضه لعبادة الأصنام، وحربه لقومه وتحطيمه للأصنام، فهو قد حاول تحطيمها في عقولهم، قبل أن يحطمها مادياً، ورغم التهديد ثبت على يقينه،

(1) سورة النساء، الآية 125.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 15، ص 44-45.

(3) سورة الأنبياء، الآيات 51-57.

(4) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 15، ص 238.

(5) ينظر المصدر السابق، ص 238 - 246.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

رغم معرفته بأنه سيحرق، وهو على يقين من ربه ومن دينه، وخاصة في محاربة كل أشكال الصنمية المعنوية والروحية والمادية.⁽¹⁾

وفي حديث قدسي: "روي أن الله أوحى إلى إبراهيم (عليه السلام) أنك لما سلمت مالك للضيفان، وولدك للقربان، ونفسك للنيران، وقلبك للرحمن، فاتخذناك خليلاً".⁽²⁾

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ (83) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84)﴾⁽³⁾، وهي القلب السليم، أوضح المفسر صاحب الأمتل أن القلب السليم قد فسره المفسرون على عدة معانٍ، منها طهارته من الشرك، ومنها خلّوه من الذنوب، ونقاوته من الظلم، وامتلاؤه بالإخلاص، وأن ليس للدنيا وملذتها مكان فيه، فهو قلب ليس فيه إلا الله تعالى،⁽⁴⁾ والإمام الصادق (عليه السلام) قال في القلب السليم: "القلب السليم الذي يلقي ربه وليس فيه أحد سواه".⁽⁵⁾

وفي سورة ص من الآية 45 حتى 47 ﴿وَإِذْ كُنَّا عِبَادًا لِّإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (46) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (47)﴾، في هذه الآيات أشرك الباري عز وجل خليله إبراهيم (عليه السلام) مع ولده اسحاق وحفيده يعقوب بصفات عظيمة جدا بأنهم (أولي الأيدي والأبصار)، فما معنى الأيدي والابصار؟ عندما نأتي لمعناها في تفسير الامتل نجد بينها بأن الإنسان لكي يتمكن من إحقاق مرتده يجب عليه أن يتمتع بقوتين، أولهما علم واسع وإدراك تام وقدرة على تشخيص الأمور وتحديد ماهيتها، والثانية أن يؤديها على النحو الأمثل، فالعلم والمعرفة مع القدرة والتمكين هي التي تمكننا من تحقيق أهدافنا.⁽⁶⁾

إذا هنا جاءت كلمة (أيدي) بمعنى القدرة وحسن إتمام الفعل على الوجه الأمثل، لتكون نتيجته كاملة تامة. وبعدها العلم وهي ما تعني الأبصار، وهي المعرفة الدقيقة بخفايا الأمور، ونتائجها سواء بالخطط ووضعها، أو بالشرعية وأسرار الخلق، وخفايا هذا الخلق، لا يمكن لأصحاب القدرات الطبيعية أن يصلوا إليها، وهذا تأييد من الله لأنبيائه، ليكون لهم القدرة على القيام بأعباء النبوة، وحمل الرسالة على أتم وجه. وهذه الصفات تنطبق أتم الإنطباق على خليل الرحمن (عليه السلام)، وإلا لما قام بأعباء ما وكلّه الله له، وما نجح بعظيم الاختبارات التي تعرض لها.⁽⁷⁾

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 238.

(2) الجواهر السنّية في الأحاديث القدسية، الشيخ العلامة محمد بن حسن الحر العاملي، 1104 هـ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت لبنان، ص 26.

(3) سورة الصافات، الآيات 83-84.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 21، ص 242.

(5) أصول الكافي، الكليني، المصدر السابق، ج 2، ص 16.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 375.

(7) المصدر السابق نفسه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ أن الله قد وهب هؤلاء بركة من أعظم البركات من الله بها عليهم، بأن جعل لهم نظرة ثاقبة فاهمة مستوعبة لحقيقة هذا الوجود، وحقيقة هذه الدنيا، وبأنه مهما عظمت لذات هذه الحياة الدنيا، ومهما كبرت آمالها وأحلامها وغاياتها، هي أمور محدودة بسيطة لا تعني شيئاً أمام ما في الآخرة من الخير، والرحمة، والبركات، فهناك الحياة الأبدية، والراحة الأبدية، والخير المطلق، أمّا في هذه الدنيا فكل شيء زائل بسيط،⁽¹⁾ كما قال أمير المؤمنين في الدنيا: "غري غيري فأملك حقير وخطرك يسير".⁽²⁾

والآية ﴿... وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ يرى المفسر الشيرازي بسبب ما حملوه من مزايا عظيمة وسجايا مباركة، اختارهم ربهم للقيام بأعباء النبوة، لأن هذه الصفات هي التي تجعل العبد قادراً على الخوض في معارك الإلحاد، وهداية الناس والصبر على أذاهم، وأن يكون قدوة عظيمة، لا تحتمل مثقال ذرة من المساس بأخلاقيات النبوة، وأن هذا التقييم دقيق لأنه تم بمعايير الله سبحانه وليس بمعايير البشر، لأن الله مطلع على ظاهرهم وباطنهم، ولذلك اختارهم وعلى رأسهم أبيهم إبراهيم (عليه السلام)،⁽³⁾ والسلام على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

الخلاصة:

1. تفسير الأمتل يركز على الجانب العقدي والتربوي في قصة نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، ويظهر جهاده ضد عبادة الأصنام ومحاجة قومه بالمنطق والعقل، وكذلك يركز على قصته مع النمرود ورفضه الاستسلام، ويتكلم عن حادثة إلقاءه في النار، ويعدها رمزا للتوكل والصبر. كذلك وضّح قصته مع اسماعيل والذبح باعتباره ذروة الإمتنان الإلهي، ويعرض جهوده في بناء الكعبة.
2. مجمع البيان يهتم بالجانب الروائي، ويذكر قصة تحطيم الأصنام، ويورد مناظرتهم مع النمرود وقصة النار، ويذكر تفاصيل هجرته وزوجاته وبناء الكعبة.
3. الميزان يغلب عليه المنهج الفلسفي التحليلي، ويظهر البعد التوحيدي في المحاججات ويظهر الهدف من القصص القرآني، وهو المبدأ العقدي، ويناقش حادثة الذبح، ويربط بناء الكعبة مع القيادة الدينية والإمامة.
4. من هدي القآن يركز على الجانب الحركي الرسالي.
5. تفسير الصافي تفسير برواية أهل البيت ويبرز مقام الإمامة.

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج22، ص375-376

(2) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج40، ص345.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج22، ص376.

6. البرهان تفسيري روائي وينقل كثير من الروايات حول الإمامة، ويركز على دور ذريته في الامتداد الرسالي.
7. الفروقات الامتلى والميزان تحليل عقدي وفلسفي.
8. مجمع البيان جمع الروايات مع تفسير لغوي وبياني.
9. من هدي القرآن رؤيه حركية معاصرة لرسالة ابراهيم (عليه السلام) .
10. تفسير الصافي والبرهان تفسير قائم على روايات أهل البيت (عليهم السلام).

المطلب الثالث: موسى (عليه السلام) كليم الله:

أي قارىء للقرآن الكريم، نجد ذكر قصة موسى (عليه السلام) متكرراً كثيراً، فهي قصة غنية جداً بالعبر، ولها أكثر من محور، وكل محور في غاية الأهمية والخصوصية، السبب في ذلك شدة عناد قوم سيدنا موسى (عليه السلام)، والطبيعة القاسية لقلوبهم، والمشاكل الأخلاقية التي كانوا يعانون منها، فكل مشاكل قوم سيدنا موسى (عليه السلام) هي من المشاكل المجتمعية، أي المشاكل التي تعانيها المجتمعات البشرية دائماً، ولكن نجدها متجلية بوضوح وقسوة في قوم سيدنا موسى (عليه السلام)، لذلك، ذكرت كثيراً في القرآن الكريم حتى تكون عبرة لكل قارئ، ولكل باحث يريد أن يخرج من القرآن الكريم ما يصلح المجتمع ويبنيه. لذا، كان الغرض التربوي في قصة سيدنا موسى (عليه السلام) هو الأهم والأشد وضوحاً، خاصة بعد كل مشكلة يتعرض لها هؤلاء القوم بسبب تركهم طاعة الله سبحانه والسير في المعاصي. كما يمكن القول إن سبباً رئيسياً في ذكر قصة سيدنا موسى (عليه السلام) وتكرارها هو أنها تخص سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأن القرآن نزل لنا نحن البشر، ولكنه يحتوي على الكثير من الأغراض التي تهم وتخص نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، إن الله عز وجل جعل قصة موسى (عليه السلام) تسلية وسلوى وتخفيفاً لنبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، لكي يشعر بالرضا والاطمئنان بعد ما تعرض له من ضغوطات وصد من قومه وأذى.

ومما يميز موسى (عليه السلام) ويخصه عن أنبياء زمانه، مثل هارون وشعيب (عليهما السلام)، أنه أولاً وقبل كل شيء من أولي العزم، وهم لم يكونوا من أولي العزم. كما أنه صاحب رسالة وكتاب سماوي، وقد اختاره الله سبحانه للتكليم، وجعله كليماً، وأيده بمعجزات عظيمة، ونصره على فرعون، وأعطاه تسع آيات في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا⁽¹⁾، وهذه الآيات كانت له معاجز ضد فرعون وجبروته، وكانت عوناً له في دعوته، وهي: اليد، والعصا، والطوفان، والقمل، والضفادع، والدم، ونقص الثمرات، والجراد، والقرحة، وشق البحر له. إضافة إلى أن الله وهبه قوة

(1) سورة الإسراء، آية 101.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولي العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل

بدنية لم تكن لهارون وشعيب، ونصره الله في مقابل السحرة. طبعاً، كل هذه الخصائص والامتيازات لمعونته على أداء رسالته، ولأنه نبي مستحق لما فيه من ميزات أخلاقية عظيمة، من أهمها تواضعه العظيم الذي يتصف به من تواضع وتذلل لله عز وجل، وهي التي جعلت منه الكليم.

يصل البحث في صفات الأنبياء أولي العزم إلى صفات النبي موسى (عليه السلام)، الذي كابد أشد وأقسى، وأعتى قوم في نفوسهم وهم اليهود، ومحنته معهم، على الرغم من أنها زمنياً أقل بكثير من محنة سيدنا نوح (عليه السلام) التي دامت مئات السنين، إلا أن قسوة قلوب قومه زادت في محنته، وجعلتها كأثقال مائة السنين، ونحن هنا لسنا بصدد المفاضلة بين محنة نبي ونبي، فكلهم (عليهم السلام) عانوا الأمرين وأقسى الظروف والألم من أقوامهم، ولكن الناحية المؤلمة في قوم موسى (عليه السلام) هو هذا التردد وهذا العناد، وهذا الإلحاح على الله سبحانه رغم كثرة المعاجز وعظمتها، حتى أن معاناته مع فرعون مدعي الألوهية، كانت أهون عليه من صدود قومه، رغم أنه أتاهم بالمعجزة تلو المعجزة، فهؤلاء الذين تجرّعوا ذلّ العبودية عند فرعون، ما أن نجوا حتى انقلبوا على نبيهم، رغم أنهم كانوا يعانون ظلم التصفية والقتل والإستعباد، أصبحوا هم قتلة الأنبياء، وأكثر الأقوام جرأة على الله ورسله، حتى صار اسمهم في التاريخ قتلة الأنبياء.

وقد وصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) موسى (عليه السلام) قال: "ثم صعدا إلى السماء السادسة وإذا فيها رجل آدم طويل كأنه من شبوة وسمعة يقول يزعم بنو اسرائيل أنني أكرم ولد آدم (عليه السلام) وهذا رجل أكرم على الله مني فقلت من هذا يا جبرائيل فقال هذا أخوك موسى بن عمران، سلمت عليه وسلم عليّ واستغفرت له واستغفر لي وإذا فيها من الملائكة الخشوع ما في السماوات".⁽¹⁾

وقد ذكر موسى (عليه السلام) في سورة البقرة حوالي أربع عشرة مرة، ذكراً مقروناً بقصص قومه، وقصصه معهم في معاناته مع هدايتهم، إذ ركزت الآيات على قصص قومه وعنادهم، وعلى قصة البقرة، ولم يفرد المفسر في الأمتل خلال ذكره لموسى (عليه السلام) أي شيء يخصه سوى الإشارة إلى كونه نبي يعاني مع قومه أشدّ المعاناة، والمكابدة لهدايتهم إلى التوحيد، والى الشريعة الحقة ليصلح حالهم فيما بينهم وبين الله سبحانه، وفيما بينهم وبين أنفسهم.

وفي كل مرة وبعد كل المعجزة يلقي منهم أشدّ المعاندة والصدّ، ولم يتحدث المفسر عن هذه النبوة وعن موسى (عليه السلام) سوى ذكراً في مقابل ما يحدث بينه وبين قومه، ولكنه سمى قيادة موسى خلال نبوته بالقيادة الحكيمة،⁽²⁾ وذلك خلال ذكره لقضية نجاتهم من فرعون وجنوده، حتى نقلهم من واقع مغرق في المأساوية إلى واقع بقمة القوة والعظمة، ففي الآية (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا

(1) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج2، ص 9.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 3، ص 51.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولي العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ... (1)، وقد ذكر الله عز وجل بعض الرسل ممن كلمهم الله، فأشار إلى سيدنا موسى (عليه السلام)، فقال المفسر: "هذه إشارة إلى بعض فضائل الأنبياء، وواضح أن المقصود بالآية موسى المعروف باسم كلیم الله، كما في الآية 164 من سورة النساء تقول عنه (...وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)". (2)

لم يسهب المفسر صاحب الأمتل في هذا الوصف لموسى (عليه السلام) بالكلیم، سوى أنه رد الرأي الذي يقول أنه من الممكن أن يكون المقصود بالكلیم نبي الرحمة المصطفى (عليه السلام)، ولسنا بصدد التوسع في هذه الأمور، والتنبيه إلى أن المقصود بالتكليم هو موسى (عليه السلام). أما في تفسير الميزان أكد على أن التكليم خاص بموسى (عليه السلام)، إذ قال: "وموسى أوتي التكليم، وهو وحي نبوي" (3).

بالعودة إلى ما ذكره الأمتل عن الوحي بين الله ورسوله، ذكر الآيات (163 و 164) في سورة النساء شارحاً التخاطب بين الله وأنبيائه أنه كان وحيًا، بأنبياء ذكرهم الله لرسوله وأنبياء لم يذكرهم، ولكنه خصص موسى (عليه السلام) بميزة لم تكن لغيره من الأنبياء وهي أنه كلمه، فقال: "وتبين هذه الآية في آخرها قضية مهمة جدا وهي أن الله قد كلم موسى بدل أن ينزل عليه الوحي فتقول وكلم الله موسى تكليماً" (4) وقد ذكر مرة أخرى هذا التخاطب، ووصفه بأنه صوتاً وكان يسمعه موسى (عليه السلام) مرة من الشجرة في الوادي الأيمن، ومرة في جبل طور، وقد أوضح أن أفراد موسى (عليه السلام) في أواخر الآيات هو لبيان ميزة عظيمة تدل على عظمة مكانة موسى (عليه السلام). (5)

وموسى (عليه السلام) هو من الأنبياء أولي العزم صاحب رسالة كبرى وشريعة تامة، واختباراته إبتداء من مولده الذي تم في أجواء من الخوف، ومحنة إلقائه في اليم، ونشأته في بيت فرعون مدعي الألوهية، إلى ابتلائه مع الذي استنصره من قومه، وقتله لعدو الله، ثم هروبه إلى مدين، وقصته مع سيدنا شعيب (عليه السلام) وزواجه من ابنته، ثم العودة إلى مصر، وما جرى من صراع بينه وبين فرعون، وهروبه من فرعون وجنوده، وشق البحر ثم نجاته مع قومه، لتشتد عليه المحن في صدود قومه مرة بعد مرة حتى أذاقوه مرّ العذاب، ورغم ذلك لم يهملهم، ولم ينسه ذلك إخلاصه في العبادة لربه سبحانه، ومع كل ما عناه كان يزداد تعلقاً بربه، ومع كل صدّ يزداد إخلاصاً لخالفه عزوجل، وإخلاصاً لأتباعه في دعوتهم، حتى أن الإمام الكاظم (عليه السلام) ذكر أن سبب تخصيصه بكلام من الله، فقال: "أوحى الله عز وجل إلى موسى أتدري لماذا لما اصطفتيك

(1) سورة البقرة، الآية 253.

(2) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 64.

(3) تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج 5، ص 99.

(4) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 314.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 317.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولي العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل .

بكلامي دون خلقي، فقال موسى: لا يا رب، فقال الله أني قلبت عبادي ظهرا لبطن فلم أجد منهم أدلّ لي منك نفساً، يا موسى أنك إذا صليت وضعت خديك على التراب"،⁽¹⁾ وفي زهد موسى (عليه السلام) قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصفه: "وَأَنَّ شَيْئاً ثَبِتَ بِمُوسَى كَلِيمَ اللَّهِ إِذْ يَقُولُ: (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) (24)"⁽²⁾، فوالله ما سأله إلا خبزاً يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض وقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه بهذا والله وتشذب بلحمه"⁽³⁾.

وقد ذكر صاحب الأمتل موسى في هذه الآية من سورة المائدة (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (20))، أنه هو النبي الذي يذكر قومه بفضائل الله عليهم، موضحاً أنه جعل هداة ومرشدين وقادة روحيين هم الأنبياء، وجعلهم مالكي أمورهم، أصحاب إرادة كالملوك، بعد أن كانوا عبيداً أذلاء، وأعطاهم من النعم والبركات نعماً لم ينالها أي قوم معهم ولا قبلهم، كنجاتهم من فرعون، وشق البحر لهم في معجزة عظيمة، وكيف منّ عليهم بأطيب الطعام (المنّ والسلوى)، وانقلاب حالهم بكل العز.⁽⁴⁾

أما في تفسير الميزان، فقد تحدث المفسّر عن هذه البركات الثلاث العظيمة بحديث مشابه لما جاء في الأمتل، مع استفاضة أوسع قليلاً في إيضاح هذه البركات، وربطها بمجرد ذكر أنها كانت على عهد موسى (عليه السلام)، دون إبداء دور لموسى فيها،⁽⁵⁾ في حين أقرّد صاحب الأمتل لموسى (عليه السلام) صفة البركة زيادة على كونه نبياً مرسلاً من الله سبحانه، فهو بركة، وبركة وجوده عمّت على قومه بأفضل وأعظم الخير، منها النجاة من ظلم فرعون وقهره والانتصار عليه، وانفلاق البحر له بعد أن كانوا أذلاء صاروا ملوكاً وسلاطين وأغنياء، وصارت أمورهم ملكاً بأيديهم، فقال المفسّر: "وقد أنقذهم الله من كل تلك القيود ببركة النبي موسى ابن عمران (عليه السلام) وملكهم مصائرهم ومقدراتهم"⁽⁶⁾.

وفي شريعة موسى (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَقْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (154)﴾⁽⁷⁾، وقد دلّل المفسّر في الأمتل بأنّ شريعة موسى (عليه السلام) هي شريعة منزّلة من الله سبحانه وتعالى، تعاليمها وأحكامها كاملة، وهذا ما جعله من أولي العزم، وهي تامة صالحة للعصر الذي جاءت به، والقوم الذين نزلت عليهم، لأنه حاشى الله سبحانه وتعالى أن ينزل شرعاً ناقصاً، ولكن أكمل المفسّر فيما بعد أن ما كان

(1) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج 1، ص 101، باب 50.

(2) سورة القصص، الآية 24.

(3) نهج البلاغة، الشريف الرضي، خطبة 160.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 6، ص 440-403.

(5) ينظر تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطبطبائي، ج 5، ص 207-208.

(6) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 6، ص 402.

(7) سورة الأنعام، الآية 154.

صالحاً لعصر موسى (عليه السلام) ولقومه ربما لن يكون كذلك للعصور التي جاءت بعد ذلك، ولهذا جاء سبحانه بنبوته عيسى (عليه السلام)، ومن ثم بنبوته الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)، والتي كان بها تمام الدين والشرع.⁽¹⁾

وقد واجه موسى (عليه السلام) السحرة في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (113) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (114) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَن تُلْقِي وَإِنَّمَا أَن نَكُونُ نَحْنُ الْمُتَّقِينَ (115) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْفَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَّهُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ (116) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا أَفَادَا هِيَ تُلْقِي مَا يَأْفِكُونَ (117) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (118) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (119) وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (120) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (122)﴾⁽²⁾، موسى (عليه السلام) النبي المعصوم، صاحب الكتاب والشريعة في موقف التحدي أمام السحرة، وصفه المفسر في الأمتل أجمل وصف فقال: "موسى بمنتهى الثقة والإطمئنان، بل اشرعوا أنتم يعني قال: ألقوا"⁽³⁾، وليس من المستغرب أبداً أن يكون النبي متصفاً بالثقة العظيمة واليقين المطلق المؤدي به إلى الإطمئنان، أن ربه معه، ولن يدعه، وسوف ينصره، وهذا لكمال شخصه وتمام عقله ويقينه، ومعرفته أن الله سبحانه الذي أرسله لإتمام رسالة، وإيصال مضمونها إلى العباد، لا بد وأن سيؤيده بكل السبل لإنجاح المهمة، وهذا في حقيقته يدل على علمه الراسخ بربه، وبأحوال العباد، وهذا العمل الرسالي أيضاً المقصود به فرعون وقوم فرعون، لأنهم أهم أسس الشرك والضلال، كونه مدعياً للألوهية وخلفه قومه الذين يصدقون به، وأيضاً هذه الثقة بحقيقة السحرة، وعملهم الباطل، وأن فشلهم متحقق لكونهم لم ولن يصلوا إلى عظمة المعجزات الصادرة عن رب العزة، ولكنها بمقابل هذا العلم وهذا اليقين والثقة، ذكر الله سبحانه وتعالى شيئاً عن خوف موسى (عليه السلام) فقال: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾⁽⁴⁾، ما هو هذا الخوف؟ وهل يصح أن يخاف النبي؟ أجاب صاحب الأمتل أن هذا الخوف هو الصحيح، فهذا نبي عالم بالطبيعة البسيطة الجاهلة في عوام الناس وبسطائهم، ويعلم تأثرهم بهيبة الملوك، وتدليس الشعوذة والسحر، وأن هذا الخوف رده إلى خشيته على القوم العامة من تأثرهم بالسحر، وتأثيره عليهم كي لا يفسد عقائدهم، ويجعلهم في عناد يصعب فيه إعادتهم إلى جادة الصواب.⁽⁵⁾ وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) خوف موسى فقال: "لم يوجس موسى خيفة على نفسه، بل اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال".⁽⁶⁾

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 7، ص 218.

(2) سورة الأعراف، الآية 113-122.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 8، ص 378.

(4) سورة طه، الآية 67.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 123-133.

(6) النهج البلاغة، الشريف الرضي، الخطبة الرابعة، ص 39.

أما صاحب الميزان فقد وصف هذه الخيفة التي خطرت على قلب موسى (عليه السلام)، أنها كانت مجرد احساس خطر في لحظته، وشبهها بالخاطر الذي يطراً على القلب، دون أن يكون له أثر، وناقش ما قيل حول هذا الخوف بأنه خاف على الناس من تأثير السحر عليهم، وأنه خاف أن يتفرقوا قبل أن يروا معجزته، وردّ هذه المقولات بأن موسى (عليه السلام) كان على يقين من نصره بوعده ربه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿...أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمْ الْغَالِبُونَ (35)﴾⁽¹⁾، ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68)﴾⁽²⁾.⁽³⁾

وقد ثبت لفرعون وقومه بعد وقوع العذاب فيهم، وتحقق معجزات موسى (عليه السلام) أنه هو الملجأ لهم، فيما بينه وبين ربه من عهد واستجابة، نجد هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِئِن كُشِفَتْ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134)﴾⁽⁴⁾، قال المفسر الشيرازي عنها: "أنهم عند نزول البلاء يلجؤون إلى موسى ويطلبون منه أن يدعوا ربه لرفع العذاب عنه وأن يفي الله له بما وعده من استجابة الدعاء".⁽⁵⁾

وقد عُرف موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم بأنه ممن يلجأ إلى الله سبحانه في كل تفاصيل حياته الصغيرة والكبيرة، فعند خروجه من المدينة بعد قتله القبطي في القرآن الكريم قال: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21)﴾⁽⁶⁾، وعندما قصد إلى مدين وهو لم يسافر إليها سابقاً، ولا يعرفها قال: ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (22)﴾⁽⁷⁾، وصدّقه ربه أن أغناه في قصده وردّه نبياً، وعندما أحس بالفقر والتعسير فجلس في ظل الشجرة ونادى ربه: ﴿... فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24)﴾⁽⁸⁾.

وقد غَضِبَ موسى (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140)﴾⁽⁹⁾، وأنكر أشد الإنكار فعل قومه في البحث عن إله آخر، لأنه حكيم عاقل، وهذا الغضب لله فعل الحكيم العاقل، وعليه دلّ الله سبحانه صراحة في عظيم صفات موسى (عليه السلام) في سورة طه عندما قال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا... (10)﴾، الغضب بشكل عام ليس صفة ذم لما يقسم علماء الأخلاق، النفس يقولون قوة النفس الشهوانية والقوة الغضبية والقوة العقلية، فلا بد للإنسان أن يغضب للحق ولكن بشرط أن تكون القوة العاقلة هي المسيطرة، نعم

(1) سورة القصص، الآية 35.

(2) سورة طه، الآية 68.

(3) ينظر تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج 14، ص 402-403.

(4) سورة الأعراف، الآية 134.

(5) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 8، ص 399.

(6) سورة القصص، الآية 21.

(7) سورة القصص، الآية 22.

(8) سورة القصص، الآية 24.

(9) سورة الأعراف، الآية 140.

(10) سورة طه، الآية 86.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل .

تتحول إلى ذم إذا حرقت القوة الغضبية العقل لصالحتها،⁽¹⁾ والغضب لله سبحانه، فإنه أجمل صفات العبد المخلص، وغضب الأنبياء لله سبحانه لا يُخرج من العقل والحكمة، بل على العكس يضعهم في لب الإنسجام ضمن حالة العبودية لله سبحانه، وفي سورة الأعراف الآيات موضع الذكر، نجد موسى (عليه السلام) شرع في تذكير قومه بعد أن نبههم إلى أن فعلهم فعل جهالة، وراح يذكرهم في فضائل الله عليهم، وكيف نجاهم من فرعون وأفعاله بهم، وفي ردة فعله تجاه عبادة العجل كيف قام ببرد العجل حتى صار برادة ناعمة، ثم ذراه في البحر حتى لا يبقى له أثر، قوله تعالى: ﴿... نُحَرِّقْنَهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (97)⁽²⁾، وحققةً في فعله شديد الغضب، حتى لم يقبل أن تبقى ولا قطعة كبيرة من الصنم، إنما بردة حتى صار كالغبار، لأنه يعلم أن بقي فيه قطعة كبيرة سيعمد لها الجهال ويتبركون بها، ومما يدل أيضاً على غضب موسى (عليه السلام) أنه حينما عاد من ميقات ربه ووجد قومه يعبدون العجل، صدم صدمة شديدة، ورغم أنه كان يحمل الألواح التي جاء بها (وَأَلْقَى الْأَلْوَا حَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ...)⁽³⁾، وهذه الألواح عظيمة جداً، ففيها كل ما أوحى الله سبحانه لموسى (عليه السلام) من العلم والحكمة ﴿وَكُنْتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَا حِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾⁽⁴⁾، وفوق إلقاء الألواح أمسك رأس أخيه هارون النبي (عليه السلام) عظيم القدر، والذي كان خليفة له في قومه، وجرّه بعنف إليه في ردة فعل عنيفة تدلّ على عظمة هذا الذنب من قوم موسى، وعن هذا الغضب قال المفسر في الأمتل: "فهنا لا بد أن يظهر موسى (عليه السلام) غضبه الشديد، ويقوم بالحد الأعلى من ردة الفعل، والسخط كي يوقظ الأفكار المخدرة لدى بني إسرائيل، ويوجد إنقلاباً في ذلك المجتمع الذي أعرض عن الحق"⁽⁵⁾.

ودليل أنّ الغضب للحق عبادة نجده في قصة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، أنه في بعض حروبه صرع عمر بن ود، وأراد أن يقتله فجلس على صدره ليحتز رأسه، فبصق عمر في وجهه الكريم، فقام عنه مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) وتركه، فلما سئل عن سبب قيامه وتركه بعد أن تمكن منه، قال: "أنه بصق في وجهي فاغتظت منه فخفت أن أقتله، وخفت أن يكون قتله للغضب والغیظ، وما كنت أحب أن اقتله إلا خالصاً لوجه الله تعالى"،⁽⁶⁾ ويتابع المفسر في الأمتل أنّ لردة

(1) ينظر جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، توفي 1209 هـ، ط4، ج1، ص51-52، تحقيق العلامة السيد محمد كلانتر.

(2) سورة طه، الآية 97.

(3) سورة الأعراف، الآية 150.

(4) سورة الأعراف، الآية 145.

(5) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 8، ص 432.

(6) موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ، الشيخ محمد الريشهري، بمساعدة محمد كاظم الطبطبائي-

محمود الطبطبائي، مؤسسة دار الحديث الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1420 هـ- 2000م، بيروت-لبنان، ج 9، ص155.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولي العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل

الفعل هذه أثرها في تصحيح مسار قوم موسى (عليه السلام)، فقال: "أنّ ردة فعله الشديدة هذه، وإظهار الغضب هذا كان له أثر تربوي بالغ في بني إسرائيل، فقد قلب المشهد رأساً على عقب".⁽¹⁾

ولأنّ موسى (عليه السلام) نبي عظيم شديد التعلق بالله، والعودة لله مجرد أن هدأ غضبه قليلاً بعد استرحام أخيه له، عاد إلى ربه لا لذنب اقترفه، إنما وجد حاله من الإضطراب العظيم لقيح فعل قومه، وردة فعله، هو لم يجد سوى الله سبحانه ليعود إليه خاضعاً نافرماً من قومه وفعله، مستجيراً بالله يطلب الرحمة والمغفرة لنفسه وأخيه.⁽²⁾

وتدلنا الآية ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيمَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِيَّايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ (155)⁽³⁾ بصريح عبارتها على الرحمة العظيمة التي كان يحملها سيدنا موسى (عليه السلام) في نفسه العظيمة، حتى بمن يخطئ من قومه فكيف بالمصلح منهم، فعند ذهاب موسى (عليه السلام) مع السبعين من علماء قومه وطلبهم من الله سبحانه رؤيته، وهذا محال فسبحانه لا يرى، وعندما أهلكتهم الرجفة وأفاق موسى (عليه السلام) من الصعقة، جأر إلى ربه طالباً الرحمة والمغفرة لنفسه، وللسبعين من قومه، وحقيقة هذه الآية دلالة على حكمة موسى ورحمته وإيابه إلى الله سبحانه، وراح يقدم العذر ويعظم الخالق ورحمته، وكان له الإستجابة من الله سبحانه.⁽⁴⁾

وفي منطلق موسى (عليه السلام)، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾⁽⁵⁾، أشار المفسر في الأمتل إلى قضية أنّ السلطان المبين هو المنطق المحكم، الذي لا يترك للأخر مفرّ ويحصره في زاوية محكمة الجوانب، بحيث لا يستطيع الهرب، وحقيقة أنّ النبي موسى (عليه السلام) يملك هذا المنطق أمر لا جدل فيه، فهو نبي من أولي العزم صاحب شريعة مرسل إلى قوم، يتسلط عليهم ملك مدعي الألوهية، لديه حاشية وعنده ملك وقوة، وهذا حاله غير حال الأقوام البسطاء، وصحيح أن موسى (عليه السلام) كان مؤيداً بالمعجزات الخارقة، لكن وحدها لا تكفي في دحض حجج الأعداء، لذلك وجب أن يكون صاحب منطق لا يتفوق عليه أحد في أي نقاش أو جدال، والمؤكد أنّ الأنبياء (عليهم السلام) جميعاً يملكون هذا المنطق المحكم حتى لو كانوا مرسلين إلى أقوام بسطاء، فليس من المعقول أن يقفوا عند أي مسألة تُعرض لهم فكيف بنبي مرسل إلى قوم كقوم فرعون، وعليهم جبار متسلط بكافة أشكال القوة،⁽⁶⁾ أمّا صاحب الميزان فقد حمل معنى السلطان

(1) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 2، ص 433.

(2) ينظر المصدر السابق، ج 8، ص 434.

(3) سورة الأعراف، الآية 155.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 8، ص 441-440.

(5) سورة هود، الآية 96.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 141-142.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

المبين على منحيين، أولهما الدليل والبرهان القاطع الذي يجبر العقول على الفهم، وثانيهما أن الله سبحانه مكنه من تفاصيل مجريات الأحداث بينه وبين فرعون، وهذا أيضاً جاء في معنى الآية: (قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى) (68)، (1). (2)

وفي شرح الآيات (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (5)، (3)، نبه المفسر في الأمتل إلى أن دعوة الرسل دائماً تكون إلى النور المتمثل بالخير المتحصل في طاعة الله والإنقياد له، وأشار أيضاً إلى موسى أنه أحد القادة الروحانيين، وعلى ضوء الشرح نجد موسى هو أحد الرسل، والقادة الروحانيين المأمورين بقيادة الناس إلى البركات المتحصلة من الإيمان في الدنيا والآخرة. (4)

وفي سورة الكهف قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61)..... فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (65)، (5)، قصة موسى والخضر (عليهما السلام)، أوحى الله سبحانه إلى موسى، ياموسى إن هناك عبداً من عبادي عنده من العلوم والمعارف ما ليس عندك، فانطلق حتى تبلغ مجمع بحرين تفتقد فيه حوتك فقرر موسى (عليه السلام) أن يلتقي بهذا العالم وأخذ معه وصيه يوشع بن نون، والذي سمّاه الله سبحانه فتاه، (6) الخضر (عليه السلام) نبي، الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "كان الخضر (عليه السلام) نبياً مرسلأ، بعثه الله تبارك وتعالى إلى قومه، قد دعاهم إلى توحيده والإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه، وكانت آيته أنه إذا جلس على خشبة يابسة أو أرض بيضاء، تزه خضرة"، وفي رواية أخرى حديث الإمام الرضا (عليه السلام): "أن الخضر شرب من ماء الحياة، فهو حي لا يموت حتى يُنفخ في الصور". (7)

وفي لقاء موسى (عليه السلام) وفتاه يوشع بن نون بحسب الروايات حين كانا في طريق سفر، بحب قل الإمام الباقر (عليه السلام): "كان وصي موسى (عليه السلام) هو يوشع بن نون وهو فتاه الذي ذكره في كتابه". (8)

وقد أورد المفسر في معالجه التفسيرية لهذه القصة صفات عدة لسيدنا موسى (عليه السلام)، أولها حبه للعلم، وللوصول للمعرفة (قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ

(1) سورة طه ، الآية 68.

(2) ينظر تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطبطبائي، ج10، ص575.

(3) سورة ابراهيم ، الآية 5.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 12 ص 424.

(5) سورة الكهف، الآيات 60-65.

(6) ينظر تفسير الميزان، الطبطبائي، ج13، ص 183.

(7) ميزان الحكمة للريشهري، ج4، ص 3104.

(8) المصدر السابق نفسه.

أمرًا (69) (1)، وأن يحقق تكامله المعرفي في معرفة كل شيء وصبره في طلب العلم والمثابرة والجهد في سبيل هذه الغاية العظيمة، وقد أشار المفسر إلى مثابرتة في طلب ما يريد عند تفسير كلمة حقبة بالفترة الطويلة في طلب ما أراد وسعيه، (2) وفي متابعتة لمعالجة تفاصيل قصته مع المعلم، أشار المفسر إلى أدب موسى (عليه السلام) الشديد في طلب العلم، وفي التعامل مع معلمه، فقال: "حيث قال موسى للرجل العالم باستفهام وأدب كبير". (3)

وقد أظهر حرصه على طلب العلم وحبه، لكن ليس للعلم بحد ذاته إنما ليكون هذا العلم وسيلة للهداية والرشاد، وانصلاح الحال، وأن السعي في طلب هذا العلم واجب ومدعاة للفخر والعزة، (4) وهنا المفسر الشيرازي أشار إلى أدب موسى الشديد في ترغيب معلمه لتعليمه، وأدبه أيضاً تجاه ربه، إذ قال (..سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا)، (5) وقد تعهد الأدب في كل التصرفات مما يدل على تأصل هذه الصفة في شخصية موسى النبي (عليه السلام) مع العباد، ومع الله، فهو نبي قدوة لغيره وقائداً، وبعد أن ركب موسى (عليه السلام) السفينة مع الخضر (عليه السلام) وبدأت رحلتها، وعند كل مفصل في هذه الرحلة ابتداء من خرق السفينة إلى قتل الغلام، وحتى بناء الجدار، لم يتمكن موسى (عليه السلام) من أن ينسى صفاته النبوية التي أرغمته في كل مرة على الخروج من عهده، وسؤال معلمه عن أسباب فعله حتى وصلت القصة إلى الفراق، ورغم أن موسى (عليه السلام) نبي من أولي العزم لم يتمكن من ضبط أعصابه لمعرفة أسرارها، ومعرفة الأمور التي جاء بها الخضر (عليه السلام) لعظيم سرّها، ولأنّها بدأت بمقدمات مخالفة للمنطق العقلاني.

وقد أشار صاحب الميزان إلى أدب موسى (عليه السلام) في هذه القصة، فقال: "قد أتى موسى (عليه السلام) من الخلق والأدب البارح الحر الحريب المتعلم المستفيد قبيل الخضر على ما تحكيه هذه الآيات بأمر عجيب، وهو كليم موسى ابن عمران الرسول النبي أحد أولي العزم صاحب التوراة فكلامه موضوع على التواضع من أوله إلى آخره". (6)

وقد تابع صاحب الميزان في تفصيل هذا الأدب كيف أن موسى سأل العلم بطريقة مهذبة استفهامية وليست أمرية، وعلى أنّه تابع له، وأنّ علمه كله رشد، وهداية، وخير، وختم معه أنّك ستجدني إن شاء الله صابراً. (7)

(1) سورة الكهف، الآية 69.

(2) ينظر التفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 485-486.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14 ص 488.

(4) ينظر المصدر السابق نفسه.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 489.

(6) تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج 13، ص 235.

(7) ينظر المصدر السابق نفسه.

وفي سورة مريم المباركة والتي قال فيها الباري عزوجل في الآيات ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (52) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53)﴾، وفي هذه الآيات تحدث المفسر في الأمتل بكل وضوح وأفرد عددها بالأرقام، وأن النبي موسى (عليه السلام) قد وهبه الله تعالى خمس هدايا وعطايا، كرامة لفضله ودعماً لدوره في هداية قومه، وأنه حصل أولها بفضل طاعته وتوفاه، وانقياده للحق في كل أمره، ولذلك قال عنه أنه مخلص، أي منتقى بعناية ومحفوظ ومُصان من كل المعاييب والمساوئ، وأن الشيطان ليس له سلطان عليه، وهذا في القرآن الكريم قد ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾⁽¹⁾.

إضافة إلى حقيقة كونه رسولاً ونبيّاً مخلصاً على عاتقه تبليغ رسالة من الله إلى قومه، وأنه فوق الرسالة هو صاحب فضل، وفصل صاحب الأمتل في الفرق بين النبي والرسول، وأن الرسول صاحب الرسالة، والنبي يتلقى الوحي ويلتزم ما يؤمر هو إلا في حال سألته أحد، وأن النبي هو عالي المقام، وأنه أيضاً وقع عليه النداء من الله سبحانه إذ جعله مقرباً منه بالمناجاة، والكلام الخاص من الله سبحانه، ونبه أن النداء موهبة، وكلام الله سبحانه أيضاً موهبة أخرى غير النداء، وأيضاً شدّ أزره بأخيه الحبيب المقرب، عوناً ودعماً له في رسالته ودعوته، إستجابة لدعوة موسى إليه السلام ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي﴾⁽²⁾.⁽³⁾

ومعظم الآيات في سورة طه تناقش قصة سيدنا موسى (عليه السلام)، ففي الآية ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10)﴾⁽⁴⁾، تظهر هذه الآية الحب الكبير والحنان الذي اتصف فيه موسى (عليه السلام) في حرصه على أسرته، زوجته وابنه لكي يدفئهم⁽⁵⁾، وأكمل الشيخ الشيرازي الحديث عن العشق العميق الذي يحمله موسى (عليه السلام) لمعشوقه الأول والأعظم رب العزة سبحانه وتعالى، إذ قال: "وقد هام موسى لدى سماعه هذا النداء المحيي للروح: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ...﴾"⁽⁶⁾.⁽⁷⁾

وفي متابعة المفسر في توضيح أسباب هذا الفيض العظيم من المشاعر، الذي اعتري موسى (عليه السلام) لحظة سماع نداء رب العزة، والذي تفضل على موسى بالإصطفاء والانتقاء، وتابعها بالرعاية، وأكرمه بعظيم الأخلاق، وأجل الصفات، والآيات، وأرسله بالرسالة، ونصره على

(1) سورة ص، الآية 82-83.

(2) سورة طه، الآية 29-30.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 51 - 52.

(4) سورة طه، الآية 10.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 95.

(6) سورة طه، الآية 12.

(7) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 95.

أعدائه، واصطفاه لكلامه وندائه، ومن ثم هذا الله سبحانه الذي نادى بصوته، والهيام من نبيه موسى أمر طبيعى جدا في هذه الحالة، فأبى منا تصيبه لوعة العشق إذا سمع صوت حبيبه، فكيف بالنبى وقد سمع صوت رب العزة سبحانه.

في الحديث عن خوف موسى (عليه السلام)، أسهب صاحب الميزان في شرحه في سورة النمل ﴿وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10)﴾⁽¹⁾، فقال: "وقوله ﴿لَا تَخَفْ﴾ نهي مطلق يؤمنه عن كل سوء مما يخاف منه ما دام في حضرة القوي، والمشافهة أي المعنى لا تخف من شيء أنك مرسل، والمرسلون هم لدي في مقام القرب في مقام الأمن ولا خوف مع الأمن".⁽²⁾ وعاد أيضاً وشرحه في سورة القصص ﴿وَأَنْ أَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ﴾⁽³⁾، وقال: "وأنة تأمين معناه أنك مرسل، والمرسلون آمنون لدي وليس من العتاب والتوبيخ في شيء".⁽⁴⁾

ونجد في كلا الشرحين أن هذا الخوف الذي طرأ على موسى (عليه السلام) ليس الخوف المذموم، والخوف السيء النابع لا سمح الله من جبن أو تردد، وقد أكد على المعنى نفسه صاحب الأمتل إذ وضحه أنه خوف طبيعى يصيب أيّاً كان، وربما لم يستمر على موسى سوى لحظات استدعت منه أن ينفر من منظر الحية العظيمة، كما تدعو له الفطرة السليمة من النفر من كل خطر، وخاصة أن الحادثة التي أمامه مدهشة للعقل.⁽⁵⁾

وفي الآيات الآتية من سورة النمل، والتي تكمل شرح ما حدث مع ذلك النبي العظيم إذ دللت على أنه طلب من ربه أن يمده بصفات، وطاقات كبيرة للثبات في مهمته، أولها طلب أن يشرح الله له صدره، وعليها قال المفسر في الأمتل: "نعم إن أول رأس مال لقائد ثوري هو رحابه الصدر والصبر الطويل والصمود والثبات"،⁽⁶⁾ وقد أوردناها هنا رغم أنها هي في مرتبة الطلب من الله سبحانه، ولكن لندلل فيها على حكمة موسى (عليه السلام) بأنه يعرف ما يناسب القائد الثوري من صفات لتعينه في مهمته، مضاف إليه أن موسى (عليه السلام) مستجاب الدعوة، وسوف يأخذ ما طلب من الله سبحانه، إذا فموسى (عليه السلام) تحققت فيه هذه الصفات، من رحابة الصدر، والحلم، والرسوخ في مجابهة كل ما يعيق هدفه. ثم أكمل دعاؤه بالطلب من الله سبحانه ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنَ

(1) سورة النمل، الآية 10.

(2) تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج 15، ص 243.

(3) سورة القصص، الآية 31.

(4) تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج 16، ص 308.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 101.

(6) المصدر السابق، ص 105.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل .

لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) (1)، وقد أشار إليها صاحب الأمتل فقال: "إني أريد أن اتكلم بدرجة من الفصاحة والبلاغة والتعبير، بحيث يدرك أي سامع مرادي من الكلام جيداً". (2)

ومُضافاً إلى الصفات السابقة التي طلبها موسى (عليه السلام) من ربه، سأل الله سبحانه البلاغة، بكل يقين أصبح موسى (عليه السلام) جامع لكل هذه الصفات لنبوته، وللتحقيق الصادق من الله سبحانه فقال: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (36) (3).

وفوقها أعطاه الله سبحانه أخاه النبي هارون (عليه السلام)، وزيراً مساعداً له في مهمته أمام فرعون، وقد دَلَّ المفسّر في الأمتل على إخلاص موسى (عليه السلام) في سبب طلباته من ربه، لتكون هذه الأمور إخلاصاً منه في طاعته لمولاه وإتماماً لما طلبه منه، وحتى أننا نجد هذا العرض من الله سبحانه، مما جاء في نبيه موسى (عليه السلام) أنه يتحتم علينا حين الانطلاق بمشاريع مخصصة لله سبحانه أن نسأله المدد والعون والدعم، وأن نكون على أتم اليقين أنه سبحانه سيستجيب لنا أتم الاستجابة، وكل على قدر استحقاقه.

ومن صفات موسى (عليه السلام) أنه عند طفولته والأيام الأولى لولادته الميمونة، أنه كان مُجَلَّلاً بمحبة الله سبحانه، وأنه نشأ في رعاية الله وحمايته، وهذا الرداء من المحبة ألقاه الله سبحانه عليه، وملاً قلب زوجة فرعون بحبه منذ وجدته في النيل على ما ذكر المفسرون وقال له ﴿... وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (39) (4)، وهذا عين رعاية الله سبحانه، وفيها نشأ في بيت فرعون، وقد ظهرت هذه المحبة في قلب زوجة فرعون، حسب ما ذكر صاحب الميزان قائلاً: "قالت لما رأت في وجهه آثار الجلال وسيماء الجذب الإلهي"، (5) كما اتخذوه ولداً لهما بحسب الآيات، وبحسب ما ذكره صاحب الميزان ومعظم المفسرين أنهما لم يكن لهما الأولاد، وهكذا نشأ في بيت عدوه، على أفضل سبل الرعاية، والدلال، والمحبة، وفوقها أعاده الله سبحانه إلى أمه لكي لا تُحرم منه، ولا يُحرم منها.

كما جعله الله تعالى من أهل الحكمة والعلم، نجد ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (14) (6)، وقد وجد صاحب تفسير الأمتل أن الحكم والعلم صفتان مختلفتان، ولكل عمله واختصاصه، وإلا لما ذكرهما الله تعالى بالتفريق، وشرح الفرق بينهما بأن الحكم مرادف للحكمة، بما تحمله من معاني الفهم، والإستيعاب الدقيق، أو ربما هو القضاء العادل البعيد عن أهواء النفس، والعلم هو المعرفة الكاملة الخالية من أدنى مراتب الجهل،

(1) سورة طه، الآية 27.

(2) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 105.

(3) سورة طه، الآية 36.

(4) سورة طه، الآية 39.

(5) تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج 16، ص 294.

(6) سورة القصص، الآية 22.

واستعرض آراء المفسرين أيضاً في شرح هاتين الكلمتين أن لها ثلاثة احتمالات، أولها أن الحكم هو النبوة، والعلم هو علم الدين، وثانيها أن الحكم هو سوق النفس على طريق الحق، والعلم هو كل علوم الدنيا، وثالثها أن الحكم هو القبض على لجام النفس وسوقها للحق وعلى الحق، والعلم هو بركات أنوار القدس على قلب كل إنسان نقي.⁽¹⁾ أما بالنسبة إلى تنمة الآية (...وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) أن موسى (عليه السلام) استحق الحكمة والعلم، لأنه كان تقاه وطهارته، وصلاح حاله كان واضحاً، وهذا لم يكن من كونه نبياً، لأنه في وقتها لم يكن مبعوثاً بعد، إنما قصد المفسر أن الله وهب موسى (عليه السلام) سلامة بصيرة ونظرة فاحصة دقيقة لا تخطئ، مكنته من أن يكون قادراً على الفصل بين الحق والباطل.⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾⁽³⁾، بين صاحب الميزان في تفسيره لها أظهر من الشهامة والاندفاع لمساعدة الغير، وخاصة المستضعفين، إذ قال: "فبادر إلى ذلك وسقى لهما"⁽⁴⁾، وهذه المبادرة منه (عليه السلام) تتم عن كرم اخلاق وسخاء وشهامة وحنان، على كونهما امرأتين مستضعفتين ليس لهما قوة بمزاحمة الرجال، والمتابع لقصة موسى (عليه السلام) في سورة القصص في جميع القرآن الكريم يجد فيه صفة ملاصقة له في كل ما حصل معه، أنه (عليه السلام) كان يراقب نفسه بحذر ودقة في كل أعماله، وفي كل حركة يربط نفسه بالله عز وجل، فكل أعماله كان يربطها بالله عز وجل، حتى أعماله التي تخص حياته المادية وحاجاته البشرية، وكل همّه فيها رضا الله سبحانه، وجهاداً في سبيل الله سبحانه، فهو عندما وكز القبطي قال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾⁽⁵⁾، وعندما خرج من مصر وهو في حالة خوف وحذر ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ⁽⁶⁾، ولما سعى في طلب ربه ومعرفته قال: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْفَاءً مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾⁽⁷⁾، ولما أظهر شهامته في سقي بنات شعيب ولجأ إلى الفيء قال: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾⁽⁸⁾، وعندما أتم اتفاه مع سيدنا شعيب (عليه السلام) ونزوج ابنته قال: ﴿وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ﴾⁽⁹⁾،⁽¹⁰⁾ تعلق

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 226.

(2) ينظر المصدر السابق، ج 12، ص 195-196.

(3) سورة القصص، الآية 24.

(4) تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطبطبائي، ج 16، ص 302.

(5) سورة القصص، الآية 17.

(6) سورة القصص، الآية 21.

(7) سورة القصص، الآية 22.

(8) سورة القصص، الآية 24.

(9) سورة القصص، الآية 28.

(10) ينظر تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطبطبائي، ج 16، ص 330.

بالله ولا أجمل منه تعلق يشتهيهِ كل مؤمن، أن يقدر عليه، ويستطيعه بإخلاص تام لله جل في علاه أعاننا الله سبحانه، وكل من أحبَّ عليه.

وقد ظهر موسى النبي القوي البنية أيضاً في هذه الآية في موضعين، عندما وكز القبطي فأرداه قتيلاً، وموسى (عليه السلام) القوي الذي سقى للفتاتين، وموسى (عليه السلام) الأمين الذي وصفته ابنة شعيب في قولها ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (26)،⁽¹⁾ في تفسيرها تبين إحدى الصفتين وكزه للقبطي، وثانيهما أنه عندما سقى وحده، وعمد إلى دلو السقاية وملئه، وسقى الغنم وكان لا يقوى عليه سوى بضعة من الرجال، وأمانته ظهرت في عفته، بالتعامل مع بنات شعيب (عليه السلام) في تفسير القمي إذ قال: "قالت إحدى بنات شعيب يا أبي استأجره أن خير من استأجرت القوي الأمين، قال لها شعيب (عليه السلام) أما قوته فقد عرفته أنه يستقي الدلو وحده فيما عرفت أمانته؟ فقالت: أنه لما قال لي تأخري عني ودليني على الطريق، فإنا من قوم لا ننظر في أدبار النساء، عرفت أنه ليس من الذين ينظرون في اعجاز النساء فهذه أمانته".⁽²⁾

وفي التزامه بالعهد وكرمه، وأنه للخير أوفى، وبالكرم الأولى، عندما أبرم العقد مع شعيب النبي (عليه السلام) على أن يأجره ثمان حجج، وإن أتمها إلى عشر فهذا من كرمه، وموسى بحسب كل المفسرين والروايات أنه أتم العشر حجج في المجمع، روى الحسن بن سعيد عن صفوان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "فأي الأجلين قضى قال أوفاهما وأبعدهما عشر سنين".⁽³⁾

وقد كان موسى (عليه السلام) عند الله سبحانه وجيهاً، ففي الآية 69 من سورة الاحزاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ (69)، وذلك بسبب كثرة الأذى الذي حاول بنو اسرائيل أن يتسببوا به له في كل مسيرته، وقبلهم فرعون وقومه، ولكن بسبب طهارة موسى (عليه السلام) وعفته ونقاء روحه القلبي والفعلي، فإن الله حفظه، وطهره، وبرأه من كل ما قالوه، لأنه عند الله سبحانه ذو قيمة، ومكانة عالية مبدلة مكرمة.⁽⁴⁾

وفي قصه موسى (عليه السلام) حول الأذية الذي أذاها قومه له، أنها كثيرة، أحدها أن موسى (عليه السلام) عندما صعد الى الجبل مات أخوه هارون (عليه السلام)، واتهمته بنو اسرائيل بقتله، فأمر الله عز وجل الملائكة بحمل هارون (عليه السلام)، ومروا به على بني اسرائيل لكي يبرأه من تهمة القتل، ومنها أيضاً أن موسى (عليه السلام) كان كثير الخجل، وغيرها أن قارون استأجر امرأة مومسة لكي تتهم موسى بنفسها، فحفظه الله عز وجل من هذه التهمة، وأنهم

(1) سورة القصص، الآية 26.

(2) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، ج 4، ص 123.

(3) تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ج 7، ص 431.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 2، ص 437-438.

أيضاً اتهموه بأنه ساحر ومجنون و كذاب، بعدما رأوا المعجزات التي جاء بها، وهذا الكلام نزهه عنه الباري عز وجل كل التنزيه.⁽¹⁾

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾⁽²⁾،⁽²⁾، أورد صاحب الأمتل أن هناك آراء كثيرة للمفسرين حول معنى كلمة ﴿الضَّالِّينَ﴾، وأنه لا يجوز في حق نبي معصوم أي سابقة سوء، إنما فعل موسى (عليه السلام) كان دفاعاً عن مظلوم ضد ظالم، وأنه يقصد قتله، وأن كلمة ﴿الضَّالِّينَ﴾ هنا قصد بها موسى أي غافل عن أن هذه الضربة الخفيفة ستؤدي إلى موت القبطي، وقد مال المفسر إلى أن هناك احتمالاً أن موسى (عليه السلام) استخدم التورية في كلامه، دالاً أن ما فعله حق ولكن الذي أدى إليه لم يكن في الحساب،⁽³⁾ وفي تفسير ورد عن آل البيت (عليهم السلام) في سؤال المأمون: "جزاك الله خيراً يا أبا الحسن، فما معنى قول موسى لفرعون ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾، قال الرضا (عليه السلام): "أن فرعون قال لموسى (عليه السلام) لما أتى وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين، قال موسى فعلتها إذا وأنا من الضالين عن الطريق بوقوع إلى مدينة من مدائنك"،⁽⁴⁾ وهذا الخبر مهم جداً في أنه يطهر مقام موسى (عليه السلام)، من كل الذين قالوا بأنه من المحتمل أن يكون معناه بقتله لذلك القبط المصري من اتباع فرعون، بأنه هو كان على ضلالة والعياذ بالله، إنما المعنى في هذا أن الضلالة هنا هي تضييعه للطريق وليس الضلالة بالمعنى الروحي حاشاه، فموسى (عليه السلام) كلیم الله، وهو أجل من أن يضل أو ينسى، وهو نبي من أولي العزم معصوم.

وفي سورة الصافات: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ (119) سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (120)⁽⁵⁾،⁽⁵⁾، الله سبحانه وتعالى تعامل مع كل المخلصين في الدعاء إلى نهجه، وطريقه بتخليهم على مدى التاريخ، وبعظيم التقدير والتبجيل في الدنيا والآخرة، وهذا كان حال موسى وهارون وجميع أخوتهم من الأنبياء (عليهم السلام).⁽⁶⁾

أوجه التشابه:

هناك تشابه بين تفسير القمي والميزان والأمتل، أن أوجه التشابه في هذه التفاسير كلها انها موسى عليه السلام هو بشر مثل كل البشر، يحمل مشاعرهم كالغضب والتأثر بالآخرين، ولم يغفلوا انه نبي معصوم، وركزت التفاسير الثلاثة على إبراز هذه الصفات المتباينة في شخصيه موسى (عليه السلام) كشجاعته وتعجله وقلبه الرقيق، وكونه حتى لو غضب من قومه فهو رؤوف بهم

(1) ينظر بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج13، ص9 بتصرف.

(2) سورة الشعراء، الآية 20.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج11، ص356.

(4) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ص110.

(5) سورة الصافات، الآيات 119-120.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج22، ص272.

يحبهم ويشفع لهم، وركزت أيضاً هذه التفسير على صراعه المحوري مع فرعون، وأن فرعون هو اعظم تحدٍ، ونجح في اخراج بني اسرائيل من ظل العبودية، وركزت ايضاً هذه التفسير على أن الله سبحانه لم يترك سيدنا موسى (عليه السلام) وبقي معه، وحتى ركزت على العقوبة التي نالت فرعون.

المطلب الرابع: عيسى (عليه السلام):

قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽¹⁾، هذه الآية التي أوردها الله عز وجل كاستدلال على نفي الوهية عن المسيح (عليه السلام)، وقد نزلت بسبب وفد نصارى نجران الذين جاءوا للحوار مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في شأن الوهية المسيح، حيث استدلوا على الوهية بأنه ولد من غير أب، وجاءت الآية لتدل على أن هذه ليست ميزة تدعو إلى جعل عيسى بن مريم (عليه السلام) إلهاً، حيث يمكن أن نعتبر مثله في طريقة خلقه كمثل آدم الذي خلقه الله عز وجل من تراب، ثم بأمره وإرادته قال له: "كن" فكان. الآية هنا محل الشاهد، حيث لم يدخل فيها المفسر صاحب الأمتل في وصف أي شيء يخص سيدنا عيسى (عليه السلام) سوى أن قضية خلقه مشابهة لقضية خلق آدم من حيث الإعجاز. فعلى العكس، ما يدعو للعجب أكثر هو خلق آدم، الذي خلق من دون أم أو أب، بينما عيسى (عليه السلام) خلقه الله عز وجل فقط من أم، وكان كلمته وروحه التي نفخها في مريم.⁽²⁾

صاحب الميزان أيضاً لم يخرج عن هذه الحكاية، حيث أكد أن القصة هنا أن عيسى (عليه السلام) لا يقتضي أن يكون رباً لكونه خلق من غير أب، فأدم (عليه السلام) خلق من غير أب وأم، وهم النصارى لا يرونه إلهاً، فمن باب أولى ألا ينظر إلى عيسى (عليه السلام) كإله، وما يهم الباحث في هذه القضية من صفات عيسى (عليه السلام) هو أن أي ادعاء على عيسى (عليه السلام) بأنه إله هو باطل، وأنه بشر، وكل ما قيل فيه وعنه في قضية الإلوهية على مدى التاريخ هو خارج عن المنطق والواقع.

لم يرَ عيسى (عليه السلام) نفسه عند ربه إلا عبداً واجب الطاعة، وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل، من أولى العزم، له شريعته وكتابه الإنجيل، والله سبحانه هو الذي سمّاه عيسى، وسمّاه المسيح، وأتته كلمة الله، وأتته روح من الله تعالى، وأتته إمام، وشهيد على قومه، وقد بشر برسول الرحمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو من أصحاب الجاه في الدنيا والآخرة، قرّبه الله سبحانه واصطفاه، وحباه بالبركة، وجعله زكياً، ومعجزة، ورحمة مطلقة من ربه، وقد ذكر برّه

(1) سورة آل عمران، الآية 56.

(2) ينظر تفسير الأمتل، ج3، ص 247.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل

لوالدته في القرآن الكريم، وأيده بكتاب ودراية من عنده، وأحلّه دار السلام هذه إثنان وعشرون مكرمة جمّله الله بها في كتابه الكريم.⁽¹⁾

وأول ذكر لسيدنا عيسى (عليه السلام) في القرآن الكريم كان في الآية 87 من سورة البقرة ﴿...وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...﴾، أنّه في جملة الرسل الذين أرسلهم الله سبحانه، وهو من أولى العزم (عليه السلام)، أرسله ربّ العزة بكتاب وشريعة إلى بني إسرائيل، وذلك لأنّ الضياع والضلّال والجهل قد أغمد فيهم سيفه، لذلك كان لابد من رسول يجدد لهم الشريعة والعقيدة، ويضعهم ثانية على طريق الحق، وخاصة أنهم لغيّهم وضلالهم صاروا أشهر الأقوام بقتل الأنبياء والصديقين، حتى قيل أنهم يقتلون كل يوم سبعين نبياً.

وشريعة عيسى (عليه السلام) جاءت في الإنجيل المقدس، الذي يجدد التعاليم ويثبت القيم، وقد قال عنه ربّ العزة: ﴿...وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...﴾، إذّا عيسى (عليه السلام) كان رسولاً مؤيداً بروح القدس، وقد شرح صاحب تفسير الأمتل وبين أنّ هذا الروح القدس بما وصل إليه من أهل التفسير من آراء متعددة، منهم من قال بأنّ جبريل (عليه السلام) قد كان السند، والدعم المطلق لعيسى (عليه السلام)، ولم يفارقه ابداً، ودليله على ذلك الآية الكريمة ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (102)⁽²⁾، وشرح المفسّر كلمة ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ وأنّ جبريل (عليه السلام) من أسياذ الملائكة، هذا من أسس كل الشرائع السماوية، وأنّ روحانية جميع الملائكة قضية بديهية في طبيعة الملائكة، والقدس إشارة إلى الخير، والمكان، والقيمة، والرفعة، والتي تكون أقرب ما يكون لله سبحانه، وجمع الكلمتين هي للدلالة عليه، وبعض المفسّرين فسر ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ أنّه كل قوة، وكل طاقة غير مدركة بالحواس، إنّما تأثيرها حاضر كأقوى المؤثرات، وأسموها القدرة الإلهية الخفية، أو يد الله الفاعلة، وأنّ جبريل (عليه السلام) هو القدرة الإلهية الخفية المرافقة لكل نبي مرسل.⁽³⁾

وغاية توضيح رُوح القدس إثبات أنّ عيسى (عليه السلام) نبي مرسل، صاحب شريعة، ومن أولى العزم، مؤيداً من الله سبحانه بجبرائيل (عليه السلام)، وفي قوله تعالى: ﴿... وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...﴾، قال عنها المفسّر في الأمتل: "أي أننا وهبنا عيسى (عليه السلام) براهين واضحة، مثل شفاء المرضى المزمنين وإحياء الموتى والمعارف الدينية السامية"⁽⁴⁾، والبيّنات التي أتاه الله سبحانه لعيسى (عليه السلام) كثيرة، فعهدّه كان عهد انتشار فيه الطب، وأبدع الأطباء في شفاء المرضى، واختراع الأدوية، والمعالجات لدرجة عظيمة جداً، ورغم

(1) ينظر تاريخ الأنبياء، سيد محمد حسين الطباطبائي، اعداد الشيخ قاسم الهاشمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ص 299.

(2) النحل، الآية 102.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 1، ص 202-203.

(4) المصدر السابق، ج 3، ص 65.

ذلك كانت هناك أمراض كثيرة عجز الطب عنها، ووصل الإعجاز بعيسى (عليه السلام) أنه أحيا الموتى، فهذا كان صادماً لأهل الطب، وفوقها جعل من الطين كمثل الطير، وجعله طيراً حياً بنفخة منه (عليه السلام)، وشفى الأبرص والأخرس، وكذلك أخبر الناس بما يخبئون في بيوتهم، وبيعض أسرارهم، والله عز وجل صرّح باسم عيسى (عليه السلام) لجعلها فضيلة مختصة به تميزه عن غيره، وفوقها آية أعظم أنه سبحانه خلق عيسى (عليه السلام) من غير أب، لذلك نسبه إلى أمه عليها السلام ليضيف هذه البينة إلى غيرها من البينات.⁽¹⁾

وقد أظهر الله تعالى في سورة آل عمران مزيد من صفات هذا النبي الكريم، بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (45)،⁽²⁾، سمّاه الله سبحانه بشارة، وهو أعظم بشارة لأُم طاهرة كمریم (عليها سلام الله)، حالها كله تعلق بخالقها، أن تأتي الملائكة وتخبرها بأن الجنين الذي تحمله هو كلمة الله، وقد نزلت أيضاً باسمه فهو المسيح وهو عيسى، وأنه سوف يكون عزيزاً كريم الجانب مهيب المحضر بنور الله في حياته الدنيا وفي الآخرة أيضاً، وهو من المقربين عند الله سبحانه، وقد شرح صاحب الأمتل الآية وأفرد ثلاث مسائل في وصف عيسى (عليه السلام)، أورد في إحداها أنّ كلام المفسرين حول مفهوم الكلمة، أطلق لفظ (الكلمة) على المسيح (عليه السلام)، أنّ ولادة عيسى (عليه السلام) كانت في معجزة لم يحدث سابقاً مثلها، وعلى غير عادة البشر، وقد ذكر أنّ المفسرين قالوا فيها أنه ربما المقصود منها أنه مخلوق، وأورد معها كدليل الآية الكريمة ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (109)،⁽³⁾ وأنّ معنى ﴿كَلِمَاتٌ﴾ هنا هي مخلوقات ربنا، وكون السيد المسيح (عليه السلام) هو مخلوق عظيم لذلك سمّاه ربنا تعالى (كلمة)، وأنّ هذا أيضاً يتضمن رداً مفحماً على كل من يقول بالوهية عيسى (عليه السلام)، فلا يتفق أن يكون الإله مخلوقاً، وأنّ معنى تسمية المسيح وردت إمّا أنّها اسمه بحسب ما ورد بالآيات، وإمّا أنّها صفة فيه ولذلك سمّاه الله سبحانه المسيح، منها أنه سمّي الماسح لأنّه كلما مسح على شيء أحاله على أفضل حال، فإذا مسح على المريض شفاه، وعلى الميت أحياه، وكلها بإذن مولاه تعالى عزه، وأنّ هذه البركات وهبه الله إياها حتى قبل ولادته، وزاد في معنى المسيح أنّه ربما عند الممسوح الذي طهر من أي رجس أو عيب أو إثم، فهو طاهر مطهر، ولو قبلنا بكلام المعنيين لكان حقاً ومنطبقاً عليه، أمّا عن قرن اسمه بمریم عليها السلام، كونه ابنها وحملته في جوفها، فهو رد صريح واضح على كل من افترى وأدعى فيه أي نوع من الألوهية أيضاً، واكمل المفسر في إظهار بقية الصفات المباركة، إذ أنّه (عليه السلام) سوف يتكلم في المهد كحجة له

(1) ينظر تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطبطبائي، ج 2، ص 551.

(2) سورة آل عمران، الآية 45.

(3) سورة الكهف، الآية 109.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل

بالنبوة، ودفع تهمة السوء عن أمه في معجزة تكلمه في المهد، وحتى أنّ كلامه سيستمر معه حتى وصوله إلى سن الرشد والكهولة، متابِعاً مهمته في هداية الناس وإرشادهم إلى طاعة ربهم، وختمها أنّه من الصالحين، وفي هذه الصفة على حسب المفسّر أنّ الصلاح هو أجلّ وأعزّ ما يدعو العبد للفخار والعز. (1)

أمّا في تفسير الميزان، أورد المفسّر تفسيرات عدة لمعنى الكلمة، ومعنى المسيح، كما جاءت عند بعض المفسّرين، أو حتى عند أهل التوراة الإنجيل، وأوجد نقاط ضعف هذه التفاسير موضعاً أسبابها، وعدّ أنّ تسميته بالمسيح نذل على ما فيه من البركة، وأنّ أصل كلمة عيسى تعني المخلص والمنقذ، وأنّه رُبط بمريم (عليها السلام) فقط ليكي يدلّ على الإعجاز في خلقه من غير أب، وأنّ معنى وجيهاً هي ما يحظى به من قبول عند اتباعه والبشرية جمعاء، وكذلك عند الله تعالى في يوم القيامة، وخاصة أنّه وصفه بالمقرّب، وفي تكليمه الناس من مهده إلى كهولته بشارتين، بشارة بمعجزة كلامه في المهد، وبشارة بطول عمره إلى الكهولة، ودلّل بأنّ هذا المعنى لن يصل إلى الشيخوخة. (2)

وفي زبدة التفاسير قال: "المسيح لقبه، وهو من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق، واشتقاق المسيح من المسح لأنّه جبرئيل (عليه السلام) مسحه وقت ولادته يعوذه بذلك من الشيطان، وقيل لأنّه مُسح بالبركة، وقيل لأنّه مسح الأرض، ولم يبق في موضع، وقيل عيسى من العيس وهو بياض تعلوه حمرة". (3)

وفي فقرة عنوانها المفسّر بقية امتيازات المسيح (عليه السلام) أنّ الآيات ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46)﴾ (4)، حددت أربع صفات لعيسى (عليه السلام)، وجيهاً في الدنيا والآخرة، ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد، ومن الصالحين، والآيتان زادتتا صفتين تعرفنا بهما في حقيقة عيسى (عليه السلام)، وفي الحقيقة كل الأنبياء على أعظم درجات العظمة، لكن في كل قصة يعرفنا الله سبحانه على مزاياهم وقصصهم لكي تكون لنا عبرة وعوناً في طريق التكامل، فهو (عليه السلام) معلم الحكمة الأوحى في عصره، وأستاذها الجليل لقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (48)﴾ (5)، ومادة حكمته من الكتاب الذي أرسله الله سبحانه به، ليكون مرجعاً لقومه، وهذا الطبيعي في كون تربعه على قمة الحكمة،

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 3، ص 233-234.

(2) ينظر تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج 3، ص 146-148.

(3) زبدة التفاسير، المولى فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني، ج 1، ص 486.

(4) سورة آل عمران، الآيات 45-46.

(5) سورة آل عمران، الآية 48.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

وأن يقدم لأتباعه أعلى وأدق الإرشادات، والقوانين التي لا يشوبها عيب، لكي تكون وسيلتهم في إعمار حياتهم بالخير والصلاح.⁽¹⁾

وفي زبدة التفاسير قال المفسر: "الوجاهة هي النبوة والرئاسة على الناس، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الرتبة، أما ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ إشارة إلى علو درجته في الجنة".⁽²⁾

والآيتان الكريمتان، الآية 55 من سورة آل عمران ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْكِتَابَكَ بِإِذْنِ رَبِّكَ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمَأْتِكُمْ سُنَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِذِ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ نَزَّلْنَا الْوَقُوفَ وَالْمُطَهَّرَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (55)، والآية 157 من سورة النساء ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (157)، تتحدثان عن نفس الفكرة التي يتبناها جميع المسلمين حول حقيقة مآل السيد المسيح (عليه السلام)، وقد أفرد صاحب الأمتل لهذه القضية عدة وريقات في معرض تفسيره للآيتين، ناقش فيها قضية الصلب ونفيه، وقضية ألوهية السيد المسيح (عليه السلام)، وردّها بعد المؤامرة التي حيكت ضده لقتله، وهي أنّ السيد المسيح (عليه السلام) لم يُقتل ولم يُصلب، إنما رفعه الله سبحانه وتعالى إلى عنده، وخصه وأنقذه من أهل الكفر والأنجاس، الذين لا يعرفون طرق الحق، وحاولوا الإساءة له ولوالدته المطهرة بكل تهم السوء، وأنّ الذي قُتل وصلب هو أحد تلامذته الخائن يهوذا الأسخريوطي، وألقى الله سبحانه شبه عيسى (عليه السلام) على يهوذا في حال أن جميع المسيحيين يعتقدون أنّ المسيح (عليه السلام) قد قُتل وصلب، ولذلك هم يقدسون الصليب، وهذا مذكور في جميع أناجيلهم باستثناء إنجيل برنابا*، صفات عيسى (عليه السلام) كونه مرفوعاً عند الله مطهراً من كل خبث، وذنس، وكيد، وكفر، وتهم حاول أعدائه إصاقها به، وقد أوضح صاحب الميزان في شرح ﴿...وَرَأَيْتُكَ إِلَيَّ وَمُطَهَّرًا...﴾ أنّ الرفع ربما كان بالمعنيين الروحي والجسدي، حياً بالروح والجسد إلى السماء حسب ظاهر الآيات، معتبراً هنا أنّ السماء تدل على الدنو من الله سبحانه، وفيها منازل البركة والملائكة، وأنّ التطهير معنوياً بإبعاد عيسى (عليه السلام) عن كل بيئة قذرة وعن مخالطة أهل النكران الجاحدين لربهم.⁽³⁾

أما في الأمتل قال: "لكن الذي لا بد من قوله أنّ هذه الآية ليس فيها دليل على موت عيسى على الرغم من أن بعضهم تصور أنّ كلمة ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ من الوفاة"⁽⁴⁾ وتابع في توضيحها أنّ الله سبحانه سوف يستوفي عيسى إستيفاءً، كالذي يستوفي ماله من دين أو أي شيء، وهذا أدل الأدلة أنّ

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 235.

(2) زبدة التفاسير، المولى فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني، ج 1، ص 487.

(3) ينظر تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد الطبطبائي، المصدر السابق، ج 3، ص 157.

*إنجيل برنابا هو أحد الأناجيل الذي لم يحظى بإعتراف رسمي بصحته كما هو مع الأناجيل القانونية، وهو ينفي ألوهية السيد المسيح وصلبه، من كتاب إنجيل برنابا، د. منذر الحايك، دراسة مقارنة، ط 1، 2016م.

(4) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 243.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل .

عيسى (عليه السلام) في حالة حياة عند الله سبحانه، ولا تعني موته، وفوق ذلك أخلصك من كل خبث ونجاسة حاول أعدائك إلصاقها بك، ومعها أيضاً سأجعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، في مكرمة الرفع والتطهر، بشارة منّا أنّ كل من سار على دربك، ونهجك بإخلاص، هم قادرين مسيطرين سادة على كل اليهود والمسيحيين من أعدائك حتى قيام الساعة.(1)

ومعنى (مُتَوَفِّيكَ) في زبدة التفاسير، قال المفسر: "إني مُتَوَفِّيكَ أي مستوفي أجلك، يعني أنني عاصمك من أن يقتلك الكفار، ومؤخرك إلى أجل كتبته لك، ومميتك حتف أنفك لا قتلاً بأيديهم"،(2) وتابع في شرح الحادثة أنّ اليهود عندما وقع في أسرهم عيسى (عليه السلام)، وأعدوا العدة لصلبه، أرسل الله عزوجل ملائكته فحالوا بينهم وبين عيسى (عليه السلام)، وألقى الله سبحانه الشبه على يهوذا الأسخريوطي، لأنه هو الذي غدر بالمسيح ودلهم عليه، فأخذوه وصلبوه معتقدين أنه عيسى (عليه السلام).(3)

وقد نفي صاحب الأمتل ألوهية المسيح (عليه السلام) وفقاً للآية (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا(171))،(4) وحصر هذا الرد بإظهار صفات عيسى (عليه السلام)، ولو أنّ الأمر به إعادة إلا أنه لا مفر منها، فقال في عدة نقاط منها أنّ المسيح (عليه السلام) هو ابن مريم عليها السلام، وهذه البنية أكدها ربّ العزة سبحانه في ستة عشر موضعاً في القرآن الكريم، ليؤكد بها إنسانية عيسى (عليه السلام)، وحمله في بطن أمه، وولادته كأفراد البشر، وأنه عاش طفولة ومرّ بالرضاع والتربية، ولازمه جميع أحوال البشر في كل مراحل نموه، وأنّ الآية تؤكد أنّه رسول مرسل من ربّ العزة سبحانه برسالة، ومعه كتاب يدل على رسالته وشريعته، وأنّ عيسى (عليه السلام) كلمة الله، والتي شرحنا أنّ (كلمة) تعني مخلوقاً مباركاً من مخلوقات الله سبحانه، وروح منه، وهذه الكلمة حاول البعض الإتكال عليها لإثبات أن عيسى جزء من الله سبحانه وتعالى، ولكن هذه (مئة) هي ليس لتدل على أنّه بعضه، إنما أصله ومنشأه من الله سبحانه، كحال آدم (عليه السلام) يوم خلقه.(5)

وفي شرح معنى (وَرُوحٌ مِّنْهُ)، ذهب الشيخ الطوسي في التبيان إلى أنّها تشير إلى ستة معاني، منها أنّه نفخة، ومنها رحمة، آخرون قالوا روح من الله سبحانه خلقها فصورها، اعتقد

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص244.

(2) زبدة التفاسير، ج1، ص493.

(3) ينظر المصدر السابق نفسه، ص493.

(4) سورة النساء، الآية 171.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 320-321.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

البعض أنها القوة التي أحيا بها الموتى، ومنها أنها جبرائيل، وقد قال البعض أن الله سبحانه خلقه إنساناً كاملاً حيث شكله على غير مقدمات خلق البشر العاديين.⁽¹⁾

في لفظة مهمة جداً من تكرار كلمة ﴿بِإِذْنِي﴾ في الآية ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ... (110)﴾⁽²⁾، تكرار كلمة ﴿بِإِذْنِي﴾ أربع مرات حتى ينفي نفياً قاطعاً أن يكون ما جاء به عيسى (عليه السلام) من قدرة ذاتية، إنما قدرة مستمدة من الله سبحانه، وأن عيسى (عليه السلام) هو نبي مرسل من عند الله، مؤيد بالمعجزات تعضد رسالته.⁽³⁾

وقد قال الكاشاني في زبدة التفاسير عن إحياء المسيح (عليه السلام) للموتى، أنه قيل أحيا أربعة أشخاص، هم صديقه عازر، وابن العجوز، وابنة العاشر، وسام بن نوح، وذكر أن عيسى (عليه السلام) كان يحيي الأموات ب (ياحي ياقيوم).⁽⁴⁾

وقد أشار صاحب التبيان إلى ملاحظة مهمة جداً، هي أن عيسى (عليه السلام) كلمه في المهدي ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30)﴾⁽⁵⁾، هو النبي الوحيد الذي تكلم في المهدي، وعلى معنى الآية الكريمة النبي الوحيد أيضاً الذي بُعث نبياً في المهدي.⁽⁶⁾

المفسر في الأمتل لم يظهر صفات محددة اتصف بها المسيح (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدَاكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118)﴾⁽⁷⁾، وإنما تحدث عن الإحترام الذي تحدث به عيسى (عليه السلام) مع ربه، فهو لم يرد كلام الخالق إجلالاً له، رغم أن الخالق يسأله، إنما إجابة بالتنسيب، والتمجيد، ونفي التهمة، بمعنى أنها لو وجدت في نفسه لكان علمها الله، فهو سبحانه علام الغيوب، واتبع هذا الإحترام بحكمة بالغة، وانصياع مطلق لله سبحانه، قائلاً إن

(1) ينظر التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ج3، ص59.

(2) سورة المائدة، الآية 110.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج6، ص558.

(4) زبدة التفاسير، المولى فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني، ج1، ص489.

(5) سورة مريم، الآية 30.

(6) ينظر التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ج3، ص471.

(7) سورة المائدة، الآيات 116-118.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

عذبهم فهم عبادك، وأنت أعلم بالأصح، وأن غفرت لهم فغفرانك عزك وتسلطك، وغفرانك حكمة، وحسن تدبير منك سبحانه، وهو في هذا جعل نفسه بالمطلق رهن لإرادة الله سبحانه الحكمة المتحكمة.⁽¹⁾

أما في تفسير الميزان فقد تحدث عن هذه الآيات أيضاً بأهم ما ميّز فيها (عليه السلام)، وصفه بأنه أعجب الأدب في كلام عيسى (عليه السلام) مع الله عزوجل، إذ بدأ يسبحه عندما وصل لمسمعه ما لا يليق بعظمة جلال الله سبحانه، من وجود شريك له، وبالغ أدبه نفي أي سبب أو قدرة لهذا الكلام، زيادة في تعظيم الله سبحانه، وأنه لا حق لعيسى أن يقول به، وإنّ علم الله تعالى محيط بكل الوجود، وبما في نفس عيسى (عليه السلام) ذاته، تبيجلاً منه لله سبحانه، ونسبة منه بمطلق العلم لله تعالى، وأظهر كامل إنصياحه وطاعته لربه بالتزام ما أمره الله سبحانه به من عبادة الواحد الأحد، والدعوة إليه وحده، وفوقها حصر الشهادة والحساب على أعمال العباد بالله وحده، فهم خلقه وأمرهم إليه، وإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم،⁽²⁾ وخلال شرح كل عبارة كان صاحب الميزان يدل على كلمات التعظيم والتبجيل من عيسى (عليه السلام) ومواضعه، مظهراً أدبه الرفيع، وانصياحه المطلق، حتى أنه بعد شرح هذه الآيات مباشرة كتب بحثاً تحدث فيه عن الأدب، أظهر فيه معظم ما جاء من أخلاقيات، وأدبيات من الأنبياء (عليهم السلام) في تعاملهم مع ربهم سبحانه، وكأنّ نفس الأديب امتلأت بمعاني الأدب من عيسى (عليه السلام) فدعته لكتابة هذا الفصل عن هذا الأدب.

وخامس الأنبياء أولى العزم هو النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، هو خاتم الأنبياء (عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام)، وعليه نزل القرآن الكريم، ولأنّه نبينا نحن المسلمين، وهو (عليه أفضل الصلاة والسلام) الذي علمنا عن الأنبياء السابقين، وهو القدوة لنا في جميع أمورنا، وصح لنا الشريعة والدين، نفرد له فصلاً خاصاً نتحدث به عن صفاته في تفسير الأمتل.

نبي الله عيسى (عليه السلام) هناك أيضاً أوجه للتشابه والإختلاف في بيان صفاته في هذه التفاسير المذكورة:

1. في زبده التفاسير المنهج هو جامع لأقوال المفسرين في الصفات، ولادته المعجزة، كلامه في المهدي تأييده بروح القدس، وأسلوبه يعتمد على النقل من التفاسير دون أن يدخل في تفاصيل كلامية وفلسفية.
2. أما الميزان المنهج فلسفي وعقلي، في الصفات التأكيد على الخلق الإلهي، والقدرة على المعجزات، وأسلوب جامع بين النقل والتفسير اللغوي، التفريق بين الطبيعة

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 6، ص 564 - 566.

(2) ينظر الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج 6، ص 462-463.

الفصل الثاني: صفات الأنبياء (ع) أولى العزم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

الانسانية ووظيفته النبوية، روح القدس رمزية روحية، والبعد الأخلاقي للإسلوب استدلاي فلسفي وعقلي.

3. الأمتل تفسير حديث من حيث المنهج الجامع، والصفات ولادته المعجزة، دعوته لبني اسرائيل، والمعجزات على يده، ونفي أي صفة إلهية له، والإسلوب يعتمد على الدروس التربوية الأخلاقية المعاصرة.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

صفات الأنبياء (ع) في تفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل

ويتكون من المباحث الآتية:

المبحث الأول: إدريس، هود، صالح، لوط، شعيب (عليهم السلام):

المطلب الأول: إدريس (عليه السلام) .

المطلب الثاني: هود (عليه السلام) .

المطلب الثالث: صالح (عليه السلام) .

المطلب الرابع: لوط (عليه السلام) .

المطلب الخامس: شعيب (عليه السلام) .

المبحث الثاني: إسماعيل ، إسحاق، يعقوب، يوسف (عليهم السلام):

المطلب الأول: إسماعيل (عليه السلام) .

المطلب الثاني: إسحاق (عليه السلام) .

المطلب الثالث: يعقوب (عليه السلام) .

المطلب الرابع: يوسف (عليه السلام) .

المبحث الثالث: أيوب، ذوالكفل، إلياس، داوود (عليهم السلام):

المطلب الأول: أيوب (عليه السلام) .

المطلب الثاني: ذوالكفل (عليه السلام) .

المطلب الثالث: إلياس (عليه السلام) .

المطلب الرابع: داوود (عليه السلام) .

المطلب الخامس: سليمان (عليه السلام) .

المبحث الرابع: هارون ، يونس، زكريا، يحيى (عليهم السلام):

المطلب الأول: هارون (عليه السلام) .

المطلب الثاني: يونس (عليه السلام) .

المطلب الثالث: زكريا (عليه السلام) .

المطلب الرابع: يحيى (عليه السلام) .

صفات بقية الأنبياء ممن ذكروا في القرآن الكريم

تمهيد:

نزل الوحي على جميع الأنبياء (عليهم السلام) ، وجميعهم كانوا مبشّرين ومنذرين، وقد تحملوا أشد الظروف في دعوتهم إلى التوحيد، وفوقها أبلوا عظيم البلاء في اجتياز إبتلائتهم الشخصية، وكل نبي ميّزه الله سبحانه بصفات جعلته أهلاً لحمل رسالته، وهم أيضاً بما تمتعوا به من نقاء سريرة وعلو همة كانوا جديرين بمرتبة النبوة، وفي هذا المبحث سوف نعالج صفاتهم (عليهم السلام) كما أوضحها صاحب الأمتل في تفسيره.

وكل ما تم ذكره من صفاتهم (عليهم السلام) يدل على عصمتهم، وقد ظهرت هذه الأسماء على كل نبي بحسب ما ورد عليه من أوامر الله سبحانه ظهر فيه من رحلته في رسالته وواجباته.

المبحث الأول:

الأنبياء إدريس، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب (عليهم السلام)

المطلب الأول: إدريس (عليه السلام):

ذكر صاحب الأمتل أنّ إدريس (عليه السلام) هو من الأنبياء العظام، ومن أجداد نوح (عليه السلام)، ويسمى في كتاب التوراة أخنوخ، وسمّته العرب إدريس، ولهذه التسمية عدة أسباب، منها أنّه أول من استخدم اليراع في الكتابة، كانت له معرفة واسعة بعلم الكواكب والنجوم، وقيل هو الذي علّم الناس كيف تُخاط الملابس، هذا كله مضافاً إلى نبوته (عليه السلام).⁽¹⁾

إنّ الصديق إدريس (عليه السلام)، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ؑ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (56) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (57)﴾⁽²⁾، قال المفسّر صاحب الأمتل: "الصديق هو الشخص الصادق جداً والمصدقّ بآيات الله سبحانه والمذعن للحق والحقيقة"⁽³⁾، وفي شرح ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ أنّ هذا الرفع يحتمل معنيين: أولهما معنوي أي جعل الله سبحانه له قيمة عالية، ودرجة كبيرة روحانية، وكرامة ووجاهة بين المكرمين، وهناك من قال من المفسّرين أنّه رفع حسي مثل الرفع الذي حصل مع سيدنا عيسى (عليه السلام).⁽⁴⁾

وقد ذكر صاحب تفریب القرآن إلى الأذهان أنّ إدريس (عليه السلام) سُمّي بذلك لكثرة ما أهتم بالكتب ودراساتها، وهو أول من كتب بالقلم، وكان له اهتمام في علم الحساب، وأول من خاط

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 269-270.

(2) سورة مريم، الآيات 56 - 57 .

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 56.

(4) ينظر المصدر السابق نفسه.

الثياب، كثير الصدق ومصدقاً بكل ما جاءه من عند الله سبحانه، وهو نبي نزل عليه الوحي، وقيل أنه أنزل عليه من الصحائف ثلاثين، وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ أي هذا الرفع إما من ناحية قيمته، أو من ناحية محله.⁽¹⁾

والصابر الصالح إدريس (عليه السلام)، قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (85) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾⁽²⁾، وكل الأنبياء صابرين وصالحين (عليهم السلام)، وإدريس (عليه السلام) حاله كحال هؤلاء الأنبياء (عليهم السلام)، عاش عمره كله صابراً مستمراً على صلاحه، فهو لديه صبر وصلاح في حرب الكفر والوثنية، وفي هداية قومه، ومحاربة الأخلاقيات الفاسدة، إضافة إلى مكابدة ظروف حياته الشخصية المتعبة التي ابتلي فيها بجميع الصعوبات، ورغم ذلك لم يستسلم، ولم ييأس، لا هو ولا بقية أنبياء الله سبحانه، وعلى هذا الصبر والصلاح أثبتهم في قوائم المشمولين بالرحمة الأبدية.⁽³⁾

وهنا ذكر صاحب التقريب أن إدريس (عليه السلام) كان أول من عمل بخياطة الملابس، وذلك بإلهام وحي من الخالق عز وجل، وهو مع من ذكر معه من الأنبياء قد صبروا على طاعة الله سبحانه، ولم يخرجوا عن أوامره، وعليه استحق طيب الرحمة من ربه سبحانه جزاءً لصلاحه المنقطع النظير.⁽⁴⁾

ومما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وصفه أن هؤلاء الأنبياء تعرضوا لتكاليف عظيمة، أدت بهم إلى مشقة كبيرة، ومصائب كانت شديدة جداً، ومع ذلك تحملوها وتقبلوها، وأدوها على أتم وجه.⁽⁵⁾

المطلب الثاني : النبي هود (عليه السلام):

بعد نبذة عن قوم عاد وحالهم بالقوة والثروة، وفي حديث عن هود (عليه السلام)، قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۖ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ (65)﴾⁽⁶⁾، وقد وصف المفسر في الأمتل سيدنا هود (عليه السلام) بأنه أخاهم، وأشار إلى أن هذه الأخوة هي قرابة دموية، تجمع هود (عليه السلام) بقوم عاد، وأنه ربما استخدم رب العزة كلمة الأخ شأنه شأن بعض الأنبياء الذين وصفهم ربهم بالأخوة لأقوامهم مثل نوح وصالح ولوط وشعيب (عليهم السلام)، إشارة منه سبحانه إلى الرحمانية واللفظ الذي كان يظهره هؤلاء الأنبياء (عليهم السلام)

(1) ينظر تقريب القرآن إلى الأذهان، آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، ط1، 1424هـ-

2003م، دار العلوم، بيروت- لبنان، المجلد الثالث، ص449-450.

(2) سورة الأنبياء، الآية 85-86.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 269

(4) ينظر تقريب القرآن إلى الأذهان، الشيرازي، المجلد الثالث، ص464-465.

(5) ينظر تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج2، ص469

(6) سورة الأعراف، الآية 65.

لاقومهم وخاصة في شأن الدعوة وهدايتهم إلى ما يصلح حالهم في العقيدة والدين، وحتى في شؤون حياتهم، لأنّ الأخوة من أعلى درجات الارتباط الروحي والمادي والدموي، وفيها تدليل على عمق التعلق والتوق الشديد من النبي (عليه السلام) إلى هداية قومه بكل محبة، شأنه شأن الأخ الحميم، مع التأكيد أنّ هذه الأخوة لم تكن أخوة دينية لأنّ قوم هود لم يهتدوا بدعوته.⁽¹⁾

وقد قال صاحب مجمع البيان: "أخاهم يعني في النسب لا في الدين"، وقال: "أخاهم لأنه أبلغ في الحجة عليهم، إذ أختار الرسالة إليهم من هو من قبلهم ليكون إليهم أسكن وبه أنس وعنه أفهم".⁽²⁾

ومتابعة لشرح صفات هذا النبي الكريم، قال المفسّر: "ولكن هود وهو يتحلى بالوقار والمتانة التي يتحلى بها الأنبياء الصادقون الطاهرون من دون أن ينتابه غضب أو تعترية حالة يأس، قوله تعالى: (قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ)⁽³⁾، هيبه وجلال وثبات صدق وطهارة"⁽⁴⁾، صفات أثبتتها المفسّر للنبي هود (عليه السلام)، رغم ما تعرض له من إساءة لفظية وسمه بها قومه، ولم يخرج كلامهم عن رزاقته وهدوءه في دعوته لهم، وبقي الناصح الشفيق والأخ الحميم، وأكد لهم أنّه مرسل وموكل من ربه لهداية قومه إلى التوحيد.

وقد عاد القرآن الكريم إلى وصف هود (عليه السلام) بالأخ لقومه، بقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنَّمَا أَنْتُمْ لِأَلْمُتْرُونَ (50) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِّي أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (51) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (52)⁽⁵⁾، ودل عليه أنّ هذا جارٍ في لغة العرب أنهم يطلقون صفة الأخ على كل الأفراد الذين ينتمون لنفس القبيلة لكون أباهم واحداً، ونوّه أيضاً أنّ هذه هي أخلاق الأنبياء جميعاً (عليهم السلام)، فعلى الرغم أنّه نبي ومرسل من الله سبحانه، وقومه ممن يخالفونه، بقي تعامله معهم تعامل الأخ الشفيق المحب، الذي لا يستعلي ولا يتناول ولا يمتاز عن إخوته، في دلالة واضحة على الاخلاص لهم في حب مصلحتهم، والإخلاص لله سبحانه في الطاعة، والسعي لنشر رسالته دون رغبة منه لأيّ امتياز.⁽⁶⁾

ولم يخرج صاحب تفسير من هدي القرآن عن هذه المعاني، إذ عنده هود (عليه السلام) أمر قومه بالتوحيد وترك الشرك، فهو مبتعث من ربه، معروف بصدقته وأمانته، وغايته في قومه أن يصلحوا ذواتهم ويعودوا في أخلاقهم إلى الحق، حتى تتم عليهم نعم الله سبحانه، فكان بهذا الكلام

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 8، ص 338.

(2) مجمع البيان، الطبرسي، ص 239.

(3) سورة الأعراف، الآية 67.

(4) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 8، ص 339.

(5) سورة هود، الآيات 50-52.

(6) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 82.

محذراً ومبشراً، وهو لم يطلب منهم أي مقابل، ولكنهم كعادة كل المعاندين رفضوا دعوته واقتروا عليه بالباطل.⁽¹⁾

وفي تفسير قوله تعالى في سورة هود ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁽²⁾، قال المفسّر في الأمتل عن هذه الآية: "هذا دليل على أنني لا أقول إلا الحق والصدق وأن قلبي مرتبط بعالم آخر"⁽³⁾، طبعاً والمقصود من العالم الآخر هو الله عز وجل وكل ما يخص رضاه، لأن الآيات تصرح بذلك ﴿...تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ...﴾، وفوقها أكد الله عز وجل على لسان نبيه هود أن الله سبحانه متحكم بكل مخلوقاته، وهذا الله هو الحق المطلق الوحيد، وهذا يدل على ثبات صفة الإخلاص، والتعلق المطلق بالله سبحانه في شخصية النبي هود (عليه السلام)، وخاصة أنه دلت في الآية التي قبلها على أنه تقي طاهر من كل عقائد وافكار المشركين.⁽⁴⁾

ويوضح صاحب الأمتل في تفسير الآيات: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾⁽⁵⁾، بأنه بما عرفتموه عني من سابق معرفتكم بي، أن الأمانة في تعاملتي معكم عماد شخصيتي، ولم يحصل بأن بدر مني أي فعل خيانة، دائماً كنت صادقاً معكم، سائراً معكم على طريق الحق.⁽⁶⁾ بينما صاحب الميزان ربما استفاض أكثر في شرح أمانة هود (عليه السلام) فقال: "أن الله عز وجل قدّم فيها على الحديث عن أمانة الرسل، وأنهم حاشى لهم أن يكون لهم أي مطمع دنيوي قلّ أو كثر وأن غاية مطلبهم ومرادهم هداية الخلق لطاعة ربهم أن هذا اساس معنى النبوة وحمل الرسالة غاية لما فيه مصالح العباد في طلب الثواب والنجاة من العقاب وهذا قطب الرحي في كل نبوة ورسالة".⁽⁷⁾

وأوضح صاحب مجمع البيان في قوله تعالى: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾⁽⁸⁾، والتي في معناها متقاربة مع الآية السابقة، أن هوداً (عليه السلام) لم يكن له أي غرض شخصي من هذه الدعوة، ولم يكن ليتكبد هذا العناء إلا لأمر عظيم، الذي ابتعثه لأجله الله سبحانه هو وكل الأنبياء (عليهم السلام)، والأمانة والصدق صفة ملازمة واضحة في أخلاق كل الأنبياء (عليهم السلام)، وهم دائماً اشتهروا بصدقهم وأمانتهم قبل أن يُبتعثوا أنبياءً حتى تكون هذا الأمانة والصدق منطلقاً وشاهداً لهم على صدق نبوتهم.⁽⁹⁾

(1) ينظر تفسير من هدي القرآن، المدرسي، ج4، ص50.

(2) سورة هود، الآية 56.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 88.

(4) ينظر المصدر السابق نفسه.

(5) سورة الشعراء الآية 124، 125.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 421.

(7) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج 15 ص 210.

(8) سورة الأعراف، الآية 68.

(9) ينظر من هدي القرآن، محمد تقي المدرسي، ج3، ص58.

هناك عدة دلالات قرآنية يمكن الإشارة إليها في هذا المبحث، وأولها عصمة نبي الله هود (عليه السلام) وهي طهارته من الشرك وقوتها وقوة دعوته، ووضوحها والآيات القرآنية، ودلالات القرآن الكريم على عصمته وإشارة المفسر إلى أنّ العصمة شرط الرسالة.

المطلب الثالث: النبي صالح (عليه السلام):

إنّ قوم صالح (عليه السلام) هم ثمود، وذكرهم المفسر في الأمتل: "أنهم كانوا يسكنون في منطقة جبلية بين الحجاز والشام"،⁽¹⁾ وقد سمى صالحاً (عليه السلام) أنّه "النبي الإلهي العظيم"،⁽²⁾ وفي وصفه (عليه السلام) بالنبي الإلهي المرسل من ربّ العزة سبحانه، لهداية قومه إلى التوحيد والعقيدة السليمة، التي فيها صلاح حالهم في الدنيا والآخرة، و وصفه بالعظيم لأنّ هذه العظمة وهذا التكامل الذي هو عليه هو ما دعا إلى اختياره كنبي، وحامل رسالة خير، وهداية للجميع، وبالأخص لقومه كونه فيهم، وأمّا عن وصفه بالأخ فقد سبق وأن شرحنا هذه الأخوة، أنّها إمّا بمعنى أنهم من نفس القبيلة، وبينهم صلة قرابة دموية، أو أنّه لشدة رحمته بهم وحرصه على مصالحهم، ورافته بهم وخوفه عليهم، وسمّاه بالأخ لأنّ هذا حال كل أخ حقيقي،⁽³⁾ وهذا في تفسير قوله تعالى: (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا...)⁽⁴⁾.

وفي الآية اللاحقة التي تلت السابقة: (قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (62))، أنّ صالحاً محط ثقتهم، ولكن المفسر ذكر هذه الثقة التي ادّعاها القوم هي محاولة القوم تجاه صالح (عليه السلام) أن يحرجه بأنّه محط ثقتهم لعقله وحكمته، ولكنه خذل ظنهم فيه ولم يكن عند حسن ظنهم، هنا من الممكن أن نقول أنّ عهد الأنبياء في أقوامهم قبل البعثة هو أنهم كانوا معروفين بصلاح حالهم، وأنهم محل الثقة لأخلاقهم العالية، وهذه الفكرة في إخراج صالح (عليه السلام) محل نظر، ومما يدل عليه في سورة الشعراء قول الله عز وجل على لسان صالح (عليه السلام): (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)، فقال المفسر: "أني لكم رسول أمين وسوابق معكم شاهد مبين على هذا الأمر"،⁽⁵⁾ ما سبق في هذه الفكرة من شرح المفسر قول قوم صالح، له كنت مرجوًّا فينا بقصد إحراجه فيه نظر، إنما القصد أنّه فعلاً كان أميناً لديهم معروفاً بنقائه، وطهارته وسيرته بينهم، تدل على ذلك أنّه حتى بُعث بالرسالة ما كان ليهز كيانه، بلغ صفات الكمال كلها، وبدأت مشكلته معهم حين دعائهم إلى نبذ الإعتقاد الفاسد، وهذه عادة الله مع أنبيائه (عليهم السلام) .

(1) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 8، ص 342.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) ينظر المصدر السابق نفسه.

(4) سورة هود، الآية 61.

(5) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 430.

وقد تحدّث صاحب الميزان في معنى (مرجواً)، أنّ صالحاً (عليه السلام) كان بينهم عاقلاً راشداً، كاملاً في أخلاقه وشخصيته، وحتى في أسرته، وهم كانوا يأملون منه كل النفع.⁽¹⁾

وقد شرح صاحب الأمتل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (63)﴾⁽²⁾، وأطلق على هود (عليه السلام) صفة النبي الكبير، يقصد به الكبير بأخلاقه، والسامي بطباعه، لأنه لم ييأس من دخول الرحمة، والحكمة إلى قلوب وعقول قومه، وهو لم يندفع بمحاولة إرجاعه عندما قالوا له كنت فينا مرجواً، وأخبرهم أنه ثابت مستمر في تبليغ رسالة ربه، وفي مواجهة الضالّين، وحاول أن يثنيهم بأنّ إحتجاجهم باتباع الآباء ما هو إلّا الضلال والخسران.⁽³⁾

وصالح (عليه السلام) نعم الأخ كما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142)﴾⁽⁴⁾، وأشار صاحب الأمتل إلى أنّ تكذيب ثمود لسيدنا صالح (عليه السلام) كأنّهم كذبوا جميع الأنبياء الذين كانوا قبله، لأنّ كل الأنبياء جاؤوا بدعوة التوحيد، وذكر أنّ صالحاً كان نعم الأخ ونعم النبي لقومه، لم يعاملهم باستعلاء، ولم يكلفهم شيئاً مادياً، وسوابقه بينهم تدل على أمانته، وخاصة أنّه ما سألهم عوضاً، وإنما جعل أجره في ثوابه من الله تعالى.⁽⁵⁾

لم يخرج السيد عباس الموسوي في تفسيره الواضح في التفسير، عن هذه المعاني بأنّ صالح (عليه السلام) مرسل، وكل مرسل يكذبه قومه فكأنما كذبوا جميع الرسل، لأنّ دعوتهم واحدة، إذ أظهر لهم صالح أنّه كان معهم على الأمانة والصدق، وأنّ هدفه نجاتهم، ولا طمع له في شيء منهم، سوى التوحيد وطاعة الله سبحانه، فأجره سوف يأخذه من ربه.⁽⁶⁾

ركّز المفسّر في حديثه عن نبي الله صالح (عليه السلام) على مسألة العصمة كونها أصلاً للنبوّة، وقد ذكر في عده اشارات للعصمة وهي شرط في النبوّة، عصمة صالح (عليه السلام) من خلال مواقفه ومعجزاته وخطاباته ورد الشبهات حوله، والجانب العملي للعصمة تجلّى في دعوته وصبره على قومه.

(1) ينظر الميزان في تفسير القرآن، السيد الطبطبائي، ج10، ص507.

(2) سورة هود، الآية 63.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج11، ص99.

(4) سورة الشعراء، الآية 142.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج11، ص430.

(6) ينظر الواضح في التفسير، السيد عباس علي الموسوي، ط1، 1433 هـ - 2012 م، بيروت- لبنان، مركز الغدير، ج11، ص352-353.

المطلب الرابع: لوط (عليه السلام):

قصة لوط (عليه السلام) وقومه الذين وصفهم الله سبحانه بكل أوصاف الخزي والعار، ودلّ لسابقتهم بفعل لم يسبقهم إليه أحد، أنّ الذي ساقهم إلى هذا الفعل حسب الروايات عن آل البيت (عليهم السلام) هو البخل، إذ أنهم كانوا على طريق قوافل يكثر به الزوار، ولما كثر ذلك عليهم غمّ عليهم لوماً وبخلاً، فعمدوا إلى فضيحة ضيوفهم بهذا الفعل الشنيع حتى ينفروا الناس منهم، إلا سيدنا لوط (عليه السلام) الذي كان سخيّاً، وحافظ على إكرام الضيف، وأراد قومه أن يصدوه عن كرمه، وعلى حسب قول الإمام الصادق (عليه السلام) هددوه⁽¹⁾، فقال: "إن فعلت فضحناك في ضيفك، فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه"⁽²⁾.

فقال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (81)﴾⁽³⁾، في شرح الآيات فصلّ المفسّر في الأمتل في هذه المعصية، وسبق قوم سيدنا لوط (عليه السلام) إليها، ونستفيد من عبارات النبي العظيم لوط (عليه السلام) إلى أنّه بشدة استنكاره لفعلهم تدل على خوفه الشديد من الله، وعلو نفسه، وهمته وخوفه على قومه من وزر فعلتهم وقبحه، ويدل عليه بشكل واضح صريح ما ذكره المفسّر من الصدمة النفسية التي أصابت سيدنا لوط (عليه السلام) عندما حل عليه الضيوف، وخاصة أنّه رآهم متصفين بأعلى صفات الكمال في الخلقة الحسنة، ولننظر إلى عبارة المفسّر المعبرة عن خوفه حين قال: "أثّه لما جاءت رسلنا لوطاً طار هلعاً، وضاق بهم ذرعاً، وأحاط بهم من كل جانب"⁽⁴⁾.

وهول الحالة النفسية التي حلّت بسيدنا لوط (عليه السلام)، وخاصة بعجزه عن النجاة بضيوفه من قبيح فعل قومه، خاصة مع ما كان يتمتع به ضيوفه من الملاحه والجمال، رآها ساعات عصية مليئة بالشر والسوء⁽⁵⁾، والقول في ردة الفعل الشديدة من سيدنا لوط (عليه السلام) تدل على الإحساس العالي جداً بالمسؤولية تجاه الأخلاق التي يتصف بها، أخلاق أفراد قومه وخوفه عليهم من زوال الأخلاق، ومن شدة تقواه لله سبحانه ورعايته حدوده، وفي قوله (عليه السلام) ﴿...قَالَ يَا قَوْمِ هُوَ لَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ...﴾⁽⁶⁾، يظهر الحرص على طاعة الله في عرض التزويج من نساء قومه ومن بناته، وفي هذه التسمية إظهار أو إشعار أنّه بمرتبة الأب لقومه عطفاً وحناناً وحكمة، أي أنّه

(1) ينظر علل الشرائع، الشيخ الصدّوق، ج2، ص 286، باب 340، رقم 4 .

(2) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 12، ص148.

(3) سورة الاعراف، الآية 80 - 81.

(4) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 113.

(5) ينظر تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج 10، ص 525.

(6) سورة هود، الآية 78.

ليس فقط يصدّهم عن المعاصي، إنما يدلّهم أيضاً على الطريق الحلال، ويعلمهم ويحضهم على طلبه، حتى وإن دفع الثمن من أهل بيته، فعلى تفسير بعض المفسّرين أنّه قدم بناته زوجات لهم.⁽¹⁾ وأما في تفسير الميزان للآية السابقة، فقد أوضح صفات التقوى في شخص لوط (عليه السلام)، حين تشدّد في عظة قومه، وأغلظ لهم القول لصرفهم عن الفحشاء والمعصية، إلى الحلال والطهارة، فقام بعرض بناته عليهم، وشجعهم على الزواج منهن. ودلّل أيضاً أنه ربما قصد ببناته نساء القوم، لأنه بمثابة الأب لقومه.⁽²⁾

وفي العجل عن الباقر (عليه السلام) قال: "ولم يزل لوط وإبراهيم عليهما السلام يتوقّعان نزول العذاب على قوم لوط، وكانت لإبراهيم (عليه السلام) ولوط منزلة من الله عزّ وجلّ شريفة، وإنّ الله عزّ وجلّ كان إذا أراد عذاب قوم لوط أدركته مودة إبراهيم (عليه السلام) وخلّته ومحبة لوط، فيراقبهم فيؤخّر عذابهم"⁽³⁾، دلّل صاحب الصافي من خلال الرواية على الحب والود الذي كانا يحملانه إبراهيم ولوط (عليهما السلام) لإنصاح قومهما، ولكن للأسف بسبب جهل هؤلاء القوم لم ينتفعوا بهذه المحبة.

وأشار المفسّر في الأمتل إلى أنّ بعض روايات المفسّرين نوهت إلى أنّه حين وعد الملائكة بقرب العذاب على قوم لوط، وأنّه سيكون صباحاً، كان هناك تسليم مطلق من لوط (عليه السلام) أن يعجلوا بالعذاب الفوري على هؤلاء القوم، الذين ملؤوا قلبه بالأسى بمعصيتهم وإصرارهم عليها، وتمنى لهم عاجل العقاب، وأشدّ العذاب، فجاءت الطمأننة منهم بعبارة ﴿... أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾⁽⁴⁾.⁽⁵⁾ وأما في قول الله عزّ وجلّ على لسان لوط (عليه السلام) ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾⁽⁶⁾، فقد أوضح المفسّر في الأمتل أنّ الذي غمّ لوط (عليه السلام) هو قدوم ضيوفه عليه، ولا مفر من إكرامهم، لأنّه ليس من طبع الأنبياء إلّا الكرم المطلق، وما ساءه أنّهم على درجة من الملاحاة والحسن، وقومه على أخس درجات الفجور، هنا تظهر شخصية لوط (عليه السلام) النبي الكريم، ولكن سرعان ما جاء التطمين من الضيوف أننا بصدد أخذ الحق من هؤلاء الفجرة.⁽⁷⁾

أما في سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ (160) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ (161) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (162) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ (163) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 115-116.

(2) ينظر تفسير الميزان، السيد الطبطبائي، ج 10، ص 526.

(3) الصافي في تفسير كلام الله الوافي، الملا محسن الفيض الكاشاني، توفي 1090 هـ/1679 م، تـ 1090 هـ، إصدار مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، 1090 هـ، ج 3، ص 116.

(4) سورة هود، الآية 81.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 120.

(6) سورة الحجر، الآية 62.

(7) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 12، ص 559.

إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (164)﴾⁽¹⁾، فقد تحدث المفسر صاحب الأمتل عن الأخوة والمحبة العارمة الطاهرة من لوط (عليه السلام) لقومه، حتى وصفه القرآن الكريم بالأخ، لما في الأخوة من صافي الود، وأنه لربه لهم يدعوهم لنجاتهم بالتقى، وأنه الأمين الذي لم يعتادوا منه إلا صيانة حقوقهم، ورعاية شؤونهم، وهو من المستحيل عليه أن يدلهم إلا على ما ينفعهم دنيا وآخرة.⁽²⁾

وذكر المفسر في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (26)﴾⁽³⁾ بأن النبي لوط (عليه السلام) من أعظم الأنبياء، وأن هناك قرابة دموية بينه وبين خليل الله إبراهيم (عليه السلام)، وبما أنه ابن أخت سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، وأن كون هذا النبي العظيم ومتبع لخليل الله وعلى دينه وعقيدته، كما لو كان الأمر أنه أمة واحدة كاملة معظمة، فعظمة لوط (عليه السلام) كنبى وموحد كافية ولا حاجة بإيمان غيره.⁽⁴⁾

ركز المفسر صاحب الأمتل في هذه الآيات ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذُرِّ (33) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (34) نِعْمَةً مِنَّا عِنْدَكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (35) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالَّذُرِّ (36) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ (37) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ (38) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ (39)﴾⁽⁵⁾، على قضية مهمة هي التخويف والتهديد و الإنذار الشديد من الله سبحانه وتعالى على لسان لوط (عليه السلام)، ومحاولاته تحذير قومه، وإيصال خطورة هذا الإنذار لهم، لكنهم كانوا عمي القلب والعقل، منغمسون في غيهم وضلالهم حتى أذانبهم، وكانوا دائمي الإستهزاء بتهديد و إنذار لوط (عليه السلام) حقيقة، وفي كل ما حصل معه ومع قومه، نفهم من كلام المفسر في هذا الإنذار أن لوطاً (عليه السلام) هو نذير ومحذر لقومه حمل لهم تهديداً شديداً بلزوم الحق، وعندما لم ينصاعوا لنذيره جاءهم العذاب فأفناهم.⁽⁶⁾

أما صاحب الميزان فقد ركز على الآية ﴿نِعْمَةً مِنَّا عِنْدَكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (35)﴾، في إظهار سيدنا لوط (عليه السلام) وأهل بيته، أن الله سبحانه نجاهم لأنهم من الشاكرين، والشاكر حقه النجاة، وأيضاً أشار إلى شديد إنذار لوط (عليه السلام) وتخويفه لهم، ولكن لم ينفعهم.⁽⁷⁾

وقد تحدث المفسر في الأمتل عن لوط (عليه السلام) كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾⁽⁸⁾ بأنه النبي العظيم، الذي ذاق المرار من سوء قومه، وبذل الغالي والنفيس من الجهد والوقت والمال، وحتى بناته بذلهم وقدمهم في طريق صلاح قومه، وهم مصرّون على

(1) سورة الشعراء، الآيات 161-164.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 440.

(3) سورة العنكبوت، الآية 26.

(4) ينظر الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 16، ص 35.

(5) سورة القمر، الآيات 33-39.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 26، ص 355-356.

(7) ينظر تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج 19، ص 62.

(8) سورة الصافات، الآية 133.

فجورهم، وهو الحكيم العاقل الذي ما علم حقيقتهم حتى جلس يدعو عليهم بأشد العقاب، واستجاب له ربه أسرع استجابة.⁽¹⁾

لوط (عليه السلام) رحمة ربانية مطلقة، تبعها من استحقها، ويرى الباحث قصة ذنب قومه من أخطر القصص، لما فيها من دمار وتشجيع على الرذيلة، وجب التنبيه على خطورتها لما يحدث في هذه الأوقات من محاولات شيطانية لإحياء هذه الرذائل وجعلها قانونية مقبولة والعياذ بالله.

ذكر الشيرازي في تفسيره مبدأ العصمة من خلال حديثه عن نبي الله لوط (عليه السلام) التي يعده أصلاً كلامياً، وقد ذكر المفسر أدلة على عصمة نبي الله لوط (عليه السلام) منها تنزيهه عن الكبائر، والدفاع عن موقفه في قصة الضيوف، وصبره وجهاده في مواجهة الفساد، والبراءة من زوجته الخائنة، وهذا تأكيد من المفسر على عصمة هذا النبي.

المطلب الخامس: شعيب (عليه السلام):

يُعدّ شعيب (عليه السلام) نبياً من أنبياء الله سبحانه، نسبه ينتهي إلى سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، أرسله الله سبحانه إلى أهل مدين في الشام، وقد وصفه النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: "كان شعيب خطيب الأنبياء"⁽²⁾، وأهل مدين قوم موسرون، يعبدون الأوثان، وذنبهم الخداع والكذب والغش في الموازين، ويخسون الناس في كل معاملاتهم، وقد سمّاه المفسر في الأمتل النبي العظيم لدوره في هداية قومه، ولأنّ الله سبحانه لا يختار لرسالته إلا الشخصيات التي بلغت أعلى درجات التكامل، والقرآن الكريم الذي سمّاه أحاهم كما سبق هو إمّا لصلّة رحم تجمعهم، أو لحبّ شديد ورحمة في قلبه عليهم، وعلى مصالحهم، وهنا زاد المفسر أنّ مدين هو أحد أبناء سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، وعشيرة مدين سمّوا على اسمه وسكنوا مدين الشام، وأنّ نبيهم شعيب (عليه السلام) أول ما دعاهم إلى التوحيد، ورفض عبادة الأوثان، وجاءهم بالمعجزات دعماً لنبوته ودعوته، وقد عمد بكل ما أوتي من قوة ويقين إلى حرب عبادة الأصنام، وحرب كل الاخلاقيات السيئة في هؤلاء القوم من الكذب والغش والخداع في المعاملات والموازين؛ لأنّ هذه المفاصد تدمر المجتمع، وتدمر علاقة العبد بربه، فالفساد المادي وأكل المال الحرام له تأثير تكويني في الأشخاص.⁽³⁾

وقد ذكر صاحب الميزان أخوة شعيب (عليه السلام) لقومه لأنّه كان ينتسب لهم، وأنّه دعاهم إلى التوحيد، وأن يوفوا بالموازين والمكاييل بالحق، وإلى ترك كل عمل يؤذي العباد في

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 22 ص 280.

(2) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج 10، ص 543.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 8، ص 351-352.

الأرض، وأنه بالغ في تبشيرهم وتحذيرهم، مذكراً إياهم أنّ حالهم على خير مايرام، قوله تعالى: ﴿...إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بِخَيْرٍ...﴾ (1). (2)

وفوق ذلك كله شدّد شعيب (عليه السلام) في نصيحة قومه في منعهم من المجالس في الطرقات، وتخويف الناس لصددهم عن السير في طريق الهداية، والإساءة إلى الأفكار المنطقية بالشبهات لغاية تضليل الناس عن الحق، وبعد كل ذلك كان يذكّرهم بنعم الله عليهم، إذ زادهم بالمال والعدد والقوة، وأنهم إن لم يقتنعوا بطريق الهداية فالعذاب والفناء مصيرهم. (3)

وحين نبحت في دعوة شعيب (عليه السلام)، نجد أن بعد الدعوة للتوحيد قد أقام الحرب على الفساد المالي في قومه، وعلى الفساد الإجتماعي والأمني، في وقفة على تفسير آية ﴿...وَلْتَعُوذُنَّ فِي مَلَأْتَنَا...﴾ (4)، ذكر المفسّر في الأمتل على أنه ممكن للبعض أن يفهم أنّ شعيب سابقاً كان على دين قومه الوثنيين، ثم خرج منهم وهذا غير صحيح مطلقاً؛ لأنه لم يكن لنبي إلا أن يكون كاملاً، بل من الوارد أنه لم يكن قد جاءت التكاليفات من ربه بالدعوة إلى الله سبحانه، لم يدافع المفسّر عن طهارة منشأ ومربي وعقيدة شعيب (عليه السلام) فقط، إنما زاد عليها أن وصفه باللين والرقّة عليه، وبدون تعقيد، وأنه كان رفيقاً بقومه موضوعياً برده عليهم بعبارة لطيفة ﴿...قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ (5)، وحقيقة هذا رد الأتقياء الأطهار، وزاد على صفاته الطيبة بصفات أجمل تظهر إرتباطه بربه عز وجل، وإخلاصه في طاعته، في قول المفسّر، ومراد شعيب من هذا الكلام هو أننا تابعون لأمر الله سبحانه، ولا نعصيه قيد شعرة، فعودتنا غير ممكنة إلا إذا أمر الله بذلك. (6)

وفي تفسير الميزان كلام قريب إلى ماسبق قوله، بأنّ (عليه السلام) لم يكن أبداً على عقيدة قومه من الشرك وسوء الأخلاق، إنما هذا الجواب أراد به أتباعه بقوله ﴿قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾، لأنّ إتباعه الذين آمنوا معه هم من القوم الذين كانوا على الضلالة، وهذه العودة لن تكون أبداً، ودليلها ماجاء بعده من الآيات في رفض دعوة قومه، وفي أنّ العودة ستكون حُمقاً وخسارة. (7)

وقد أظهر المفسّر في الأمتل في قوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (8)، والحكمة والعقلانية في شخصية شعيب (عليه السلام) والطاعة والرضا، فيما قضى وأمر به الله سبحانه من القضاء على القوم الكافرين، (9) وقوله ﴿فَكَيْفَ آسَىٰ﴾ هو استفهام أراد به شعيب (عليه السلام) أن

(1) سورة هود، الآية 84.

(2) ينظر تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج 10، ص 543.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 2، ص 352-353.

(4) سورة الأعراف، الآية 88.

(5) الآية السابقة نفسها.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 8، ص 355.

(7) ينظر تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج 8، ص 424.

(8) سورة الأعراف، الآية 93.

(9) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 8، ص 357.

يقول لن آسى، ولا ينبغي عليه إلا أن يكون غير آسف عليهم، ولكن هذا جاء من باب حديث النفس مع الأسف، وخاصة كيف أتعبوه واستهزأوا به، وهو ينصحهم ويدلهم، ويؤدي رسالة الله تعالى لهم وهم معرضون، معاندون أشداء في طغيانهم، ولا أمل في نجاتهم.⁽¹⁾

و أما عن شعيب ولقائه موسى (عليهما السلام) في قوله تعالى: ﴿...قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَفَيْتَ لَنَا...﴾⁽²⁾، تحدث المفسّر عن هذا اللقاء بروحانية جميلة، عندما دخل موسى إلى دار نبي الله شعيب عليهما السلام، هذا الدار المشبع بالروحانية والطهارة، وكأنّ نوره ينتشر في كل مكان، وجد فيه شيخاً مهيباً في صدر المجلس مقبلاً على موسى بأجمل ترحاب.⁽³⁾

وعندما حكى موسى لشعيب قصته، قال المفسّر فيها: "فالتفت موسى إلى أنّه وجد أستاذاً عظيماً تتبع من جوانبه عيون العلم والمعرفة والتقوى، وتغمر وجوده الروحانية، ويمكن أن يروي ظمأه منه".⁽⁴⁾

والحق أنّ شعيباً صادق العهد، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُثِقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾⁽⁵⁾، وقد دلل صاحب الأمتل أنّ شعيباً (عليه السلام) سوف يلتزم بعهده وميثاقه مع موسى عليهما السلام، بما اتفقوا عليه، ولن يجد منه سوى كل إحسان وإصلاح إن شاء الله تعالى.⁽⁶⁾

وقد طرح المفسّر في شرح قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾⁽⁷⁾، آراء المفسّرين الذين قالوا أنّها تحمل معنى السخرية من قومه، انطلاقاً من ملاحظة أسلوبهم في مخاطبته ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾، فقد استنبطوا منها السخرية، وقال مفسرون أنّها فعلاً صفات كان يتصف بها شعيب (عليه السلام) أنّه حليم ورشيد، وسواء كان اتهاماً أو حقيقة.⁽⁸⁾

وفي تفسير الميزان لشرح الآية نفسها، ذكر أنّ ردّه كان ردّاً مسبوکاً بإحكام، أشاروا فيه إلى حريتهم الشخصية في العبادة والتصرف بأموالهم، مستنكرين عليه جرأته في التدخل بشؤونهم، وقد ركّز صاحب الميزان على قضية أنّهم احتجوا عليه في ترك عبادة آبائهم، مشيراً بذلك إلى

(1) ينظر التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ج4، ص473.

(2) سورة القصص، الآية 25.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج12، ص136.

(4) المصدر السابق نفسه، ص137.

(5) سورة القصص - الآية 27.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج12، ص140.

(7) سورة هود، الآية 87.

(8) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج11، ص130.

العصبية العمياء في اتباع الآباء دون دليل، ولكنه أثبت السخرية والإستهزاء في قولهم لشعيب ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾. (1)

ولكن ردّ شعيب هذه التهم عن نفسه بالمنطق السليم، أنه كان على بينة من ربه، كما في جاء في الآية: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۖ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۗ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۗ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (2)، وأني يستحيل أن أعمل شيئا أنهاكم عنه، وحتى في خطابه لهم كان رقيقاً معهم، رقيقاً بهم، يذكّرهم عند كل عبارة أنهم قومه، وهو منهم وهم منه، ولذلك يحب صلاحهم، وإصلاحهم على كل الأصعدة عقائدياً وأخلاقياً وعملياً واجتماعياً، ونسب أن كل هذا العمل الذي يقوم به لولا دعم الله سبحانه له لما كان ليتم، لأنه معتمد على الله تعالى في كل عمله، وعلى يقين أن مرجوعه إلى الله سبحانه. (3)

عدّ الشيرازي في تفسيره هذه الآية، الرزق الحسن هو النبوة، ومعها التوسعة على شعيب (عليه السلام) في رزقه المادي ومعيشته، وفي عبارة ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ أي غايتي مما أدعوكم له أن تنصلح أحوالكم وعلاقتكم بربكم، وفيما بينكم، وأن تدعوا كل ما من شأنه أن يفسد عليكم طيب عيشكم على قدر ما أوتيت من القوة والإستطاعة. (4)

وفي جملة ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾، كان ردّه أنني من المستحيل أن أفكر في تقييد حرياتكم، في أعمالكم وعبادتكم، وأن أتحكم بكم، لأنّي لو أردت ذلك لكنت خالفت ما أوصيكم به، ولكن غايتي الإصلاح قدر المستطاع، وهذه دلالة عميقة على الإخلاص حتى لو لم يذكرها المفسر. (5) بينما في تفسير الكاشف يقول: "المصلح يعظ الناصح بأفعاله لا بأقواله، فشعيب وجميع الأنبياء كانوا يأكلون من عمل أيديهم ويتحملون الأذى من الكافرين والمعاندين". (6)

وفي موضع الدقة في دعوة شعيب (عليه السلام)، قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (181) وَرَزُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ (182) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (183) (7)، الأوامر التي دقق عليها سيدنا شعيب (عليه السلام) في ضرورة إيفاء الكيل والوزن بالحق، وأن لا تبخس الناس في أملاكها، والنهي عن الفساد، أظهرها المفسر كدليل على دقته (عليه السلام) في معالجة الأخلاقيات والمعاملات السيئة من أصحاب الأيكة، وهذا ما يدل

(1) ينظر تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج10، ص546-547.

(2) سورة هود، الآية 88.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج11، ص132.

(4) تقريب القرآن إلى الأذهان، آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، ص639.

(5) ينظر الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج10، ص548.

(6) التفسير الكاشف، الشيخ محمد جواد مغنية، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 2005، مجلد 4، ج12،

ص261.

(7) سورة الشعراء، الآية 181-183.

على حرصه مراعاة أدق الحق في معاملاتهم، سواء كانوا آخذين أو معطين، وأن تكون كل معاملاتهم بالعدل، وأن يبتعدوا عن الإساءة إلى أرزاق الناس أو شخصياتهم، وأن يبتعدوا عن مظاهر الإفساد.⁽¹⁾

ركّز المفسّر على عصمة نبي الله شعيب (عليه السلام) من خلال نقاط عدة، نزاغته عن الخطأ في التبليغ، و طهارته من الإنحرافات الأخلاقية، والثبات والقوة أمام الضغوط، والمقام المعنوي الخاص له.

⁽¹⁾ ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج11، ص289.

المبحث الثاني:

إِسْمَاعِيلُ، وَإِسْحَاقُ، وَيَعْقُوبُ، وَيُوسُفُ (عليهم أفضل الصلاة والسلام)

المطلب الأول: إِسْمَاعِيلُ (عليه السلام) الذبيح:

قال مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام): "الذبيح إِسْمَاعِيلُ"⁽¹⁾، "وإِسْمَاعِيلُ (عليه السلام) هو ابن إِبراهيم (عليه السلام)، وإِسْمَاعِيلُ إسم علم أعجمي معناه بالعربية مطيع الله"⁽²⁾، في المجمع عن الباقر (عليه السلام): "إِنَّ إِسْمَاعِيلَ أَوْلَ مَنْ شَقَّ لِسَانَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ"⁽³⁾.

والآيات التي أوردها المفسر صاحب الأمتل عن إِسْمَاعِيلِ (عليه السلام)، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128)﴾⁽⁴⁾، إذ ذكر أنّ هذه الأدعية التي دعاها إِبراهيم وإِسْمَاعِيلُ عليهما السلام، تدل على عظمة وعلو شأن هذين النبيين، لما في هذه الأدعية من حرص على العلاقة بالله سبحانه، وخوف على الأمة في جميع مصالحها، وطلب التقويم من الله لإصلاح شأننا وعلاقتنا مع الله سبحانه وحده لا شريك له، والتوبة والرجوع المستمر لله تعالى، مع طلب الهداية للأمة من أتباع إِبراهيم (عليه السلام)⁽⁵⁾.

أما البيضاوي فقد تحدث في تفسيره عن مشاركة إِسْمَاعِيلِ (عليه السلام) في بناء الكعبة المشرفة، فقال إما أنّ إِسْمَاعِيلَ كان يقوم بتقديم الحجارة لأبيه، ليضعها في البناء، أو أنّهما يتناوبان في عملية البناء⁽⁶⁾، أما القمي عن الصادق (عليه السلام)، قال: "لم ي بلغ إِسْمَاعِيلُ مبلغ الرجال، أمر الله إِبراهيم أن يبني البيت"⁽⁷⁾، والمعنى أنّ إِسْمَاعِيلَ بعونه لوالده (عليهما السلام) له دور أساس في البناء، ولم يوكل الله سبحانه إِبراهيم ببناء البيت حتى شبَّ إِسْمَاعِيلُ وأصبح قادراً على عون أبيه، والمؤكد أنّ هذا تكريم من الله سبحانه وإظهار لدوره (عليه السلام).

(1) أمالي الطوسي، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى سنة 460هـ، تحقيق: نضال علي - علاء الدين الاعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ص 215.

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف أبي الثناء شهاب الدين الألوسي البغدادي، متوفى 1270هـ، تحقيق أبو عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبدالغفار، مجلد 1، ص 575.

(3) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج 1، ص 141.

(4) سورة البقرة، الآية 127 و 128.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 2، ص 263 264.

(6) تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبي الخير عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي، اعداد محمد بن عبدالرحمن المرعشلي، توفي 691هـ، ط جديدة منقحة، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، المجلد الأول، ص 106.

(7) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج 1، ص 141.

وقد ذكر سيدنا إسماعيل (عليه السلام) في بعض الآيات من سورة البقرة، لكن صاحب الأمتل لم يتحدث فيها عن صفاته؛ لأنّ سياق ذكره في الآيات لم يتطرق إلى صفاته (عليه السلام)، إنما الحديث كان يخص أتباعهم ورسالتهم وليس شخصهم أو صفاتهم (عليهم السلام).

وفي سورة النساء، الآية (163) قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (163)، وبحسب الآية إسماعيل موحى إليه مثل بقيه الأنبياء (عليهم السلام)، أي أنّه كان يأتيه الوحي، وهذا أمر طبيعي على بعض الأنبياء، وقد وضّح المفسّر الأمر بقوله: "لم يكن من عدل الله سبحانه أن يترك البشر دون مرشد أو قائد"،⁽¹⁾ وهذا القائد مهمته أن يعلم العباد واجباتهم تجاه ربهم ومجتمعهم وأنفسهم.⁽²⁾

وقد تحدث البيضاوي في شرح هذه الآية بأنّ الله عزّ وجلّ خصص هؤلاء الأنبياء بأن ذكر أسمائهم، لكي يرفع شأنهم (عليهم السلام)، ويدلّل على عظيم قدرهم، وهم أشهر الأنبياء، وفيهم إبراهيم أسبق الأنبياء بأولي العزم وصاحب أول شريعة.⁽³⁾

وقوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (86) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (88) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوًّا بِهَا بِكَاْفِرِينَ (89) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُمْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (90)⁽⁴⁾، ذكر الله سبحانه أسماء ثلاث مجموعات من الأنبياء، ورد في جملتهم سيدنا إسماعيل (عليه السلام)، على أنّه من ولد إبراهيم عليه وآله الصلاة والسلام، وعلى أنّه هبة الله كبقية الأنبياء، والهبة من الله سبحانه لإبراهيم الخليل لا تكون إلا بالخير المطلق، والشكر على طيب الأعمال، وجعله ممن فضله الله تعالى على العالمين، وقد أوضح المفسّر في الأمتل أنّ التفضيل على العالمين ربما لأنّه من المهاجرين بإخلاص لله سبحانه.⁽⁵⁾

وقد أسهب المفسّر في الأمتل في الحديث عن عظمة أخلاق هؤلاء الأنبياء (عليهم السلام) في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ...﴾ (89) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُمْ...⁽⁶⁾، وأنهم استحقوا الهداية والتوفيق، والإختيار للمهمات العظيمة من الله سبحانه، لتأصل

(1) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 314

(2) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 313-314.

(3) تفسير البيضاوي، الشافعي، ج 2، ص 109.

(4) سورة الأنعام من الآية 84 - 90.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 7، ص 117.

الأخلاق العالية والعظمة في شخصياتهم، وهذا سبب جعلهم أنبياء، وفوق النبوة أصحاب شرائع بكتب سماوية، أعطاهم بها الله سبحانه الحكمة وحسن التدبير، وجعلهم قدوة وقادة بالحق لأقوامهم، وفصل المفسر في معاني كلمة (وَالْحُكْمُ) أنها ربما تعني الحكمة وحسن التعامل مع المشكلات التي يتعرضون لها، ومرة بمعنى القضاء العادل، وأخرى بمعنى الحكومة والسيطرة على مقاليد الأمور، وهذا الحديث كله ورد بشكل عام عن الأنبياء المذكورين في الآيات، ولم يخص إسماعيل (عليه السلام) فيها، وأردف في الشرح أنه ربما يقصد من هذا الكلام في القدوة أن يجعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هؤلاء الأنبياء قدوة له في الصبر والإحتمال والثبات على المبادئ، تخصيص إسماعيل (عليه السلام) في هذه الآيات هو لشهرته بالصبر، وأنه لا يخشى في طاعة الله سبحانه لومة لائم، وبعض المفسرين قد جعلوا هذه القدوة تعني القدوة في الدعوة إلى التوحيد.⁽¹⁾

وقد تحدث المفسر في الأمتل عن صبر إسماعيل (عليه السلام)، في شرحه للآية ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (85) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (86)⁽²⁾، فهو من الأنبياء الصابرين، وأنه قضى عمره كله في صبر وأذى من الأعداء، وثبت أبلغ الثبات أمام كل شيء، ولم تخرجه كل الضغوط عن استقامته المثلى، وجزاه على ذلك أن أدخله الله سبحانه في رحمته، و دَلَّلَ عَلَيْهَا أَنَّ إِسْمَاعِيلَ (عليه السلام) وغيره كان مغموماً بالرحمة جسدياً وروحياً،⁽³⁾ وفي العيون عن أخبار الرضا عن أمير المؤمنين (عليه السلام): "كل هؤلاء من الصابرين على مشاق التكليف وشدائد المصائب"⁽⁴⁾.

وقد قال البيضاوي: "في ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ يعني: النبوة أو نعمة الآخرة، و﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، أي الكاملين في الصلاح عليهم الصلاة والسلام، فإن صلاحهم معصوم عن كدر الفساد".⁽⁵⁾

إسماعيل الحليم (عليه السلام) في سورة الصافات وفي قصة الذبح، وصفه ربه سبحانه بالحليم: ﴿فَبَشِّرْهُ بِبُحْلَمٍ حَلِيمٍ﴾ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103)⁽⁶⁾، وصفه بالحليم، وهنا ميزة عظيمة أن إسماعيل (عليه السلام) وهبه الله سبحانه الحلم، وهو غلام، وقد تجلّى حلمه في قبوله رؤيا والده النبي (عليهما أفضل الصلاة والسلام) بكل رضا ويقين، وبيّن أن الحليم هو الذي لا يعجل الأمر رغم قدرته عليه، وعنده كل الإدراك والعقل،

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 7، ص 118 – 120.

(2) سورة الأنبياء - الآية 85.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 269.

(4) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج 2، ص 469.

(5) تفسير البيضاوي، الشافعي، ج 4، ص 58.

(6) سورة الصافات، الآيات 101-103.

وفي وصفه قال: "الولد الذي كان نسخة طبق الأصل عن والده والذي تعلم خلال فترة عمره القصيرة الصبر والثبات".⁽¹⁾

أما في تفسير الصافي لقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِأَنَّكَ بِرَحْمَةِ رَبِّكَ عَلَيْكَ﴾، أن المعنى بها هو سيدنا إسماعيل (عليه السلام)، فقد سبقت بشارة الله سبحانه لإبراهيم بإسماعيل بشارة إسحاق (عليهم السلام أجمعين). ومما ذكره الصافي أيضاً أن الله سبحانه لم يصف نبياً من أنبيائه بالحلم إلا إبراهيم وولده (عليهما السلام)، لشديد ابتلائهم بقصة الذبح.⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾، قال البيضاوي عنها: "كان يومئذ له ثلاثة عشر سنة"⁽³⁾.

ومن تربي في كنف خليل الرحمن، ومن اختاره الله للنبوة بعد أبيه، وشكره في كتابه العزيز، وذكره بالحلم، ليليق به صبر الأنبياء وأن يكون رحيماً أيضاً بأبيه، ورغم عظيم المحنة فإنه لم يخرج عن أخلاق البر، وخاطب أباه الذي حضّره للذبح بكلمة ﴿يَا أَبَتِ﴾ المليئة بالود والرحمة، سبحانه الله.⁽⁴⁾ فعلاً الله عزوجل أعلم حيث يضع رسالته.

ركّز المفسر حول عصمة نبي الله اسماعيل (عليه السلام) عند ذكر صفاته في القرآن الكريم، وفي مسألة الإبتلاء بالذبح هو في الضرورة العقلية والشرعية، إذ لا يمكن للأنبياء الوقوع في الذنوب.

المطلب الثاني: إسحاق (عليه السلام):

أشار الله عز وجل إلى سيدنا إسحاق (عليه السلام) في القرآن الكريم في سورة البقرة وسورة آل عمران، دون أن يقف على صفات أو يظهر شيء في شخصيته أو حقيقته، لكن في سورة النساء قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (163)﴾⁽⁵⁾، ذكره مع الأنبياء الذين نزل عليهم الوحي من رب العزة سبحانه، لتدل على أن رسالته (عليه السلام) هي نفس رسالة أبيه وإخوته وأبنائه من الأنبياء، غايتها وهدفها التوحيد وطاعة الله سبحانه، وسمّاهم المفسّر في شرحه للآية بالمرشدين والقادة ومعهم إسحاق (عليه السلام)، يعلمون العباد تكاليفهم، وأيضاً جاؤوا بالبشارات من الله سبحانه لمن أطاع بجنات النعيم،

(1) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 257.
(2) ينظر تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج 3، ص 209-210.
(3) تفسير البيضاوي، الشافعي، المصدر السابق، ج 5، ص 15.
(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 257.
(5) سورة النساء، الآية 163.

والإنذار لمن عصى أنّ العذاب بانتظاره، ولذلك لم يُبق الله سبحانه لهم أي عذر أو حجة في التزامهم دعوات الأنبياء.⁽¹⁾

وفي تفسير الميزان ذكر أنّ بعض هؤلاء الأنبياء قد جاء بكتاب سماوي، كداوود الذي جاء ومعه الزبور، وموسى الذي أُيد بالتكليم، وهي وحي من الله سبحانه بالنبوة، وقال: "وغيرهما كإسماعيل وإسحاق ويعقوب أرسلوا بغير كتاب، وذلك أيضاً عن وحي نبوي"⁽²⁾، والمقصود أنّ هؤلاء (عليهم السلام) لم يكن معهم كتب، ولا جاؤوا بشرائع خاصة، ومع ذلك نبوتهم وحي من الله سبحانه.

وإسحاق هدية أبيه (عليهما السلام)، وقد أورد المفسّر في الأمتل في شرحه لقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾⁽³⁾، أنّ ولادة إسحاق (عليه السلام) من سارة في عمر متقدم، وقد فاتها موضوع الإنجاب والولادة، وهو بحد ذاته نعمة عظيمة وعجيبة من العجائب لم تكن في الحسبان، وهذه النعمة ليس فقط لأنّ أباه كان نبي في مرتبة خليل للرحمن، إنما الهبة العظيمة هي أنّ الله سبحانه أنزل نور هدايته في كل حياته (عليه السلام) معنوياً ومادياً (كُلًّا هَدَيْنَا)، وهذا نتيجة لكونه طاهراً في ذاته وسيرة حياته.⁽⁴⁾ وفي تفسير البرهان عن العياشي: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنِ الثَّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ((عليه السلام)) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا لِنَجْعَلَهَا فِي أَهْلِ بَيْتِهِ﴾،⁽⁵⁾ فإسحاق (عليه السلام) نعمة وهبة ونبي، استحق هذه المرتبة استحقاقاً لازماً من فكره وعمله المنطبقان على الصراط المستقيم.

إسحاق بشارة أمّه وأبيه أعاد الله سبحانه ذكر إسحاق (عليه السلام) بطيب الذّكر، في سورة هود: ﴿وَأَمْرًا تُهَاجِرُ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾⁽⁷¹⁾، أنّه بشرى خير عظيمة جداً، لكون الله سبحانه أفرح قلب إبراهيم وزوجته (عليهما السلام) بقدم الولد المحرومين منه، وفوقها هو الولد النبي الذي سيكمل سيرة أبيه (عليه السلام)، فخليل الرحمن حاشاه أن يطلب ولداً للدينيا وزينتها، إنما ولداً يكمل رسالة التوحيد، فجاءته البشرى بمجيء إسحاق وبعده ولده يعقوب (عليهما السلام)، من خيرة الأنبياء والصالحين والدعاة إلى الله رب العالمين.⁽⁶⁾

وقد تحدث المفسّر في الأمتل عن نفس معاني النبوة والنعمة العظيمة، التي حباها الله تعالى لإبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليهم السلام)، في شرحه هذه المعاني في سورة إبراهيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 5، ص 314.

(2) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج 5، ص 99.

(3) سورة الأنعام، الآية 84.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 7، ص 113.

(5) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج 2، ص 448.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 107.

الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39)، بأن جعلهم أنبياء، ومربين للخلق على التوحيد وطاعة الله سبحانه، وفوق هذه النعم جعل الله لهم الذكر الطيب المبارك إلى يوم القيامة، وهذا أعظم ما يحصل عليه الإنسان،⁽¹⁾ وقد دُلل عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: "لسان الصدق للمرء يجعله الله في الناس خيراً من المال يأكله ويورثه".⁽²⁾

أما في مجمع البيان فقد عدّ هذا الحمد اعترافاً من إبراهيم (عليه السلام) بأن ولادة إسماعيل وإسحاق عليهما السلام هبة عظيمة، وخاصة أن قد رزق بهما بعد عامه التسع وتسعون.⁽³⁾

وقوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۗ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (73)﴾، قال صاحب الأمتل: "كان كل منهما نبياً عظيماً الشخصية"،⁽⁴⁾ ويعني لم يكن بالصلاح العادي الذي يتصف به البشر العاديين من الصالحين، إنما نبياً على درجة عالية من العظمة والرفعة، وفوق مقام النبوة الذي حملوه أخلص الحمل جعلهم الله أئمة، وأوضح المفسر أن الإمامة قضية تختلف قليلاً عن النبوة، فالإمامة هي زمام القيادة الكاملة في المجتمع بكل معانيها، وإقامة الحكومة الربانية الكاملة تنفيذاً لمراد الله سبحانه في بناء المجتمع، أمّا النبوة فهي تنفيذ أوامر الله سبحانه وإبلاغ الناس تكاليفهم أمام الله تعالى، ومع التحذير من عواقب المخالفة، والتبشير بثواب الطاعة بالقدوة الحسنة.⁽⁵⁾

وقد ذكر صاحب بيان السعادة أن الله سبحانه وهب إسحاق لإبراهيم عليهما السلام بعد انتقاله إلى الشام، وفي قوله تعالى ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، نفى عنهم سيطرة إبليس عليهم، أو أهواء نفوسهم، أو أي شيء منها، وأن الوحي إليهم كالوحي المرسل إلى جميع الرسل، فهم يقومون بكل الأعمال الخيرة، وفوقها محافظون على صلواتهم، ويدفعون زكاة أموالهم، ولم يشركوا بعبادة ربهم أحد، إذ ركّز في شرحه على فكرة الإخلاص لله سبحانه، وأنهم كانت قرة عينهم بإخلاصهم لربهم.⁽⁶⁾

ذكر الله سبحانه إسحاق مع أبيه وابنه (عليهم السلام) في قوله: ﴿وَإِذْ كُنَّا عِبَادًا لِّإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾⁽⁷⁾، بأنهم أصحاب قوة وحكمة، وهذه القوة متعددة المناحي، فهي قوة في الإدراك وقوة في معرفة الصحيح، وقوة وقدرة على فعل وعمل كل ما

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 50.

(2) الكافي، الشيخ الكليني، ج 2، ص 154.

(3) ينظر تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج 6، ص 86.

(4) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 1، ص 253.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 253.

(6) ينظر تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة، سلطان محمد الجنازدي الملقب بسلطان علي شاه، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط 1، بيروت لبنان، 1988م.

(7) سورة ص، الآية 45.

يرغبون في عمله، وهذا كناية عن أنهم جميعاً أصحاب علم عميق واسع، وقدرة عالية مستطيلة، عارفين تفاصيل الأحوال، وكافة نقاط القوة والضعف في كل ما يخص مشاريعهم التوحيدية، وعلاوة على ذلك فهم قدوة عظيمة لكل اتباعهم، وحتى غير اتباعهم، وأن الله سبحانه اختص إسحاق (عليه السلام) مع بقية الأنبياء، وجعله من أنقى وأعلى الذين اختارهم لرسالاته وتبليغاته، وفوقها جعل ذكرهم خالداً عامراً بكل رفيع عالٍ من القول الحسن في مدحهم وذكرهم عند كل دعاء وابتهاال، وفوقها الغرفات العاليات والمقامات القريبات من عرش الرحمن.⁽¹⁾

وقد قال ابن عبد السلام في تفسيره قوله تعالى: ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ قال: "الأيدي قوة أبدانهم والأبصار قوة أديانهم، أو الأيدي العمل والأبصار العلم".⁽²⁾

يؤكد المفسر المبدأ نفسه الذي ذكره في سائر مواضع الحديث على الأنبياء (عليهم السلام) الذين يتمتعون بالعصمة من الكفر والشرك والكبائر، والصغائر المذلة والخطأ في التبليغ عن الوحي.

المطلب الثالث: يعقوب (عليه السلام):

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن (عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام)، ورد عن ابن عباس في زبدة التفاسير أنّ سبب تسمية يعقوب (عليه السلام)، أنه كان له أخ توأم يسمى عيس، وقد خرج عيس من رحم أمه قبل يعقوب، وخرج وراه يعقوب وهو ممسك بعقبه، لذلك جاءت تسميته بيعقوب.⁽³⁾

وقد ذكر المفسر في الأمتل في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (132) أم كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَانُكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133))⁽⁴⁾، أنّ الرحمن سبحانه خصّ يعقوب (عليه السلام) في وصيته المشابهة لوصية إبراهيم (عليه السلام)، أنّ الله سبحانه جعلهم على الدين الحق، ولن ينفعهم شيء في الدنيا سوى التسليم المطلق لله رب العالمين، وسماه المفسر منهج إبراهيم ويعقوب ووصفه به وأثبت له،⁽⁵⁾ والأمر واضح فليس لأحد أن يوصي بشيء إلا وهو يعلم أنّ فيه صلاح قومه المطلق

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 22، ص 375-376.

(2) تفسير القرآن الكريم العظيم، العز بن عبد السلام، 578-660هـ، تحقيق حمد فتحي عبد الرحمن حجازي، الناشر: دار الكتب العلمية، ج4، ص67.

(3) ينظر زبدة التفاسير، المولى فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني، ج1، ص243.

(4) سورة البقرة، الآية 132-133.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 22، ص 375-376.

في الدنيا والآخرة، ومما ذكره أيضاً نهيه أبناءه على أن يكونوا على غير دين الإسلام، وأنّ موتهم على غير دين الله الحق هو موت خسارة وخذلان.⁽¹⁾

أما في البحر المحيط في سبب وصية يعقوب، أنّه حين وصل إلى مصر، وجد أنّ المصريين يعبدون الأصنام والشمس والقمر، فخاف أن يدخل على أولاده شي من هذا، فجمعهم وأوصاهم وحذرهم.⁽²⁾

وقد ذكر الله عز وجل يعقوب في جملة أنبياء قد أوحى إليهم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (163)،⁽³⁾ وعليه فيعقوب (عليه السلام) من الأنبياء الذين كان يأتيهم الوحي، فهو مطلوب منه أن يكون قدوة وقائداً، ودليلاً يهدي قومه، ويبلغهم ويقودهم إلى طاعة ربهم، وقد شملهم (عليه السلام) بكونه مبشراً بثواب قادم، ونذيراً من سوء العاقبة إن لم يلتزموا خط الطاعة.⁽⁴⁾

وفي زبدة التفاسير أنّ الله سبحانه خصّ هؤلاء الأنبياء (عليهم السلام) من باب التعظيم لهم، ومن باب تثبيت أنما جاؤوا به إنما جاؤوا به من عند رب السموات سبحانه.⁽⁵⁾

ويعقوب (عليه السلام) هدية الرحمن إلى نبيه إبراهيم (عليه السلام)، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (84)،⁽⁶⁾ وهذه الهدية ليست عادية، إنّما هدية برتبة نبي استحق نبوته بعمله وصلاح سيرته، وعلو همته في طاعة الرحمن.⁽⁷⁾

كما أنّه بشارة جدّه وجدته وخير مفرح، والأنبياء لا يفرحون إلا بالذي يقربهم من ربهم سبحانه وتعالى كما جاء في كتابه الكريم: ﴿وَأْمُرْهُمْ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (163)،⁽⁸⁾ وكيف لا يفرح ولا يفرح وقد علم أنّه سيرزق بذرية صالحة تستمر في حمل رسالته، ونشر دينه وحمل الناس على طاعة ربهم سبحانه وتعالى،⁽⁹⁾ وعند صاحب زبدة التفاسير أنّ يعقوب (عليه السلام) رزق وهبة من الله سبحانه إلى إبراهيم (عليه السلام)، وأنّ من تمام النعمة على إبراهيم (عليه السلام) أن هدى الله سبحانه ولديه وحفيده، وهم من المكرمين المفضلين بنعمة النبوة

(1) ينظر زبدة التفاسير، المولى فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني، ج 1، ص 244.

(2) ينظر البحر المحيط، الاندلسي، مجلد أول، ص 572.

(3) سورة النساء، الآية 163.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 5، ص 314.

(5) ينظر زبدة التفاسير، الشريف الكاشاني، ج 2، ص 195.

(6) سورة الأنعام، الآية 84.

(7) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 7، ص 183.

(8) سورة هود، الآية 71.

(9) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 109.

وسيهبهم الله سبحانه المعجزات الباهرة، والكرامات المباركة، وأن هذه الكثرة والنبوة المستمرة في ولد إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) هي جزاء إحسان إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام)، وذلك في إخلاصه وتفانيه فيما أوكله الله سبحانه له في نشر دعوة التوحيد.⁽¹⁾

ويظهر لنا يعقوب في سورة يوسف بالعارف الخبير الصبور، الذي جاء ولده يقص عليه رؤية تدل على عظمته، وهذه في معرض تفسيره للآيات: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (5) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنمِّئُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6)﴾⁽²⁾، ورؤيا ولده جعلته في تفكر عميق، علم منه أن لولده مرتبة عالية سوف ينالها وخاف عليه، فهو يعلم ما بنفس إخوته عليه من كيد، وحذره من إخبار إخوته بالرؤيا، لأنه يعلم أن إبليس لن يتركهم حتى يضلهم في أخيهام، وقد علم أيضاً أن الله قد اختار يوسف (عليه السلام) لمقام رفيع.⁽³⁾

وفق تفسير حسن البيان، علم يعقوب (عليه السلام) من خلال الرؤيا أن الله تعالى سيرفع يوسف (عليه السلام)، إلى أعلى مقام، وأنه خاف على ولده من كيد إخوته، فهم أكبر منه سناً ولن يطيب لهم أن يسودهم أخاهم الصغير، فأمر ابنه أن يكتنم عنهم رؤياه ليحفظه، وهو عين الحكمة.⁽⁴⁾

ويظهر يعقوب (عليه السلام) الأب الشفيق المتحرّق على ولده، كما جاء في سورة يوسف ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (18)﴾، فهو الذي يعلم ويسلم لله سبحانه، كما سلمت أم موسى يوماً ولدها لله سبحانه، أسلم فلذة كبده لإخوته عالماً بالذي سيحصل، وودّع ولده دمع العين مدمى القلب على فراقه.⁽⁵⁾

ويعقوب (عليه السلام) في تفسير حسن البيان، كان حائراً ماذا يفعل بأولاده بعد علمه بإختفاء يوسف، وفهم من مجريات ماجاء به أولاده أنهم كاذبون، لكن لم يكن عنده دليل حتى يعاقبهم، واختار أن لا ينتقم منهم ولا يعاقبهم، إنما يصبر ويستعين بالله سبحانه، ولا أحد غير الله.⁽⁶⁾

وعندما فعل أخوة يوسف ما فعلوه في أخيهام، وجاءوا أباهم بكذبتهم، فجع قلب يعقوب (عليه السلام) حتى قيل في بعض الروايات أنه أغشي عليه وهو لم يصدقهم، لأنه لاحظ أن القميص الملوّخ بالدم الكذب لم يمزق، وفي رواية عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: "لما أوتي بقميص

(1) ينظر زبدة التفسير، الشريف الكاشاني، ج2، ص423.

(2) سورة يوسف، الآية5-6.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 193-194.

(4) ينظر تفسير البليسانى المعروف بحسن البيان في تفسير القرآن، المرحوم العلامة الشيخ محمد بن طه البليسانى، ط1، 1438هـ-2017م، المجلد الثالث، ص1163.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 214.

(6) ينظر تفسير البليسانى المعروف بحسن البيان في تفسير القرآن، البليسانى، ص1197.

يوسف إلى يعقوب، فقال: اللهم لقد كان ذنباً رقيقاً حين لم يشقّ القميص، قال: وكان به نضح من دم" (1)، ولكن رغم الفاجعة لم يخرج عن صبره، ولم يقل إلا ما يرضي الله تعالى حين قال: ﴿فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، والتجأ إلى ربه يطلب الصبر، ويرتجى من الله سبحانه أن يهبه القدرة على تحمل تبعات فقد عزيزه، (2) سئل الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ فقال: (حزن سبعين تكلّى بأولادهما). (3)

وقد طهر الله ذكر يعقوب (عليه السلام) من الشرك، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبَعْتُم مَّلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (38)، (4)، ونسبه إلى النبوة والتوحيد وإلى أبيه إبراهيم الخليل، وحاشاهم أنبياء الله وخزان وحيه أن يمستهم ما يضرهم (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، فالصبر الجميل الذي طلبه يعقوب (عليه السلام)، أثبت لنا حكمة الله سبحانه في أحقية اختياره للنبوة، وتطهيره من الشرك، وهذا الذي شكر عليه يوسف (عليه السلام) ربّه معللاً مافيه من الهمة والبلوى بسبب قلّة شكرهم، وعدم معرفتهم لبركات الشكر. (5)

ويعقوب وإسحاق أبيه وجده إبراهيم (عليهم الصلاة والسلام)، فخر بهم سيدنا يوسف (عليه السلام)، وموضع شاهدنا أنّ يعقوب والد يوسف (عليهم السلام)، محط فخر يوسف وهو من الأنبياء مع أبيه وجده، وهم أشرف الخلق، ولكن هذا الفخر من يوسف لم يكن من باب الغرور، إنما أظهره ليزداد به ثقة وقرباً من قلوب المساجين، فيسهل عليه هدايتهم. (6)

أما قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (49)، (7)، فقد قال صاحب الأمتل في صفة يعقوب (عليه السلام) هنا: "إلا أنّ هذه الموهبة العظيمة حيث وهبه ولداً كإسحاق، وحفيداً كيعقوب، وكل منهما كان نبياً سامي المقام"، (8) فإسحاق ويعقوب (عليهما السلام) هبة وهدية في قمة العظمة أتحف الله سبحانه بها قلب إبراهيم الخليل، وهما نبيان في أعلى وأرقى درجات النبوة، وهما مكافأة إبراهيم (عليه السلام)، واستجابة دعوته في بقاء الدين والعقيدة والدعوة إلى التوحيد في ذريته، وأوردها في الآية ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ

(1) تفسير العياشي، المحدث الجليل محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي المعروف بالعياشي، المتوفى 320 هـ، المحقق محمد حسين الطباطبائي، آخر ذي القعدة 1380 هـ، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ج2، ص171.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11 ص، 216-217.

(3) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج1، ص350.

(4) سورة يوسف، الآية 38.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج11، ص255.

(6) ينظر حسن البيان في تفسير القرآن، الباليساني، المجلد الثالث، ص1235.

(7) سورة مريم، الآية 49.

(8) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15 ، ص 50.

لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا⁽¹⁾، وأنّ هذه الرحمة هي فقط اختصاصاً للعباد المخلصين (بفتح اللام)، هنا جعل يعقوب (عليه السلام) في جملتهم، وأتبعها أن جعل له الذكر الطيب المبارك الدائم في الخلق أجمعين إلى يوم الدين.⁽²⁾

وقد أوضح المفسّر في تفسير المراغي أنّ إبراهيم (عليه السلام) بعد اعتزاله لقومه وأفعالهم، وهبه الله سبحانه عظيم القدر، والذرية المباركة فقال: "فقد وهبه إسحاق وولد لإسحاق يعقوب، وقاما مقامه بعد موته، وورثا منه النبوة"⁽³⁾، أي جعلهم الله سبحانه أنبياء بعد أبيهم إبراهيم (عليهم السلام)، وغمرهم الله سبحانه ببركاته، من طهارة النسل واستجابة الأديعة، وتلطف بهم في كل ما قضى لهم، وبارك لهم في أرزاقهم كلها.⁽⁴⁾

والحفيد المبارك في سورة الأنبياء في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۗ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (73)﴾، يعقوب (عليه السلام) الحفيد المبارك الذي جاء عطاء مباركاً من رب العزة سبحانه لإبراهيم الخليل (عليه السلام)، تتابع ما أمّله إبراهيم من ربه في جعل الدعوة إلى التوحيد والعبادة سمة تسري في ذريته إلى يوم الدين، وأنّ الله سبحانه أتمّ عليهم كل البركات الروحانية وجعلهم فوق كل ذلك أنبياء وقادة وأئمة ومرشدين حاملين لواء التوحيد، مسدّدين بالوحي، والذي شرّحه المفسّر بأنّه شريعة ومنهجاً أمرهم به لكي يطبقوه وبرنامجاً إصلاحياً في حياتهم، هم قادرين عليهم بدعم من الله سبحانه إذ جبلهم على فعل الخير وأقدرهم عليه، وصرف عنهم كيد الشيطان وذلك لإستعدادهم الذاتي، ولأنهم على التوحيد الخالص قولاً وفعلاً لأنّهم خير من قال وعمل.⁽⁵⁾

وفي تفسير المراغي قال: "أي وهبنا لإبراهيم إسحاق وولد، ويعقوب وولد، عطية منا وفضلاً، لا جزاء مستحقاً"، كذلك قال: "﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ أي وجعلنا من إبراهيم وإسحاق ويعقوب مطيعاً لربه مجتنباً لمحارمه"⁽⁶⁾، وتابع أيضاً في شرحها ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً﴾ أي إمامتهم في دعوة الناس إلى طاعة الله سبحانه بالقول والعمل، وإقامة الصلاة ودفع الزكاة بمنتهى الخشوع.⁽⁷⁾

وقد شرح المفسّر في الأمتل، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ذُكِّرُوا عَبْدًا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (46) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ

(1) سورة مريم، الآية 50.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 15، ص 50.

(3) تفسير المراغي، تأليف أحمد مصطفى المراغي استاذ الشريعة الإسلامية والعربية بكلية دار العلوم، توفي

1371هـ، الطال 1365 هـ-1946م، المجلد السادس، ج 16، ص 39.

(4) ينظر المصدر السابق نفسه.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 15، ص 253-254.

(6) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، المجلد السادس، ج 17، ص 145.

(7) ينظر المصدر السابق نفسه.

الأخيار (47) (1)، قائلاً: "وقد وصف البارى عز وجل أنبيائه بأنهم نوا إدراك وتشخيص وبصيرة، وذو قوة وقدرة كافية لإنجاز أعمالهم"، (2) وفي تفسير المراغى لقوله تعالى: ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾: "أي اذكر صبر عبادنا الذين شرفناهم بطاعتنا، وقويناهم على العمل لما يرضينا، وأتيناهم البصيرة في الدين والفقّه في أسرارّه والعمل النافع به". (3)

وقد قال صاحب الأمتل في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاَهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرِي الدَّارِ﴾، أن غاية هؤلاء الأنبياء لم تكن يوماً في هذه الحياة الدنيا، وطيباتها المحدّدة، بل غايتهم النعيم الأبدي يوم الحساب، ولأجله يقدمون أخلص الجهد واليقين، (4) في حين علل صاحب الميزان أنّهم كانوا أولي أيدي وأبصار؛ لأن الله سبحانه وهبهم ميزة خالصة نقيّة رفيعة المستوى، وهي طيب ذكرهم على ألسن العباد إلى يوم القيامة. (5)

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾، تحدث صاحب الأمتل إنّ يقين هؤلاء الأنبياء وفعلهم الخير، هو أهم سبب في اختيار الله سبحانه لهم، من أجل القيام بمهمات الرسالة والنبوة وعليه أصبحوا أجدر الخلق بكلمة الأخيار، يقينهم راسخ، أخلاقهم نقيّة، وقد ربطوا قولهم بفعلهم طيلة عمرهم، (6) في حين قال صاحب المراغى: "أي هم الذين جُبلت نفوسهم على الخير في دين الله". (7)

ولم يكن الله عز وجل ليختار أنبيائه إلا من معادن نقيّة طاهرة، قادرة على تحمل محن النبوة، وتحديات القيادة والإمامة، وخاصة في مسألة هداية الناس، إرشادهم إلى الحق سبحانه، وهذا معنى قوة إدراكهم، ونفاذ بصيرتهم (عليهم السلام).

لقد بيّن المفسّر جانب من عصمة يعقوب (عليه السلام) كسائر الأنبياء وذلك ضمن إشارات متفرقة في تفسير الآيات، مثل العصمة من الذنب والخطيئة، وقصة يوسف وأبناء يعقوب، وتفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (86) (8)، وتعامل يعقوب مع أولاده، والموقف الكلامي العام.

المطلب الرابع: يوسف (عليه السلام):

يوسف بن يعقوب حفيد خليل الله (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، وقد سُمّيت سورة كاملة في القرآن الكريم باسمه، وقد ضمّت قصته وجمعت معظم صفاته، وقد ذُكر في سورتي الأنعام

(1) سورة ص، الآية 45-47.

(2) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 22، ص 375.

(3) تفسير المراغى، أحمد مصطفى المراغى، المجلد الثامن، ج 23، ص 176.

(4) ينظر الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 22، ص 375.

(5) ينظر الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج 17، ص 211.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 22، ص 376.

(7) تفسير المراغى، أحمد مصطفى المراغى، المجلد الثامن، ص 176.

(8) سورة يوسف، الآية 86.

وغافر، ومن خلال تفسير الرؤيا التي شغلت تفكير يعقوب (عليه السلام) ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (4) (1)، "إن هذه الرؤيا المثيرة ذات المغزى تركت النبي غارقاً في التفكير" (2)، أن قدر ولده سوف يرتفع للدرجة التي يسجد له فيها الشمس والقمر وكواكب السماء، والذين هم أبوه وأمه وإخوته وهذا لعظيم قدره، (3) وعن لسان أبيه (عليه السلام) قال صاحب الأمتل: "أن ولدي يوسف عزيز عند الله إذ رأى هذه الرؤيا المثيرة" (4).

ومن الملاحظات التي طرحها المفسر في الأمتل حول شخصية يوسف (عليه السلام)، عندما قال له: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (5) وكذلك يجتنبك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويؤم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم (6) (5)، من أين ليعقوب (عليه السلام) أن يعلم أن ولده يوسف سيكون قادراً على فهم أسرار الرؤيا، وتأويل الكلام، وقد طرح المفسر له أحد أمرين، أن يعقوب (عليه السلام) لفت انتباهه أن ولده الصغير قد قص عليه الرؤيا بمعزل عن الناس وعن إخوته، وهذا التصرف من غلام صغير يدل على النضج وحسن التفكير، إضافة إلى أنها تدل على أن يوسف (عليه السلام) كان يستشعر في نفسه ذلك، أو أن الأنبياء لهم علاقة بعالم الغيب من أكثر من طريق، إما بالرؤيا، أو بالإلهام القلبي، أو عن طريق جبريل (عليه السلام)، ويعقوب (عليه السلام) عندما لاحظ كل ما يدور مع ولده يوسف (عليه السلام)، علم أنه سيكون له شأن كبيراً في المستقبل هذا الشيء متعلق بعلاقته مع الله (6).

يعقوب (عليه السلام) نبي، وهو مؤيد بالوحي، ومع الوحي مؤيد بمراتب الشهود والرؤيا القلبية والإلهام من الله سبحانه، مع هؤلاء علم أن الله سبحانه سيتكفل بإبنيه يوسف، حتى يرفع شأنه ويجلسه على كرسي الحكم بعز كبير، ولأن يوسف كان صغيراً أشفق عليه من إخوته، لذلك أوصاه بكتمان هذه الرؤيا العظيمة، ولكن بشره بعدها بأن الله سبحانه سوف يخصه برحمة واسعة، وبمزيد عز وشرف، وسوف يعلمه كيف يفسر الرؤيا، وسوف يلهمه فهم كثير من الأحداث التي تحصل أمامه، كأن المقصود منها أن الله سبحانه سيجعل له نور في قلبه وعقله، يجعله به من أهل الدراسة بالله، وأنه سوف يزيد عليك من نعم الدنيا التي لا تُعد ولا تُحصى، وقد صدقت كلمة يعقوب

(1) سورة يوسف، الآية 4.

(2) تفسير الأمتل، ج 11، ص 193.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 193.

(4) المصدر السابق، ص 193.

(5) سورة يوسف، الآية 6.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 199.

(عليه السلام)، وها هو يوسف جعله الله سبحانه ملكاً وحاكماً بعز وكبرياء وعلم، وفوقها هو من الأنبياء. (1)

وقد أورد المفسّر رواية عن ما تعرض له يوسف (عليه السلام) من بعد الإلقاء في الجب، أنّ جبريل (عليه السلام) أتاه، وحين سأله إن كان يحب الخروج؟ كان جوابه جواب النبي المسلّم تسليماً مطلقاً لربه، وهذا التسليم الكامل مدعاة لتحصيل رضا الله عز وجل، (2) وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "لما ألقى إخوة يوسف، يوسف صلوات الله عليه في الجب نزل عليه جبرئيل (عليه السلام)، وقال: يا غلام من طرحك في هذا الجب؟ فقال: إخوتي لمنزلتي من أبي حسدوني، قال: أتحب أن تخرج من هذا الجب؟ قال: ذاك إلى إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب قال جبرئيل، فإن الله يقول لك: قل: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنّان المّنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب". (3)

وقد استدل المفسّر على حُسن يوسف (عليه السلام) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۗ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (4)، ما معناه أنّ العزيز كان يفتقد للولد، وعندما رأى حُسن يوسف (عليه السلام)، الغلام المعروض للبيع بسعر عال، وحده الذي تمكن من دفع ثمنه، وقع في قلبه حب يوسف، وعندما جاء به إلى بيته أوصى أهل بيته وزوجته أن تحسن معاملته، لأنّه أحب أن يكون ولداً له. (5)

وفي تفسير الميزان أنّ يوسف (عليه السلام): "كان ذا جمال بديع يبهر العقول و يوله الألباب، وكان قد أوتي مع جمال الخلق حُسن الخلق، صبوراً وقوراً، لطيف الحركات، مليح اللهجة، حكيم المنطق، كريم النفس، نجيب الأصل" (6).

وفي الآية نفسها عبّر المفسّر في الأمتل، أنّ يوسف (عليه السلام) قد مُكّن له، أي أن الله سبحانه جعله في المكان الذي فيه قدرة له وحصانة وقوة، وفوقه هداه الله وأهمه فهم وتفسير المستقبل، وعلى هذا بسبب هذه الهبات استحق درجة النبوة، فوق ذلك عندما بلغ من العمر والقوة القدرة على تسيير أموره وفهم واقعه، أعطاه الله الحكم والعلم، وممكن أن يكون معناه القضاء الصالح القائم على الحق والعدل والعلم، وقد ذهب مفسرون آخرون في معاني الحكم والعلم التي

(1) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج11، ص60-62.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 219.

(3) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج3، ص11.

(4) سورة يوسف، الآية 21.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 224.

(6) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج12، ص81.

اتصف بها يوسف (عليه السلام) إلى ثلاث معاني، أولها مقام النبوة، وثانيها التحكم بميول النفس وضبطها عن الخطأ والزلل، وربما العلم النظري، وقد قدّم الحكم على العلم لأنّ التحكم بالنفس والقدرة على تسيير الهوى وفق الحق هو أولى من التحصيل العلمي، وثالثها أنّ الحكم أن يصل المرء بقدرته على التحكم بذاته ونفسه والوساوس إلى التسلط الكامل على الأهواء، والعلم ربما العلم اللدني والنور الإلهي من ملكوت رب العزة يتفضل به على المخلصين من عباده.⁽¹⁾

في حين أنّ صاحب الميزان نوّه إلى معنى آخر في التمكين، وهو أنّ الله سبحانه جعل يوسف (عليه السلام) في مكان يقدر فيه على أن ينال كل إمتيازات الحياة الكريمة، وبواسع راحته، ذلك بعد أن أبعدته إخوته عن عائلته وحضن أبيه، وحرموه من هذا الإستقرار، وألقوه في البئر، ثم بيع بثمن رخيص بعيداً عن عائلته وكنف أبيه، ونوّه أيضاً إلى أنّ قصة التمكين هذه ذُكرت مرتين في سورة يوسف، أولها في هذا الموضع بعد وصوله إلى بيت العزيز، وثانيها حين صار عزيز مصر ووضع يده على خزائنها يتصرّف فيها كيف يشاء، إذ قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾⁽²⁾، وكلا المعنيين يخدم غاية واحدة، أنّ الله سبحانه تكفل بإعزاز يوسف (عليه السلام).⁽³⁾

والغاية من هذا العرض أن نعلم أنّ هذه الصفات التكاملية الرائعة قد حصلها يوسف (عليه السلام) بحسن معرفته لربه، وبحسن استقامته على جادة الحق، وبحسن صبره على أذى إخوته، وفراق أهله وأبيه.⁽⁴⁾

وأجمل صفات تكامل يوسف (عليه السلام) التي ظهرت في طهارة الشّاب الذي تدعوه أجمل وأغنى وأعزّ حسناوات مصر، وهو يعفّ عفة الأنبياء المعصومين، ففي الآية 23 من سورة يوسف: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23)﴾، وقد بدأ المفسّر في الأمتل بشرح الآيتين مبيناً أنّ حُسن يوسف (عليه السلام) الرّبّاني المبدع، لم يكن فقط ليسحر العزيز إنما سحر زوجته أيضاً، حتى هامت به عشقاً، وتجزر هذا العشق في كل خفايا قلبها ونفسها حتى راودته عن نفسه، ليظهر من يوسف أسمى صفات الكمال من الشّاب الطاهر المتعلق بربه كل التعلق، الراض لكل أشكال الخيانة، إذ أوضح أنّ العزيز قد حفظ له قدره وأكرم مثواه، لذلك أي فعل فيه خيانة سيكون ظلماً شديداً، وهو ليس من شيمه الخيانة، ومن الظلم أن تردّ الجميل بالخيانة.⁽⁵⁾

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 225-226.

(2) سورة يوسف، الآية 56.

(3) ينظر الميزان في تفسير القرآن، السيد الطبطبائي، ج 11، ص 82.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 229.

(5) ينظر المصدر السابق، ص 230-231.

أما الهمّ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾⁽¹⁾، فقد ورد عن صاحب الأمتل أنّ الهمّ من قبل زوجة العزيز هي الرغبة في قضاء الوطر، ومعنى آخر همّت أن تضربه لتمنّعه عنها، والهمّ من يوسف (عليه السلام) لم يتحقق لا في الوطر ولا في الضرب؛ لأنّه رأى برهان ربّه، وقد فصلّ في حقيقة هذا البرهان غاية، فحلّه في خمسة معاني منها حسن علمه، وتربيته، وصفاته الأخلاقية العالية، ومنها يقينه بحرمة الزنا، ومنها معرفته أنّه نبي اختاره الله لهداية البشر، ومثله لا يبدر عنه السوء بكل أشكاله، وآخر هذا البرهان هو مدد الله سبحانه الذي أسعفه في أشد اللحظات دقة وحساسية، ومنها خوف زليخة من صنمها الذي لا يضر ولا ينفع، ورؤية يوسف ومفاضلته لإلهه العظيم الذي يعرف كل شيء، فكيف هي تخاف صنماً وأنا لا أخاف رباً حقيقياً بكل شيء عليم، وأنّ هذا المدد حق على الله سبحانه أن يمدّه به، لأنّه كما وصفه من العباد العارفين الورعين الصالحين، وهو جدير بكل أشكال الدعم والخير.⁽²⁾

وبينما شرح صاحب البرهان ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ بقوله: "ذكر قول الإمام الرضا (عليه السلام): أما قوله في يوسف (عليه السلام) ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ فإنها همّت بالمعصية، وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته، لعظم ما تداخله، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾"⁽³⁾، كإلا المعنيين يدلان على دقة رعاية الله سبحانه ليوسف (عليه السلام).

وقد قال صاحب الميزان في وصف يوسف (عليه السلام): "فكان (عليه السلام) مملوء الحسن، مستغرق النفس في مشاهدة أطراف ربه الخفية، يرى نفسه تحت ولاية الله محبوراً بصنائه الجميلة، لا يرد إلا على خير، ولا يواجه إلا جميلاً"⁽⁴⁾، وهذا حال يوسف (عليه السلام) مع ربّه من اللحظة التي سكن فيها غيابت الجب حتى يوم راودته زوجة العزيز، ومن هذا حاله حشاه أن يقع إلا على خير، أو أن يتوجه إلا إلى خير.

ويوسف (عليه السلام) في بيت العزيز يوم المرادة تمسك بعري الإيمان والتصق بربه بقلبه وببصره، يعلمنا كيف نستبرء من المعاصي، مظهر التوحيد الحقيقي بالقول والفعل، مثبتاً لنا كيف تكون الطاعة لله سبحانه وتعالى،⁽⁵⁾ وقد كان ثوابه من الله سبحانه أنّه لم يتركه، وإنما أمده بكل الطاقات والإمكانات المعنوية ثواباً له على طهارته وإخلاصه.⁽⁶⁾

(1) سورة يوسف، الآية 24.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 233-236.

(3) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج 3، ص 163.

(4) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج 11، ص 89.

(5) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 91.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 238.

وقد تجلّت طهارة يوسف الصديق (عليه السلام) في أسْمَى صورها، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (30) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فاستَعصمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (32) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (34)﴾⁽¹⁾، فالذي عفت نفسه وطهرت عن امرأة واحدة، تعرضت له نسوة المدينة من الباذخات بالإغراء والترغيب والترهيب.

وبعد أن طالبت الشبهة زوجة العزيز، سعت إلى أن يعرفن الذي وقعت في هواه، وما فيه من الحسن والعفة والطهارة، حتى وصفته النسوة بالطهارة، وأنه ملك لفرط ما دُهِشت قلوبهن من حسنه وجماله، وما سمعن من عفته، وفوقها زادت في وصفه أنه كان طاهراً عفيفاً رغم التهديد، فهو يوسف الذي أيقن أن اللجوء إلى الله تعالى أعظم الحلول، سأل ربه أن يصرف كيدهن عنه، واستجاب له ربه، وجعله مطهراً منزهاً عن كيد النساء وكيد الشياطين.⁽²⁾

ويُروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "رأيت في السماء الثانية رجلاً صورته صورة القمر ليلة البدر فقلت لجبرئيل من هذا قال هذا أخوك يوسف يعني حين أسرى به"⁽³⁾، وإذ قال المفسر في الأمتل: "من مجموع المجربات اتضح أن يوسف لم يكن شاباً عادياً بل كان طاهراً لدرجة لا يمكن لأي قوة أن تجرّه إلى الانحراف والتلوث"⁽⁴⁾، ويوسف (عليه السلام) أحبّ عذاب السجن على لذة النساء.

وقد ذكر صاحب البرهان أن يوسف (عليه السلام) بعد رؤية نسوة مصر له، صارت النسوة الواحدة تلو الأخرى يرسلن إليه يدعونه إلى أنفسهن، فتضجر يوسف من ذلك أشدّ ضجر حتى قال في دعوته ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.⁽⁵⁾

وقد بيّن صاحب الأمتل في تعليقه لعلم الرجلان بعلم يوسف (عليه السلام) بتفسير الرؤيا، في شرحه لقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِينًا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36)﴾⁽⁶⁾، أن

(1) سورة يوسف، الآيات 30-34.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 250-251.

(3) الصافي في تفسير كلام الله الوافي، الملا محسن الفيض الكاشاني، ج 3، ص 16.

(4) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 252.

(5) ينظر البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج 3، ص 170.

(6) سورة يوسف، الآية 36.

بعض المفسّرين عزوا الأسباب إلى أنّ صفات وهبئة يوسف (عليه السلام) الملكوتية الربانية هي التي نبهت الرجلين على اتصافه بالحكمة وعمق النظر والصلاح،⁽¹⁾ وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قَالَ: "كَانَ يَفُومُ عَلَى الْمَرِيضِ، وَ يَلْتَمِسُ الْمُحْتَاجَ، وَ يُوسِّعُ عَلَى الْمَحْبُوسِ".⁽²⁾

ويوسف (عليه السلام) داخل السجن لم يتأثر بالظلم الذي وقع عليه، وبقي على صلاحه وطهارة سريرته ودعوته إلى التوحيد، إذ قال المفسّر: "وكان لا يدع فرصة لإرشاد السجناء ونصحهم"،⁽³⁾ فكان يرشدهم إلى كل ما يصلح حالهم في علاقتهم مع ربهم، وقد دلل على اتساع علمه ومعرفته، وبأنّه مؤيد من ربه، ويمتلك معرفة مددها من الله سبحانه بالمستقبل، فهو قادر على إخبارهم بالطعام الذي سيأتيهما ونوعه ووقته، كدليل على معرفته بالغيبات، ولكنه نسب هذا العلم لله سبحانه، وأنّه مدّه به ربّه لكونه مؤمناً ملتزماً بطاعة ربّه، ولأنّه سليل عائلة أنبياء، ونسب نفسه إلى آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وأنّ الله تعالى تفضل عليه بنعمة التوحيد والنبوة فهو و آبائه الدعاة إلى التوحيد، ولكن غيرهم لم يشكر نعم الله عليه، دالاً على أنّ يوسف (عليه السلام) من الشاكرين، لأنّه شكر ما آتاه الله وغيره لم يشكر.⁽⁴⁾

وقد ظهر سيدنا يوسف (عليه السلام) بصورة الداعية إلى الله سبحانه لا شريك له، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾⁽⁵⁾، وهنا نسب كل معاناتهم إلى عبادة الأوثان، وأنّ صلاحهما وتغيير حالهما رهن بتترك عبادة الأوثان، والتزام عبادة الواحد الأحد سبحانه، فهو السبيل للخلاص من الظلم والسجون.⁽⁶⁾

ويوسف (عليه السلام) في السجن غمره الله سبحانه بحبة السجناء، وحتى السجناءين أحبوه، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أنّه قال: "قال السجنان ليوسف إنّني لأحبك، فقال يوسف: ما أصابني بلاء إلا من الحب، إن كانت عمتي أحببتي فسرقتني، وإن كان أبي أحبني فحسدوني إخوتي، وإن كانت امرأة العزيز أحببتي فحبستني".⁽⁷⁾

ويوسف الصديق في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾⁽⁸⁾، وصفه بالصديق جاء من الساقى درءاً للعتاب من يوسف الذي أوصى الساقى أن يذكره عند الملك

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 253.

(2) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج 3، ص 171.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 254.

(4) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 255.

(5) سورة يوسف، الآية 39.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 256.

(7) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج 1، ص 354.

(8) سورة يوسف، الآية 46.

ليخلصه من سجنه، وهي صفة منطبقة عليه ولم نجد المفسر في الأمتل وقف عليها سوى ما قيل، فسيرة حياة هذا النبي الكريم تدل على أنه أصدق الصديقين، واستجاب يوسف (عليه السلام) لطلب الساقى واقفاً عند حُسن ظنه، بكل سرعة وبدون أي شرط أو أجر، وعبر الرؤية وقدم حل للمشكلة التي وجد أنها قادمة لا محالة.⁽¹⁾

وهذا التعبير الدقيق والمرفق بالحل المحكم دعا الملك إلى أن يتفكر في حال هذا الشخص، وقد علم أنه أعلى مقاماً وأجل مكاناً من السجن، وهذا ما شوّقه لمعرفة حاله،⁽²⁾ وحتى بعد ما عاتب يوسف في إظهار حقه ذكر المفسر في الأمتل أن يوسف (عليه السلام) كان من الخلق الكريم أنه لم يصرح باسم زوجة العزيز، وإنما أجملها بجملة ﴿... مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ...﴾⁽³⁾، وعلى الرغم من أنها أذاقته مرارة السجن سنين طوال، وهذا في تفسير الآية: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51)﴾⁽⁴⁾، وهذه العفة المطلقة من يوسف (عليه السلام) جاءت جائزتها من اللواتي اتهمنه، وهن شهدن له بالطهارة والعفة والصدق، وأن التي راودته بداية شهدت له بكل قداسة.⁽⁵⁾

وفي تفسير الصافي ذكر المفسر بما معناه أن اعترافها كان سيد القرائن على طهارة وصدق يوسف (عليه السلام).⁽⁶⁾

ويوسف (عليه السلام) من أعظم الأنبياء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أرى فِيهِ سُلْطَانًا مُبِينًا لِيُصَلِّىَ فَسَلَّمَ خَلْفَهُ فَأَطْبَقَ عَلَيْهِ يَدَيْهِ وَأَذْنَقَ شَرْبًا وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (12)﴾⁽⁷⁾، وقد أشار صاحب الأمتل إلى طهارته ونزاهته، ونزاهة ساحته التي شهد بها الأعداء وأقرّوا له بتعديهم عليه، وأن جريرته الوحيدة في عالمه هو ما تحلّى به من عفة وطهر وسمو وعلم ومعرفة، فهو رغم وجع السجن الذي وقع فيه بدون تهمة، كان أستاذاً نبياً مريباً أماً للسجناء، حتى أحبوه جميعاً، وقد أظهر في السجن قدرة عالية على الإدارة، وفوق تفسير الرؤيا للملك قدم خطته المحكمة لتفادي كوارث الجفاف، والنهوض بمصر من الأزمة، هذه المحن جعلت منه مستشاراً خاصاً للملك، كي يستفيد من علمه ومعرفته في إدارة شؤون البلاد،

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 265.

(2) ينظر المصدر السابق، ص 267.

(3) سورة يوسف، الآية 50.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 268.

(5) ينظر المصدر السابق، ص 269.

(6) ينظر تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج 3، ص 291.

(7) سورة يوسف، الآية 54، 57.

وكلما تعمق الملك في معرفة يوسف (عليه السلام) كلما زاد حباً وتعلقاً به، وهذا ما أوصله إلى أمانة خزائن مصر. (1)

وقد قال صاحب الميزان في معنى المكين الأمين: "إِنَّكَ الْيَوْمَ وَقَدْ ظَهَرَ مِنْ مَكَارِمِ أَخْلَاقِكَ فِي التَّجَنُّبِ عَنِ السُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَالْخِيَانَةِ وَالظُّلْمِ، وَالصَّبْرِ عَلَى كُلِّ مَكْرُوهِ وَصِغَارِ فِي سَبِيلِ طَهَارَةِ نَفْسِكَ، وَاخْتِصَاصِكَ بِتَأْيِيدِ مَنْ رَبِّكَ غَيْبِي وَعِلْمِ بِالْأَحَادِيثِ وَالرَّأْيِ وَالْحَزْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ لَدِينَا ذُو مَكَانَةٍ وَأَمَانَةٍ، وَقَدْ أَطْلَقَ بِقَوْلِهِ «مَكِينٌ أَمِينٌ» فَأَفَادَ بِذَلِكَ عَمُومَ الْحُكْمِ". (2)

وقد علّل صاحب الميزان طلب يوسف «اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ»، بأنه (عليه السلام) يعلم في نفسه أنّ لديه العلم والقدرة في إدارة شؤون مصر خلال سنين الخصب في جمع المحاصيل وادخارها، وقدرته على إدارتها وتوزيعها في سنين الجذب، لذلك لزم منه أن يقول للملك بأنه حفيظ عليم. (3)

وقد دلّل المفسّر على عظمة نبي الله يوسف (عليه السلام) في لطفه وأدبه مع إخوته بتفسيره لقوله تعالى: «قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ» (4)، إذ قال لهم ما فعلتم؟ مع تعليم وإرشاد لهم أنّ فعلهم بسبب الغرور، وعدم المعرفة في أيام شبابهم وطيشهم، وهم الآن كاملي العقل والإيمان، وهذا منتهى الأدب والإيثار والتعليم بالهداية. (5)

وحتى في التبيان في تفسير القرآن وضّح هذه الآية بما يدل على خالص اللطف والأدب في حديث يوسف لإخوته، فشرح عبارة «إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ» أنّ هذه (إذ) التي استخدمها يوسف (عليه السلام) وكأنّها تدل على ظرف زمان، موضحاً أنّ فعلهم معه في الجهالة مشابهة لجهالة الصبيان، وليست جهالة الجراءة على معصية الله سبحانه، وكأنّه يقول لهم فعلتم ما فعلتم عندما كنتم جاهلين، أما أنتم الآن فلستم كذلك خاصة مع توبتكم. (6)

ويوسف (عليه السلام) في خضمّ هذا الترقّي والتكامل الذي يعيشه تجاه مشاعره مع إخوته، دُهِلَ إخوته بحجم الشوق والحب والتوق، حين استلم رسالة يعقوب (عليه السلام)، حتى شعروا بعمق العاطفة وصدقها بينه وبين أبيهم (عليه السلام)، وامتلكوا الشجاعة لسؤاله أنّه يوسف ذاته، رغم أنّ الوقائع تنفي تصوّرهم الذي في أذهانهم من البعد عن أن يكون هو أخوهم بقولهم «قَالُوا أَلَيْسَ أَيْنَكَ

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 273-274.

(2) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج 11، ص 128.

(3) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 148.

(4) سورة يوسف، الآية 89.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 310.

(6) التبيان، الشيخ الطوسي، ج 8، ص 367.

لَأَنْتَ يُوسُفُ ﴿١٠١﴾⁽¹⁾، وما لبثوا أن أقروا له بحب الله سبحانه له، وتفضيله عليهم بالعلم والمعرفة والرأي السديد، وجعله حاكماً لبلد مترام الأطراف.⁽²⁾

ومما ورد في كيفية معرفتهم له (عليه السلام)، أنهم عرفوا أخاهم يوسف رغم أنه الملك عندما انكشفت لهم ثنايا أسنانه، وظهرت كالؤلؤ قد نُظِمَ أجمل نظم، عندها شكوا فيه أنه يوسف، وذكر أيضاً عندما وضع تاج الملك عن رأسه علموا أنه أخاهم، وعندما قال ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾، أي في ريعان الشباب وسن الطيش، مبيناً لهم بهذه العبارة أنكم قد أصبحتم عقلاء، فاستغفروا ربكم وقدموا عذرکم، وقد رُوي عن الصادق (عليه السلام): "كل ذنب عمله العبد وإن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه"⁽³⁾، وقول الله سبحانه: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (89)،⁽⁴⁾ هنا الجهل عنى به الجرأة على المعصية.⁽⁵⁾

وفي لفظة تدل على عميق ذكاء يوسف واهتمامه بأدق تفاصيل الأخلاق الكريمة، جعل يوسف أخاه الذي حمل قميصه وهو صغير حين اتهموا الذئب بدمه، يحمل قميصه وهو حاكم مصر إلى أبيهم، كي يكون هو الذي يدخل الفرع على قلب أبيه بعد أن أحزنه دهرأً، فيجلو حزنه ويطيّب نفسه على يهوذا،⁽⁶⁾ وأشار المفسر أيضاً إلى جلال وأدب يوسف (عليه السلام) وإكرمه لإخواته، أنهم لا يجب عليهم الخجل منه، لأنه بوجودهم صار هو سليل الأنبياء الذي كرمه الله، واجلسه على عرش مصر، بعد أن كان عبداً يبيع بثمان رخيص، ورغم وقوفهم أمامه بخضوع وخجل، وهو مقتدر عليهم، ولكنه عاملهم باخلاق الأنبياء.⁽⁷⁾

في تمام قصة يوسف (عليه السلام) النبي الذي أعزه الله ونصره، بعد أن أجرى عليه أصعب الإبتلاءات وكلها تجاوزها بكل ترق وتكامل وإخلاص، لم يطلب من ربه بقاء الملك ولا بقاء حياة، إنما طلب الثبات على الصلاح والإيمان، والتسليم لله عز وجل، وأن يحتسبه في عداد الصالحين، فهذا ما خلقنا له، وهو ما سئسأل عنه،⁽⁸⁾ كحاله (عليه السلام) وإخوته من الأنبياء السابقين واللاحقين خُلق للطاعة، أدى الرسالة، وقصته من أجمل القصص التي تقدم أجمل العبر للشباب المؤمن، ولكل من يبحث عن حلول في حياته الأسرية، حلول قائمة على التغاضي بالتسامح والرحمة.

(1) سورة يوسف ، الآية 90.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 310.

(3) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، ج3، ص 388 .

(4) سورة يوسف، الآية 89.

(5) ينظر مجمع البيان، المجلد الثالث، ص400.

(6) ينظر الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج4، ص8.

(7) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج11، ص312، 313.

(8) ينظر المصدر السابق نفسه ، ص322-323.

وفي نهاية هذا المبحث، يحار العقل كيف يصف هؤلاء العظماء من الأتقياء المخلصين (عليهم سلام الله وبركاته)، مثل إسماعيل (عليه السلام) الذي سلم نفسه للذبح طاعة لله ورسوله، وشارك أباه في أتعاب الرسالة، و في بناء بيت الله الحرام المبارك. ثم إسحاق (عليه السلام) الذي حمل رسالة التوحيد إلى قومه، وكان الجسر الطاهر الذي عبر بها من أبيه إبراهيم إلى ولده يعقوب (عليهما السلام)، الذي فقد بصره لشدة بكائه على نبي الله يوسف (عليه السلام)، لأنه وجد فيه نور الله سبحانه، ولم يكن بكاؤه على ذهاب ولد بعيداً عنه. ثم يوسف الطاهر (عليه السلام)، هؤلاء كانت رسالتهم الأساسية هي التوحيد، الذي هو أساس الوجود وسر الوجود، وكل ما اتصفوا به من أخلاق عظيمة وقدرات باهرة على طاعة ربهم، هو ليعلمونا قضية مهمة: أن مرتبة التوحيد لا تنال إلا بتقوى الله في السر والعلن، وأن يكون عماد هذه التقوى هو الأخلاق الحميدة ومحبة الخير للناس، فهي أدل الأدلة على صدق توحيدنا لله تعالى وإفناء ذواتنا في ذات الله سبحانه وطاعته، وإنما فعل يوسف (عليه السلام) من طاعة لربه فيه أعظم الدروس لكل المؤمنين الشباب، من إخلاص الطاعة والتقوى لله عزوجل في التعفف في مواضع الشهوة، ومن الابتعاد عن كل ما يمسّ طهارة الروح والجسد، ودرس آخر في بناء العلاقة الاجتماعية: "من لم يتق وجوه الناس لم يتق الله سبحانه" (1). كذلك في بناء العلاقة الأسرية، في حبه لأبيه وشوقه إليه، وفي تغاضيه عن أفعال إخوته. أيضاً، "لا يستطيع أن يتقي الله سبحانه من خاصم" (2)، وفي حقيقة حسن أدبه ودعمه لرفاقه في السجن، وفي تعامله مع الرعية حال كونه ملكاً، وإن ما كان ليوسف (عليه السلام) أن يفتح الله عليه هذه البركات إلا لعظيم تقواه في كل مصادر التقوى ودقيق أخلاقه. وفي التقوى بركات لا يحصيها إلا الله والمعصومون، فهي مفتاح كل رحمة وباب لكل كرامة. قال عنها أمير المؤمنين (عليه السلام): "رأس التقوى ترك الشهوة" (3)، ولو راجعنا الآيات الكريمة، لضاق الوقت بالحديث عن عظمة التقوى وأهميتها وبركاتها، وما كان ليوسف (عليه السلام) أن يحصل بركات تأويل الأحاديث إلا لعظيم تقواه، وكل ما حازه من المكانة العظيمة والقيمة الكبيرة هو من بركات التقوى، وهذا أعظم الدروس لكل شباب المسلمين في حديث مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام). (4)

تناول المفسر نبي الله يوسف (عليه السلام) من جوانب عدة أهمها مسألة العصاة، وذلك من خلال العصمة من الذنب، وبرهانها قوله تعالى: ﴿...أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ...﴾ (5)، والتأكيد على نزاهته، والعصمة لا تنفي بشرية النبي.

(1) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج 4، ص 3637-3638.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 3485.

(4) المصدر السابق نفسه، ص 3637-3638.

(5) سورة يوسف، الآية 24.

المبحث الثالث:

أيوب، ذوالكفل، إلياس، داوود، سليمان (عليهم السلام)

المطلب الأول: أيوب (عليه السلام):

إنّ أيوب (عليه السلام) من الأنبياء الذين نزل عليهم الوحي، وأيدهم الله سبحانه بجبريل (عليه السلام)، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾⁽¹⁾، وهذا دليل على أنّ شريعته (عليه السلام) هي من عند الرحمن، نبعها واحد مع بقية الأنبياء المرسلين،⁽²⁾ بينما نجد الواضح في التفسير نجد أنّ التخصيص بحق من ذكر الله سبحانه من هذه الأسماء هو من باب رفع شأنهم، وإعلاء ذكرهم لعظيم قدرهم.⁽³⁾

وقد ذكر صاحب الأمتل أنّ أيوب (عليه السلام) من الأنبياء الذين استحقوا هذه المرتبة العظيمة، كما ورد في سورة الأنعام الآية 84: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، وهذه المرتبة بسبب صلاحهم وعلو همتهم ورفعتهم، فهم وأيوب من المحسنين،⁽⁴⁾ وفي مجمع البيان ذكر المفسر أيوب بنسبه أنه، "أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيصا بن إسحاق بن إبراهيم"، لكي يظهر نبي ابن نبي، وبهذا الكلام أثبتته في جملة الأنبياء في قول الله سبحانه، وأثبت عليه صفة الإحسان، وأنّ له عظيم الثواب وجليل الكرامة.⁽⁵⁾

وأيوب (عليه السلام) نسبه المفسر في الأمتل إلى الأنبياء العظام، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَابِدِينَ (84)﴾⁽⁶⁾، وكل الأنبياء عظام، ووصف صبره (عليه السلام) بالصبر العجيب، وقد صار مضرب مثل بالصبر والشكر، وكل ذلك وهو (عليه السلام) في أدب وخضوع منقطع النظير، فقط يشير إلى وجعه وإلى رحمة ربه، فكان جزاء صبره الفرج بالأضعاف من الرحمة.⁽⁷⁾

(1) سورة النساء، الآية 163.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 5، ص 314.

(3) ينظر الواضح في التفسير، السيد عباس علي الموسوي، ج 4، ص 385.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 7، ص 113.

(5) ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ج 7، ص 100.

(6) سورة الأنبياء، الآيات 83-84.

(7) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 15، ص 266-267.

وفي تفسير نور الثقلين قال: "عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: أُبتلي أيوب سبع سنين بلا ذنب، وقال أيضاً: أُبتلي أيوب (عليه السلام) بذهاب ماله وولده".⁽¹⁾

وفي القصة العجيبة التي أوردها صاحب تفسير الصافي عن أيوب (عليه السلام)، ما مختصره أنه (عليه السلام) قد تفرّغ له إبليس وجنوده في تحدّ منهم لله سبحانه، وأنه (عليه السلام) ما إن يُصاب حتى تظهر حقيقته، ويقلُّ شكره، فغذاه المصيبة بعد المصيبة، والبلاء تبعه بالبلاء، وكل ما قست الدنيا عليه وزاد وجعه زاد شكره وصبره، فقد ابتلي (عليه السلام) بفقد المال والولد والعافية، وكلها كان فيها صابراً أشد الصبر، شاكراً كل الشكر، متحملاً أجمل التحمل، لم يقل إلاّ خيراً، وكان جزاؤه من ربّه أن ماله وولده وعافيته عادت له أضعافاً مضاعفة، مع علو مرتبته في ملكوت الرحمن، وسمو رتبته في مقامه عند الله سبحانه، وخلود ذكره بجعله مضرب مثل في الصبر والحمد والشكر،⁽²⁾ وهذه القصة أوردها صاحب الأمتل بمعانٍ أخرى.

وفي قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾، قال الإمام أبي عبد الله علي السلام: "أحيا الله عزّوجلّ له أهله الذين ماتوا قبل البلية، وأحيا له الذين ماتوا وهو في البلية".⁽³⁾

أما في سورة ص قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ يَبْنَوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِلْأُولَىٰ الْأَلْيَابِ (43) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّآ وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَّعِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44)﴾⁽⁴⁾، فقد ذكر صاحب الأمتل: "أنّها أعطت أيوب (عليه السلام) ثلاث أوصاف، كل واحد منها إن توفر في أي إنسان فهو إنسان كامل، الأول مقام العبودية (عَبْدَانًا)، ثانياً صبره وتحمله وثباته، ثالثاً إنبته المتكررة إلى الله"⁽⁵⁾، وفي شرح هذه الآية في تفسير الميزان، أضاف السيد الطبطبائي أنّ أيوب (عليه السلام) لم يسأل ربه شيئاً له، تواضعاً وتذلاً، ولكن أشار أنّ نداءه لربه يُشعر بالحاجة، ولكن ناقش قصة (... أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ ...)، أنّها لم تكن في نفسه وشخصه وعقله إنّما في بدنه وماله، وهذا جائز على الأنبياء وغيره لا يجوز، وربما أيضاً هو من وسوسة الشياطين في نفوس الناس بالشماتة بأيوب، والتعريض فيه لشدة ابتلائه، وأنّه لو كان نبياً لما فعل الله به هذا البلاء.⁽⁶⁾

(1) تفسير نور الثقلين، الحويزي، ج4، ص488.

(2) ينظر تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ص302-303.

(3) تفسير نور الثقلين، الحويزي، ص490.

(4) سورة ص، الآيات 41-44.

(5) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 22، ص 370-371.

(6) ينظر الميزان في تفسير القرآن، السيد الطبطبائي، ج 17، ص 149.

وبالعودة إلى ماوضّحه صاحب الأمتل في تفسير ﴿... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (44)، أنّ الله سبحانه وجد أحسن الصبر في الذي ابتلي به أيوب (عليه السلام) من المرض، وذهاب كل عائلته عدى زوجته وكل ماله، ومن باب تكريمه إضافة رب العزة له لذاته حين قال: ﴿عَبْدَنَا﴾، ومدحه حين ذكره ﴿أَوَّابٌ﴾ أي أنّه دائم الرجوع لربه سبحانه. (1)

عصمة نبي الله أيوب (عليه السلام) من خلال صبره وتمسكه بالعصمة من الكبائر، ويؤكد المفسّر على عصمة أيوب عن المعاصي، والتحمل والصبر على الإبتلاء، والثبات على التوحيد والإيمان.

المطلب الثاني: ذا الكفل (عليه السلام):

والثابت على الصلاح ذا الكفل (عليه السلام)، قوله سبحانه: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (85) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (86) (2)، وقد أشار المفسّر في الأمتل إلى طول صبره في معاناته الطويلة في كل شيء، بدءاً بظروف حياته القاسية، ونشر الرسالة، وهداية قومه، حتى أصبح قدوة في التحمل والثبات، وتحمل أعباء ما أمره ربه سبحانه به، وعليه استحق الدخول في عداد الذين شملهم الله سبحانه الرحمة الأبدية، حتى أنّ المفسّر أشار لهذه الرحمة، أنّها رحمة غامرة، غمرت الجانب الروحي والجانب المادي في حياة ذو الكفل (عليه السلام) و الأنبياء معه، كثواب لعمر كان مغموراً بالآلام. (3)

وقد ذكر صاحب تقريب القرآن أنّه: "روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه يوشع بن نون (عليه السلام)" (4)، وأيضاً في صبره أبلى أشد البلاء في الصبر على طاعة الله عزوجل، ولأته من أهل الصلاح والكمال في طبيعة حياته، استحق شموله برحمة الله المطلقة بعد معاناته الشديدة من قومه. (5)

وفي سوره ص، الآية 48 ﴿وَإِذْ كُرِّ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾، قال صاحب الأمتل في عبارة ﴿وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾: "تشير الى أنّ الأنبياء الثلاثة إسماعيل واليسع وذو الكفل تنطبق عليهم كافة الصفات التي وصفها بها الأنبياء الثلاثة السابقون إبراهيم وإسحاق ويعقوب، والذين أطلقت عليهم الآية السابقة اسم (الأخيار) كما أنّ الخير المطلق له معانٍ واسعة

(1) ينظر الميزان في تفسير القرآن، السيد الطبطبائي، ص 150.

(2) سورة الأنبياء، الآية 85.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 269.

(4) تقريب القرآن إلى الأذهان، آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص 564.

(5) ينظر تقريب القرآن إلى الأذهان، آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص 564-565.

تشمل النبوة والدار الآخرة ومقام العبودية والعلم والقدرة"،⁽¹⁾ وعلى حسب كلام صاحب الأمتل الذي ذكره، أنّ ذا الكفل نبي عظيم القدر، فقد ذكره الله سبحانه مقررراً باسم إسماعيل الذبيح (عليه السلام)، وتتمة في أحوال أنبياء عظماء جداً، له من الفضل ما لا يعلمه إلا الله سبحانه.

وقد بيّن صاحب التبيان أنّ الإصطفاء هو إخراج أفضل مافي الشيء، والله تعالى لسبق علمه بحقائق جواهرهم انتقاهم كأنبيا، لأنهم أهل خير وفضل، وقال بأنّ ذو الكفل سمي بذلك لأن ثوابه مضاعف، أو لأنّه كان كافلاً ببعض الأنبياء وحفظهم، وقيل تكفل بعمل طيب فاشتهر به.⁽²⁾

وفي تنمة شرح الآية أظهر المفسّر بعض الأسباب لتسمية ذا الكفل، والحديث عن حاله، كان أكثر وضوحاً في سورة (ص)، وورد عند بعض المفسّرين أنّه من الأنبياء والقرآن الكريم صرّح بذلك، و أنّه من انبياء بني إسرائيل، ومنهم من قال أنّه من أبناء أيوب، وبعضهم يرى أنّه حزقييل، وذا الكفل لقب، وسبب اسمه ما تحل به من صفات عظيمة، ومنها أنّ الله أسبغ عليه نعمه ورحمته الواسعة، ومنها أنّه تعهد بقيام الليل وصيام النهار، والرضا بما قضى الله والصبر على كل حال، ومنها أيضاً أنّه تكفل حماية عدد من أنبياء بني إسرائيل من الظلمة، وكلها تدلّ على إخلاصه في الطاعة والعبادة وحرب الظلمة ونصرة الحق.⁽³⁾

يعرض المفسّر أسباب تسميته ذو الكفل، وذلك لأوجه عدة منها: الإلتزام بالعبادة، والتكفل بالأنبياء، والرحمة والثواب، أمّا عن عصمته فيذكر ذلك من خلال سياق الآيات التي تذكره مثل قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ...﴾⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: إلياس (عليه السلام):

ذكر الله تعالى سيدنا إلياس (عليه السلام) مع جملة من إخوته الأنبياء بقوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلُّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾⁽⁵⁾، ذكر المفسّر في الأمتل أنّ إلياس (عليه السلام) نال أعلى وأشرف الرتب، كنتيجة حتمية لأعماله الصالحة ثواباً من رب عادل حكيم.⁽⁶⁾ أي كل واحد من هؤلاء الأنبياء هم من أهل الصلاح التام الذي لا نقص فيه.⁽⁷⁾

وقد وردت قصة إلياس (عليه السلام) في سورة الصافات بشكل موسع، بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (123) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (124) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ

(1) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 22، ص 377.

(2) ينظر التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ج 8، ص 405.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ص 378.

(4) سورة الأنبياء، الآية 85.

(5) سورة الأنعام، الآية 85.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 7، ص 114.

(7) ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي البغدادي، المصدر السابق، المجلد الرابع، ص 585.

(125) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (126) (1)، حتى أفرد المفسّر في الأمتل على حسب وروده الآيات الكريمة أنّه نبي الله سبحانه، وأنّه من الدعاة إلى التقوى والتوحيد، وصد قومه عن عبادة الأصنام، وارتكاب الآثام، وكل ما من شأنه أن يذوي بالنفس إلى أسفل سافلين، نوّه جمع من المفسّرين أنّه كان مرسلاً إلى مدينة في الشام اسمها بعلبك المدينة التي سميت على اسم الآلهة، وقد كان شديداً على قومه في حرب شركهم وأخطائهم وتقويم سلوكهم تجاه خالقهم وأنفسهم، وثواب له على جهوده الجبارة وصبره في جهاده لوجه الله الكريم، فقد جعله مباركاً وذكره مبارك مكرم في الأجيال اللاحقة، وجعل عليه الحفظ هو واتباعه لأنّه من الذين اخلصوا الإيمان والطاعة بكل تفاصيلها، فهو آمن وأخلص لله ربه. (2)

وقد ذكر صاحب روح المعاني أنّ الطبري انتهى بنسب إليّاس (عليه السلام)، إلى أنّ إليّاس من سبط هارون أخ موسى (عليهم السلام) أجمعين، إذ تابع قصته في شرح هذه الآيات، أنّه نهاهم عن عبادة الإله بعل، ودعاهم إلى عبادة الواحد الأحد الذي وصفه بـ (أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ)، مشدداً إلى أنّ هذا أحسن الخالقين هو ربكم وإلهكم وحده لا شريك له، وقد توعدهم على تكذيبهم بأشدّ العذاب. (3)

ذكر صاحب الواضح في التفسير، في قوله تعالى: (وَوَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (129) سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ (130) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (131) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (132)) (4)، أنّ الله سبحانه أبقى الذكر الجميل لإليّاس (عليه السلام) في جميع الأمم التي جاءت بعده إلى يوم القيامة، لأنّه جاهد وجدّ واجتهد وأخلص، في الدعوة إلى توحيد الواحد الأحد، وجعل السلام والأمن والأمان عليه وعلى آله باقياً مستمراً كل ما قرأوا القرآن الكريم، وهذه البركات الدائمة هي جزاء إحسانه وإخلاقه في حق نفسه، وفي حق عباد الله سبحانه الذين عمل معهم ولأجلهم في الدعوة والهداية، وألحقه سبحانه بعباده، ونسبه إلى نفسه بالعبودية، وهي أسمى وأعلى مراتب الدنو من الله عز وجل، والإيمان صفة يحلم برفعها كل سالك في طريق الله سبحانه. (5)

وفي فقرة خاصة أفردها لإليّاس (عليه السلام) سماه المفسّر من أنبياء الله الكبار، ناقش المفسّر آراء كثيرة أوردتها المفسّرون حول حقيقة من هو إليّاس (عليه السلام)، وكلها أسقطها لتعارضها مع الآيات الكريمة (6).

ويمكن أن يُستفاد من ذلك أنّه نبي معصوم، كونه ذكر مع الأنبياء المعصومين (عليهم السلام).

(1) سورة الصافات، الآيات 123-126.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 22، ص 274 – 276.

(3) ينظر تفسير روح المعاني، الألوسي البغدادي، المجلد الثاني عشر، ص 194-195.

(4) سورة الصافات، الآيات 129-132.

(5) ينظر الواضح في التفسير، السيد عباس علي الموسوي، ج 13، ص 310-311.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 22، ص 276-277.

المطلب الرابع: داوود (عليه السلام):

إن أول ذكر لسيدنا داود (عليه السلام) في سورة البقرة ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصُرنا على القوم الكافرين﴾ (250) فهزموهم بإذن الله وقتل داوود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء⁽¹⁾ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين (251)»، فقد ذكر صاحب الأمتل في تفسيرها قصة طالوت واختياره للحكم من الله عز وجل وحيأ إلى النبي شموئيل (عليه السلام) اختباراً لليهود، ولأنه يتمتع بصفات القائد المناسب لهذه المعركة التي ربوها، إذ بدأت بترهيب جالوت لهم لإخافتهم، وخروج داود (عليه السلام) ذلك الشاب اليافع الذي لم يخرج للمعارك سابقاً، وكيف تمكن من قتل جالوت، لأنه كان خبيراً برمي الحجر بالمقلع، إذ رماه بحجر أو إثنين في رأسه، فقتله بكل خفة وسهولة، رغم أنه محارب ضخم مجرب، فكان سبباً لانتصار جيش جالوت، وقد تابع الله في كتابه العزيز عن وصف داوود الشجاع (عليه السلام)، وسماه الفاتح، وأنه أصبح نبياً لليهود وملكهم، فقد أيده الله بالعلم والمعرفة وحسن التدبير.⁽¹⁾

وقد قال صاحب الواضح في التفسير في الآيات السابقة: "ثم أتى الله على داوود ذلك الفتى الذي أهله شجاعته وإيمانه، وتقواه وصلابته، ليتولى الحكم بعد طالوت، ويُبعث نبياً ينقذ قومه من أيدي الظالمين".⁽²⁾

ووفقاً للآية الكريمة: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (163)⁽³⁾، وما قبلها فداوود (عليه السلام) نبي من الأنبياء العظام الذين أوحى إليهم الله سبحانه، وخصه آتاه الله سبحانه بكتاب الزبور، رغم ذلك لم تفسر روايات المعصومين (عليهم السلام) أن داود (عليه السلام) صاحب شريعة، وإنما عدّ كتابه الزبور كتاباً سماوياً من نوع كتب الحكمة والمواعظ وفيه إرشادات وتوصيات وأدعية،⁽⁴⁾ بينما صاحب الواضح في التفسير عدّ أن ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾، هو دليل نصي على نبوته، وعلى كونه صاحب شريعة وكتابة، وهذا التخصيص في ذكره لكي يدحض به إدعاءات اليهود أن داوود مجرد ملك، ولم يكن نبياً مرسلًا.⁽⁵⁾

وقد قال صاحب الأمتل: "أن داود (عليه السلام) كان يلعن السائرين على طريق الكفر والطغيان"،⁽⁶⁾ وفقاً لتفسيره لقوله تعالى: ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 58-61.

(2) الواضح في التفسير، السيد عباس علي الموسوي، ج 2، ص 282.

(3) سورة النساء، الآية 163.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 315-316.

(5) ينظر الواضح في التفسير، السيد عباس علي الموسوي، ج 4، ص 385.

(6) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 6، ص 512.

وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ⁽¹⁾، ونفهم في العبارة أنّ داود النبي (عليه السلام) قد عقد قلبه وعقله على المحبة في الله، والبغض في الله، وأنّه لا مكان في قلبه ووجدانه لمن خالف الله سبحانه ونهج الحق.

وقد نوه صاحب الواضح في التفسير في شرحه هذه الآية، إلى أنّ إرتكابات وعظائم بني إسرائيل أدت بهم إلى أن لعنهم أكرم الأنبياء، وهذا الوصف المكرّم هو لتتزيه مقام الأنبياء، على أنّ لعنهم للكفار لا ينقص من قدرهم، إنما هم يلعنون كل من فقد كل أمل بالخير والصلاح، وعليه أخرج من رحمة الله سبحانه ذليلاً صاغراً، إذاً بلعن الكفار فداوود وعيسى (عليهما السلام) من أكرم الأنبياء.⁽²⁾

وفي الزبور كتاب داوود (عليه السلام)، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾⁽³⁾، وهو مئة وخمسون فصلاً، كل فصل يسمى بمزمور، وفيه قصص عن أنّ الصالحين هم أصحاب الحق، لكنّ الإشارة الرائعة في هذه الآيات والتي ذكرها المؤلف أنّ داوود (عليه السلام) كان ملكاً بقدرات هائلة، ودولته واسعة كبيرة مترامية الأطراف، ورغم ذلك لم ينسب علوّ شأنه وعظيم قدرته إلى الملك والمال والسلطة، إنما نسبه إلى الزبور كتاب الحق سبحانه عدّه هو فخره وفخاره، وهذا درس من الله سبحانه إلى الخلق أنّ رفعة الإنسان وعلوّ شأنه ليس له علاقة بالمال ولا بالسلطة ولا بالملك، إنما بالعلم والحكمة والمعرفة، والقرب من الله سبحانه.⁽⁴⁾

والممدوح داوود (عليه السلام)، بأنّه من أعظم الأنبياء، وفوقها كان حاكماً مطلقاً، إلا أنّ تعلق المدح ارتبط بالكتاب الذي أنزله الله سبحانه عليه، فالعظمة هي رهن بعظمة ما يربطنا بالله تعالى.⁽⁵⁾

والمحاكمة التي كانت محل نقاش بين داوود وسليمان (عليهما السلام) في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ عَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۗ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۗ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ ۚ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (80)﴾⁽⁶⁾، فالحكم الذي صدر من النبي داوود (عليه السلام) وكيف عدّله ولده النبي سليمان (عليه السلام)، أشار صاحب الأمتل في نقاشه للحكم الوارد بحسب الروايات إلى أنّ حكم داوود كان حقاً وعدلاً، بحسب المنطق الذي أسس

(1) سورة المائدة، الآية 78.

(2) ينظر الواضح في التفسير، السيد عباس علي الموسوي، ج5، ص192.

(3) سورة الاسراء، الآية 55.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 288.

(5) ينظر الواضح في التفسير، السيد عباس علي الموسوي، ج9، ص388.

(6) سورة الأنبياء، الآيات 78-80.

عليه، ولن ندخل هنا في تفاصيل القصة والحكم، لأنّه ليس موضوع النقاش، والنقاش هنا قدسية ومكانة داوود في رواية الإمام الباقر (عليه السلام) إذ قال: "لم يحكما، إنما كانا يتناظران"،⁽¹⁾ وفي مورد آخر عن أصول الكافي أنّ الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ذكر أنّ الغاية من هذه القصة تحديد وصي سيدنا داوود، وهو سليمان (عليهما السلام).⁽²⁾

وفي قبس من نور القرآن الكريم قال صاحبه: "أي وكلاً من داوود وسليمان كان على جانب واسع من العلم والفهم، وكان حكمهما بالإجتهد دون الوحي، ولو كان بالوحي لما أمكن تغييره، وكان حكم سليمان أصوب".⁽³⁾

ومن عظيم المنزلة التي حاز بها داوود (عليه السلام)، أنّ الله سبحانه سخر له الطير والجبال تسبح الخالق العظيم معه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (79) وَعَلَّمَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُخْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (80)﴾⁽⁴⁾، وقد قال صاحب الأمتل واصفاً روح داوود بالعظيمة، من خلال مناقشته لكيفية هذا التسبيح وحقيقته، واحتمل لها بحسب ما اطّلع عليه عند غيره من المفسّرين، أنّ لهذا التسبيح عدة احتمالات منها أنّ جمال وعذوبة وروعة صوت داوود (عليه السلام) لها أثر تكويني في هذه الموجودات، فانجذبت بكل طاعة للتسبيح معه، ومنها أنّها سبحت بكل إدراكها وشعورها، لكن هذا التسبيح كان على حسب لغتها كالمهمة، ومنها أنّه تسبيح على حسب أنّها موجودات مثلها مثل أي موجود، أي مثلها مثل كل الموجودات التي تسبح الخالق، ولكن الذي حصل مع داوود (عليه السلام) أنّه صار يستشعر بكل وضوح تسبيح الجبال والطير معه، إضافة لذلك زاد الله سبحانه داوود (عليه السلام) بركة أخرى، أنّه علّمه صناعة دروع الحرب، واصفاً إياه بالنبي الجليل (عليه سلام الله وصلواته).⁽⁵⁾

قال الصادق (عليه السلام) عن داوود (عليه السلام): "كان إذا يقرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر إلّا جاوبه".⁽⁶⁾

وتبقى قصص النبي داوود ومعه ولده النبي سليمان (عليهما السلام) وما حباهم الله من قدرات وصفات جاذبة للعقل والنفس البشرية، ومحط كثير من الكلام والنقاش، لما أتاه الله من عظيم القدر والقدرة، وهذا فيها كثير من العبر المهمة في التربية.

(1) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 14، ص 131.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 15، ص 260-260.

(3) قبس من نور القرآن الكريم، الشيخ محمدعلي الصابوني، ط 1، ج 8، ص 56.

(4) سورة الأنبياء، الآية 79-80.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 15 ص 262-263.

(6) تفسير نور الثقلين، ج 4، ص 486، نقلاً عن كتاب كمال الدين وتمام النعمة، ج 6، ص 524.

وقد أوضح صاحب الأمتل في شرحه عن علم داوود وسليمان (عليهما السلام) بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾، أنه هدية عظيمة ومهمة وأساسية، لكي يستطيع أن ينهض بأعباء الدولة، ويجعل منها دولة قوية قائمة على أسس العدل والحق والصلاح، و أورد المفسر أنّ هناك آراء عند المفسرين في حقيقة هذا العلم وماهيته، ولكنه سكن إلى أنه العلم المطلق بالمفهوم العادي لكل أصناف العلم، بدءاً بالدين ونهاية إلى أصغر العلوم وأقلها، وهو ما يمكن من بناء الدول والنهوض بها، هذا ما تحتم على داوود وولده سليمان (عليهما السلام) أن يكونوا لهذه المواهب والأفضال من الشاكرين الحامدين القائمين بحق هذه النعم، مؤدين لها الشكر باللسان والعمل بإخلاص في بناء حضارة عظيمة استعانة بهذه المواهب.⁽²⁾

وقد غمر الله سبحانه وتعالى داوود (عليه السلام) بكثير من العطايا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِمَّا فَضَّلْنَا جِبَالَ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ لَهْ أَلْحَدِيدِ﴾⁽³⁾، وأوضح صاحب الأمتل أنّ هذه المواهب العظيمة سواء كانت مادية أو معنوية، من النبوة والكتاب والتأييد لرسالته بقوى خارقة، وهذه الفضائل استحقتها داود (عليه السلام)، لنقاء وصفاء سيرته وهمته العالية في طاعة الله سبحانه، وهذه العظمة تجلّت أن داود (عليه السلام) سبّحت معه الجبال والطيور، فهو فيهم كان قائد المسبحين، وهذه القيادة هو الأجدر بها.⁽⁴⁾

وقد كرم الله سبحانه داود (عليه السلام) في الآيات الكريمة، بقوله: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (17) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (19) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ (20)﴾⁽⁵⁾، فهو من أعظم أنبياء الله وأنبياء بني إسرائيل، وملك الدولة العظيمة، ذكر صاحب الأمتل أنّ الله سبحانه حياه بعشر صفات كلها تدل على مدى ارتقائه وتكامله (عليه السلام) لدرجات الكمال، حتى أنّ الله سبحانه جعله قدوة في الصبر لنبي الرحمة وسيد الخلق محمد صلى الله عليه وآله، قال: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا...﴾، وهذه أولها وأهم صفة من صفات الأنبياء والمؤمنين، وثانيها أنّه جعله عبده، قال: ﴿عَبْدَنَا دَاوُودَ﴾، وهذا مقام عظيم أن يتقبلنا الله تعالى ويجعلنا في عبادته، لأنّ هذه الدرجة فيها كل معاني البركة، وثالثها ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾، يعني أن مدّه الله بالقوة والقدرة اللازمة له تعينه على طاعة الله سبحانه والإلتزام بالتقوى، وقدرة على تسيير شؤون الحكم، ورابعها ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، وهو كثير الرجوع إلى الله تعالى في كل صغيرة وكبيرة، ودوام الإلتزام بالله، وخامسها أن الجبال تسبح

(1) سورة النمل الآية 15 ، 16.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 12 ص 26 27 .

(3) سورة سبأ، الآية 10 - 11.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 20 ، ص 460 - 461.

(5) سورة ص، الآيات 17-20.

بتسبيحه كل صباح ومساء ﴿سَخَّرْنَا الْجِبَالَ﴾، وهي مفخرة لم تكن إلا له (عليه السلام)، وسادسها أنه يفهم لغة الطير ﴿وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾، وهي أيضاً كانت تسبح معه، أما فهم لغة الطير فربما كانت لغيره من الأنبياء، ولكن تسبيح الطير معه أيضاً كان منفرداً بها بين إخوانه من الأنبياء، وسابعها ﴿كُلُّ لَهٗ أَوَّابٌ﴾، أن الجبال والطيور كانت دائماً تردد وتسبح معه، وثامنها ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾، جعل الله سبحانه لداوود (عليه السلام) دولة مكتملة الأركان، وراسخة الأسس مع كل الدعم والقوة المادية بكل صنوفها، والقوى المعنوية من عقيدة وإيمان، وجاه إلهي وبشري، وتاسعها أتاه الحكمة ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾، وهي أعظم وأجل منابع البركة والخير، ومنبع العز والفخر، والإحسان من الله سبحانه وتعالى لأي عبد هي أن يعطيه العلم والمعرفة المقرونة بحسن التدبير، وعاشرها ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾، وهي نتيجة الحكمة، جعل الله له قدرة آخاذة على طرح أفكاره وأنفاذاها لعقول من يسمعها وقلوبهم، وفوقه علم واسع بأصول وتفصيل القضاء، فقد كان من أعدل القضاة واحزمهم بالحق.⁽¹⁾

المطلب الخامس: سليمان (عليه السلام):

ورد في حق النبي سليمان بن داوود (عليهما السلام)، في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا...﴾⁽²⁾، وفي هذه الآية ومع ما أورد المفسر صاحب الأمتل من الروايات في كتب السابقين حول دفاع الله سبحانه عن سليمان (عليه السلام) وردّ ثهم اليهود له بالسحر، لأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفه بالنبي، وهم يوثقون بأنه ساحر، وبراءته وثبوت طهارته من الكفر أو حتى من أقل الهفوات جاءت في الكتاب العزيز إضافة لوصف النبي له.⁽³⁾

وفي قصة رواها القميّ أنه بعد موت سليمان (عليه السلام) زور إبليس لعنه الله كتاباً، ودلّل أنه السر الذي به حكم داوود وتسلط على العباد، والذين في قلوبهم مرض اتهموا سليمان (عليه السلام) بالسحر، في حين أنّ المؤمنين بقوا على يقينهم وتصديقهم لنبيهم المرسل من الباري عزوجل.⁽⁴⁾

ولم تكن طفولة سليمان (عليه السلام) عقبة في نبوته وحكمته، ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾⁽⁵⁾، وقد دلّت على عظمة سليمان (عليه السلام) رغم أنه كان صغيراً، والحكم الذي طرحه سليمان (عليه السلام) أيده الله سبحانه، وقد سبق أن ناقشنا معايير الحكم لدى سليمان وداوود (عليهما السلام) سابقاً، وأنّ داوود لم يصدر حكماً

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 233-234.

(2) سورة البقرة، الآية 102.

(3) ينظر الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 1، ص 217.

(4) ينظر تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج 1، ص 55.

(5) سورة الأنبياء، الآية 78.

إنما كان نقاشاً، أفضى إلى إمضاء حكم سليمان (عليه السلام)، وكلا النبيين ممن جعلهم الله سبحانه من أهل الحق والعدل، وأن حكم سليمان أكثر دقة، وقد أكد الله سبحانه على رسوخ منطق الحق والعدل والعلم في نفسيهما العظيمتين، ولكن ورد ماورد منهما من تفهيم الله سبحانه لسليمان (عليه السلام)، لكي يدل الله سبحانه على مكانته وأهليته لخلافة ووصاية داوود (عليه السلام).⁽¹⁾

وعن الإمام الجواد (عليه السلام) أنهم يسألونه في حادثة سنه، فقال: "إن الله تعالى أوحى إلى داوود أن يستخلف سليمان وهو صبي يرعى الغنم، فأنكر ذلك عباد بني إسرائيل وعلماؤهم، فأوحى الله إلى داوود (عليه السلام) أن خذ عصا المتكلمين وعصا سليمان واجعلها في بيت واختم عليها بخواتيم القوم فإذا كان من الغد، فمن كانت عصاه قد أورقت وأثمرت فهو الخليفة، فأخبرهم داوود، فقالوا: قد رضينا وسلّمنا".⁽²⁾

وقد أوحى الله سبحانه إلى سليمان (عليه السلام): ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (163)،⁽³⁾ وشريعته ونبوته مستمدة بالتمام والتأييد من الله سبحانه وتعالى.⁽⁴⁾ ويقول القمي في تفسيره هذه الآيات: (فإنه محكم).⁽⁵⁾

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (15) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ^ط إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16)﴾⁽⁶⁾، وقد ذكر صاحب الأمتل أنهما من أنبياء بني إسرائيل العظام، وأن الله قد مدهما بالقوة والسلطة والقدرة أن يؤسسا دولة عظيمة، تمكنت هذه الدولة من نشر وإقامة دين الله.⁽⁷⁾

وفي تفسير الجديد ذكر الشيخ السبزواري أن هذا العلم الذي أتاه الله سبحانه هو علم القضاء بين الناس، والمعرفة بلغات الطيور والدواب، وأن نعمة هذا العلم رآها سليمان وداوود (عليهما السلام) أعظم وأفضل النعم.⁽⁸⁾

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 15، ص 259-260.

(2) الكافي، الشيخ الكليني، ج 1، ص 383.

(3) سورة النساء، الآية 163.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 5، ص 314-315.

(5) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج 1، ص 159.

(6) سورة النمل، الآية 15-16.

(7) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 12، ص 24.

(8) ينظر تفسير الجديد في تفسير القرآن المجيد، الحجة الشيخ محمد السبزواري النجفي، دار التعارف للمطبوعات، ط 1، 1402 هـ-1982 م، بيروت-لبنان، ج 5، ص 323.

وقد نوه المفسر في الأمتل أن تشكيل الحكومة الإلهية العادلة شرطه وأساسه الأول العلم، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا...﴾، وهذا العلم يجب يكون شاملاً لكل العلوم، وهذا ما تحتاجه الدولة الإلهية لإقامتها، وقد آداه داوود وسليمان (عليهما السلام) على أتم وجه (1).

وقد ذكر المفسر الشيخ السبزواري في تفسيره ﴿وَوَرَّثَ سُلَيْمَانَ دَاوُودَ...﴾، أن سليمان قد ورث من أبيه داوود عليهما السلام الملك والحكم، وسدّ مقامه كنبى دوناً عن جميع أبنائه، وقد كان له تسعة عشر ولداً، وكان سليمان أكثرهم شكراً وعلماً لخالقه عزوجل (2).

وقد ركز صاحب الأمتل على الأدب الكبير والتواضع الجَمّ في شخصية كلا هذين النبيين العظيمين في قولهما ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، رغم علمهما بأنهما أفضل وأعظم من أهل زمانهما، لم يقولوا على جميع عباده المؤمنين أو العالمين، إنهما قالا كثيراً، هذا لأنهما عرفا أن في العصور السابقة واللاحقة من هو أعظم منهما (عليهما السلام) في إشارة إلى النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) (3).

وفي حقيقة إرث داوود لسليمان (عليهما السلام) ﴿وَوَرَّثَ سُلَيْمَانَ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16)﴾ (4)، ذكر صاحب الأمتل في الحديث عن هذا الإرث أن سليمان وارث داود (عليهما السلام)، ولكنه تطرق إلى بعض آراء المفسرين، أن هذا الإرث كان العلم والحكمة؛ لأن الأنبياء لا يورثون في إشارة لآراء بعض المذاهب، وحماية لرأيهم في هذه القضية، والبعض من قال أنه منطلق الطير، ولكن الآية الكريمة فيها إطلاق ولم تحدد ماهية الإرث، وبالعكس قيدت بالإطلاق، لأنه قال: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، فهي تعني أنه ورث كل شيء كان لدى داوود (عليه السلام)، وهو ما عاينا به جميع ما من شأنه أن يسدّ إقامة الحكومة الإلهية العادلة القوية (5).

وفي مشهد الحشر في الآية الكريمة: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17)﴾ (6)، ذكر صاحب الأمتل في شرحها كانت جنود الأنس والجن والطير مؤتمرة بأمر سليمان (عليه السلام)، وتصطف لندائه وأمره خاضعة له، وفي الآية ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)﴾ (7)، ذكرت أدب سليمان مع ربه في موقفه مع النملة التي سمع

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 12، ص 25.

(2) ينظر تفسير الجديد في تفسير القرآن المجيد، الحجة الشيخ محمد السبزواري النجفي، ص 224.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 12، ص 26.

(4) سورة النمل، الآية 16.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ص 27.

(6) سورة النمل، الآية 17.

(7) سورة النمل، الآية 19.

قولها، وكيف هذا القول أثلج قلبه وتبسم له شكراً لربه، وعجباً من حكمته وكرمه عليه، وفرحاً بحسن ظن هذه النملة به وبعسكره، ومباشرة توجه بالشكر والحمد لله سبحانه والدعاء والإلتصاق به والرجوع له، طالباً المزيد من الخضوع والطاعة، والقدرة على الشكر، وهذا أدب يعلمنا به ربنا كيف نشكر نعم الله علينا. (1)

ونلاحظ أيضاً من الكلام أنّ سليمان (عليه السلام) لم يكن يعرف فقط لغة الطيور، وإنما بقية الحيوانات، ولولا ذلك لما فهم كلام النملة، وقد دُلّ المفسّر في الأمتل على أنّ سليمان (عليه السلام) كان من الحكام الإلهيين إذ قال: "سليمان وإلهامه الشكر لله، أنّ واحدة من أفضل العلامات لمعرفة الحكام الإلهيين"، (2) وتابع في دلالاته على هذا الحكم العادل المسؤول المستقر لعظيم الدور الذي أنيط به، وهو يعلم أنّ الله وحده من له القدرة على مده بالعون لتحقيق ذلك، ولذلك سأل الله مزيداً من القوة والقدرة والعلم لإمضاء واثمام ما وكله الله له من المسؤوليات. (3)

وفي تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان دُلّ المفسّر من قوله تعالى: إلى أنّ النملة عرفت عظيم ملك سليمان وكثرة جنده، وسلفاً أعتذرت عنهم أنّهم إن حطموكم فهو من بدون شعور منهم، واستدل من تبسم داوود (عليه السلام) على أدبه العظيم أنّه أعجب بفصاحتها ونصحها لإخوتها، واستدل من التبسم أنّه هكذا يكون ضحك الأنبياء من دون قهقهة، وعلى هذه الأدبيات الراقية التي استشعرها سليمان (عليه السلام)، والتي هي محصلة أخلاق نبوية، عليها شكر ربّه. (4)

لأن هذا أعظم شكر يؤديه لربه، وهو استخدام نعمة الله سبحانه في الوصول لأهدافه، وأهمها تحقيق دولة التوحيد والعدل، وهو ما ركز سليمان (عليه السلام) في طلبه أن يهديه الله سبحانه للعمل الطيب المبارك، وكل سلطته وقوته وقدرته لم تنسه للحظة واحدة أنّ الله لا غنى عنه أبداً، لأنّه كما قلنا سابقاً أنّ الحول والقوة والإستطاعة من الله سبحانه، والهدف الأسمى لكل عاقل ومؤمن هو العمل الصالح الذي يحقق غاية رضا الله وقبوله، وقد نوّه صاحب الأمتل من خلال شرحه للآيات المباركة، أنّ هناك فرق بين صلاح العمل الذي هو مصداق عظيم للصلاح والقبول، وأردفها بصلاح الذات، وكيف تكون بأن يجعلها الله سبحانه ذاتاً وحقيقة من الصالحين، فلا ينفك عنهم ويبقى ويرسخ بينهم. وهذا تواضع منه وتعليم وتأديب وحقيقة أنّه رغم جلال وقدرة وعظيم منزلته، لم ينفك أن يطلب من الله سبحانه المزيد من الصفات العظيمة، حتى يتكامل له الترقي والتسامي ويثبت مقعده بين الصالحين. (5)

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج12، ص 41 .

(2) المصدر السابق نفسه، ص 43 .

(3) ينظر المصدر السابق نفسه.

(4) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، 1307-1376هـ، تحقيق عبد الرحمن بن معلّ اللويحي، ط1، 1421 هـ -2000م، ص603.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج12، ص 44-45 .

وقد أظهر صاحب الأمتل دقة إدارة سليمان (عليه السلام) لدولته، لدرجة أنّ غياب طائر واحد رغم كثرة الخلق عرفه، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لِأَعَدَّبْتُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (21)﴾⁽¹⁾، وطلب له عذراً وسبباً، وأردف عليه بحضور العقوبة أن لم يحضر العذر، وهذا مما يدل على استحكام سلطته وتقديره لمسؤوليته، وعظيم شخصه (عليه السلام)، وهنا إشارة طيبة إلى العدل الذي اتسم به حكم سليمان (عليه السلام)، وحسن القضاء بحسب الذنب، والتدرّج في إظهار العقوبة.⁽²⁾

وقد استدلل المفسّر على عدل وإنصاف سليمان (عليه السلام) وكمال تقواه، أنّه طلب عذر لهدد في غيابه، فقال: "أي حجة واضحة على تخلفه وهذا من كمال ورعه وإنصافه".⁽³⁾

وقد أشار صاحب الأمتل في شرحه لقوله تعالى: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (22)﴾⁽⁴⁾ إلى العدل والحق، الذي اتسمت به دولة سليمان (عليه السلام) في جراءة طائر صغير أن يخاطب حاكمه ونبيه ويكلمه بحرية، أنّه يعلم ما لا يعلمه سيده، وهذا يدل على أن رعية سليمان كانوا في أمن مطلق من الظلم والخوف لكي يتكلموا بما يريدون.⁽⁵⁾

وقد دلّل المفسّر في الأمتل على صفة من أجمل صفات الأنبياء، وهي الزهد، اتصف بها سليمان (عليه السلام) عندما شرح قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36)﴾⁽⁶⁾، وزهد الأنبياء والحكماء هنا أشار إليه أنّ الزهد الحقيقي ليس ترك شهوات الدنيا وملذاتها، إنما أن لا تكن هذه الملذات متسلطة على عقل الإنسان وقلبه وعمله، إنما هو الذي يسير هذه الوسائل والملذات لخدمة مشروعه في بناء النفس الإنسانية، ونشر التوحيد، والحق والعدل دون إسراف،⁽⁷⁾ والامام الصادق (عليه السلام) في حديث عن سيدنا سليمان (عليه السلام) قال: "كان سليمان (عليه السلام) يطعم أضيافه اللحم بالحواري وعياله الخشكار* ويأكل هو الشعير غير منخول"،⁽⁸⁾ وقد ذكر صاحب تفسير الكريم أنّه أنكر وغضب ولم يفرح بالهدية متكلّاً على ما أغناه الله سبحانه ومنّ عليه بالنعمة.⁽⁹⁾

(1) سورة النمل، الآية 20-21.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 12، ص 47-48.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المتّان، العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المصدر السابق، ص 604.

(4) سورة النمل، الآية 22.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 12، ص 48.

(6) سورة النمل، الآية 36.

(7) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 12، ص 66.

(8) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 14، ص 70.

* الخشكار هو الحُبز الأسمر غير النقي، حسب معجم معاني المعاني، متاح على الموقع:

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar->

[?/ar/%D8%AE%D8%B4%D9%83%D8%A7%D8%B1](https://www.almaany.com/ar/dict/ar-?/ar/%D8%AE%D8%B4%D9%83%D8%A7%D8%B1)

(9) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المتّان، العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المصدر السابق، ص 105.

وهناك ثلاث صفات جميلة من صفات النبي الله سليمان (عليه السلام) في الآية الكريمة ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (37) (1)، أنه لم يهدد من خالفه بالموت والقتل، وإنما سوف يخرجهم خارج بلادهم في هوان وتصغير، وهو رحمة منه وحتى للمخالفين، لأنه نبي والنبي يبقى سباقاً بالرحمة، وأيضاً لم يكن ليأخذ أعدائه بالغفلة، إنما يوجه لهم تهديداً صريحاً واضحاً قبل الهجوم عليهم، وهذا خلق الشجعان، وزهده فيما في أيدي الناس أوضح في تركه للهدايا، والإتكال على ما وهبه الله سبحانه، وإنما يدعو لعزّه وكرامته علمه وإيمانه وأخلاقه، فهي أجلّ وأعلى من كل الماديات (2).

وفي حديث الملكة إلى أتباعها أنه استدلّت على نبوته من إرسال الهدية، بأنه لو كان نبي سيرد هديتها ولن يقبلها، وعندها لن نقدر عليه، وإن كان ملكاً فسوف يقبل الهدية، وعندما أرجع لهم هديتهم، علمت أنه نبي فشدت الرحال إليه (3).

وقد ذكر المفسّر في الأمتل عن قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُودَ سُلَيْمَانَ نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (4)، "هذه الجملة تبين عظمة ومقام سليمان فكلمة ﴿وَوَهَبْنَا﴾ له من جهة، ونعم العبد من جهة أخرى، والتعليل ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، أي الشخص المطيع لله سبحانه، والممتثل لأوامره، والذي يتوب إلى الباري عز وجل إثر أبسط غفلة أو زلة"، (5) كلها كلمات عظيمة فيها المدح الكبير لمقام سليمان (عليه السلام)، وهو أهل لها، وبها جدير، فهو كثير الرجوع إلى الله سبحانه من البشر الطبيعيين يبقى بعيداً عن العيب ملتزماً بربه فكيف بالنبي، وقد مدح صاحب كنز الدقائق سليمان (عليه السلام)، بأنه من أفضل عباد الله سبحانه، وذلك بسبب دوام رجوعه إلى ربه سبحانه، إما تائباً أو مسيحاً (6).

وفي تفاسير مشوهة أساءت لمقام سليمان (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ (31) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَنَطْفِقَ فَمَسَحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33) (7)، حتى أنهم (عليه السلام) بأفعال لا يأتي بها عاقل، كزواجه من زوجة قائد جيشه، أو انتقامه من الخيل لأنها شغلته عن ذكر الله سبحانه، وأورد لها صاحب الأمتل الردود العقلانية والمنطقية، منزهاً شخص سليمان (عليه السلام)، واصفاً

(1) سورة النمل، الآية 37.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 12، ص 67.

(3) ينظر تفسير كنز الدقائق، المفسر لكبير العالم العارف الميرزا محمد المشهدي، تحقيق حسين دركاهي، دار الغدير، قم، ط 1، 1424 هـ - 2003 م، ج 9، ص 553.

(4) سورة ص، الآية 30.

(5) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 22، ص 352.

(6) تفسير كنز الدقائق، المفسر لكبير العالم العارف الميرزا محمد المشهدي، المصدر السابق، ج 11، ص 215.

(7) سورة ص، الآية 31-33.

إياه بما يليق به من الذكر الجميل، الذي تكرّم الله به عليه في كل آية ذكره بها، وأنّ سليمان (عليه السلام) حتى في حبه للخير يحبه الله سبحانه، أي حتى إذا ألتذّ بشيء من الدنيا يفعله الله عزوجل. (1)

في معرض الحديث عن الأنبياء ومقاماتهم السامية لا بد أن ينتهي بالتنبيه إلى بركات التقوى، المسببة لكل خير، وهي علامة التوحيد الفعلي لله عز وجل، وكل صفات الأنبياء (عليهم السلام)، التي تعلموها من صفات الله سبحانه للوصول إلى الكمال في قربهم من الله تعالى، طلباً لما عنده من البركات والدرجات الرفيعة، وهنا، في قصة سليمان (عليه السلام)، ذلك الطفل الحكيم الذي بزغت فيه بنور الحكمة، ونطق بحكم علمه إياه الله لكونه نبياً من عنده، ولكن من المؤكد أن لولا صفاته العظيمة التي حباه الله بها، لم يكن ليتصف لهذه البركات.

والسؤال هنا: هل الصفات الشخصية، والأمور التربوية، أو صفات الأهل، لها دور في إنشاء أطفال يتصفون بصفات الحكمة والأخلاق العالية، خاصة تلك التي تجعلهم متميزين حقاً؟ هذا الذي أراد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مضمون روايته، حيث أوصى أولاً بحسن اختيار الزوجة، فنهى عن تزويج الحمقاء، فقال: "إياكم وتزويج الحمقاء، فإن صحبتها ضياع وولدها ضياع". (2)

وقال أيضاً: "اختاروا لنطفكم، فإن الخال أحد الضجيعين"، في إشارة إلى أهمية انتقاء الزوجة الصالحة من أسرة صالحة في الخلق والخلق، لأن كل الأمراض النفسية والعضوية تورث. كما أوصى بعدم التزويج من فتاة في منبت اجتماعي وأخلاقي سيء، فقال على لسان الإمام الصادق (عليه أفضل الصلاة والسلام): "إياكم وخضراء الدمن، فإن العرق دساس، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء". (3)

ولم يقف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند هذا، بل أمر كل طالب للذرية الصالحة أن يهتم بطعامه وشرابه، منها أنه قال: "من أكل السفرجل على الريق، طاب ماءه وحسن ولده". (4)

كما حدد قواعد في أوقات المقاربة الزوجية لتحديد وقت الحمل بحيث يكون حمل مبارك، فيكون الولد صالحاً، ومن حديث الإمام الباقر (عليه السلام): "حين سئل هل يكره الجماع في وقت من الأوقات، قال: نعم، من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ومن غياب الشمس إلى غياب الشفق، والليلة التي ينكسف فيها القمر، واليوم الذي تنكسف فيه الشمس، واليوم والليل الذي تزلزل بهما الأرض، وعند الريح الصفراء أو السوداء أو الحمراء... حتى قوله تعالى: (وإن يروا كسفاً من

(1) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 22، ص 355.

(2) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج 10، ص 236.

(3) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج 10، ص 235.

(4) مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي، سنة الطباعة 1418هـ، ج 5، ص 62.

السماء ساقطاً يقولوا سبحانه مكرّوم)، ثم قال: والذي بعث محمداً نبوة واصطفاه بالحكمة، لا يجامع أحد منكم في وقت من هذه الأوقات لذرية فيراها قرحة عين".⁽¹⁾

وفي حديث آخر يخصّ المرأة، ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أكل البطيخ لأنه يحسن الوجه والخلق، وقال عن أكل الألبان للمرأة الحامل: "أسقوا نساءكم الحوامل الألبان، فإنها تزيد عقل الصبي".⁽²⁾

ولم يترك أهل العصمة، من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بقية الأئمة الأطهار، فترات الحمل والإرضاع والتربية والطفولة، حتى يتمكن كل أبوين من إنتاج ذرية تتصف بصفات خاصة. منها وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أول ولادة الأطفال: "من ولد له مولود، فليؤذن بأذانه اليمنى ويقيم في اليسرى، فإن ذلك عصمة من الشيطان، وإن يقرأ مع الأذان في أذنيهما فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآخر سورة الحشر وسورة الإخلاص والمعوذتين".⁽³⁾

وبعدها، أمور كثيرة منها أن يحسن اسمه، ويعلمه القرآن الكريم، ومنها العقيدة، كما قيل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "من حق الولد على أبيه أن يحسن اسمه وأدبه، موضعاً حسناً"⁽⁴⁾، والحلقة والختان، وأمور أخرى منها الرضاع، فقال أمير المؤمنين: "تخيروا للرضاع كما تتخيرون للنكاح، فإن الرضاعة تغير الطباع".⁽⁵⁾

وقد أصبح هناك علم حديث مستقل بذاته، واسع جداً وعميق، ودخلت فيه معظم العلوم الصحية والتربوية والاجتماعية في طريقة الحمل والإنجاب والإرضاع والتربية في الشهور والسنين الأولى، وأصبح له مختصون كثر، ولهم كتب ومؤلفات ومحاضرات في علم التربية الحديثة، وكلها تلبية لرغبة الأهل في ذرية صالحة في خلقها وخلقها. وهذا العلم أجدد أن يكون منبعه من الأنبياء عليهم السلام. وهنا نفهم دور داود عليه السلام كنبى في تربية نبي الله سليمان، حتى نشأ بهذه الحكمة وبهذه الأخلاق الرفيعة.

(1) مستدرك الوسائل للميرزا النوري، ج 15، ص 214.

(2) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج 95، ص 294.

(3) مستدرك الوسائل للميرزا النوري، ج 15، ص 140.

(4) الكافي للكليني، ج 6، ص 48.

(5) وسائل الشيعة للحر العاملي، ج 21، ص 468.

المبحث الرابع:

هارون ، ويونس ، وزكريا ، ويحيى (عليهم السلام):

المطلب الأول: هارون (عليه السلام):

هارون النبي العظيم الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ...﴾⁽¹⁾، وصف صاحب الأئمة هارون (عليه السلام) مع جملة من إخوته الأنبياء، أنه على أعلى درجات العظمة، وأنه صاحب شريعة، وأن شريعته (عليه السلام) هي وحي من الله سبحانه، وأن طريقه هو نفس طريق الأنبياء، في تعليم الناس التوحيد والطاعة.⁽²⁾

وفي تفسير السمرقندي عدّ هذا الوحي المرسل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو جبريل (عليه السلام)، وهو الثبات على التوحيد، وأمر الخلق بتوحيد الله سبحانه وطاعته، وهذه الدعوة شملت جميع الأنبياء حتى هارون (عليه السلام).⁽³⁾

أما في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾⁽⁴⁾، لم يزد المفسر على ذكر هارون (عليه السلام) شيء سوى أنه سمّاه من الأنبياء، وجعله من عائلة نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، وأورد ما ذكرته الآية الكريمة أنّ منزلة النبوة والمقام العالي الذي استحقوه هو لما بدأ منهم من الطاعة والخير والأعمال الطيبة المباركة.⁽⁵⁾

وهارون الخليفة (عليه السلام)، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽⁶⁾ (142)، ذكر صاحب الأئمة في تفسير الآية كيفية اختيار موسى (عليه السلام) لأخيه هارون (عليه السلام) قائداً وإماماً، إذ فرق بين النبوة والإمامة، وأوضح صحة نبوة هارون (عليه السلام)، ولكنه لم يكن قد أسند له دور الإمامة، لكنّ ذهاب موسى (عليه السلام) إلى ميقات ربه، جعله قلقاً على وضع قومه، وخاصة أنه يعرف تقلب أهوائهم، لذلك اختار هارون (عليه السلام) قائداً وإماماً بعده، ورغم عصمته (عليه السلام) أمعن في توصيته في الحذر والدقة في إدارة

(1) سورة النساء، الآية 163.

(2) ينظر تفسير الأئمة في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 5، ص 314.

(3) ينظر تفسير السمرقندي المسمّى بحر العلوم، تأليف الفقيه الزاهد أبي ليث نصر بن محمد بن أبي إبراهيم السمرقندي الحنفي، جامعة الأزهر، دار الكتب العلمية - لبنان، 2014م، ج 1، ص 357.

(4) الأنعام، الآية 84.

(5) ينظر تفسير الأئمة في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 7، ص 113.

(6) سورة الأعراف، الآية 142.

شؤونهم، ومتابعة أمورهم من باب التأكيد، ولكي يظهر لقومه ضرورة طاعة هارون (عليه السلام) وعدم الخروج عليه، ووصفه أنّه كان أميناً طائعاً مخلصاً في كل ما أوصاه به موسى (عليه السلام).⁽¹⁾

وقد ورد في الميزان أنّ هارون (عليه السلام) رسول محفوظ بالعصمة، ومن المستحيل أن يهادن أهل الفساد، وموسى (عليه السلام) على تمام المعرفة من حقيقة أخيه وطهارته، وإنما قصد بتوصيته حين استخلافه ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ هو في إدارة شؤون قومه، ولا يطيعهم فيما يشيرون عليه.⁽²⁾

وهارون (عليه السلام) الرحمة المهداة، لقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾⁽³⁾، قال ناصر مكارم الشيرازي في تفسير الآية الكريمة: "وأخيراً وهبنا له من رحمتنا أخاه هارون ليكون معينه ونصيره"⁽⁴⁾، الرحمة في جعل هارون (عليه السلام) النبي العظيم، السند والدعم والنصير لأخيه في مواجهة فرعون، وفي هداية قوم موسى، العظمة والرحمة أن يكون السند والدعم من الأخ لما فيه من الود والطمأنينة.

وقد دلّل المفسّر في زبدة التفاسير على ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾، أنّ هارون (عليه السلام) كان معاضداً ومؤازراً لموسى (عليه السلام)، وعن ابن عباس قال: "كان هارون (عليه السلام) أسنّ من موسى (عليه السلام)، فوَقَّعت الهبة على معاضدته ومؤازرته".⁽⁵⁾

وهارون الوزير لقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذُكِّرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35)⁽⁶⁾، في تفسيرها قال الشيخ الشيرازي جمال صفات نبي الله هارون (عليه السلام)، هو ماجعل موسى (عليه السلام) يحب ويطمح أن يكون شريكه في حمل الرسالة، ومواجهة فرعون، وهداية قوم موسى (عليه السلام)، والوزير هو الذي يقوم بأعباء ما وكلّ به من الأعمال، فهو العون والمساعدة، وأنّ هذا الطلب جاء من نبي معصوم كموسى لا يختار أموره إلا بوعي وحكمة، وربما وحي إلهي، فهو يعرف ميزات أخيه هارون (عليه السلام)، وقدرته على مساعدة موسى (عليه السلام) بما يحمله من صفات عظيمة، ويعرف إخلاصه، هذا إضافة للرابطة الروحية والدموية بينهما، والتي تجعل الأمور أجمل وأطيب للود الذي بينهما، فما أطيّب أن يشارك من تحب فيما تحب، إذ ذكر المفسّر صفاته الجسمية، جماله وطوله الفارع، وأنّه يكبره بثلاث سنين، ومن صفاته

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 8، ص 409-410.

(2) ينظر الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج 8، ص 456.

(3) سورة مريم، الآية 53.

(4) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 15، ص 52.

(5) زبدة التفاسير، الشريف الكاشاني، ج 4، ص 186.

(6) سورة طه، الآيات 29-35.

المعنوية بلاغته، وهنا المفسر في بلاغة هارون (عليه السلام) ألمح إلى الآية 34 من سورة القصص ﴿وَإِخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ط إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون﴾، وكيف طلب موسى من ربه أن يشدد أزره بأخيه هارون عليهما السلام، لأنه أفصح منه لساناً، وأن كلامه كله بلاغة لا حشو فيه ولا زيادة، وهو قادر على إيصال أجمل المعاني بأبلغ الكلام وأقصره.⁽¹⁾

أما في زبدة التفاسير حول قوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيْرًا﴾، فقد عرّج على معاني الوزير لإظهار دوره بدقة في إعانة الحاكم، لكي يدلّل على دور هارون (عليه السلام) في دعم أخيه النبي، حتى موسى (عليه السلام) سأل الله سبحانه أن يجعله شريكه في الرسالة وأيضاً وشريكه في العبادة، مظهراً أنّ التعاون على البر سبب لزيادة الخير والبركات.⁽²⁾

وفي محنة هارون في غياب أخيه عليهما السلام، في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92)﴾⁽³⁾، تحدث صاحب الأمتل في عتاب أخيه الظاهري أمام القوم، موضحاً أنّ موسى (عليه السلام) على دراية أنّ أخاه هارون (عليه السلام) لم يكن مقصراً، ولم يكن عاصياً، فهو نبي معصوم، وإنما العتب هو لما لم يظهر الشدة في مواجهة أخطاء القوم، وهذا كان في ثورة غضب لله سبحانه، وسمع موسى (عليه السلام) حجة أخيه في خوفه من حصول الشقاق في قوم موسى (عليه السلام)، وصبره حتى عودة أخيه، إذاً هارون (عليه السلام) كان حكيماً في صبره، وحفاظه على القوم، ومناقشتهم بالحسنى، وموسى (عليه السلام) يعلم ذلك، وإنما غضبه ليظهر لقومه فداحة فعلهم في جرأتهم لتترك التوحيد وعبادة العجل، والحكمة التي أظهرها موسى (عليه السلام) في معالجة القصة، ومحاكمة السامري وعقوبته، وإفناء العجل أفضت إلى خروج القوم من هذه المحنة، وعودتهم إلى التوحيد بأقل الأضرار.⁽⁴⁾

وقد أظهر المفسر في زبدة التفاسير معرفة موسى (عليه السلام) بنفاه هارون وصلاح سريرته، وعلى الرغم من ذلك أظهر أنّ موسى كان قاسياً شديداً على هارون غضباً لله سبحانه،⁽⁵⁾ ويرى الباحث أنّ تعليل صاحب الأمتل لغضب موسى (عليه السلام) أقرب للصواب من أن يكون موسى قد غضب على هارون شخصياً، إنما كانت شدة الغضب إظهاراً لقوم موسى فداحة فعلهم في عبادة العجل.

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 105-106.

(2) ينظر زبدة التفاسير، الشريف الكاشاني، ج 4، ص 235.

(3) سورة طه، الآية 92.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 157-158.

(5) ينظر زبدة التفاسير، الشريف الكاشاني، ج 4، ص 267.

وهارون الشريك، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁽¹⁾، وقد استغرق المفسر في الأمتل عند تفسير معاني ﴿الْفُرْقَانَ﴾ التي أوردها كل المفسرين، أنها ربما فُصِدَ فيها التوراة كتاب الله، وربما كانت المعاجز والدلالات العظيمة التي جاءت لموسى ومعه أخاه هارون عليهما السلام لأنه كان شريكه، وربما هي نفسها الشريعة التي جاءوا بها الضياء الذي ينيّر طرق العباد، والتي تذكرهم دوماً ضرورة البقاء مع الله سبحانه، هذه كلها كانت مناسبة لهارون كما موسى (عليهما السلام)، لأنهما كانا كياناً واحداً في رسالتهما (عليهما السلام).⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (45)﴾⁽³⁾، والتي تذكر هارون (عليه السلام) تدلّ على نفس المعاني أنّ موسى وهارون (عليهما السلام) نبيان عظيمان، أيدهما الله سبحانه بكل المعاجز التي تظهر نبوتها بحق وقوة، وهما من البلاغة والحكمة والمعرفة بالتبليغ والإقناع، الشيء الكافي لإقناع كل راغب في معرفة الحقيقة، ما خلا المعاندين الذين لا يشملهم شيء من رحمة الله.⁽⁴⁾

وهارون الثائر كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا﴾⁽⁵⁾، سمى صاحب الأمتل على عمل موسى وهارون (عليهما السلام) بالعمل الثوري، وحقيقة نقدر أن نصف موسى وهارون هنا بالثائرين العظيمين، لأنّ عملهما الأول مواجهة طغيان فرعون، وثانيهما مواجهة الكفر، وفي مواجهة فرعون دائماً يسمى العمل تجاه الطغاة ثورة، وخاصة إذا نهضت بحال قوم وغيرت أحوالهم للأفضل،⁽⁶⁾ واقتصر المفسر في الصافي على أنّ أخاه هارون هو داعماً له وسنداً في دعوة التوحيد وإعلاء كلمة الله سبحانه،⁽⁷⁾ كما عاد وأكد صاحب الأمتل على المعنى الثوري للنهج الذي سار عليه كلا النبيين (عليهما السلام) في مواجهة فرعون وجنوده، وزاد على برنامجهما أنّه برنامج إصلاحية وثوري، وعليه نقدر أن نقول فعلاً موسى وهارون (عليهما السلام) ثوار بكل معنى الكلمة، ثوار لله سبحانه، ولنهوض المجتمع وإصلاحه.⁽⁸⁾

المطلب الثاني: يونس (عليه السلام):

ويونس النبي مع الأنبياء (عليهم السلام)، الذين نزل عليهم من الوحي بكل أشكاله والتي ناقشناها سابقاً. وهو القائد الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا

(1) الأنبياء، الآية 48.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 235-266.

(3) سورة المؤمنون، الآية 45.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 16، ص 427.

(5) سورة الفرقان، الآية 35.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 255.

(7) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج 4، ص 12.

(8) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 10، ص 448.

عَلَى الْعَالَمِينَ (86) (1)، ذكر صاحب الأمتل أن هؤلاء الأنبياء الأربعة هم رؤساء روحانيين، مبتعثين من الله عزوجل، وهم إسماعيل واليسع ويونس ولوط (عليهم السلام)، الذين رفعهم ربهم درجات عليا فوق كل البشر في وقتهم، مؤكداً أن هذا ليس من فراغ، وأنهم استحقوه بجدارة، لأنهم أدوا مهامهم بإخلاص. (2)

وفي تفسير الميزان أن تفضيلهم على الْعَالَمِينَ هو جعل منزلتهم مقدمة على منزلة غيرهم، وذلك عناية خاصة من الله سبحانه من دون واسطة، وهم رحمة لغيرهم كونهم الواسطة. (3)

وصاحب الحوت (عليه السلام)، قوله تعالى: (وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمَمِ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ (88) (4)، يونس هو ذا النون (عليه السلام)، والنون في اللغة تعني السمكة العظيمة أو الحوت، وذا النون تعني صاحب الحوت، وهذا الذكر لهذا الإسم مرتبط بقصة سيدنا يونس (عليه السلام)، وما حصل معه مع قومه الذين دعاهم مراراً وتكراراً، وبكل حب وإخلاص الى توحيد الله سبحانه وعبادته، وإلى الإلتزام بالأخلاق الحميدة، وهم كانوا دوماً يرفضون دعوته ويصدونه، حتى يؤس من إيمانهم عندها غضب عليهم، ودعا عليهم، وخرج من بينهم، وهو بهذا الفعل ترك ما هو أولى به من الصبر والتحمل وسعة الصدر في هداية قومه، وعند خروجه من قومه ساقه قدر الله سبحانه إلى ركوب البحر، وعندما هاج بهم وقع الإختيار عليه وتم رميه في البحر، وابتلعه الحوت، وعندها انتبه إلى أنه استعجل قومه، ولو أنه صبر عليهم لكان أولى وأثوب له، وأعلى لرفيع درجته، فعندها استغفر ربه عزوجل، واعترف باستعجاله، فأصبح في بطن الحوت رمزاً أبدياً لكل مسيِّح يقع في الإبتلاءات، وتحققت نجاته، وعاد إلى درجة أرفع من التي كان بها. (5)

وأيضاً أشار المفسر في تقريب القرآن إلى الأذهان إلى أنّ خروجه (عليه السلام) لم يكن عصياناً، وإنما كان تركاً للأولى، (6) وعن الباقر (عليه السلام) قال: "البث يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام ونادى في الظلمات ظلّمة بطن الحوت وظلّمة اللّيل وظلّمة البحر فأخرجه الحوت الى الساحل". (7)

وفي امتحان يونس (عليه السلام)، قال تعالى: (وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (141) فَأَلْتَمَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلَا

(1) سورة الأنعام، الآية 86.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج7، ص114.

(3) ينظر الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ج7، ص178.

(4) سورة الأنبياء، الآية 87-88.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج15، ص271.

(6) ينظر تقريب القرآن إلى الأذهان، آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، المصدر السابق، المجلد3، ص565.

(7) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج6، ص204.

أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (145) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ (146) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (147) فَأَمَّنُوا فَمَرَّغَتْهُمْ إِلَى جِيبٍ (148) (1)، وقد استعرض صاحب الأمتل قصة حياة يونس (عليه السلام)، وابتلائه العظيم مع قومه، رغم أنه من أعلى الأنبياء، وأساس دعوته إلى عبادة الواحد الأحد، ومجابهة عبادة الأوثان، وكل العادات والتقاليد والأخلاقيات الخربة التي كانت تعم طبقات البشر في قومه، والذين لشدة تعصبهم وتقليدهم لأجدادهم، رفضوا دعوته، ولم يصدقوا أنه مرسل من عند الله سبحانه، ولم يؤمنوا به. (2)

وقد ورد في تفسير الثمرات اليانعة أن قوله ﴿مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ أي من المصلين، وقيل أيضاً أنه كان كثير الذكر لله سبحانه، كثير التقديس. (3)

ورغم رفضهم لكل دعوته وصبره عليهم، ثبت هو واستمر بدعوتهم، وهو حزين جدا لرفضهم معاملته لهم كإبن حنون، يريد لهم وبهم كل خير، ودائماً ما كانوا يغلطونه، ويجادلونه ليعتبهوه، ويفشلوا دعوته، وكان معه رجلا عالم وعابد، ممن هداهم الله به معه على خطه ومنهاجه في التوحيد، إلى أن قرر الدعاء عليهم، بناء على مشورة العابد، وخرج منهم ودعا عليهم وركب البحر، وفي ركوبه للبحر ذكر الله سبحانه: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾، وقد ناقش المفسر في الأمتل استخدام الله سبحانه لكلمة (أَبَقَ) بخصوص نبي معصوم، مكافح كيونس (عليه السلام)، وربط هذا العتاب من الله عز وجل بكون يونس (عليه السلام) ترك الأولى، والأجدر به أن يفعلوه وهو دوام الصبر والتحمل في الدعوة والهداية، وهذا الذي فهمه يونس (عليه السلام) في اللحظة التي التقمه فيها الحوت ﴿فَأَلْتَمَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾، أي علم أنه استحق الملامة لتركه الأولى، والله سبحانه باركه برحمته وحفظه في بطن الحوت من كل سوء، وهنا ككل نبي عظيم سارع يونس (عليه السلام) إلى ربه، ورجع وتاب إليه، بقوله فنأدى في الظلمات ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، يونس (عليه السلام) تَوَّابٌ أَوَّابٌ، مستيقن من رحمة ربه سبحانه، لذلك سارع بالتسبيح. (4)

وقد قال المفسر: "ولكن الذي حدث أن تسبيحه وتوبته جعله مشمولاً بالعفو الإلهي"، (5) في تفسير الميزان كلام مشابه لهذا الذي ذكره صاحب الأمتل، أن خروج يونس (عليه السلام) من قومه

(1) سورة الصافات، الآية 139-148.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج22، ص282.

(3) تفسير الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة، تأليف العلامة سرج الإسلام وقنوة أهل الفضل والإيمان يوسف بن أحمد بن عثمان الشهير بالفقيه يوسف، طباعة وزارة العدل اليمنية، ط 1، سنة 2002م، بتحقيق العلامة محمد قاسم الهاشمي والدكتور عبد الله عبد الله الحوثي، ج5، ص123.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 22، ص 282-255.

(5) نفس المصدر السابق، ص 285.

إعراضاً عنهم هو الإباقه، وهو الذي أخذه الله به وهذا ليس عصياناً لأنه لم يكن هناك نهي عن ذلك، وفي تسييحه (عليه السلام) ذكر أنه كان من المداومين على التسييح، قبل ابتلاع الحوت له وهو في بطن الحوت أيضاً⁽¹⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (48) لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم (49) فاجتباؤه ربه فجعله من الصالحين (50)⁽²⁾، علمنا أن صاحب الحوت هو يونس (عليه السلام)، لأنه هو المعني بها كونه ابتلعه الحوت، وذكر المفسر في الأمتل تفسيره (مكظوم) أنه ربما المحبوس في بطن الحوت، أو الذي أملى بالغضب والغيط من فعل قومه، وقد رجح المفسر أنه المعنى الدال على كظمه لغضبه، وأنه لولا دوام تسييحه ودعائه قبل حادثة البلع من الحوت، وهو في بطن الحوت، لكان بقي الى يوم القيامة في بطن ذلك الحوت، ولكن تسييحه أنقذه، وبهذا التسييح استحق تقريب الله سبحانه له، واعطائه فرصة في اصلاح ما تركه من العودة لقومه، ودعوتهم للحق، وإيمانهم معه، وتمتعهم ببركات الله لفترة من الزمن،⁽³⁾ الصبر وسعة الصدر كما علمنا مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أهم صفة في القائد الروحي، إذ قال: "آلة الرياسة سعة الصدر"⁽⁴⁾، ومداومة الذكر والتسييح، وأن لا نترك التوبة، ولا نياس من رحمة الله سبحانه حتى آخر لحظة.

المطلب الثالث: زكريا (عليه السلام):

زكريا الكفيل في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (37)⁽⁵⁾، ولم يتطرق صاحب الأمتل في شرحه لهذه الآيات إلى البحث في صفات هذا النبي العظيم، سوى بالتنويه إلى الوظيفة التي أوكلها له في كفالة مريم عليها السلام، وهو لها أهل وبها أولى، لكن لم يبحث المفسر لماذا اختار زكريا.⁽⁶⁾

وقد شرح صاحب الأمتل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي كُنْتُ لِي غُلَامًا وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (40)⁽⁷⁾، رد على من يستغرب كيف يتعجب نبي من قدرة الله؟ هنا وصفه بالعالم، وهذه صفة لم ترد في الآيات إنما من المؤكد أنه استفادها من كونه (عليه السلام) نبياً، ولم يكن الله سبحانه ليختاره لمكان النبوة لولا ما يحمله من العلم واليقين، والآية

(1) ينظر الميزان في تفسير القرآن، السيد الطبطبائي، ج 17، ص 116.

(2) سورة القلم، الآية 48-50.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 28، ص 313-314.

(4) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج 18، ص 408.

(5) سورة آل عمران، الآيات 37.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 222.

(7) سورة آل عمران، الآية 40.

التي تلتها ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ۖ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (41)﴾ ناقش فيها المفسر استغراب زكريا (عليه السلام)، وأنه استغراب لا ينقص من قدره وعلمه، لأنه محل التعجب بقدره الله سبحانه، ومحل طلب العلم بالكيفية التي يمكن فيها الله عز وجل قدرته، وطلب كهذا مباح، وهو ما يمكن اليقين والإطمئنان في القلب، وهذا ما حصل مع إبراهيم الخليل من طلب المشاهدة الحسية أو المعرفة الحسية، فهي من الأشياء التي تحدث سكينه ويقين في القلب.⁽¹⁾

وقد ذكر سيدنا زكريا (عليه السلام) بقوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (85)﴾⁽²⁾، قال المفسر في الأمتل: "زكريا ويحيى وعيسى وإيلياس، فهم بالإضافة إلى نبوتهم كانوا معروفين بالزهد واعتزال الدنيا، فجاء تعبير: كل من الصالحين بعد ذكر أسمائهم"⁽³⁾، كما قال: "ومكانتهم هذه المرموقة ليست من باب المجاملة بل هي بسبب أعمالهم الصالحة في سبيل الله"⁽⁴⁾، وقد وصفهم بالزهد وقد عرفه سابقاً، وأوضحه أنه عدم جعل الملذات وطلب الدنيا قائداً له ومؤثراً على إيمانه وقراره، واعتزال الدنيا بملذاتها الفانية، وطلبها فقط لتكون مطيةً للقرب من الله سبحانه، والسعي فيها بالتقوى والصلاح، ولذلك استحقوا هذا الوصف أنهم من الصالحين، وتابع بالآيات التالية أنهم جميعاً من الذين اختارهم الله سبحانه لمقام الأنبياء، وتعليم الناس وهدايتهم للحق والتوحيد.⁽⁵⁾

وقد قال المفسر في الوجيز: "﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ في أخلاقهم وأعمالهم وعلومهم، بل هم سادة الصالحين وأئمتهم"⁽⁶⁾.

وزكريا الداعي (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَٰ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (5) يَرْتِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا (6)﴾⁽⁷⁾، لم يذكر صاحب الأمتل ما يمكن أن نسميه وصف لزكريا (عليه السلام)، إنما ذكر حاله الذي تصفه الآيات، من كبر العمر والضعف وحاجته إلى الولد الوارث، الذي تمناه زكريا (عليه السلام) حرصاً على إرث النبوة، وربما كان رغبة أن يرث أموالاً جاءت لزكريا (عليه السلام) في من إرث زوجته، ولكن ورد في الشروحات ما يمكن أن نعدها صفة لازمة لزكريا (عليه السلام) هي دوام

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 227-228.

(2) سورة الأنعام، الآية 85.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 7، ص 117.

(4) نفس المصدر السابق، ص 114.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 7، ص 117.

(6) تفسير الجامع الوجيز في تفسير أي الكتاب العزيز، ص 278.

(7) سورة مريم، الآية 2-6.

الدعاء، ودوام الاستجابة من الله سبحانه، وفيها ألح زكريا (عليه السلام) على ربه سبحانه، يا رب الذي لم يقطعني من رحمته، تفضل عليّ بنعمة الولد الصالح.⁽¹⁾

وفي بحار الأنوار ناقش العلامة المجلسي رحمه الله قضية خوف زكريا (عليه السلام)، بعد أن استعرض آراء المفسرين في كلمة الميراث، هل هو ميراث العلم أم ميراث المال، واستدل على أنه ربما المعنى ميراث المال من إطلاق كلمة (يرثني)، أنها إذا جاءت مطلقة فهي للأموال والأرزاق، وتابع نقاش الموضوع هل يجوز على زكريا (عليه السلام) وهو النبي العظيم أن يخاف على ميراث ماله لأقربائه؟ واصفاً هذا الخوف بالبخل، لكن دافع عن القصة بأن معرفة زكريا (عليه السلام) لحال مواليه من الفسق والفساد، علم أنهم سيستعينوا بماله على الفساد والإفساد، وعاد إلى مفهوم الميراث للعلم، منوهاً على أنه حتى لو كان المقصود بالميراث العلم، فمن الأجدر أيضاً الخوف عليه، بأن يرثه الضلال فيضلّوا غيرهم به.⁽²⁾

وتتمة لقصة زكريا (عليه السلام) كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11)﴾⁽³⁾، نجد استجابة دعائه، واستغرابه، وما حصل من طلب البرهان على استجابة الدعاء طلباً لليقين، ولم يدخل المفسر في الأمتل في تفاصيل شخصية زكريا (عليه السلام)، لأن الآيات لم تتعرض سوى لسرد القصة، وقد أكد على يقين وثبات زكريا (عليه السلام)، فقال: "لا شك أن زكريا كان مؤمناً بوعد الله وكان مطمئناً لذلك"⁽⁴⁾، وهذا الطلب هو لترسيخ اليقين، والإرتباط بالله سبحانه وهو لا ضير فيه، وعلى العكس هو من دروس ومتممات النبوة وتعليم العباد.⁽⁵⁾

المطلب الرابع: يحيى (عليه السلام):

يحيى السيّد الحصور (عليه السلام)، كما قال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾⁽⁶⁾، وقد ذكر صاحب الأمتل في تفسير السيد الحصور، بأنه سيبقى طاهراً مانعاً نفسه عن أي شهوة تدنس قلبه الطاهر بدران الدنيا، والحصور هو الذي يحاصر نفسه حفظاً لها، وتابع المفسر في صفاته من كونه نبي، وأنّ الصلاح سمته الأهم مدافعاً عن فكره يحيى في الزهد والعزوف عن الزواج ليس

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 15، ص 7.

(2) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 29، ص 353-354.

(3) سورة مريم، الآيات 7-11.

(4) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل الشيرازي، ج 15 ص 13.

(5) المصدر السابق نفسه.

(6) سورة آل عمران، الآية 39.

مدحاً لهذه الصفة، إنما برر بسبب انشغاله بأعباء الرسالة وترحاله هو ما منعه من الزواج، وقد دُلَّ أيضاً على أنّ اسم يحيى حياته الدائمة بنور تعلقه بالله عزّوجلّ.⁽¹⁾

وبينما فتح القدير أوضح صفات يحيى (عليه السلام) في هذه الآية، بأنّه من المصدّقين الداعين إلى رسالة عيسى (عليه السلام)، مستعرضاً مقاله المفسّرون في تفسير السيد، أنّه ربما كان العزيز المكرّم عند الله سبحانه، أو العالم الفقيه أو التقى أو الحليم، وحتى في الحصور جاء بعدة معاني وأهمها أنّه لا يأتي النساء.⁽²⁾

ولم تكن مكانة يحيى (عليه السلام) من فراغ، قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلُّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾⁽³⁾، هذه المكانة العظيمة السامية من المدح والصلاح، والمرتبة العلمية العالية من الله سبحانه، هي استحقاق استحققه جميعاً، بسبب أفعال الخير والطاعة والتقوى، الذي ظهر منهم تجاه ربهم، وتجاه العباد، وحرصهم على إنفاذ أمر الله تعالى بكل إخلاص،⁽⁴⁾ وفوق هذا الشرف الرفيع من النبوة، كانوا من الذين أداروا ظهورهم لطيبات الدنيا واعتزلوها، ولم يجعلوا لذاتها محطة رغباتهم، ولا هدف خطتهم، إلّا ما كان ينفعهم في إنجاح هذه الخطط التوحيدية التي أرسلوا لتثبيتها في عقول وقلوب العباد، أيضاً مما يُروى عن يحيى بن زكريا (عليهما السلام)، أنّه بكى في صلاته حتى ذاب خده، وكان يسهر ليله في عبادة، وكان يذكر أنّ أهوال يوم القيامة لا يتخطاه إلّا البكاؤن لله سبحانه.⁽⁵⁾

وأول من تسمّى بيحيى، قوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾⁽⁶⁾، قال المفسّرون إنّها تحمل معنى أنّ اسم يحيى لم يتسمّ به أحد قبل، فهو أول مولود يسمى بهذا الاسم، وأيضاً ربما تكون أنّ هذا المولود سيتمتع بميزات وفضائل لم تكن لغيره قبله، وهذا لا مانع منه رغم وجود أنبياء عظام مثله، وربما أكثر منه، ولكن هذا لا يمنع تمتعه بصفات خاصة وبركات مميزة، فبركات الله سبحانه لا حصر لها، وله أن يظهرها في من يحب من خلقه.⁽⁷⁾

والتوراة كتاب يحيى (عليه السلام)، ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾⁽¹²⁾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا⁽¹³⁾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا⁽¹⁴⁾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا⁽¹⁵⁾،⁽⁸⁾ لأنّ الإنجيل لم يكن قد نزل بعد، فعلى يحيى (عليه السلام)

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج3، ص225-226.

(2) ينظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، المصدر السابق، ج1، ص441.

(3) سورة الأنعام، الآية 85.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج7، ص114.

(5) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج70، ص388.

(6) سورة مريم، الآية 7.

(7) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج15، ص12.

(8) سورة مريم، الآية 12، 15.

أن يتمسك بكتاب النبي الذي قبله وهو التوراة، ولم يكن الله سبحانه ليأمره بأخذ الكتاب بالقوة إلا لمعرفة سبب سببانه وتعالى أن يحيى (عليه السلام) أهل لهذه القوة أن يتصف بها، ويقدر على القيام بأعباء تنفيذ أمر الله سبحانه من فهم الكتاب وتنفيذ ما فيه وتعليمه لغيره.⁽¹⁾

وصاحب الجامع الوجيز قصد بالقوة الإجتهد والجدية والهمة في حفظ الكتاب وفي فهم ما فيه والعمل بكل ما أمر فيه وما نهى عنه.⁽²⁾

والآيات التي بعدها أفرد لها المفسر فقرة كاملة، عنوانها بعنوان يحيى وصفاته العشر، وهي قد رتبت على حسب الآيات الكريمة (وَآتَيْنَاهُ الْكُتُبَ صَبِيًّا)، أي نبوته وحكمته وإدراكه الواسع في صغر سنه، (وَخَنَانًا مِّن لَّدُنَّا)، أي ملأ قلبه وروحه بالحنان يغمر به كل من حوله، وغمرناه بحنان من عندنا يكون له صيانة وحفظاً وبركة وزكاة، وأيضاً قد من الله سبحانه عليه بالروح الطاهرة المباركة، وزدناه من كل شيء من الأعمال الخيرة المباركة المخلصة والسمعة الذكية، (وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ) وبرّه بوالديه واحسانه لهما، (وَكَانَ تَقِيًّا) أي كان يراعي رضا الله في كل أعماله، وبكل إخلاص وصدق وبرّ بوالديه، نبي اختصه الله بكل معاني الكمال أقله أن يكون باراً بوالديه محباً لهما، (وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا) وهو أظهر وأبعد ما يكون عن الظلم والتكبر والأنانية، ولم يكن عصياً أي لم يرتكب أي فعل يغضب الله سبحانه ولا حتى من المكروهات، ونجزم أنه ما فعل سوى العبادات، (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا)، وبعد هذه البركات التي من الله سبحانه بها على يحيى (عليه السلام)، والصفات الطيبة التي ظهرت في شخصيته وأفعاله، استحق من الله سبحانه السلام عليه في أهم ثلاث أيام من حياته المباركة، يوم ميلاده فعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: "لما ولد يحيى (عليه السلام) رفع إلى السماء فغذّي بأنهار الجنة حتى فطم ثم نزل إلى أبيه وكان يضيء البيت بنوره"⁽³⁾، ويوم موته ويوم قيامه للحساب.⁽⁴⁾

وقد أورد صاحب البرهان عند موت زكريا (عليه السلام)، الذي ورثه هو النبي يحيى (عليه السلام)، إذ ورث منه الكتاب ووورث أيضاً الحكمة ولم يكن سوى في سن الصبية،⁽⁵⁾ وفي تفسير صاحب الوجيز في تفسير آي القرآن دلل على (وَخَنَانًا مِّن لَّدُنَّا)، أن رحمة من الله سبحانه غمرت كل تفاصيل حياة يحيى (عليه السلام)، سواء خارجية من الله تعالى أعانته في جميع أموره، أو حتى في قلبه، تعينه على تطهير الناس من كل ما يسيء إليهم.⁽⁶⁾

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 19.

(2) ينظر تفسير الجامع الوجيز في تفسير آي الكتاب العزيز، ص 568.

(3) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 14، ص 180.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 17.

(5) ينظر البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج 5، ص 110.

(6) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي

المتوفي سنة 546هـ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة محققة عن نسخة آية صوفيا اسطنبول، ط 2، سنة 1428هـ - 2007م، المجلد الأول، ص 568.

وفي مولد يحيى (عليه السلام) قال الإمام الرضا (عليه السلام) في تفسير ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (15): "أن أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا ويوم يموت فيعابن الآخرة وأهلها ويوم يُبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا، وقد سلّم الله عزّوجلّ يحيى (عليه السلام) في هذه الثلاث مواطن وأمن روعته، فقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ وقد سلّم عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثلاث مواطن فقال والسلام عليّ يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أُبعث حَيًّا". (2)

أما في زهد يحيى (عليه السلام)، فقد قال الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث ليحيى (عليه السلام) مع الشيطان، قال: "قال يحيى (عليه السلام) فهل ظفرت في ساعة قط، قال: لا ولكن فيك خصلة تعجبني، قال يحيى: فما هي، قال: أنت رجل أكل، فإذا أفطرت أكلت وبشمت فيمنعك ذلك من بعد صلاتك وقيامك بالليل، قال يحيى (عليه السلام): فأني أعطي الله عهداً أني لا أشبع من الطعام حتى ألقاه، فقال له إبليس: وأنا أعطي الله عهداً أني لا أنصح مسلماً حتى ألقاه ثم خرج فما عاد إليه بعد ذلك". (3)

وأجمل ما يمكن أن نصل إليه من هذا البحث في صفات هؤلاء الأنبياء الأطهار (عليهم السلام) هو التركيز على خلاصة صفات هارون النبي، السند لأخيه، والذي وجد تكامله الأخلاقي في حضرة أخيه النبي موسى (عليه السلام)، ودعمه له بكل إخلاص في رسالته، وأمام فرعون الطاغية، وفي خلافته لأخيه حين ذهب لميقات ربه، وصبره على أذى قومه حين رجوعهم عن الدين وعبادتهم العجل، وصبره حتى في رجوع أخيه، ومداراته لغضب أخيه موسى (عليه السلام)، لأنه علم أن غضبه لله سبحانه، وكيف تعامل معه بكل هدوء، حتى نصل إلى النبي يونس (عليه السلام)، الذي صبر على أذية قومه له، وصدّهم عنه وعن دعوته للتوحيد، وتوبيخهم إياه، ثم تركه لهم وخروجه، حتى تربيته في إمكانية قبول التوبة من الله العزيز الحكيم، كيف قبل التوبة قومه، وكيف عاد إليهم ووجدتهم اهدتوا إلى الحق، ثم إلى زكريا (عليه السلام)، النبي الصابر الذي كفل مريم الطاهرة (عليها أفضل الصلاة والسلام)، وصبره على تأخر الذرية، وكيف طلبها بأرقى أنواع الخضوع لله عز وجل، والرضا بما قضى، وقسم له الله سبحانه، إلى يحيى النبي (عليه السلام)، طاهر السريرة، السيد الحصور، الذي عصم نفسه عن الشهوات، وزهد في الدنيا لوجه الله، وكيف أخذ عهد الله بكل قوة، وحرص على رضا ربه، وكيف باع دنياه ليرضي ربه، ولم يترك نفسه، وكان خير السند لأبيه في دعوته، (عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام).

(1) سورة مريم ، الآية 15.

(2) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدّوق، ج1، ص 257.

(3) امالي الطوسي، طبعة دار الثقافة، المجلد الأول، ص340، ح 692\32.

الفصل الرابع

الفصل الرابع:

صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم في

تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

المبحث الأول: صفات رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل:

المطلب الأول: بشرية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

المطلب الثاني: النبي الأمي.

المطلب الثالث: الشاهد و البشير النذير.

المطلب الرابع: عالمية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

المطلب الخامس: نبي الرحمة.

المطلب السادس: المحمود دائماً وأبداً.

المطلب السابع: الموحى إليه.

المبحث الثاني: صفات القرآن الكريم في تفسير الأمتل:

المطلب الأول: النور الهادي.

المطلب الثاني: الحق المحكم.

المطلب الثالث: الرحمة المباركة.

المطلب الرابع: المعجز الشافي.

المبحث الأول:

صفات رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في تفسير الأمتل

المطلب الأول: بشرية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151)﴾⁽¹⁾، في الأمتل أشار المفسر (أن منكم) تدل على بشرية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذه البشرية مقصودة من الله سبحانه لعلمه بحال عباده، أنه لا يمكن أن يعلمهم وينفعهم إلا من هو منهم، وحاله حالهم، ووجعه وجعهم، وحاجاته حاجاتهم، فيكون أكثر أنساً لهم بالتعليم، وأقرب لهم يسهل عليهم كل صعب، وفي معنى آخر (أن منكم) أي من قومكم وعربكم، جزء منكم ولكم، عزه عزكم.⁽²⁾

وهو الذي يقرأ عليكم كتاب ربكم يرفعكم به، ويسمو بأخلاقكم إلى أشرف درجات الكمال بطهارة وفضيلة، ويعكف عليكم لتدريسكم القرآن الكريم، يفهمكم آياته وكلماته، ويأتي لكم بالمواعظ والعبر في حديثه وأفعاله، لتكون لكم مع كتاب الله خير معين على الفهم والتقبل، والعمل برسائل الله سبحانه، وتحويلها إلى واقع عملي ينفعكم في دنياكم وآخرتكم.⁽³⁾

وقد أشار صاحب حاشية القنوي في تفسير (منكم) على نفس كلام صاحب الأمتل بدقة، إذ قال: "أي من جنسكم إذ القوة البشرية لا تقوى على رؤيه الملك وأخذ الأحكام منه"⁽⁴⁾، وأن هذا الأمر في كون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشراً من أجل البشر، كاملاً في فصاحته، وقدرته على إيصال مراد الله سبحانه للناس، هو نعمة عظيمة تامة فيها كل المصلحة والمنفعة للناس، ويستحق الشكر عليها.⁽⁵⁾

ونعمة الله العظمى يجسدها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (164)﴾⁽⁶⁾، وقد جعل المفسر في الأمتل لهذه الآية بحثاً خاصاً وفسرها لوحدها، وكأنه يريد أن ينبه القارئ أن أكبر نعمة جعلها الله للبشر هي إرساله لنبي الرحمة (صلوات الله عليه وآله)، وخصوصاً أن تكوين هذا النبي الكريم هو نفس تكوين البشر، أحاسيسه هي أحاسيسهم، وحاجاته هي حاجاتهم، يجوع وينام ويتألم ويرغب، كما هم في كل شيء، ولم يجعله بطابع وقدرات خاصة، حتى قدرته هي

(1) سورة البقرة، الآية 151

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج2، ص 290

(3) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 291

(4) تفسير حاشية القنوي، عصام الدين اسماعيل ابن محمد الحنفي، ج4، ص 364

(5) ينظر المصدر السابق نفسه.

(6) سورة آل عمران، الآية 164

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

قدرتهم إلا فيما يخص المعجزات، حتى يكون في كل شيء قريب منهم، ويتمكن من تعليمهم بالقوة والفعل قبل القول والتنظير، وجعل أهم مهماته وواجباته إليهم قراءة الآيات الكريمة تلاوة معهم حتى يتعلموا أصول وقواعد قراءتها، ويفهمهم كلماتها ومقاصدها، وجعل هذه الآيات بمعانيها متغلغلة في قلوبهم وعقولهم، ومع تعليم القرآن ومعانيه يكون جهده في تطهير ما في قلوبهم وعقولهم من دنس الأخلاقيات السيئة، وجعلهم في استعداد لتقبل أسمى الأخلاق وأجلها.⁽¹⁾

وقد ذكر صاحب التفسير الكبير أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عمره الذي قضاه بين أبناء قومه من يوم مولده إلى بداية بعثته كان من أسمى وأرقى الأمثلة الأخلاقية البشرية، إذ لم يُعرف عنه إلا كل صفة قمة في الخير والرحمة، وفوقها لم يعرفه قد تلقى أي دروس ومع ذلك يخبرهم بعجيب الأخبار، وقد حاولوا ثنيه عن دعوى النبوة بالجاه والملك والعز وبالتخويف، ولم يرتد عن دعوته وصبر عليها وعلى شدة حاله، فكان خير مثال لقومه يعلمهم أحكام طاعتهم لله عزوعلا، ويقدم لهم أفضل القدوة في العبادة والطاعة وتدبير شؤون حياتهم.⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (41)،⁽³⁾ قال المفسر صاحب الأمل: "رسول الاسلام فإنّ روحه الطاهرة ناظرة إلى أعمال أمته وجميع الأمم السالفة"⁽⁴⁾، ودلّل أيضاً على أنّ هذا الشهود لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حاصل له ومتحقق من أول الخليفة، وفيه تمييز عن كل الرسل حتى عيسى (عليه السلام)، الذي أقرّ بشهادته على قومه ما دام فيهم، وعند رفعه بقي الله سبحانه هو الشاهد عليهم،⁽⁵⁾ وهذا مقام خاص له عليه الصلاة والسلام ولم تكن لغيره.

في تفسير هذه الآية أورد صاحب فتح القدير أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بكى حين وصل ابن مسعود في قراءته إلى هذه الآية الكريمة، وما بكاؤه (عليه الصلاة والسلام) إلا من عظيم هذه المنزلة والمهمة التي وضعه رب العزة سبحانه فيها.⁽⁶⁾

وفي لزوم طاعته، ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (80)،⁽⁷⁾ طاعته (صلى الله عليه وآله وسلم) هي طاعة الله سبحانه، والآية واضحة، ولا تحتاج لكثير من التعمق، والذي يعيننا فيها ما ألزم المؤمنين تجاه نبيهم (عليه وآله السلام) من أنّ له الطاعة المطلقة، فطاعته هي طاعة الله سبحانه، لأنّ كل ما يصدر عنه من قول وفعل وتقرير، إنّما

(1) ينظر تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج4، ص 406-407.

(2) ينظر تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الامام محمد الرازي، المصدر السابق، ج

9، ص 79

(3) سورة النساء، آية 41.

(4) تفسير تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 120.

(5) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 120.

(6) ينظر تفسير فتح القدير، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني، ج 1، ص 610.

(7) سورة النساء، آية 80

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

هو إلهام ووحى من ربّ العزة سبحانه، فصفاته وكل أفعاله وكلامه منطبق تمام الإنطباق على ما أراده الله تعالى، وعلى ما شاء أن يكون، وليس لك يا رسول الله أن تغتم لما يفعله سواء قبلوا أم أنكروا، مهمتك هي التبليغ فقط.⁽¹⁾

وقد دلّل صاحب فتح القدير في هذه الآية على أنّ في معناها هذا نداء يدل على علو مرتبة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلى عظيم الشرف الذي أناله الله عزوجل له بأن ربط طاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بطاعته سبحانه، وهذا لأنّ الرسول لم يأت بشيء من عنده فكل أوامره هي أوامر الله سبحانه، وكل نواهيه هي نواهي الله سبحانه.⁽²⁾

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (50)⁽³⁾، إذ نفى المفسر صاحب الأمثل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على حسب الآية الكريمة أن يكون قد ادّعى أنّه يملك ما عند الله سبحانه مما يريده الكفار كدلائل على نبوته، أو أن يكون عالماً بالغيب فعلم الغيب تفرد به ربّ العزة سبحانه، ولم يخرج شيئاً منه إلا لمن يرضى من رسله بما يخدم رسالتهم، ومهمتهم القيادية، واختص بأكبر علم الغيب الذي سمح به الله لمن هيئهم للقيادة العالمية بما يخدم مشروعهم العالمي.⁽⁴⁾

والنبي بشر كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتُفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلاً (73) وَلَوْلَا أَنْ نَبَيُّنَاكَ لَفَدَّتْ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً (74)﴾⁽⁵⁾، وقد تحدّث المفسر صاحب الأمثل عن الطبيعة البشرية للنبي الكريم من كونه إنساناً، يتمتع بصفات إنسانية كباقي البشر، ولولا تمتعه بها لما صح أن يفضل على غيره من بني جنسه، وهذه الطبيعة ظهرت في الآية الأولى، إذ حاول أعداء الرسول التأثير عليه لحرفه عن الحق، ولكن الآية الثانية أكّدت على عصمته (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنّ هذه العصمة جعلها الله سبحانه رقيقة كل نبي، وحارساً له، تصونه عن أي فعل أو قول، مهما قلّ يمكن أن يخالف طبيعة رسالته وخاصة أنّه حامل لرسالة عظيمة، وفي مقابله أعتى قوى الإستكبار والكفر.⁽⁶⁾

(1) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 188
(2) ينظر تفسير فتح القدير، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني، ج 1، ص 639
(3) سورة الانعام الآية 50
(4) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 7، ص 67
(5) سورة الاسراء، الآيات 73-74
(6)

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

والإمام علي (عليه السلام) دَلَّل على بشرية رسول الله وحاجته لله سبحانه المستمرة قوله: "ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره".⁽¹⁾

ومن الآيات التي تؤكد بشرية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمْ الْخُلْدُونَ﴾ (34)⁽²⁾، وهي أيضاً على حسب صاحب الأمتل تأتي في التأكيد على بشرية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) رفضاً لكل الاشكاليات التي طرحها المشركون على ضرورة اتصاف أي نبي بصفات خارج عن كونه بشراً، ورداً لمغالطة أخرى أرادوا طرحها أنه بموت النبي الأكرم ربما تنتهي رسالته ودينه، وهذه مغالطة خطيرة، لأن الإسلام دين حي باقي ومتنامي، لا يحده شيء، وتأكيد على أن الموت سوف يحل بكل مخلوقات الله سبحانه، تنزيهاً لمقامه سبحانه، وعلو شأنه، وأن الخلق كلهم خاضعين له سبحانه.⁽³⁾

وقد أقرَّ صاحب التحرير على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الموت كما تمنى أعدائه ولم ينسب له الخلد، ولكنه على ضوء الآيات جعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حفظ من شماتهم، وأنهم سوف لن يروا ذلك اليوم.⁽⁴⁾

ولا غلو في نبوته (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاجِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (110)⁽⁵⁾، إذ أوضح المفسر في الأمتل أنه دائماً رافقت النبوة مشاكل المبالغة في التقديس، وربط النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالألوهية، وهذا هو الغلو المنهي عنه في كل الأديان، فجاءت الآية تؤكد على بشرية النبي الكريم، وأن كل ميزة وصفة تؤدي إلى الكفر والشرك هي مرفوضة تماماً ولا مكان لها في العقيدة الإسلامية.⁽⁶⁾

وفي التحرير والتنوير نفى شارحه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكون علمه وعمله الإجابة عن الأسئلة التي تأتيه، لأنه إنسان وبشر علمه ومعرفة لا تتخطى علوم الناس و معارفهم، وأن علمه من الله وحيّاً وتعليماً وليس من إختصاصه معرفة الغيبات والإجابة عن الأسئلة إلا بما أعطاه الله سبحانه ووهبه.⁽⁷⁾

(1) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، خطبة 192، ص 300

(2) سورة الأنبياء، الآية 34

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 320-321

(4) تفسير التحرير والتنوير المعروف في تفسير ابن عاشور، تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ط 1، 1420 هـ - 2000 م، ج 17، ص 46-47

(5) سورة الكهف، الآية 110

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 544

(7) ينظر تفسير التحرير والتنوير المعروف في تفسير ابن عاشور، تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، المصدر السابق، ج 15، ص 147-148

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

وأول المسلمين لقوله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهٗ ۖ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽¹⁾، فقد ذكر صاحب الأمتل أن المفسرين اختلفوا في مقصد هذه العبارة، فالمعروف أن الإسلام دين جميع الأنبياء المرسلين، على حسب المعنى الواسع للكلمة، من كونه التسليم المطلق لله سبحانه، ولكن بالنسبة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو لعلو مكانه، وعظيم طاعته لربه، وسرعة إجابته، وربما على هذا سمّي أول المسلمين من ناحية السبق في كل شيء حتى لجميع الأنبياء والمرسلين، وإما المقصد أنه هو أول من اتبع الإسلام من هذه الأمة المسلمة التي اتبعته واتبعت كتابه، وأيضاً ورد في بعض الروايات أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أول من أجاب دعوة الرحمن في عالم الذر، لذلك إسلامه صلوات الله عليه وآله سبق إسلام جميع الخلق.⁽²⁾

وقد أشار صاحب فتح القدير إلى أن في معناها نداء يدل على علو مرتبة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلى عظيم الشرف الذي أناله الله عزوجل له بأن ربط طاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بطاعته سبحانه، وهذا لأن الرسول لم يأتي بشيء من عنده فكل أوامره هي أوامر الله سبحانه، وكل نواهيه هي نواهي الله سبحانه.⁽³⁾

وليس ساحراً ولا مجنوناً إنما هو بشر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾⁽⁴⁾، وقد أورد صاحب الأمتل في رده على كل من قال أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يجب أن تكون له ميزات تميزه عن غيره كعادة أصحاب الثروة والشأن، فردّ عليهم ردّاً مفصلاً مستنكراً عليهم، أنه ما الغاية من كون رسول الله من الملائكة؟ هذا ضد العقل والمنطق، والصحيح أن يكون رسول الله وقائد البشر من البشر، حتى يرافقهم بشكل عملي في كل الدروس التي يعطيها لهم، أن تكون طاقته طاقتهم، وحاجاته حاجاتهم، حتى يصبح قدوة لهم، ويعلموا أنهم يقدرون على ما يقدر عليه، وما حاجته بحارس من الملائكة ومعه معجزات عظيمة دلت عليه بكل وضوح، وفوقها الله معه يحفظه، وربما دون الحاجة للملائكة، ولما يجب أن يرتبط وجود النبي الأكرم بالمال والجاه والثروة؟ وغاية النبوة في تعليم الناس أن هذه الأشياء وكل الدنيا بعزها لا تعطيك قيمة، إنما الذي يعطيك قيمة هو تساميك وأخلاقك وأعمالك الطيبة المخلصة. ثم نفى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) تهم السحر والجنون، ويكفي أن تكون تهماً من أعدائه حتى نعرف كذبها، ورغم ذلك نفاه لأن كل ما جاء به يدل على الحكمة والعقل والعلم والمعرفة، وأن أحوال المجانين والسحرة لا تصل مهما بلغت إلى ما وصل إليه نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله وسلم).⁽⁵⁾

(1) سورة الانعام الآية 163

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 7، ص 233-234

(3) ينظر تفسير فتح القدير، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني، ج 1، ص 639

(4) سورة الفرقان، الآية 8.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 133-135.

وقد أوضح المفسر في الميزان أنّ هذا من باب الطعن على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهم رفضوا رسالته وكذبوه وهامم يستهزئون به، فهم يرون أنه ليس لبني البشر أنّ يخوضوا في عالم الغيب والملكوت، لذلك هم يعمدون إلى عبادة الملائكة لأنها بنظرهم شفعاء ووسائل، وأنهم قدموا مغالطة انتجتها عقولهم الضحلة في أنّ هناك تنافر تام بين حمل الرسالة الإلهية وبين كون حاملها ذو طبيعة بشرية، يكابد ما يكابده البشر من كل صنوف المعاملات، فهم يرون أنّ الرسل يجب أنّ يكونوا في مقام التنزيه، وحتى أنّهم طلبوا أنّ يكون لهذا الرسول أملاك تعينه على حياته تصرفه عن الكد والتعب وهذا أمر بسيط.⁽¹⁾

ويرى الباحث أنّ هذه مغالطة، لأنّ الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل بشراً لكي يكونوا أقرب لما يعانیه ويعانیه البشر ويفهموه، وهذا أمضى في الهداية، ولكن الحقيقة أنّ هؤلاء هم معاندون فقط، لأنّه لو أرسله ملك لقالوا له لا نستطيع أنّ نكون مثله فهو ملك ونحن بشر.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَٰهٌ وَاجِدُوا فَمَا تَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿6﴾⁽²⁾، على حسب المفسر في الأمثل أنّ رسول الرحمة (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يدع أي شيء ليس له، فهو لم يقل لهم سوى أنّه بشر وإنسان طبيعي لم يكن من الملائكة أو من غيرهم، ولا يملك صفات أعظم من صفاتهم، ولا يفاضل عليهم، ولم يدع أي منصب إلهي، وقد جاء بعقيدة من الله سبحانه، أراد أنّ يعلمها للبشرية، وهذه العقيدة كلّها وحي من الله سبحانه لهداية الخلق.⁽³⁾

وقد قال الطبري: "يقول الله تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المعرضين عن آيات الله من قومك أيها القوم ما انا إلا بشر من بني ادم مثلكم في الجنس والصوره والهيئه لست بملك، يوحى الله الي أنّ لا معبود لكم تصلح عبادته إلا معبود واحد".⁽⁴⁾

والعابد المخلص في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿20﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿21﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿22﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿23﴾⁽⁵⁾، وقد تحدث صاحب الأمثل عن خضوع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإقراره كامل الإقرار لله وحده بالعبودية، وحرص على رفض أي إدعاء لا يليق بمقام النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) من إدعاء أي قدرة أو مال أو سلطة أو حتى شفاعاة إلا بإذن من الله سبحانه، وفضل منه، وأنّ أمره

(1) ينظر تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج 15، ص 129

(2) سورة فصلت، الآية 6

(3) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23، ص 129

(4) تفسير الطبري المسمى جامع البيان في أي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج 24، ص 107

(5) سورة الجن، الآيات 20-23

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

وتسليمه وكل ما عنده ويدعو إليه هو الله مطلقاً، وهو رهن أمر الله سبحانه في نشر التوحيد وإبلاغ أوامر الله سبحانه ونواهيه لعباده، وهذا دوره والذي يعصيه له نار جهنم فهو مرسل من الله سبحانه، وإلى الله سبحانه مرده ومرد كل العباد.⁽¹⁾

المطلب الثاني: النبي الأمي:

أمية النبي في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾، وقد أسهب المفسر في الأمثل في الحديث عن صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأن الآية دلت على ست صفات من صفاته زيادة على كونه رسلاً من رب العالمين برسالة تامة الأركان، وصفاته بحسب ما أوردها المفسر أنه نبي من الله سبحانه، مكلف بأن يهدي الناس إلى ربهم، وهذا النبي ينزل عليه جبريل (عليه السلام) برسائل، وأوامر من رب العزة سبحانه، وهذا النبي لم يسبق له أن تعلم القراءة والكتابة، أو أنه من مكة أم القرى، وأنه مبشر به في الكتب السماوية السابقة، يدلهم على كل ما يدل عليه التفكير السليم الواعي، ليحثهم على الخير، ويردهم عن الشر، دعوته ودينه قائمين على الفطرة السليمة من الرغبة والتوق لكل طيب، والنفر من كل خبيث، يحررهم من كل قيد يكبل أعناقهم وعقولهم، ويسمو بهم لكل ما هو عزيز وعال.⁽³⁾

وعدّ المفسر أنّ هذه الصفات كلها عبارة عن أدلة قوية في دلالتها على نبوته عليه وآله افضل الصلاة والسلام.⁽⁴⁾ وقد ناقش المفسر أمية النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ونتائجه منها، أنه لم يسبق له أن حضر أي درس، أو تلقى أي تعليم، وليس له قبل النبوة أي شيء يدل على أنه كتب أو قرأ شيئاً، وكل ذلك لا علاقه في كونه لربما تلقى العلوم من عند الله سبحانه.⁽⁵⁾

وقد أولها صاحب زبدة التفاسير بأنه رسول ونبي، والحديث عن نبوته (صلى الله عليه وآله وسلم) مشهور، كما جاء في الحديث: "قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة، قال: وآدم بين الروح والجسد، كما رواه الترمذي وقال حديث صحيح غريب".⁽⁶⁾ ونبي يعني معه معجزات، وقال فيها أيضاً ربما قصد منها أنه رسول الله ونبي للعباد، وفي صفة الأمي أورد أنها نسبة إلى أم القرى

(1) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 28، ص 407.

(2) سورة الأعراف، الآية 157.

(3) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 8، ص 444-445.

(4) المصدر السابق نفسه، ص 446.

(5) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 449.

(6) سير أعلام النبلاء، تصنيف الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى 748 هـ - 1374 م، دار الحديث، القاهرة- مصر.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

مكة، وفي حديث الإمام الباقر (عليه السلام): " أنه سُئِلَ لم سمي النبي الأُمِّي؟ قال: نسب إلى مكة، وذلك قول الله: (لتنذر أم القرى ومن حولها) وأم القرى مكة، فقيل: أمي لذلك" (1)، أو أنّ الأُمِّي هو نسبة إلى أُمَّة العرب، إذ عُرف عن أمة العرب وقتها أنّها لم تكن تعرف إلاّ القليل جداً عن الكتابة. (2) وفي جواهر البحار سبحانه وتعالى وصف رسوله الكريم في هذه الآية بصفات وصلت إلى تسع صفات، أولها أنّه رسول، وثانيها أنّه نبي، وثالثها كونه أمِّي على أُمَّة العرب ومن كونهم أُمَّة لا يقرؤون ولا يكتبون، ورابعها صفته وصحة نبوته مذكورة في التوراة والإنجيل، وخامسها أنّه أمر بالمعروف، سادسها ناهٍ عن المنكر، سابعها يحلُّ كل ما هو طيب لقومه، ثامنها يمنعهم عن كل خبيث، وتاسعها يحرر قومه من كل ما يثقل كاهلهم. (3)

وعلم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو علم لُدُنِي كما جاء في قوله تعالى: (وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأْرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48)) (4)، وقد نوّه صاحب الأمتل على أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يتلقَ أيّ تعليم من قبل أحد، مستندلاً على أنّ مكة كلها لم يوجد فيها أكثر من سبعة عشر رجلاً ممن يجيدون القراءة والكتابة، ولم يسبق لأحد من كل أهل مكة أنّ وجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل البعثة قد التزم أيّاً منهم لكي يتعلم منه، وحتى هم لم يشهدوا أنّهم علّموا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، في إشارة واضحة إلى أنّ العلوم الهائلة التي حملها وبثها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّما هي علوم لدنّية من عند الخالق سبحانه وتعالى. (5)

أما صاحب الميزان فقد تحدث عن الأمر بأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس من عاداته القراءة والكتابة لأنّه لم يكن يحسنها لكونه أمّياً، لو كان غير ذلك لكان مدعاة للشك في حقيقة القرآن الكريم حقانية الدين، (6) ويرى الباحث مأخذاً على كلام صاحب الميزان في قوله أنّ الرسول لم يكن يحسن القراءة والكتابة لكونه أمّياً وهذا لم يقله صاحب الأمتل، إنّما الذي ذكره أنّه لم يتلقَ العلوم من أحد سوى من عند ربه سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث: الشاهد والبشير النذير:

صفتان للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهي صفات لكل الأنبياء (عليهم السلام)، وقد أكدّ القرآن الكريم هاتين الصفتين في النبي الكريم بقوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ

(1) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج2، ص242.

(2) ينظر تفسير زبدة التفاسير، الشريف الكاشاني، ج2، ص 607

(3) ينظر في جواهر البحار في فضائل النبي المختار، جمعه الشيخ يوسف بن اسماعيل بن يوسف النبهاني، متوفي

سنة 1350 هـ، صححه محمد أمين الضناوي، ج 1، ص 227-228

(4) سورة العنكبوت، آية 48.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج19، ص 68.

(6) ينظر تفسير الميزان، السيد الطبطبائي، ج 16، ص 382.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (119))⁽¹⁾، لأنه هو الدور الأهم لأي نبي، وقد جاء بالمعجزات المبهرة، وأبان حقيقته الشرع والتوحيد، وهو بمحاذاة ذلك أضاف لسيرته وخطته مزيداً من البشارات لكل من أطاع الله ورسوله، وأظهر شديد التهديد لكل العصاة، وقد أوضح صاحب الأمثل، أن هذين الأسلوبين في التربية من أفضل وأسلم أساليب التربية في تقويم سلوك الفرد والمجتمع.⁽²⁾

وقد حدد صاحب تفسير الباليساني المعروف في حسن البيان أن وظيفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التبشير والإنذار، وحددها بكلمة فقط، وأراد بكلمة فقط هنا أن يرفع عن النبي وزر الألم النفسي من صدّ قومه أو الآخرين عن الإجابة لدعوته في الدخول إلى التوحيد.⁽³⁾

وقد أكدّ الباري عزوجل على هذه الصفة وهذا الدور في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَالْحَقُّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105)﴾، وقد أظهر هنا صاحب الأمثل أن دور الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو البشارة والتحذير، ولا يملك أن يجري أي تعديل على هذا الدور فهو عبد مأمور وليس له إلا الطاعة.⁽⁴⁾

هذه الوظيفة الموكلة للنبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (56)﴾⁽⁵⁾، أوضح صاحب الأمثل أنّها وظيفتك الموكلة إليك، وقد عملت جهدك في دعوتهم إلى الحق، فليس عليك فيما يفعلون.⁽⁶⁾

وعدّ صاحب روح المعاني أنّ هذه وظيفة النبي في كل أحواله، وهي حمل البشري للمؤمنين وشديد الإنذار للكافرين، وقد شدد على أنّ صفة الإنذار بلحاظ كثرة الكفار أو إدخال كل العصاة من المؤمنين في جملة المعنيين بالإنذار، وقد ركّز فيها أيضاً على أنّ الله سبحانه نوه لنبيه بعدم الحزن على من لم يلتزم خط الهداية والتوحيد.⁽⁷⁾

و في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (8)﴾⁽⁸⁾ قال المفسّر: "وهذه ثلاثة أوصاف من أهم ما يتمتع به النبي من صفات ومقام من كونه شاهداً ومبشراً ونذيراً"⁽⁹⁾، وحقيقة الأمر أنّ هذه الصفات هي أهم صفات النبوة، لأنّ لها أعظم الدور في القيام بمهمة النبوة، وقد تم

(1) سورة البقرة، الآية 119.

(2) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 1، ص 246.

(3) ينظر تفسير الباليساني المعروف في حسن البيان، ج 1، ص 166.

(4) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 386.

(5) سورة الفرقان - الآية 56.

(6) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 293.

(7) ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف أبي الثناء شهاب الدين الألوسي البغدادي،

متوفي 1270 هـ، تحقيق أبو عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبدالغفار، المجلد العاشر، ص 395-396.

(8) سورة الفتح، الآية 8.

(9) تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 25، ص 27.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

التأكيد على هذه الصفات في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (45) (1)، وأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو شاهد، وهذا الشهود فسره صاحب الأمثل على عدة معاني، إمّا أنه الشاهد على أعمال أمته أجمعين، وهذا ممكن لما منحه الله سبحانه من مزايا وتأبيد، وهو أيضاً شاهد على جميع الأنبياء، وهم (عليهم السلام) شهود على أممهم، وهو (عليه الصلاة والسلام) بما حباه ربه من كريم السجايا وعلو الهمة والأخلاق والقدرة العالية على إمضاء مشاريعه وإنجاحها شاهد على أن دينه هو الحق، وأن الله سبحانه مطلق في قدرته وعظمته (2).

وقد جعل شهادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على أمته فقط، وتابع أن ابن جرير أخرج عن قتادة أن رسول الرحمة (صلى الله عليه وآله وسلم) هو شاهد ليس فقط على أمته، إمّا أيضاً على جميع الأنبياء، وأنهم قد أدوا أماناتهم في إيصال رسالتهم وبشارتهم وهي بالثواب لأنهم أطاعوا، ومع التحذير من العذاب لأنهم عصوا (3) ونستطيع أن نفهم من نص الآية أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو مرسال رحمة وبشارة دائمة بين الله وعباده وما يخبئه لهم من عظيم الثواب (4) وأن مهمه الإنذار غير مهمة البشارة وأن هذه المهمة ليست إلا لمن هو أهل لها وهذا التأهيل هو حبوة ربانية من الله لكي يتسنى له تأدية مهمته (5).

وفي صفة البشير والنذير عاد المفسر للإشارة إلى نفس معاني ومداليل البشارة والإنذار بعظيم الثواب وكثرة الخير والرحمة، لكل من سار على هدي الحبيب المصطفى والتزم خط هدايته، ومعه الإنذار بأقسى وأشد ويلات الذل والألم والهوان لكل من اتبع هوى نفسه، وخالف سبيل الهداية والرشاد (6).

وفي نفس سياق البشارة والإنذار قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (28) (7)، أشارت الآية بحسب المفسرين إلى أمر من اثنين، إمّا أنها تدل على أن الدعوة المحمدية المباركة هي لكل خلق الله من جميع الطوائف، ودلّل صاحب الأمثل على هذا المعنى بذكر الآيتين الكريمتين هما ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (1) (8) و ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ

(1) سورة الأحزاب، الآية 45.

(2) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 20، ص 390.

(3) ينظر روح المعاني، تأليف أبي التناء شهاب الدين الألوسي البغدادي، المصدر السابق، المجلد الثالث عشر، ص

134

(4) ينظر شخصية الرسول الأعظم قرانياً، الشيخ جلال الحنفي البغدادي، طبعة أولى بغداد، 1418 هـ 1997 م، ص

193.

(5) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 351.

(6) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 20، ص 390.

(7) سورة سبأ، الآية 28.

(8) سورة الفرقان، الآية 1.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (19) (1)، وأسندته بحديث نبوي شريف: "إنما أعطيت خمساً ولا أقول فخراً، بُعثت إلى الأحمر والأسود، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً..." (2)، ثم دَلل على معنى آخر، وهو أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جعله الله السد المنيع الذي يصد الناس ويمنعهم عن الإنجرار إلى مهاوي الضلال بكفرهم، ويكفهم عن المعاصي والخطايا، ولكن المفسر نوه إلى أن التفسير الأول أقرب إلى الصواب (3) وبعد هذا النقاش ألمح صاحب الأمثل على أهميه دور التبشير والوعيد في تحريك همم العباد إلى طاعة الله سبحانه، والإلتزام بما ينفعهم لدينهم ودنياهم، والإبتعاد عما يضرهم فيهما (4).

وملخص رسالته صلى الله عليه وآله تعالى: (... إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46) (5)، وقد جعل صاحب الأمثل هذه الصفة ملخص نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأن الله سبحانه أرسله لنا ليخبرنا أننا أمام مسؤولية عظيمة، وهناك محكمة رهيبة مهيبه، القاضي فيها ربُّ العزة سبحانه بكل مقدراته وحكمته، وعقابه عظيم بقدر عظمته، منوهاً أن الإنذار في غرض التحريك للعباد أوكد وأشد تأثيراً في النفوس من البشارة (6).

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ (89) (7)، أورد صاحب الأمثل في معنى هذه الآية أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي ينذر العباد، بأن العذاب من الله تعالى نازل عليكم إذا خالفتم وتركتم التقوى (8) وقوله سبحانه: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (23) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (24) (9)، أوضح صاحب الأمثل وفقاً للآية الكريمة وظيفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هي تبليغ رسائل الله سبحانه وإنذار عباده من مخاطر معصيته (10) كما أكد على المعنى الوظيفي للنبوة في البشارة والإنذار دون أن تبحث هذه الوظيفة في الأثر الفعلي عند من تبشّرهم وتحذّرهم بمعنى أدّا ما عليك ودع الباقي لله سبحانه (11).

(1) سورة الانعام، الآية 19.

(2) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، ج 4، ص 336.

(3) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 20، ص 498-499.

(4) ينظر المصدر السابق نفسه.

(5) سورة سبأ، الآية 46.

(6) ينظر تفسير تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 20، ص 523.

(7) سورة الحجر، الآية 89.

(8) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 12، ص 571.

(9) سورة فاطر، الآية 23-24.

(10) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 21، ص 46.

(11) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 51.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

إنَّ أسلوب الإنذار الذي جعله الرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه كافة الأنبياء هو أسلوبهم الأشهر في تحريض أقوامهم، وتحريك همهم من أجل إحداث التغيير المطلوب في تغيير الحالة السيئة إلى ما هو أفضل وأنفع للعباد في دنياهم وآخرتهم.⁽¹⁾

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): "أنَّ الله جعل محمداً علماً للساعة ومُبَشِّراً بالجنة ومُنذِراً بالعقوبة".⁽²⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ ۗ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (89)،⁽³⁾ أوضح المفسر صاحب الأمثل معنى الآية أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي يراقب ويحصى أعمال المسلمين، بكل دقة ويحيط علماً بكل تفاصيلها، وهذا من متطلبات النبوة لتحقيق الغاية في هداية الناس.⁽⁴⁾

وقد أورد صاحب تفسير الثعالبي أنَّ كل أمة يشهد عليها رسولها، ربما المعنى أنَّ كل من يشهد أحداً من الناس على المعصية عليه أنَّ يردعه عنها لأنه شاهد عليه يوم القيامة، وأنَّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الشاهد على أمة المسلمين جميعاً.⁽⁵⁾

والشاهد على أمته في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِذْ رَاهِمٍ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۗ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (78)،⁽⁶⁾ وقد أكد صاحب الأمثل على معنى أنَّ الرسول الكريم يشهد ويطالع أعمال أمته كلها، وذكر أيضاً أنَّ أعمال أمة الإسلام كلها تُعرض على روح الرسول الأكرم الطاهرة في نهاية كل أسبوع.⁽⁷⁾ وقد قال الإمام الرضا (عليه السلام): "نحن حجج الله في أرضه، وخلفاؤه في عبادته، و أمناؤه على سره، ونحن كلمة التقوى، والعروة الوثقى، ونحن شهداء الله وأعلامه في بريته"⁽⁸⁾.

(1) ينظر أسماء الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وألقابه وكناه وصفاته، عباس تبريزيان، ط1، بيروت 1426هـ-2005م، مجلد3، ص 318.

(2) نهج البلاغة، صبحي الصالح، الخطبة 2، ص 47.

(3) سورة النحل، الآية 89.

(4) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزَّل، الشيرازي، ج 13، ص 126.

(5) ينظر تفسير الثعالبي، المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي، المصدر السابق، ج3، ص 438-439.

(6) سورة الحج، آية 78.

(7) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزَّل، الشيرازي، ج 16، ص 394.

(8) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج23، ص35.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم .

والسراج المنير كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46) (1)، عدّ صاحب الأمتل أنّ الدعوة إلى الله هي مرحلة ثانية تأتي بعد البشارة والإنذار، لأنّ في البشارة والإنذار تهيئة مهمة جداً للأفراد لناحية التقبل لما يدعوهم إليه، وأنّ هذه المهمة وهذه الدعوة لن تكون من دافع ذاتي عند النبي إلا بتوجيه وأذن وإرسال من الله سبحانه. (2)

والشاهد هنا بيّنه صاحب البغوي أنّه شاهد على الرسل أنّهم بلغوا رسالاتهم، وأنّ البشارة بالجنّة هي لمن آمن بها أما الإنذار فهو لكل من رفض الآيات والمعجزات التي جاء بها رسول الرحمة صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أنذرهم أنّ لهم نار جهنّم عقوبة على إنكارهم. (3)

وعلى لفظ السراج المنير أسهب صاحب الأمتل في شرح معنى السراج، مع التذليل على أنّ كونه (صلى الله عليه وآله وسلم) سراجاً يدل على عظيم المعجزات التي جاء بها كدليل على صدق نبوته الواضحة وضوح السراج في الليل، وكالشمس الجاذبة لكل مهتم، وكما السراج ونفعه في الليل وظلمته، والشمس وفائدتها في النهار وما تقدمه من خير للبشرية جمعاء، كذلك أنت أيّها النبي الكريم إنك الأمان وانكشاف الخطر والهداية وأنت منبع الخيرات ومحل الدفئ والبركة في هذه الدنيا. (4)

المطلب الرابع: عالمية النبي (عليه وآله الصلاة والسلام):

ثم عاد المفسر إلى موضوع إثبات أنّ رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو فعلاً خاتم الأنبياء في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتَهُمُ لَنْ نُشْهِدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (19)﴾ (5)، وأنّ معنى كلمة ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ تعني أنّ كل من بلغه هذا القرآن إلى يوم الساعة ما هو إلا دليل على الخاتمية، فلا يعقل أنّ يقول الله ذلك سبحانه وهو يعرف أنّه سيرسل رسالة أخرى فما نفع كلمة ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ عندها، ثم الآيات ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1)﴾ (6)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَئِن كُنَّا لَنَاسٍ لَّا يَعْلَمُونَ (28)﴾ (7)، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ

(1) سورة الأحزاب، الآيات 45-46.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 20، ص 390-391.

(3) ينظر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، المتوفي سنة 516 هـ، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط2، 1423 هـ-2002 م، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ج 3، ص 648.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 20، ص 391-392.

(5) سورة الأنعام، الآية 19.

(6) سورة الفرقان، الآية 1.

(7) سورة سبأ، الآية 28.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

أَنْتَظِرُونَ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158) ﴿1﴾، وأنها كلها آيات تدل على عالمية الرسالة المحمدية، وهي لكافة الناس وهذه أول الأدلة على الخاتمية (2) ثم ساق بعدها الأدلة على الخاتمية من الروايات والأحاديث الشريفة منها حديث المنزلة "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" (3).

وقد قال الطبري في تفسير هذه الآية: "يقول الله تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمداً أباً زيد بن حارثة ولا أي أحد من رجالكم الذين لم يلدوه محمد، فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد من بعده إلى قيام الساعة (4).

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (5)، نفسها الآية تدل على عالمية دعوته (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أورد صاحب الأمتل الحديث عن الإمام الحسن (عليه السلام) أنه جاء نفر من اليهود إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسألوه أنت رسول إلى من؟ وعليه نزلت هذه الآية الكريمة في سورة سبأ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ (28) وفي سورة الفرقان ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (1) (6).

ويوضح صاحب جواهر البحار أن الآية فيها قضيتان حول كلمة أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) رسول للجميع، أول قضية فيها أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أرسله سبحانه إلى جميع خلقه بلا إستثناء، والقضية الثانية حيث الخطاب إلى كل الناس بداية الآية الكريمة، والقضية الثالثة التي يمكن ملاحظتها في هذه الآية أنه ما من نبي سوى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد ابتعثه الله سبحانه لجميع الخلق فهو الوحيد الذي جعلت له هذه المكرمة والبركة (7).

وفي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (40) (8)، بين صاحب تفسير الأمتل في شرحه للآية الكريمة في الوقت الذي نفى فيه علاقة الأبوة بين الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين أي أحد منكم أيها المسلمين،

(1) سورة الأعراف، الآية 158.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 13، ص 182.

(3) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، الحافظ محب الدين أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، 615

– 694 هـ، طبعة مكية، القدس، 1356 هـ، ص 79.

(4) تفسير الطبري المسمى جامع البيان في أي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج 22، ص 16.

(5) سورة الأعراف، الآية 158.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 8، ص 451.

(7) ينظر جواهر البحار في فضائل النبي المختار، جمعه الشيخ يوسف بن اسماعيل بن يوسف النبهاني، ج 1، ص

229-230.

(8) سورة الأحزاب، الآية 40.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

إلا أنه أكد على أن علاقته بكم كرسول من الله إليكم هي أقوى العلائق وأعمقها، لأنه في ضوء هذه العلاقة هو معني بكم وبكل تفاصيل حياتكم باطناً وظاهراً على ضوء وأهمية وجود الله في حياتكم، وأخص ما في الأمر أنه خاتم النبيين ولن يكون هناك نبي بعده ولا رسول، لذلك عليه أن يبين ويوضح لجميع المسلمين في عصره والعصور اللاحقة بعده كل ما يخصهم في ذاتهم ومجتمعهم وعلاقتهم مع الله إلى يوم الساعة بدون أن يفصل أي تفصيل.⁽¹⁾

وقد ردّ على الشبهة التي تقول أنه كونه خاتم النبيين لا يعني خاتم المرسلين، بأنه كلام غير دقيق لأن النبوة أعم من الرسالة ومن هو خاتم النبيين فالأولى أن يكون خاتم المرسلين لأن العلاقة بين النبي والرسول هي وهي عموم وخصوص مطلق.⁽²⁾ وفي تفسير البغوي "قرأ ابن عامر وعاصم (خَاتَمٌ) بفتح التاء على الإسم أي آخرهم، وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل لأنه ختم به النبيين فهو خاتمهم". كما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: "أنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي".⁽³⁾

ونبي الرحمة (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يعلم الغيب كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ^٤ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ^٥ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ⁽⁴⁾﴾، في الآية يناقش المفسر في الأمثل عدم معرفة نبي الرحمة وللأنبياء جميعاً (عليهم أفضل الصلاة والسلام) لعلم الغيب استقلالاً، قوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِمَّنْ خَلْفَهُ رَصَدًا (27)﴾⁽⁵⁾، وفي الآية الكريمة لجميع الأنبياء (عليهم السلام) وعلى رأسهم نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يعلموا الغيب مداداً من عند الله سبحانه، لأن لهذا الأمر عظيم الأثر في نجاح مهمتهم في هداية وإرشاد الناس للخير والهدى، وبالأخص للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنه صاحب دعوة عالمية، ولا يكفي معرفته بأمر الشرع والدين، إنما يجب أن تكون معرفته الغيبية شاملة لكل مراتب المعرفة، ولكن كل هذه المعرفة هي مدد من الله سبحانه لتعينه مهمته الواسعة.⁽⁶⁾

"سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو العارف بسرمدية الإنقطاع والنظر مع قوة الناظر وحدته، والخلو عن أي تعتيم وغفلة، أي بأكمل المعاني التي عرفناها، بل هو عارف

(1) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 13، ص 180.

(2) نفس المصدر السابق.

(3) تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، ج 3، ص 646.

(4) سورة الأعراف، الآية 188.

(5) سورة الجن، الآيات 26-27.

(6) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 2، ص 500.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم .

بالمعاني التي لا نعرفها، لعدم الإحاطة بمدى قدراته ولا حقيقة ذاته⁽¹⁾، وفي هذه العبارة إشارة إلى معرفة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) تحقيقه لموضع الله سبحانه بالنسبة لخلقه ومكانه فيهم، وحقيقته العظيمة ماتزال دون إدراك عقولنا.

المطلب الخامس: نبي الرحمة

النبي العاشق لكل النَّاس كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (128)﴾⁽²⁾، وقد أشار المفسر في الأمتل أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان عاشقاً لقومه ليكونوا على أتم وأكمل معاني الكمال والهداية، فهو شديد الإرتباط بكل أناسه، حتى أنه شبهه بأنه قطعة من روح الناس، عارف بكل الآمهم وأوجاعهم، وقد شخّص كل مشاكلهم، ووضع الحلول لها، فهو منهم ومعهم، عدل نفسه بهم في كلّ شيء، حرص بكل إخلاص على أحوالهم، وقومه هم كل المؤمنين نافياً ما إدعاه بعض المفسرين أن تكون دعوته عليه وآله أفضل الصلاة والسلام خاصة بالعرب أو أي قوم آخرين، إنّما عامة شاملة لكل مؤمن، وحتى لكل إنسان.⁽³⁾

وصفة الرؤوف، جعلها الله سبحانه له ثابتة في كتابه لكريم إلى قيام الساعة، ومن ألقابه أيضاً نبي الرحمة، ومفتاح الجنة، وواضع الإصر والأغلال.⁽⁴⁾

رحمة للعالمين في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107) قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ (108)﴾⁽⁵⁾، تشير الآية وفق الأمتل أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو رحمة غامرة مطلقة لكل الخلائق، وكلهم كفاراً ومؤمنين مشمولين برحمة الله سبحانه بوجود النبي الأكرم ورسالته (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد شبهه المفسر بالمشفى المجهز بأحدث التجهيزات وأمهر الأطباء، ويستقبل كل الخلائق، كم من الرحمة في وجود هكذا مشفى، ومما ذكره أيضاً في معنى (العالمين) هي لجميع الخلائق قبل النبي وبعده وإلى يوم الدين، وهذه فكرة دقيقة عندما يكون هناك دين حقيقي كله خير، ومؤمنين كلهم خير إيمانهم وأعمالهم الطيبة تعم كل المجتمع، ويصل خيرهم للعدو والصديق، وربما يهتدي بهديهم غيرهم، والعمل المخلص على هذا النهج فيه الرحمة لكل المعمورة.⁽⁶⁾

(1) أسماء الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وألقابه وكناه وصفاته، عباس تبريزيان، مجلد3، ص11.

(2) سورة التوبة، آية 128.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 10، ص 360-361.

(4) ينظر مناقب آل أبي طالب أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروري المازندي، تحقيق د. يوسف

البقاعي، ط1، 421هـ، ج1، ص197-199.

(5) سورة الأنبياء، الآية 107-180 .

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 294.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

وجاء في الحديث الشريف: " أن النبي صلى الله عليه وآله قال لجبرائيل (عليه السلام) لما نزلت هذه الآية: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال: نعم، إي كنت أخشى عاقبة الامر فأمنت بك لما أثنى علي بقوله: "ذي قوة عند ذي العرش مكين (3)" وقد قال صلى الله عليه وآله: "إنما أنا رحمة مهداة".(1)

وقد قسّم صاحب التحرير والتنوير في شرح الآية الكريمة الرحمة مظهرين: منها أنّها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحد ذاته وجوده رحمة، مفطور على الرحمة في كل تصاريف شخصيته ومعاملاته، كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ...﴾ (159)،(2)، روحه طاهرة زكية، نفسه عظيمة، رفض الدعاء على قومه رغم أذيتهم له، ومظهر آخر هي شريعته الرحمانية كلها مقومات تؤسس على الرحمة وتنتهي بالرحمة، تشمل بأحكامها جميع خلق الله سبحانه، وفيها المنافع لهم أجمعين كونها آخر الشرائع إلى يوم القيامة، وقد تحضّر البشر لتقبلها بطول الزمن وتعدد الشرائع قبلها المؤهبة لها.(3)

والأب الرحيم كما نجده بقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (6)،(4)، فقد ذكر صاحب الأمتل أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو بمرتبة الأب لكل المؤمنين، وحتى هو أولى المؤمنين بهم من ذواتهم، وزوجات النبي هنّ بمرتبة الأمهات لكل المؤمنين.(5)

وعن ابن عباس قال: "إذا دعاهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى شيء ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى بهم من طاعة أنفسهم"،(6) وقصد فيه أنّ حكمه ماض فيهم وطاعته لازمة لهم وواجبة عليهم.(7)

المطلب السادس: المحمود دائماً وأبداً

قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (1)،(8)، إذ ركّز المفسّر في الأمتل على إظهار

(1) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 16، ص 306.

(2) آل عمران، الآية 159.

(3) ينظر تفسير التحرير والتنوير المعروف في تفسير ابن عاشور، تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر

ابن عاشور، ج 17، ص 122-123.

(4) سورة الاحزاب، الآية 6.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 20، ص 292.

(6) تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، ج 3، ص

608.

(7) ينظر المصدر السابق نفسه.

(8) سورة الاسراء، الآية 1.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

عظيم صفات النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا ما جعله جديراً بهذا الشرف، أن الله سبحانه وجد في نبيه الكريم تمام الإستعداد وكمال اللياقة بكل معاني الرفعة، وعلو المقام، فعمله من أنقى وأخلص وأنبى الأعمال، وسلوكه على أعلى مستوى الدقة في الطهر والنقاء، لذلك هو أهل أن تقدم هذه المعجزة له، ويُصعد به إلى سدرة المنتهى معجزة مؤيدة له، وإكراماً لمقامه الشريف⁽¹⁾.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "جاء جبريل وميكائيل وإسرافيل بالبراق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذوا باللجام وواحد بالركاب وسوى الآخر عليه ثيابه، فتضععت البراق فلطمها جبريل ثم قال لها: اسكني يا براق فما ركبك نبي قبلك ولا يركبك بعده، وعن صلواته بالأنبياء في بيت المقدس فلما استوتوا أخذ جبريل (عليه السلام) بعضدي فقدمني فأممتهم ولا فخر"⁽²⁾.
والحديث يطول، وفي كل تفاصيله عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تدل على عظمة وعلو مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يوافق كلام المفسر في الأمثل.

والمحمود في كل الدهور، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾⁽³⁾، إذ أشار صاحب الأمثل أن المقام المحمود من أعلى المقامات الرفيعة في مقامات المشكورين عند الله سبحانه وعند خلقه، وكون الكلمة جاءت بلا تقييد فهي دليل على أن الحمد سوف ينالك من الخلائق أجمعين من أولهم إلى آخرهم، ودللاً أيضاً في كل طرق الإسلام عند الشيعة والسنة أن المقام المحمود هو الذي يعني كون الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) صاحب الشفاعة، والشفيع في أمته، وهو أعلى أصحاب الشفاعة، وأن شفاعته لن تنال إلا من هم أهل لها⁽⁴⁾.

وفي حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر"⁽⁵⁾.

وقد أحصى بعض أهل العلم أقوال وأراء ما زاد عن ثلاثين مفكراً وعالمياً وقائداً وفيلسوفاً ومؤخراً في النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكلهم كانوا يتفنون ويتغنون بوصف هذه الشخصية العظيمة مفردين لها أجمل وأجل عبارات المدح والثناء، منهم من أبدى شديد الإعجاب بهذه الشخصية التي سلبت قلوب الناس، ومنهم من اعتبر أنه أعظم الخلق، ومنهم من أقر له بالقدرة الإلهية رغم أنهم ليسوا مسلمين، منهم من أقر بدهشته كلما اقترب من هذه الشخصية العظيمة،

(1) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 13، ص 192

(2) السيرة النبوية برواية أئمة أهل البيت عليهم السلام، الشيخ علي ديموش العاملي، ط1، 1429 هـ 2008م، دار

الهادي بيروت، ج1، ص 257-288.

(3) سورة الإسراء، الآية 79.

(4) ينظر تفسير تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 329.

(5) سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح، أحمد بن عيسى الترمذي، توفي 279هـ، كتاب المناقب، باب فضل النبي

صلى الله عليه وآله وسلم، دققه وصححه خالد عبدالغني محفوظ، ج5، ص584.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

ومنهم من عدّه أعلى من التصورات وفوق كل شبهة ووصفه بأجمل وألطف العبارات، ومنهم من أقر أنّ المسيحيّ المخلص لا بد له أنّ يقر بهذا النبي العظيم وكلماتهم لا تتسح لها صفحاتنا هنا.⁽¹⁾

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقْلُبُكَ فِي السُّجُودِ (219)﴾⁽²⁾، دّل صاحب الأمتل على حركة رسول الله صلى الله عليه وآله ونشاطه مع العباد والزهاد والساجدين، في كل أفعالهم العبادية، وأنّ هذه الأفعال هي في منظور الله سبحانه، وقد ذكر أيضاً المعنى الآخر الوارد عن ولادته المباركة بعد انتقاله في حالة النطفة في أصلاب الأنبياء المعروفين بعظيم طاعتهم وعبادتهم وخضوعهم لربهم سبحانه.⁽³⁾

وهذا الكلام انطبق تمام الإنطباق على كلام صاحب الميزان الذي أوضح أنّ تقلبه في الساجدين، هي قيامه مع المؤمنين وركوعه وسجوده معهم في حال الصلاة،⁽⁴⁾ ولكنه أورد أنّ هذا له معانٍ أخرى أنّ تقلبه هو تنقله في أصلاب الأنبياء (عليهم السلام)، فعن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهم السلام) قال: "أصلاب النبيين بعد نبي حتى أخرج من صلب أبيه عن نكاح من غير سفاح من لدن آدم"⁽⁵⁾.⁽⁶⁾

ونزاهة مقامه (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ^ط فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا^ط وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ^ط سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ^ط وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا (38)﴾⁽⁷⁾، والآيات تتحدث عن تحريم التبني، والمثال حول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين زوجه الله سبحانه من مطلقه زيد الذي كان يعرف أنّه ابنه بالتبني، وكيف حرم الله سبحانه وأثبت هذه الحرمة بتزويج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من مطلقته، وغاية ذكر هذا المثال في هذا الموضوع هو مانفاه المفسّر عن مقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جميع التهم التي أسندت إليه حول هذه القصة، ونزّهه مقامه الشريف عن كل نقيصة مهما قلّت، وآتّه ليس للنبي ولا للمؤمنين إذا أراد الله ورسوله أمراً إلا الطاعة، وأنّ

(1) ينظر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وصورته في عيون المنصفين، د. محمد بسام الزين، الفصل الحادي عشر بتصرف.

(2) سورة الشعراء، الآيات 218-219.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 307.

(4) ينظر تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج 15، ص 231.

(5) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج 4، ص 3019.

(6) ينظر تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج 15، ص 236.

(7) سورة الاحزاب، الآيات 37-38.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

الرسول القائد الإلهي الأعظم في التاريخ عليه أن ينفذ أمر الله سبحانه دون تردد لأن مقام النبوة لا ينبغي له أن يتأخر في إنفاذ أمر الله عزوجل.(1)

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "أنا أخشاكم لله وأتقاكم"(2)، هذا في مقام تنزيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن كل نقيصة فهو كامل في أوصافه وأخلاقه وعمله وطاعته.

عظمة الصلاة على النبي الكريم، في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(56)(3)، إذ يتحدث صاحب الأمتل عن مكانة وقيمة ومقام النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يصلي الله عليه والملائكة جميعهم، وحتى يأمر المؤمنين بالصلاة والتسليم عليه، وقد أطلق المفسر على هذه الصلاة (نداء عالم الوجود)(4)، وقد وصفه بالجوهرة النفيسة في هذا الخلق، وأنه لطف ورحمة، وأن هذا العالم برمته وكبره يختزل في وجود النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم).(5)

وقال ابن عباس: "أراد أن الله يرحم النبي والملائكة يدعون له"(6) وكدليل عظيم على رفعة مقام النبي وعلو شأنه عند الله سبحانه جعل الله لكل من صلى على محمد وآله عشر أضعاف صلواته، وأن كثير الصلاة على محمد وآله وهو أولى الناس برسول الله يوم القيامة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة"(7).

والظاهر المطهر كما في قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْتُونٍ (2) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾(8)، بحسب تفسير الأمتل كل تهمة تمت نسبتها إليك يا رسول الله أنت بريء مطهر منها، فأنت أيها النبي الكريم وهبك الله نعماً عظيمة جداً، بحكمتك وعقلك ومعرفتك وأمانتك أشهر من أن نتحدث بها، وأنت الذي جعلك الله سبحانه نبياً مكرماً، وطهرتك من كل رجس ونجس، و من أقل الذنب والمعصية(9)، وأن ثوابك بلا حساب دائم مستمر لا ينقطع، لعظيم فضلك، وطول صبرك.(10)

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 20، ص 363-364.

(2) تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، ج 3، ص 643.

(3) سورة الاحزاب، الآية 56.

(4) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 20، ص 422.

(5) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 421-422.

(6) تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، المصدر السابق، ج 3، ص 659.

(7) المصدر السابق نفسه، ص 661.

(8) سورة القلم، الآيات 2-4.

(9) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، ج 28، ص 284.

(10) ينظر المصدر السابق نفسه.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

في رواية عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنّ هذه الآيات نزلت في ولاية عليّ أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد أتهم القوم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّه قد جنّ حباً بابن عمه فأنزل الله تعالى الآيات،⁽¹⁾ وجاء برواية أخرى عن ابن عباس يقول: "ما أنت بما أنعم الله عليك من النبوة والقرآن يا محمد بمجنون".⁽²⁾

أمّا أخلاقك فهي مدهشة للعقل في رقيتها ورفعتها، لا يحدّها وصف ولا ينالها نظير، صبور مستقيم، قدوة حسنة، مبارك في محبتك لقومك، قابلت كل قسوة ولؤم منهم بكلّ محبة ورحمة وتسامح وكرم، حتى صرت بينهم وبين العرب مضرب مثل في النبل.⁽³⁾

وفي قصة إسلام مالك بن عوف والذي جيش الجيوش لحرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعندما هزم وأخذ رسول الله ماله وأسر أهله، لحق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فرد رسول الله له كل أهله وكل ماله وأعطاه فوق ذلك مئة من الإبل وقد تسببت هذه الحادثة بإسلام مالك بن عوف لدهشته من عظمة أخلاق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإعجابه وحبّه به.⁽⁴⁾

وفي الحديث عن أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان شديد الخجل في غاية الأدب والتواضع، يصلح نعله بيديه، ويرقع أثوابه، ويخدم أهل بيته، شديد الحب لجميع الفقراء والمساكين، شديد الإحترام لهم، يقبل عذر كل من يعتذر له، يسعى في حاجه الأرامل، ولم يخف ملكاً ولا سلطاناً، غضبه لله ورضاه لله سبحانه، وكان دائماً يبدأ أصحابه بالسلام، ولا يقول إلا ما يرضي الله سبحانه.⁽⁵⁾

وقد جاء أيضاً في الأمثل على ذكر تفاصيل كثيرة عن أخلاق النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكلها هو أعلى منها (عليه وآله أفضل الصلاة والسلام)، وهذا الخلق بكل عظمته شيء خُلق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، راسخ فيه ويدلّ على تمام حكمته وعظيم علمه.⁽⁶⁾ ومن النماذج التي أوردها صاحب الأمثل عن أخلاق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنّ أشد الناس عداوة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ينجذب إلى عظيم أخلاقه، ويخضع

(1) ينظر تفسير فرات الكوفي، تأليف أبي القاسم فرات بن ابراهيم الكوفي بن فرات الكوفي، من أعلام الغيبة الصغرى، تحقيق محمد الكاظم، ط1، 1410 هـ، ط2 1416 هـ - 1995 م، ص 495.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، ج28، ص285.

(4) ينظر قصص أخلاقية من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، هادي المدرسي، ص155.

(5) ينظر كحل البصر في سيرة سيد البشر، الشيخ عباس القمي، دار الصفوة، ط1، 1413 هـ 1993 م، بيروت-لبنان ص 86-87.

(6) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 28، ص 285.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

إلى لطفه، حتى أنّ المفسّر وصف أخلاق النبي بأنّها معجزة أخلاقية، وذكر عفوّه عن جميع المشركين يوم فتح مكة، وكيف دخلوا الإسلام قاطبة بسبب هذه التكرمة العظيمة.⁽¹⁾

وفي حديث الحسين بن عليّ (عليهما السلام) قال: "سألت أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف كانت سيرته في جلسائه؟ فقال: كان دائماً البشر، سهل الخلق، لئّن الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخّاب ولا فخّاش ولا عيّاب ولا مدّاح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤيّس منه، ولا يخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المرء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً، ولا يعيّر، ولا يطلب عثراته ولا عورته، ولا يتكلم إلّا في ما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنّما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث"⁽²⁾.

وفي وصيته (صلى الله عليه وآله وسلم) للناس في المدينة: "يا أيّها الناس أفسحوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلّوا الأرحام، وصلّوا والناس نيام، تدخلوا الجنّة بسلام"⁽³⁾.

والمبارك له في خواتيمه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾⁽⁴⁾، إذ أكّد المفسّر في الأمثل أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سيكون في دنياه ممن خصّه الله سبحانه بعظيم اللطف والرحمة، وزاده في الآخرة أعظم الرحمة، أخلصه الله بالعز والأمان دنيا وآخرة، وقد أشار أيضاً أنّه لربما المعنى أنّ أواخر عمر النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه من البركة والخير أكثر من بداية عمره، وربما أراد الله سبحانه بها ما عناه في نشر التوحيد، وما سيحصله في نهاية رسالته من عز ونصر وانتشار لدعوته ولدين الإسلام.⁽⁵⁾

وقد فسّر صاحب التفسير البسيط الآية بأنّ هذه الآخرة هي بشارة من الله سبحانه وتعالى بما سيفتح من بركات على أمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من بعده.⁽⁶⁾

وشفيح محبيه كما في قوله تعالى: ﴿وَأَسْوَفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾⁽⁷⁾، هذه الآية على حسب صاحب الأمثل هي أنّ الله سبحانه وتعالى أعطى النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) الشفاعة في أمته حتى يكون راضياً مرضياً، وقد أكدها بروايات النبي وآل بيته الكرام.⁽⁸⁾ وعن

(1) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 290.

(2) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص 83.

(3) الترغيب والترهيب في الحديث الشريف، تأليف الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد الغوى المنذري، المتوفي سنة 656هـ، ضبطه وخرج أحاديثه إبراهيم شمس الدين، ط 3، 2003م - 1424هـ، المجلد الثاني، ص 33.

(4) سورة الضحى، الآية 4.

(5) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 30، ص 360.

(6) ينظر تفسير البسيط، أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحد، متوفي 468هـ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الورثان، دار المصور العربي، مصر-الاسكندرية، ج 23، ص 106.

(7) سورة الضحى، الآية 5.

(8) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 30، ص 306.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "أشفع لأمتي حتى ينادي ربي أَرْضَيْتَ يَا مُحَمَّدُ؟ فأقول: نعم يا ربي رَضَيْتَ"⁽¹⁾، وهذا من منطلق أنّ نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله وسلم) هو آخر الأنبياء، وهو سيد الخلق أجمعين في الأولين والآخرين، وهو من الرأفة والرحمة والحب لأتباعه بأعظم مكان، لذلك لن يقبل أن يكون وحده في رحمة الله سبحانه، ووحده الذي ينجو، ورضاه يتحقق في قبول شفاعته في قومه وأمته، ومن أحبه وتبعه، وتبع الأنبياء من قبله.⁽²⁾

والمغمور بالرعاية الإلهية في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8)﴾⁽³⁾، أخذ المفسر في تفسير هذه الآيات على ظاهر الكلمات، أولاً من أنّ كلمة (الضال) هنا أي لم تكن على علم بمقام نبوتك وأسرارها، وبالبعثة صرت عارفاً بها، واليتم فيه أنه جعلك الأحب لقلب جدك وعمك بعد موت أبيك وأمك، وأعانك بمال خديجة (عليها السلام)، وأعزك بعد مال خديجة بما فتح عليك من أرزاق الإسلام،⁽⁴⁾ وهذا الحديث ليس فيه تحديد أنّ هذه صفات النبي الكريم، إنّما هي حديث عن رعاية الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله حتى جاء بالحديث إلى صفات النبي بذكر رواية فيها تحديد لصفات النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو قد دُلّ وقال أنّها من باطن تأويل القرآن الكريم، وهي رواية عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) في تفسير هذه الآيات قال: "﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ قال: فرداً لا مثيل له في المخلوقين، فأوى الناس إليك، ووجدك ضالاً أي ضالاً في قوم لا يعرفون فضلك فهداهم إليك، ووجدك عائلاً تعول أقواماً بالعلم فأغناهم بك"⁽⁵⁾.

وروحه القوية في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ (3) أَلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)﴾⁽⁶⁾، فقد أخذ المفسر في الأمثل معاني شرح صدر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على معنى ما وهبه الله سبحانه من العلوم اللدنية والقوى الروحية، التي تؤهله لحمل رسالة النبوة، وهذه مواهب وبركات أفاضها الله سبحانه عليه عوناً له، وربما كانت أيضاً قدرته على تكبد المشقة، ومجابهة أعدائه وأعداء الله تعالى من كل الرافضين لنبوته، والإنقياد له وهذا أمر شديد القسوة.⁽⁷⁾

(1) تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الامام محمد الرازي فخر الدين، ط3، ج3، ص64.

(2) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج30، ص306.

(3) سورة الضحى، الآيات 6-8.

(4) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج30، ص310-339.

(5) عيون أخبار الرضا ع، الشيخ الصدوق، ج2، ص177.

(6) سورة الشرح، الآيات 1-4.

(7) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج30، ص317-318.

المطلب السابع: الموحى إليه:

الموحى إليه في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحى إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ (50)،⁽¹⁾ إذ أوضحها المفسر في الأمتل بأن كل ما أتى به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو من عند الله فقط، وكل ما يأتي من عند الله سبحانه فهو كامل ودقيق غاية الدقة، وأن إمداد الله سبحانه لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو سبب قوته واستقراره على الحق فهو مدد وتأيد من الله.⁽²⁾

وقد ذكر صاحب تفسير الحداد أن سبب هدايته هي من الوحي محددًا أنه القرآن الكريم، وما ألهمه الله سبحانه لنبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) من البيان وحسن القول والفهم، وهو دائم القرب من رسول الله لا يتركه أبدًا.⁽³⁾

والمرسل من الله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4)،⁽⁴⁾ فقد أورد المفسر في الأمتل أن كونه (صلى الله عليه وآله وسلم) على صراط مستقيم، إنما يدل على أن كل ما دعى إليه وأمر به، قد جاء به في فعله وقوله من الصدق والأمانة والكرم والخلق الحسن ومن صبر وحلم وعلم، كلها تلاقي عظيم التقدير والإحترام من بين كل من خالطه، لأنها أسمى أخلاقياته، وفوق ذلك بكل ما استخدمه من منطق دقيق محكم في مناظراته، ودفاعه عن دعوته الراسخة على قوانين العقل والفطرة السليمة.⁽⁵⁾

وفي تفسير الحداد أن الآيات هي جواب قسم الله عز وجل بالقرآن الكريم أن إنك يا محمد نبي مرسل على دين الإسلام وعلى نفس نهج الأنبياء قبلك تخبر ما حملك إياه رب العزة من رسالة إلى قومك والعالمين بلا استثناء.⁽⁶⁾

والبعيد عن التكلف في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (86)،⁽⁷⁾ حسب الآيات نفى المفسر في الأمتل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كل صفات التكلف، والتي جعلها المفسر في بحث صغير أوردها في روايات عن حقيقة المتكلف

(1) سورة سبأ، الآية 50.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 20، ص 529.

(3) ينظر تفسير الحداد كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل لأبي بكر الحداد اليمني، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم يحيى أستاذ تفسير القرآن وعلومه الجامعة الأسمرية، زليتن ليبيا، دار المدار الإسلامي، ط1، 2003، المجلد الخامس، ص 404

(4) سورة يس، الآية 3-4.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 21، ص 93.

(6) ينظر تفسير الحداد كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل، المجلد السادس، ص 7.

(7) سورة ص، الآية 86.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

كقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: "للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه، ويتعاطى ما لا ينال، ويقول ما لا يعلم"⁽¹⁾، وهذا حال رسول الرحمة (صلى الله عليه وآله وسلم).⁽²⁾ وحال رسول الرحمة (صلى الله عليه وآله وسلم) بعيد بعداً مطلقاً عن التكلف، فكلامه المنطق الدقيق المستند لكل حق وعقل، وجلي بكل معانيه، وحاله معروف بين قومه بالشفافية والصدق.⁽³⁾

"وهذا الأمر الذي جئتم به لم يكن بدافع ذاتي مني، إنما أنا مأمور فيه من قبل رب العالمين ولا أريد أي أجر منكم".⁽⁴⁾

والعبودية المطلقة لله سبحانه في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (12) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13)﴾⁽⁵⁾، وقد بين المفسر في الأمل حول تفسير هذه الآيات بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يسبقه أحد من الخلق إلى الإيمان والتسليم المطلق لله سبحانه، لا سبقاً في زمن إلتزامه، ولا سبقاً في نوعية إلتزامه، فهو قد رسّخ نفسه الكريمة في مقام العبودية المطلقة لله عزوجل، وجبل نفسه على الخوف من الله سبحانه، واتقاء غضبه وعذابه، والتزم القول والفعل في كل ما يقربه لله عزوجل، ويعينه على تأدية رسالته هادياً وأستاذاً وقائداً.⁽⁶⁾

وعدّ تفسير الحداد أنّ هذه الأولية في إسلام النبي الكريم هي أنّه أول أهل زمانه في إسلامهم.⁽⁷⁾

وكل تفصيل في حياته بين أصحابه يدل على أنّه أشدهم خوفاً من الله سبحانه، وأشدّهم إخلاصاً لله تعالى، وأكثرهم احساناً لإخوانه ولنفسه وأطيبيهم تضحيه وإيثاراً.⁽⁸⁾

والمؤيد بجبريل (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (52)﴾⁽⁹⁾، المقصود به تبعاً لتفسير الأمل هو معرفة رسول الرحمة (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه

(1) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، مجلد6، ص248.

(2) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج 17، ص 243.

(3) ينظر تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 400-41.

(4) تفسير الحداد كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل لأبي بكر الحداد اليمني، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم يحيى، المصدر السابق، المجلد السادس، ص 88، الآيات 11-13.

(5) سورة الزمر، الآيات 11-13.

(6) ينظر تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 428-429.

(7) ينظر تفسير الحداد، كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل لأبي بكر الحداد اليمني، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم يحيى، المجلد السادس، ص 94.

(8) ينظر تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 429.

(9) سورة الشورى، الآية 52.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم .

(وسلم) بالكتاب، فهو لم يكن قد نزل، والإيمان فيما يخص القرآن الكريم، وأما حال الرسول من ناحية تقواه لمن يشكك أنّ الآية تعني إيمانه وعقيدته، فقد دافع عنها القرآن الكريم في كثير من الآيات، وأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد وكلّ به أعظم الملائكة، يسعى به إلى أعظم وأطيب الأخلاق في كل وقته،⁽¹⁾ يعني هذه دلالات معاني الحفظ من الله سبحانه، وأنّ الله سبحانه يحفظه بالملائكة الذين يدمونه، ويأخذون به إلى كل ما يرضي الله وإلى كل ما يحفظ هذا النبي ورسالته.

وقد قال المفسر صاحب الأمتل في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ (54) (2): "وكن مطمئناً فقد أدبت ما عليك"⁽³⁾، أوضح أنّ قلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في أشد الرغبة والتحرّق على قومه، حتى يدخلوا هذا الدين، وتمتلى قلوبهم بحب الله سبحانه وطاعته، وقد شارف النبي على الهلاك من شدة تعلقه بفكره هداية قومه.⁽⁴⁾

وقد ذكر الطبري في تفسيره أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أدى ما عليه من تبليغ الرسالة ولا ملامة عليه، ولما الملامة؟ وقد أدى وظيفته على أكمل وجه.⁽⁵⁾

وبعين الله ورعايته في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ جِينًا تَقُومُ﴾ (48) (6)، ﴿فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ كلمتين غاية في الإختصار وفي أعظم معاني الرعاية والحماية تصحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، مهما اذوك ومهما اتهموك، ومهما أضمر وا لك السوء، ومهما ظلموك، لا تخف أنت في رعاية الله وسبحانه وحفظه، وله كبير الأثر في تضميد جراح النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وشدّ أزره.⁽⁷⁾

أي يا رسول الله نحن نراك أدق الرؤيا أنت وحالك، وكل ما تقوم به، وأنك في عين رعايتنا وحفظنا محاطاً بها إحاطة تامة، وأي سوء يهيم به أعداؤك لن يصل إليك.⁽⁸⁾

والمسدّد بالوحي في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) (9)، وقد أوضح المفسر في الأمتل بأنّ الله عز وجل أقسم قسماً عظيماً بأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو على طريق الهدى والحق، ليس في قوله أو فعله أدنى ذرة من الميل عن الحق، وأنّ كل ما يقوله ويفعله هو إلهام وهداية وتوفيق من الله

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23، ص 297.

(2) الذاريات، الآية 54.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 25، ص 214.

(4) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 214.

(5) ينظر تفسير الطبري المسمى جامع البيان في أي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج 27، ص 15.

(6) سورة الطور، آية 48.

(7) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 25، ص 260.

(8) ينظر تفسير الطبري المسمى جامع البيان في أي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج 27، ص 47.

(9) سورة النجم، الآيات 1-4.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

سبحانه وتعالى، ليس للسحر ولا الشعر ولا الميل إلى حب الذات وملذاتها ولا الجنون أدنى وجود في حياته وعمره الشريف أو عقله الطاهر، فهو المؤيد بجبريل (عليه السلام) في كل وقته.⁽¹⁾

وفي تفسير الطبري وضّح أنّ رسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يحد عن طريق الحق ولم يتركه أبداً، وهو على جادة الصواب دائماً، على أتم الإستقامة وأفضل السداد، لم يعرف الغواية ولم يستخدمها ولم يمشي بها ولا خطوة، فالرشد رفيقه، والسداد طريقه وهدفه، وأنّ القرآن الكريم الذي جاء به هو من عند الله سبحانه كله، لم يأت به رسول الرحمة من ميوله وأفكاره وما يرغب فيه، إنّما جاء به جبريل (عليه السلام) من عند رب العزة سبحانه بتعليم وتفهم.⁽²⁾

وفي تفسير أهل بيت النبوة (عليهم الصلاة والسلام) لهذه الآيات أنّها في نجم سقط على دار أمير المؤمنين (صلوات الله عليه وسلامه) يدلّ بها على فضله وأنه الخليفة والوصي بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنه بعد هذه الحادثة نزلت الآيات الكريمة لتصدق ما رآه الناس، وتصدق ما جاء به نبي الرحمة في وصيته لعلي (عليه السلام) والإشارة إليه.⁽³⁾

وفي قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾⁽⁴⁾، حسب صاحب الأمثل بعد نقاشه لنظريتين في تفسير هذه الآية، الأولى أنّ الذي علمه جبريل (عليه السلام)، والثانية أنّ الذي علمه هو الله سبحانه بذاته، وذهب المفسر إلى النظرية الثانية مؤيداً ماجاء إليه بسياق الآيات وروايات أهل البيت (عليهم السلام)، أنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي علّمه، وكل ما يفعله ويقوله هو من عنده سبحانه، وقد دلّل المفسر من خلال شرحه على عظمة علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، لكونه قد تلقى علومه مباشرة من الله سبحانه، والذي هو أعظم وأجلّ وأعز ما في الوجود.⁽⁵⁾

وفي الحديث عن أخلاق النبي العظيمة ما تحار له العقول وهو القائل عليه الصلاة والسلام: "لكل كبد حرّى أجر"⁽⁶⁾، وقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه كان أبغض الخلق إليه الكذب، فكان إذا أطلع على أحد كذبة يبقى محولاً وجهه عنه حتى يتوب.⁽⁷⁾

(1) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 26، ص 266-267

(2) ينظر تفسير الطبري المسمى جامع البيان في أي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج 27، ص 50-

52

(3) ينظر تفسير فرات الكوفي، تأليف أبي القاسم فرات بن ابراهيم الكوفي بن فرات الكوفي، ص 451.

(4) سورة النجم، الآية 5.

(5) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 26، ص 268-271

(6) صحيح ابن حبان، مجموعة المصادر السنية، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط 2، 1414 هـ-1993 م، ج 11، ص 524.

(7) ينظر قصص أخلاقية في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، السيد هادي المدرسي، ط 1، 1425 هـ-2400 م،

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): " كان أجود الناس كفاً، وأجراً الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، ومن رآه بديهة هابه، ومن خالطه فعرفه أحبه، لم أر مثله قبله ولا بعده".⁽¹⁾

والرسول الكريم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (42)﴾⁽²⁾، وقد ذكر المفسر في الأمل أن الرسول الكريم هنا هو محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد نفى عنه من خلال الآيات كل تهم المشركين من كونه جاء ينبئهم بالغيبات كما يفعل الكهنة، أو أن القرآن الكريم غايته أخبار أي غيبات، أو أن القرآن الكريم الذي جاء به هو نوع من أنواع الشعر، وترتيب الكلام وسجعه، وأن الفروق واسعة جداً بين كتاب الله سبحانه والكهانة والشعر.⁽³⁾

وقد وصف بورسورث سميث وهو بروفيسور مسيحي الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وما فعله بقومه وأصحابه وكيف نفخ روح الحياة في كل من حوله وحولهم إلى أناس فاعلين منذ بدء نبوته حتى في وفاته، وأن كل بطولاته كانت إعجازية،⁽⁴⁾ و قال عنه: "أجده أقدس الناس وأعلاهم مرتبة حتى أن الإنسانية لم تعرف له مثيلاً".⁽⁵⁾

فهل من المعقول أو المنطقي أن هذا الشخص العظيم الذي شغل عقول العظماء في وقته وزمانه وانتصر عليهم، وقاد قومه وأمة العرب من حضيض التخلف إلى قمم المجد والعز والكبرياء بالأخلاق العظيمة، وأسس لهم نواة عقيدة ملأت أركان الأرض ودولتهم اتسعت في كل أنحاء العالم، وجاء بكتاب لا يزال معجزاً إلى يومنا هذا وسيبقى، هل يعقل أن يكون هذا الشخص العظيم مجنوناً أو كاذباً حاشاً وكلاً؟!⁽⁶⁾

وقد عرض أيضاً على قضية مهمة في حقيقة القادة الإلهيين، أنهم جميعاً (عليهم السلام) في أخلاقياتهم يشكلون واقعاً معكوساً عن حياة القادة الخاضعين لأهواء أنفسهم وأوامر الشيطان، فكما تكبر وتجبر أولياء الشياطين، كلما تواضع وخضع وتودد لله سبحانه وللصالحين وأولياء الرحمن.⁽⁷⁾

وقد ذكر صاحب تفسير الكشف والبيان أن سبب نزول الآيات هو دعوة كفار قريش للنبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) لترك الدين، وله منهم كل ما يطلب من المال والعز والحماية، لكن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) رفض كل ذلك وأثبت عند الكفار أنه لا يقدر لهم

(1) كحل البصر، الشيخ عباس القمي دار الصفوة، بيروت، ط1، 1413 هـ-1993م، ص 91.

(2) الحاققة، الآيات 40-42.

(3) ينظر تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 28، ص 341.

(4) ينظر قصص أخلاقية في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، السيد هادي المدرسي، ص 59.

(5) قصص أخلاقية في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، السيد هادي المدرسي، ص 59.

(6) ينظر نفس المصدر السابق، ص 59-60.

(7) ينظر تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 28، ص 408.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

على شيء سوى أن يبلغهم رسالة الله سبحانه، وأكد على أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مرسل ومبلغ وهذا أقصى ملكه.⁽¹⁾

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ (22) ⁽²⁾ دَلَّ صاحب الأمتل على أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) من اللطف والرفقة والتواضع هو كالصاحب الملازم، والرفيق الرقيق بقومه وأصحابه، لم يتعال عليهم يوماً ولا جفاهم، وإنما أحبهم وبادلهم الودّ والمحبة، ورافقهم عمراً طويلاً، حتى فاض بينهم حسن عقله وحكمته وأدبه العظيم، وكل الخير والإتزان في كل تصرفاته فكيف تدعون له الجنون.⁽³⁾

وقد نفى صاحب تفسير البسيط على موجب الآيات أي تهمة من أهل مكة على الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالجنون أو أنه جاء بهذا الدين أو الكتاب من تلقاء نفسه.⁽⁴⁾

وفي سعة صدره (عليه وآله الصلاة والسلام)، أشار صاحب الأمتل أن بدون تأييد الله عزوجل له بهذه الموهبة العظيمة ليس له أن يتمكن من تيؤ مكانة القائد الروحي حتى يثبت لشديد الأحوال التي سترافقه في نشره رسالته، وهذا التأييد الرباني المبارك كان له أطيّب الأثر في التخفيف عن رسول الرحمة (صلى الله عليه وآله)، وعدا عن أنه من أجل المعاجز التي بوركت بها شخصية النبي الكريم،⁽⁵⁾ وأن هذا الإمداد الإلهي المبارك رافقه منذ طفولته وفي شبابه، وحتى في نشر رسالته، فقد عانى فيها أشد المرار ولحظات حرجة وقاسية جداً، ومعقدة وربما بشكل أوسع مما عاناه كثير من الأنبياء الكرام (عليهم السلام)، منها حمل وتقبّل الوحي الإلهي العظيم ونشره وتعليمه، ومجابهة المشركين له وإصرارهم على أذاه، وعلى الكفر، وحزنه من فقد السند من أهله وقومه واحداً تلو الآخر، جده، وعمه، وزوجه (عليهم أفضل الصلاة والسلام).⁽⁶⁾

وقد ذكر صاحب التفسير البسيط أن هذا الفتح هو أن الله سبحانه أزاح عن قلب رسول الله وعقله كل ما يعيق إدراكه وفهمه للحقائق،⁽⁷⁾ أما وضع الوزر فهو غفران الذنوب لأنه أزاح عن كاهله أثقال المعاصي،⁽⁸⁾ وأما رفع الذكر فهي على قول صاحب البسيط أن كل المفسرين قالوا: "لا ذُكِرَتْ إِلَّا وَذُكِرَتْ مَعِي"،⁽⁹⁾ وذلك في قول لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(1) ينظر الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، الامام الهمام أبو اسحاق أحمد المعروف بالامام الثعلبي، توفي 427 هجري، دراسة وتحقيق الامام ابي محمد عاشور، ط1، دار احياء التراث، بيروت- لبنان، 1422 هـ - 2002م، ج10، ص 56.

(2) سورة التكوير، آية 22.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 29، ص 109.

(4) ينظر تفسير البسيط، أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحد، ج 23، ص 276.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 30، ص 318.

(6) ينظر المصدر السابق نفسه.

(7) ينظر التفسير البسيط، أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحد، ج 24، ص 121.

(8) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 124.

(9) المصدر السابق نفسه، ص 128.

المبحث الثاني

صفات القرآن الكريم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

القرآن لغة: أصل القرأ الجمع والضم؛ يُقال: "قرأت الشيء" إذا جمعه وضمه بعضه إلى بعض.⁽¹⁾

القرآن اصطلاحاً: "فإن القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على عبده ورسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو اسم خاص لكتاب الله المنزل بلفظه ومعناه وترتيبه، بلا زيادة ولا نقصان، وقد ثبتت هذه الصفة بالنقل المتواتر الذي يفيد العلم القطعي".²

كما ذهب الإمام الشافعي (ت 204هـ) إلى أن "القرآن اسم علم لكتاب الله، غير مشتق، بخلاف "التوراة" و"الإنجيل"، اللذين هما اسمان مشتقان".³

ومكانة القرآن الكريم في حياة الأمة الإسلامية والمسلمين لا يختلف عليها اثنان، فهو حبل الله المتين طرفه بيد الله والآخر بعيد عامة المسلمين كما جاء في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الدستور والاساس في الشريعة الاسلامية وحرمة الاستهتار به من الواضحات في الدين الاسلامي تتواتر عليه كل الطوائف للاسلام ومذائبه ومذاهبه، ومن المسائل الاساسية في عقيدة الاسلامية حرمة الاعتقاد بتحريف القرآن الكريم بأي نوع من انواع التحريف حفظاً من الله سبحانه، وحفظاً بالسنة الشريفة والتواتر، وعليه أصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).⁽⁴⁾ إذ قال: "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل البيت ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي"، قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "أنا أول الوافدين على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابي وأهل بيتي ثم أمتي ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي".⁽⁵⁾

ولأجل هذا الأمر من عظمة القرآن الكريم وأهميته في حياة المسلمين، لأن القرآن الكريم هو أساس نجاح الأم المسلمة. أراد الباحث ذكر صفات القرآن الكريم واستعراض ما جاء في تفسير الأمتل من معالجه لهذه الصفات، ومن الأمور المهمة التي تفيد البحث هي نظريته المستشرقين والحاديثيين إلى القرآن الكريم والتشبيهات التي يثيرونها، وقد عالج هذه النظرة الدكتور خالد إبراهيم المسلم الألوسي، استاذ التفسير في كل العلوم الإسلامية في الجامعة العراقية، حيث حاول فيها الدفاع

(1) الصحاح للجوهري، مادة قرأ. القاموس المحيط على طريق المصباح المنير واسباب البلاغة الجزء الثالث

الطاهر احمد الزاوي طبعه رابعه 1417 هجري 1996 ميلادي دار عالم الكتب للطباعة والنشر الرياض

(2) الأصول العامة للفقهاء المقارن، الدكتور محمد تقي الحكيم، ص 93.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2، ص 298.

(4) ينظر بحوث قرآنية على ضوء الكتاب والعترة، الدكتور ضرغام كريم الموسوي، ط1443 هـ، 2022 م، العتبه

الحسينيه المقدسة، ص19 - 21.

(5) الكافي للكليبي، ج2، ص 600.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

عن القرآن الكريم ضد شبهات الحداثيين في النيل، من قدرة القرآن الكريم، وعرف في وصفها: الحداثة في فهم النص القرآني بأنها منهج غايته التقليل من قداسه القرآن الكريم، وجعله قابلاً للنقد، وجعل آياته عرضه للتحليل العقلي، وفهم النص على ضوء المدلولات اللغوية الحديثة، وعلّة أسباب ونشوء هذا المنهج إلى الحريه الفكرية التي نشأت بعد عصر الثورة الصناعية في أوروبا، وانتشار الإلحاد، ونقد الأديان في أوروبا، ونقد الكنيسة، ونقد النصوص التوراتية والإنجيل، ومن أسبابها أيضاً العلمانية، والدعوة إلى تحرير الفكر الإنساني من سيطرة الدين والمعتقدات الدينية، والفصل بين الدين والسياسة، وكذلك العقلانية، والرجوع للإنسان إلى العقل، وحكم العقل في صناعه المجتمع والدول والافتراضات، وكذلك تعود إلى تطور العلوم والمعارف، وأن هذا التطور لم يعد يتطابق مع النصوص الدينية القديمة والتشبيهاً التي أثارها الحداثيون عن القرآن الكريم بأن النص القرآني غير مقدس، وهو نص أدبي تاريخي، أول الآيات على ذوقهم الفكر والنفس، وتعتمد أساس نظريتهم ونظرتهم للقرآن الكريم أن هذه النصوص تعارض تطلعاتهم. لذلك، إما أولوها على ذوقهم أو لم يهتموا بها، وذكر ما قاله البعض: كنصر حامد، أبو زيد، قائلاً: "أنه نص بشري ومنهجا ثقافي بينه وبين الشعر الجاهلي، شبيهاً كبير". وقال أيضاً: "من الواقع أن النص القرآني، ومن لغته وثقافته صيغه مفاهيمه". في الواقع، النص هو ما انتجه، أولاً والواقع، ثانياً والواقع، أخيراً. وعرض أيضاً ما ذكره حسن حنفي: "أن القرآن الكريم هو عبارة عن ظروف تعرض لها الواقع، ونتجت عن هذه الظروف حلولاً، وانتجت القرآن الكريم". فهم ذلك، جعلوا القرآن الكريم غير منزل من الله تعالى، وتوسعوا في تأويله، وخرجوا ألفاظه العربية من مدايلها، وهذه المهمة ساقهم إلى نشر أفكارهم معتقدين صوابها، وحاولوا الدفاع عنها.⁽¹⁾

وفي رد هذه الشبهات كثير من الكلام لو أردنا التوسع أولها إظهار إعجاز النص القرآني اللغوي المعروف عند أهل الاختصاص في اللغة، وكيف أنه بقي على مدار ألف وأربعمئة عام مرجعاً أساسياً للغة العربية، وكذلك الإعجاز البياني والبلاغي، ثم كشف جهل هؤلاء الحداثيون باللغة العربية، وقواعدها وأصولها، وأيضاً إعجاز النص القرآني بالإخبار بغيبات علمية وتاريخية ما زالت تتكشف إلى هذه الساعه وايضاً عدم صوابية فكرتهم في تفسير القرآن الكريم على حسب معتقداتهم لأنّ لتفسير القرآن الكريم قواعد وحتى لو قلنا بالتأويل، فله قواعد عند أهل التفسير.

المطلب الأول: النور الهادي

الصراط المستقيم كما في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁽⁶⁾،⁽²⁾ في شرح الصراط المستقيم استعرض المفسر في الأمثل آراء بعض المفسرين عند توضيح حقيقة الصراط، أنه في أحد

¹ شبهة الفكر الحداثي المنحرف حول القرآن الكريم، دراسته نقديه في التحديات المعاصرة، الاستاذ الدكتور خالد ابراهيم اللوسي استاذ التفسير في كلية العلوم الاسلاميه الجامعه العراقيه 1445 هجري 2024 ميلادي بتصرف.
⁽²⁾ سورة الفاتحة، الآية 6.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

معانيه هو كتاب الله القرآن الكريم موضحاً قبوله لهذا الرأي أنه مع جملة من الآراء ممكن أن يعد القرآن الكريم أحد حقائق ومعاني الصراط المستقيم لما فيه من هداية وأحكام إلهية تدلّ على أنه الحق. (1)

وروى أمير المؤمنين علي عن النبي (صلوات الله عليهم وسلامه): "المراد بالصراط كتاب الله". (2)

وكتاب هداية كما جاء في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (2) (3)، وفي خلال شرح صاحب الأمتل لهذه الآية ركّز كلامه حول كلمة ﴿ذَلِكَ﴾ أنها تدلّ على الإشارة للبعيد، وأنّ الله سبحانه استخدمها في الإشارة إلى القرآن الكريم ليدل بها على عظيم وعلو شأن القرآن الكريم، وأنه في هذا العالم هو قمة القمم وأعلى مبتغى لكل بني البشر، (4) وأضاف أيضاً أنّ هداية القرآن الكريم اختصت فقط بالذين عملوا جاهدين لتحقيق شرط التقى، ولو بنسبة مقبولة تسمح لمعاني الآيات ومراد الله سبحانه أن يتحول إلى فعل في حياة من يطلب الهداية من الله سبحانه، فلا مكان لهدى القرآن الكريم في قلوب جلفة مستعصية على الحق. (5)

"الكتاب هو القرآن الكريم وذلك أنّ معناه جمع الشيء بعضه إلى بعض". (6) وأيضاً أورد صاحب هذا التفسير معنى الغيب في الآية الثالثة هو الوحي والقرآن الكريم. (7)

والنور المبين في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (174) (8)، فقد فسر هذه الآية صاحب الأمتل النور المذكور فيها بأنه القرآن الكريم، وذلك اتكالاً على آيات أخرى فسّرت القرآن بأنه نور من الله سبحانه، وبعدها حاول الربط بين القرآن الكريم وبين مولانا علي أمير المؤمنين (عليه السلام) على أنه مصداق القرآن الكريم في قوله وفعله، وفي تعليمه ونشره وحرصه عليه. (9) وعن الفخر الرازي النور المبين هو القرآن الكريم، وأنّ سبب تسميته بالنور المبين لأنه دائماً يوقع نور الإيمان في قلوب العباد. (10)

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج1، ص 43.

(2) زاد المسير في علم التفسير، الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجزري، توفي 597 هجري، ط2، 1422هـ-2002م، دار الكتب العلمية، المجلد الأول، ج1، ص 13.

(3) سورة البقرة، الآية 2.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج1، ص 52.

(5) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 53.

(6) زاد المسير في علم التفسير، الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجزري، ج 1، ص 20.

(7) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 21.

(8) سورة النساء، الآية 174

(9) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج5، ص 313.

(10) ينظر تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الامام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، ج 11، ص 122.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

وكتاب هداية كما جاء قوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (16) (1)، إذ حدّد المفسّر صاحب الأمتل أن هذه الآية أراد الله سبحانه بها إظهار المكانة والقيمة المباركة العظيمة التي خصّها الله سبحانه للقرآن الكريم، وأشار له مراراً وتكراراً، وسمّاه وصفه بالنور، والكل يعلم حالاً ومعنى النور الظاهري والباطني من أنّ معرفة كل شيء قائمة بالنور، وأنّ هذا الكتاب وظيفته الوحيدة هي النهوض بحال المؤمن والبشر جميعاً وإنارة الطرق لهم وتعليمهم وتربيتهم. (2)

وقد وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القرآن الكريم قال: "فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودليل على المعروف لمن عرفه". (3)

خير الهدى في كتاب الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّنُ لِّلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (9) (4)، فقد تناول المفسّر صاحب الأمتل في شرحه للآية الكريمة وبيّن أنّ المقصود من كلمة (أَقْوَمُ) أنّها صيغة تعني التفضيل، وأنّها مشتقة من قيام، وهي أفضل حالة يمكن أن يكون فيها من قصد الإنطلاق لفعل أمر ما أو عمل، وأنّ أقوم هو الأدق في استقامته وعدله، وهذا حال كتاب الله عز وجل، وخلص إلى أنّ القرآن الكريم هو أدق وأسهل وأقصر سبيل السوية والرسوخ في التقوى والهدى، وأنّ العقائد فيه سهلة واضحة مفهومة وأساسية في عمل كل عامل تعبى طاقة كل انسان لإعمار الإنسانية بالخير. (5)

وهو قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): " إنّ هذا القرآن هو النور المبين والحبل المتين والعروة الوثقى، والدرجة العليا، والشفاء الأشفي، من استضاء به نور الله، ومن عقد به أمره عصمه الله". (6)

والكتاب الموضّح كما في قوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (1) إنّنا أنزلناه قرآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) (7)، إذ أشار المفسّر في الأمتل إلى أنّ كلمة (تِلْكَ) يشبهه في تفسيرها لما ذكره سابقاً من أنّ هذه إشارة للبعيد، وأنّ هذا البعد الغاية منه سمو وعلوّ ورفعة هذه الآيات في مضامينها، وأنّ فهم مغازيها ومقاصدها يحتاج إلى جهد كثير ومخلص ومتواصل، وأنّ هذا القرآن نزل باللغة العربية لأنّها أفضل اللغات الإنسانية لترجمة مقاصد الوحي الإلهي لغناها، ولأنّها كانت لغة أهل الجزيرة العربية، فيسهل بها التخاطب معهم لإفهامهم مضامين ومعاني الآيات الكريمة.

(1) سورة المائدة، الآية 16.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 6، ص 392-393.

(3) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مجلد 45، ج 89، ص 14.

(4) سورة الاسراء، آية 9.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 13، ص 211.

(6) تفسير الإمام العسكري، الإمام أبي محمد بن الحسن ابن علي العسكري، تحقيق السيد علي عاشور، طبعة

1426هـ، 2005م، ص 354.

(7) سورة يوسف، الآيات 1-2.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

لأنها عليهم نزلت وهم المعنيون بها أولاً وبداية، وحتى تنفي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنهم تعلم القرآن الكريم من أي شخص أعجمي.⁽¹⁾

وصاحب تفسير القرآن الحكيم والشهير بتفسير المنار عدّ أنّ الآيات تعني أنّ هذا القرآن الكريم هو في أعلى قمة من قمم الإيضاح والإظهار والبيان، وأنه قد بلغ غاية المعرفة والحكمة، وأعلى ذراها في أحكامه ودقته، وأنه كتاب واضح في عظمته، وعظمته منه ذاتاً، وإعجازه فيه، وقد أبلغ الله سبحانه في اظهار جوهر الدين، وكل ما يفيد البشر من مصالح الدنيا والآخرة، وفيه بلغتكم أيها العرب أموراً لم تكونوا تعرفوها عن دينكم وعقيدتكم وأخبار من قبلكم علماً وحكمه وأدباً وعلومياً في إدارة شؤون بلدانكم.⁽²⁾

ومصدر الخيرات في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾⁽³⁾، وصف صاحب الأمتل القرآن الكريم على حسب الآية الكريمة أنّ القرآن الكريم مصدر كل خير وأساس كل رحمة، معه وبعده تغير حال العرب وسادوا الدنيا، وأصبحوا مقاصد تقصد بالعلم بعد أن كان الجهل متفشياً بينهم، هذا فضلاً عن كونه نوراً يصدع شعاعه في أرجاء المعمورة.⁽⁴⁾

وقد عدّ صاحب التفسير الموضوعي نور القرآن الكريم كلمة (مُبَارَكٌ) أنها كلمة تجمع أوصافاً كثيرة، وكلها ذات معنى عظيم، فهو كثير الفوائد غني بمنافعه، شملت منافعه وبركاته كل الذين تمسكوا به لحفظه أو تلاوته أو فهمه أو الذين عملوا به، وقد نسب أنّ كل ما حل بأمة الإسلام من خير فهو بسبب هذا الكتاب العظيم.⁽⁵⁾

المنقذ من الظلام في قوله تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾⁽⁶⁾، وقد ركّز صاحب الأمتل في حقيقة هي قمة في الرقي، وهي خلاصة كل ما يمكن أنّ يقال عن دور القرآن الكريم، وأنّ كل غاياته وأهدافه في كل تفاصيل ما جاء به من توجيهات وأحكام وقصص وعبر ومواعظ، غايتها نقل الإنسان من الظلام إلى النور، ولك أنّ تتخيل أيها القارئ الكريم عدد الظلمات وأنواعها من ظلم وجهل وكفر وفساد وذنوب إلى نور طاعة الله ورسوله والسير بهم في كل خير وبركة ورحمة.⁽⁷⁾

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 11، ص 187.

(2) ينظر تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، تأليف محمد رشيد رضا، طبعة 1414 هـ - 1993 م، دار المعرفة، بيروت لبنان، ج 12، ص 251.

(3) سورة الأنبياء، آية 50.

(4) ينظر تفسير تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 15، ص 237.

(5) ينظر تفسير الموضوعي لسور من القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، اشراف الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم جامعة الشارقة، ط 1، 1431 هـ - 2010 م، المجلد الخامس، ص 42.

(6) سورة ابراهيم، الآية 1.

(7) ينظر تفسير تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 12، ص 419.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

وقد ذكر صاحب تفسير التيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان أنّ هذا القرآن الكريم أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم صلوات الله عليه وآله وسلم لكي ينهض بقومه من عمّة الكفر وسجن الجهل، وسوء الأخلاق والطباع، ويرتفع بهم إلى ضياء الإيمان، وحرية العلم، والمعرفة، وإلى حدائق الأخلاق الطاهرة البانعة.⁽¹⁾

ونور الوجود كما وصفه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (19)﴾⁽²⁾، وصف صاحب الأمثل في شرحه الآية الكريمة القرآن الكريم بأنّه حق واضح كوضوح الشمس، والذي لا يرى القرآن الكريم هو أعمى لأنّه كمن لا يرى ضوء هذه الشمس لأنّ حقيقة القرآن الكريم تملأ الوجود المادي والروحي لبني البشر.⁽³⁾

ويرى صاحب تفسير المحرر الوجيز أنّ الآية تعني النبوة، وأنها نزلت خاصة في حمزة ابن عبد المطلب وهو الذي رأى الحق في القرآن الكريم، وفي الأعمى أبي جهل بن هشام.⁽⁴⁾

وكاشف الظلمات كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (9)﴾⁽⁵⁾، وقد وصف صاحب الأمثل القرآن الكريم بالكتاب العظيم، وأنّ هذا الكتاب يزيل كل ما يمنع العقل والنفس أن ترى الحقيقة، وكذلك حجب الإنكار و حجب الجهل و حجب الضياع، منزلاً على الروح والعقل أنوار العلم والهداية الربانية التي تنقلنا إلى أطيّب وأجلّ المراتب.⁽⁶⁾

ورحمة الله العظيمة في أنّه أنزل الكتاب الكريم لكي يخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الهداية والإيمان.⁽⁷⁾

المطلب الثاني: الحق المحكم:

والكتاب المحكم في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (3)﴾

(1) ينظر تفسير تيسير القرآن التيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، 1307-1376هـ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويح، ط1، 1421 هـ - 2000م، ص 421

(2) سورة الرعد، الآية 19

(3) ينظر تفسير تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج12، ص 377

(4) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، متوفي سنة 546هـ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، المجلد الثالث، ص 309

(5) سورة الحديد، الآية 9.

(6) ينظر تفسير تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 26، ص 501.

(7) ينظر تفسير الجلالين تصنيف جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المجلي و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط 1419 هـ - 1998م، تصنيف محمد بن عبد الوهاب التميمي، ص 538.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

الأبواب (7) (1)، وقد أثبت المفسر في الأمثل أن هذا القرآن الكريم فيه خاصة مميزة، أن بعض آياته واضحة وضوح الشمس في معانيها ومرادها، ليس فيها مجال إلى الاجتهاد في تفسيرها، وهذه التي تسمى الآيات المحكمة، والقسم الآخر يسمى الآيات المتشابهة، وهي آيات أمّا لها معاني عميقة واسعة ليس للعاديين من البشر فهمها، أو أنّها تتكلم عن عوالم خارج إدراكنا نحن البشر. (2) وفي فهم المتشابهات دائماً ما نحتاج إلى توضيح من المعصومين عليهم الصلاة والسلام.

وفي آل عمران الكتاب هو القرآن الكريم وعليها اجماع، وأنّ المحكمات هن الآيات التي فصلت وبيّنت وأثبتت الأحكام، أما المتشابهات فهي التي فيها تمهل وتحتاج إلى بحث وشرح حتى يظهر معناها. (3)

والمفسر صاحب الأمثل في شرح قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْ جَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (82) (4)، وقد شدد المفسر صاحب الأمثل على خلوّ القرآن الكريم من أي اختلاف أو تناقض، وهو خير وأعظم دليل على أنّ هذا الكتاب الكريم قد جاء به الوحي جبريل (عليه السلام) من عند رب العزة، ونقاؤه وقوة أحكامه هي من أجل الأدلة على صحة دعوى النبوة، ووجود الخالق الكريم، وعلاوة على ذلك فهو ممكن الفهم، وللقارئ له والباحث فيه أن يعي كل المعاني المطلوبة، ولولا ذلك لكان أمر الله للمؤمنين بالتدبر فيه غير منطقي. (5)

وقد جعل صاحب تفسير الفخر الرازي القرآن الكريم في هذه الآية دليل على صحة نبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك كونه كتاباً فصيحاً، متماسكاً في فصاحته من أوله إلى آخره، متناغماً بشكل جاذب جداً لكل أهل الذوق في اللغة، ومترايط الأفكار، وهو على الرغم من كثرة علومه إلا أنه بقي محافظاً على هذا الترايط والتناغم حتى في أفكاره العلمية، وهو بعيد كل البعد عن الاختلاف، لأنّ أي اختلاف فيه ربما كان سيدل على مجيئه من عند غير الله أو على خلاف حكمة الله وعلمه. (6)

والجامع لكل شيء كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُمَّتَالِكُمْ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (38) (7)، وقد أشار صاحب

(1) سورة آل عمران، الآية 7.

(2) ينظر تفسير تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 3، ص 175.

(3) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للفاضل أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة 546هـ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة محققة عن نسخة آية صوفيا اسطنبول، ط2، سنة 1428هـ - 2007م، المجلد الأول، ص 400.

(4) سورة النساء، الآية 82.

(5) ينظر تفسير تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 190.

(6) ينظر تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الامام محمد الرازي، المجلد الخامس، ج

10، ص 203

(7) الأنعام، الآية 38.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

الأمثل إلى أن الكتاب ربما المقصود به القرآن الكريم، أو ربما قصد عالم الوجود، وعلى كلا المعنيين، فهو مشمول برعاية الله سبحانه وحفظه، وأن كل الأمور التربوية التي يحتاجها المؤمن في حياته قد ذكرها الله سبحانه في كتابه الكريم.⁽¹⁾

وقد وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: "هو كتاب فيه تفصيل وبيان".⁽²⁾

والمصدق لمبلّغه بقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (92)،⁽³⁾ وقد حمل المفسر القرآن الكريم كل معاني البركة والخير، ففيه معايير هي مصادر الصلاح لكل من يلتزم بها، وهو كتاب فيه كل التأييد لكل الكتب السماوية التي نزلت قبله، وكل ما حوت هذه الكتب السابقة من أدلة وعلامات عن القرآن الكريم هي فيه، فهو يحتوي دليل صدقه وما سبقه من إشارات من الكتب السماوية أيضاً تدل على صدقه.⁽⁴⁾

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله وأعطيت الطوال مكان التوراة وأعطيت المثني مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفُضِّلْتُ بالمُفْصَّلِ سبع وستون سورة".⁽⁵⁾

والحق المطلق كما في قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (105)،⁽⁶⁾ فقد استعرض صاحب الأمثل أكثر من رأي في توضيح هذه الآية، منها أن الله سبحانه قد حكم وقضى أن القرآن الكريم سوف ينزل بالحق، وأن حكمه قد تم، وهذا الذي حصل، والرأي الآخر أن كل محتوى القرآن الكريم حق بحق، ليس فيه مثقال ذرة من الباطل، وأنه لا ينتج سوى الحق والخير، وثالثها أن الله سبحانه أنزل القرآن الكريم بالحق وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن سوى ناقلاً له ولم يتدخل فيه مثقال ذرة، وآخر المعاني أن الله سبحانه العالم العارف بكل تفاصيل الوجود بدأ عمله بالحق والصواب، وختمه بالحق والصواب، فهو الكامل ولا يصدر عنه سوى الكمال سبحانه وتعالى.⁽⁷⁾

وبعد هذا الشرح استفاض المفسر في الأمثل في الحديث عن حفظ القرآن الكريم بكل مراحل، وخلال ثلاثة وعشرين عاماً، ابتداءً من مرحلة الملك جبريل (عليه السلام) وفي مرحلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحتى ما بعد رسول الرحمة قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

(1) ينظر تفسير تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 7، ص 52.

(2) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مجلد 45، ج 89، ص 14.

(3) سورة الأنعام، الآية 92.

(4) سورة الأنعام، الآية 155.

(5) تفسير العياشي، العياشي، المجلد الأول، ص 43.

(6) سورة الإسراء، الآية 105.

(7) ينظر تفسير تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 386.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(9)﴿(1)﴾، فهو أساس وقاعدة الإسلام التي ستبني الحضارة الإنسانية جمعاء، لما فيها الخير الأبدي للجميع في كل البلاد والأزمنة.(2)

وقد أوصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المؤمنين بضرورة الإلتزام بالقرآن الكريم، لأنه هو الحق والمنطق السليم الذي علينا الإلتزام به لمعرفة طريق الهدى وخاصة في الفتن، وهو القائد للجنة وفيه كل الهداية والرحمة.(3)

والمحكم المفصل في قوله تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(1)﴿(4)﴾، وقد شرح المفسر صاحب الأمل في الآية الكريمة مبيناً أهم صفتين في القرآن الكريم، وهما صفة الإحكام والتفصيل، وأن إحكامه وتماسكه وتعاضده وتلاحم ما جاء فيه كأنه قطعة واحدة مترابطة متماسكة، وهو من أشد الأدلة قوة على أنه قد جاء من إله متفرد في ربوبيته، وأنه رغم هذا التماسك الشديد فإنه يحتوي على تشعبات وتفرعات كثيرة تتحدث وتوضح كثيراً من تفصيلات احتياجات البشر المعنين بما جاء فيه، فرغم تماسكه ووحدته فهو متفرع، ورغم تفرعه فهو واحد، وقد أوضح المفسر بعدها أهم ما جاء في القرآن، وهو أن أساسه التوحيد وترك الذنوب والمعاصي، وإلا ستجدون نتيجة أعمالكم في الدنيا والآخرة المحسن بعمله والمسيء بذنبيه، لأننا كلنا مرجعنا يوم الحساب إليه سبحانه.(5)

والإحكام عند صاحب التفسير المعين هو أنها قد رُتبت بدقة كاملة تامة لا خلل فيها، وهي بعيدة كل البعد عن الفساد، والتفصيل أي أنها أظهرت كل أحكام الشرع وفيها كثير من الهداية والإرشاد بالحكم والأمثال وقصص الأقوام السابقة.(6)

والكتاب القائم بالخلق كما في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾(2)﴿(7)﴾ قال المفسر في وصف القرآن الكريم: "هذا الكتاب هو كتاب ثابت محكم ومعتمد ومستقيم وهو يحفظ المجتمع الإنساني ويحمي سائر الكتب السماوية".(8)

(1) الحجر، الآية 9.

(2) ينظر تفسير تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 387

(3) ينظر سفينة النجاة ومدينة الحكم والآثار، تأليف الشيخ عباس القمي رحمه الله، الطبعة القديمة والحديثة، المجلد السابع، ص 249-250.

(4) سورة هود، آية 1

(5) ينظر تفسير تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 9.

(6) ينظر التفسير المعين للواعظين والمتعظين، محمد هويدي، دار الكتاب العربي، ص 221.

(7) سورة الكهف، الآيات 1-2.

(8) تفسير تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 400.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

وقد شرح صاحب التفسير المعين الآية أنّ هذا القرآن الكريم فيه كل الإنسجام والتوافق في لفظه ومعناه، وهو بأدق صور الإستقامة والصحة.⁽¹⁾

والقيومة في كتاب الله مستمدة من صفة الله سبحانه أنّه القيوم، فهو الذي يقوم بشؤون الخلق أجمعين، وكتاب الله سبحانه كونه كلام الله فإنّه يتمتع بنفس هذه السمة، فهو كتاب لا يمكن لأحد أنّ يغير فيه أو يلغيه أو يلغي منه، وفيه كل أسس وأفكار الكتب السابقة، فهو حافظ لها، وهو خالي من أي تناقض، دائم القيامة على شؤون الدين، وسيبقى إلى يوم القيامة مصدر التشريع وأساس فهم العلاقة مع الله سبحانه.⁽²⁾

والجامع للحجج نجده في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (54)⁽³⁾، دلّ صاحب الأمتل أنّ القرآن الكريم فيه من جميع القصص، والأمثلة، وحكايات الأمم والشعوب، بشكل محكم لا زيادة فيه ولا نقص، و غاية الله سبحانه من هذا الإحكام أن تكون الحجّة دامغة على بني البشر مهما كانوا مجادلين يسعون إلى النقاش والجدال في كل صغيرة وكبيرة.⁽⁴⁾

وصاحب التفسير المعين شرح كلمة (صَرَّفْنَا) أي معناها (بيّنًا)، وبها يعرف أنّ هذا القرآن قد أوضح الله به كل ما يحتاج له الناس لتستقيم أمورهم، ويصلح حالهم، وينتفعوا به لخير دنياهم وآخرتهم.⁽⁵⁾

والعصيّ على الباطل في قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (42)⁽⁶⁾، فقد درس صاحب الأمتل الآية الكريمة مشيراً إلى استحالة ورود الباطل على هذا القرآن الكريم من أي باب أو في أي مجال، ولم يقدر العلم أنّ ينقض أي مفهوم من مفاهيمه، ولا أي كتاب من الكتب السابقة، تجده إلى هذه اللحظة عصياً على النقص وممتنعاً عن التعيب، في جميع الأوجه العلمية واللغوية والاجتماعية والأخلاقية والشرعية في الزمن السابق وهذا الزمن وفي الزمن اللاحق.⁽⁷⁾

ويقول صاحب معاني القرآن: "التوراة والإنجيل لا تكذبه، وهي من بين يديه. ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ لا ينزل بعده كتاباً يكذبه، ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي لا ينزل بعده كتاباً يكذبه".⁽⁸⁾

(1) ينظر تفسير المعين، محمد هويدي، ص 293.

(2) ينظر تفسير تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 402.

(3) سورة الكهف، الآية 54.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 479.

(5) ينظر التفسير المعين، ص 300.

(6) سورة فصلت، الآية 42.

(7) ينظر تفسير تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23، ص 177.

(8) معاني القرآن أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء المتوفي 207 هـ، قدم له ابراهيم شمس الدين، ط1،

1423 هـ-2002م، المجلد الثاني، ص 315.

والكتاب القويم في قوله تعالى: ﴿فُرْأْنَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوْجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (28)، إذ جعل المفسر ثلاث صفات لازمة بالقرآن الكريم طيلة الوقت، أولها أنه جعل كلمة ﴿فُرْأْنَا﴾ دالة على أن هذا الكتاب سيبقى يتلى كل وقت على مر الأيام عند جميع المسلمين، وفي أوقات الصلاة، وبدون صلاة إلى يوم القيامة، وهي بذلك ستبقى كتاب الله كتاب نور وهداية إلى يوم البعث، وأما ثاني صفة فإنه كتاب فصيح بليغ جذاب، وهو معنى كلمة ﴿عَرَبِيًّا﴾، وثالثها خلوه من الإعوجاج وهذا يعني انسجام آياته وظهور عباراته وتعاضضها في كونها تفسر بعضها بعضاً بعيدة عن كل معاني الإنحراف، ربما يكون سبباً في أن يكون الناس على أخلص العلاقة مع الله سبحانه في خوفهم منه ورجائهم إياه. (1)

والكتاب الجلي كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَآبِ ٱلْمُبِينِ﴾ (2)، شرح المفسر صاحب الأمتل كلمة ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ أنه الكتاب الجلي كل الجلاء، والواضح في كل ما حواه من العلوم والمعارف والتعليمات والمواعظ والبرامج، وهي كلها حية مستدامة دقيقة، ويشهد لنفسه على قوته وصدق ما فيه. (3)

وقد ذكر صاحب التفسير الموضوعي أن هذا الكتاب يُظهر بكل جلاء ووضوح أي شيء يمكن أن يلزم الإنسان سواء في عقيدته وإيمانه ودينه، أو في كل ما يخص أمور الدنيا من مأكَل ومشرب وزواج وحياة اجتماعية واقتصادية وسياسية. (4)

والدليل على ماسبقه من الكتب السماوية كما قال تعالى: ﴿قَالُوا يَوْمَئِذٍ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (30)، (5)، وقد أفرد صاحب الأمتل ثلاث صفات في هذه الآية الكريمة، وصف بها كتاب الله العزيز على أنه في أولها هو كتاب يؤكد كل الكتب السماوية السابقة، ويدل عليها ويؤكد محتواها وما جاء فيها، وفيه كل الأدلة التي ذكرت الكتب السابقة، وثانيها أنه كتاب هداية طريقه الحق واليقين لكل ذي لب وفطنة صالحة لم تخرب عقله الأفكار السيئة، ويحمل في صفحاته كل خطط النجاح والتوفيق لكل خير إلى رضا الله وجنته. (6)

المحفوظ من التحريف كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (9)، (7)، أثبت المفسر صاحب الأمتل في شرحه للآية الكريمة مستعرضاً آراء المفسرين بأن القرآن الكريم

(1) ينظر تفسير تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 451.

(2) سورة الدخان، الآية 2.

(3) ينظر تفسير تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 24، ص 378.

(4) ينظر التفسير الموضوعي، اشراف مصطفى مسلم، المجلد السابع، ص 145.

(5) سورة الأحقاف، الآية 30

(6) ينظر تفسير تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 24، ص 51.

(7) سورة الحجر، آية 9.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

عصيَّ على التحريف والتغيير، والزيادة أو النقص، وعصيَّ على الفناء أو الضياع، وعصيَّ أمام أي معتقد ضال ومخالف لما جاء فيه، وقد قبلها المفسر كلها، ولم يجد حاجة إلى حصر أي منها في اتجاه واحد مستدلاً بذلك أن كلمة (لَحَافِظُونَ) جاءت مطلقة بدون قيد أو تخصيص، خاصة أن هذه الآية جاءت بوعد من الله سبحانه ووعد حقه وصدق، ثم شرع في استعراض أدلة عدم التحريف، منها أن معظم علماء الإسلام من سنة وشيعة قالوا بهذا الرأي وأيدوه وأثبتوه وأفردوا له بحوث موسعة،⁽¹⁾ ولم يفته أن يذكر أن هناك بعض من علماء السنة والشيعة ممن قال بالتحريف، وقد ذُكر أن علماء كلا الفريقين قد ردت على دعوى التحريف، ومن أدلة عدم التحريف أن هذا الكتاب كان ملازماً لجميع المسلمين في مفاصل حياتهم الإجتماعية والسياسية على اتساع رقعة الإسلام، سواء ككتاب مكتوب في القرايطيس أو محفوظ في القلوب والعقول، ابتداء من زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يومنا هذا، واستشهد بكثرة الحفاظ والنسخ له، حيث في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ بلغ عدد من كتب الوحي في زمنه ثلاثة وأربعين رجلاً،⁽²⁾ مستدلاً بقول الزنجاني في كتابه حين قال: "كان للنبي كتاب يكتبون الوحي وهم ثلاثة وأربعون أشهرهم الخلفاء الأربعة وكان ألزمهم للنبي زيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب (عليه السلام)".⁽³⁾

واستشهد أيضاً أن الأئمة المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) لطالما مدحوا هذا القرآن الذي بين أيدينا وأشاروا له بالتقديس والتعظيم، ومنه استخدموا الآيات كشواهد على كلامهم، وتفاسيرهم الموجودة كلها من آيات هذا الكتاب نفسه التي بين أيدينا، وأيضاً الروايات التي كانت كحديث الثقلين الصحيح وأنه دوماً كان دليلاً لصحة الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) وضرورة قياسها عليه، وأيضاً بالدليل العقلي على قدرة الله سبحانه على حفظه وضرورة ذلك لكون رسالة نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) هي خاتمة الرسالات.⁽⁴⁾

المطلب الثالث: الرحمة المباركة:

وكتاب الرحمة كما جاء في قوله تعالى: ﴿حَمَّ (1) تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (4)﴾⁽⁵⁾، استند صاحب الأمتل على الآيات الكريمة لإظهار صفات القرآن الكريم، جاعلاً الرحمة أهم وأوضح صفة تلازم القرآن الكريم، كونه صادراً عن مطلق الرحمة الله الرحمن الرحيم، فكل آياته أسباب لكل خير ونور ورضا.⁽⁶⁾

(1) ينظر تفسير تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 12، ص 504-505.

(2) ينظر تفسير تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 12، ص 507-508.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 508.

(4) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 509-510.

(5) سورة فصلت، الآيات 1-4.

(6) ينظر تفسير تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23، ص 127.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

ثم عاد وأفرد من الآيات خمس صفات للقرآن الكريم، أولها أنه كتاب مواضعه مفصلة، ومطالبه واضحة، كل مطلب موضوع في مكانه الخاص به، فيه كل ما يهم بني البشر وفي كل الاختصاصات والأزمنة، وهو كتاب قائم على الفصاحة في اللغة والبلاغة في القول والجمال في العرض، متكامل في كل طروحاته يعتمد أهم وأنجع الأساليب التربوية التعليمية، وهما أسلوبا الترغيب والترهيب، المؤثران الرئيسان في كل أصناف النفوس البشرية الصالحين والفسادين، حتى في النفس الواحدة عند تقلب أحوالها من صلاح وفساد.⁽¹⁾

والمبارك كما في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (155)،⁽²⁾ أثبت المفسر صاحب الأمتل بحسب الآيات أن القرآن الكريم يحمل في آياته أعظم وأجلّ الفوائد والمنافع لكل راغب في الإستزادة منه، وأنّ بركاته لا حدود لها، فكل الخير وكل النعم وكل الرحمة والعلم من الممكن لنا تحصيلها من القرآن الكريم، وهذا الكتاب شرط تحقيق بركاته هو أن نتبع ما جاء فيه من الأوامر والنواهي والعمل على وفق تقوى الله سبحانه، وأنّ التزامكم بهدي القرآن سبب رئيس لتعمكم رحمة الله سبحانه وتغمركم.⁽³⁾

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "القرآن هدى من الضلالة، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأحزان، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم، وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار".⁽⁴⁾

والمبارك في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (29)،⁽⁵⁾ قال صاحب الأمتل عن القرآن الكريم: "فتعليماته خالدة، وأوامره عميقة وأصيلة، ونظمه باعثة للحياة وهادية للإنسان إلى الطريق المؤدي إلى اكتشاف هدف الخلق"،⁽⁶⁾ وكتاب بركاته مستمرة ومستدامة، إذ ارتبطت قراءته بالفعل والتدبر العميق، فإن فيه جميع معاني البركة والخير سواء في حياتنا الدنيا أو في حياتنا الآخرة.⁽⁷⁾

وصاحب التفسير الموضوعي ذكر أنّ العطايا الطيبة يذخر بها هذا الكتاب الكريم، وكل من طلبها وجدها فيه.⁽⁸⁾

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) سورة الأنعام، الآية 155.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج7، ص 219.

(4) تفسير العياشي، العياشي، المجلد الأول، ص 16.

(5) سورة ص، الآية 29.

(6) تفسير تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 350.

(7) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 350.

(8) ينظر التفسير الموضوعي لسور من القرآن الكريم، اشراف مصطفى مسلم، المجلد السادس، ص 451.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

ومدعاة الخشوع في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (21) (1)، وقد وصف صاحب الأمثل القرآن الكريم أنه كتاب مبارك له عظيم الأثر في النفس البشرية، وهو من القوة والعمق بحيث أن أشد الجمادات تخضع لمؤثراته بكل هيبة وخشوع (2)، والمفسر هنا عرض هذا الرأي مبيناً أنه تشبيه، والرأي الآخر بأن ظاهر هذه الآية حق، فكل الموجودات لها نوع من الشعور، لكن صاحب الميزان أشار في هذه الآية أنها مثل مضروب، واستدل بذيال الآية ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾، وغاية هذه المثل الدلالة على عظيم قدر القرآن الكريم وعمق أثره، لأن فيه كثير من الحقائق والعلو، وفيه أصول كل شريعة ومنهج، وعبرة لا تقنى، كلما غاص الخلق فيه زادوا فيه حباً ومعرفة (3) كما وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام): "لا تقنى غرائبه ولا تتقضي عجائبه" (4).

وتذكرة المتقين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (48) (5)، عرض المفسر صاحب الأمثل أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي أنزله الله سبحانه على رسوله، هو فقط لمن أراد أن يكون طاهراً خالياً من الذنوب، وقد اختار الحق منهجاً له وبحث عن الإستقامة وجعلها شعاره، ومن لم يترك نفسه ويحدد مبتغاه فلن يكون له أي نصيب من هذا القرآن الكريم (6).

المطلب الرابع: المعجزة الشافية:

ومعجزة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (88) ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كلِّ مثلٍ فأبى أكثر الناس إلا كفوراً (89) (7)، والفقرة التي بدأ فيها صاحب الأمثل بشرح الآية أطلق على القرآن الكريم لفظ المعجزة، إذ ذكر بآته معجزة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذه المعجزة باقية دائمة خالدة على مرّ الدهور، وفيها تحدي أنه مهما اجتمعت من قوى للأنس والجن بكل قواهم العلمية والفكرية والروحية لكي يأتوا بكتاب يشابه القرآن الكريم فلن يقدروا عليه، والغاية من هذا التحدي إظهار عظمة هذه المعجزة، وخاصة أن التحدي شمل كل ذي فكر وعقل من الموجودات، ولم يقيد هذا التحدي بزمن إنما جعله مستمراً إلى يوم القيامة، وأفرد لشرح الآية الكريمة سبع نقاط يظهر فيها دقة التحدي في اجتماع الخلق وتعاونهم وشمول التحدي لكل القرآن ظاهره وباطنه. ودلّ أيضاً على أن القرآن الكريم فيه تنوع بلا حدود

(1) سورة الحشر، آية 21.

(2) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 27، ص 88.

(3) ينظر تفسير الميزان، الطباطبائي ج 19، ص 170.

(4) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج 1، ص 55.

(5) سورة الحاقة، الآية 48.

(6) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 28، ص 344.

(7) سورة الإسراء، الآية 88-89.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

لكل ما يخطر ببال العقلاء وأهل الفكر من القصص والعلوم والأخلاق والأحداث وعلى أعلى معايير الدقة المتنوعة أيضاً لغة وعلماً وتاريخاً.⁽¹⁾

وهذا القرآن الكريم لم يكن فقط لتأييد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإثبات نبوته، بل هو مؤيد لجميع الأنبياء قبل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولجميع الأوصياء الذين أتوا بعده، وأنه ليس كل الكتاب بجميع كيانه معجزة، وإنما كله معجزات، ومعجزاته يصعب حصرها، منها إخباره بالغيب، وثانيها نظمه لغة وبديعاً.⁽²⁾

وشفاء للمؤمنين كما جاء في قوله عز وجل: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (82)⁽³⁾، وإذ دلت صاحب الأمثل من خلال الآية الكريمة إلى المفعول العظيم للقرآن الكريم في كونه علاجاً وعافية لكل من آمن به، وفهمه، وقرأه، وعمل به، إذ تبدأ بالشفاء، وهو المقدمة الأساسية لكي يظهر الإنسان من كل ما يعيق تقدمه، ويؤخر انتاجه، سواء كان مرضاً جسدياً أو روحياً أو فكرياً.⁽⁴⁾

ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (57) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (58)⁽⁵⁾، ثم قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "وكيف لا يكون ذلك خير مما يجمعون وهو ثمن الجنة ونعيمها، فإنه يُكتسب به رضوان الله تعالى الذي هو أفضل من الجنة، ويستحق بها الكون بحضرة محمد وآله الطيبين الذي هو أفضل من الجنة".⁽⁶⁾

وما إن يفتح قلبه وعقله لخيرات القرآن الكريم حتى تغمره الرحمة الإلهية بكل معانيها، وتبدأ بركات الله سبحانه عليه بالظهور، وتتنامى بركات شخصيته، وفي نهاية الفقرة ألمح إلى فكرة أنّ القرآن الكريم هو الدليل للقلب حتى يخلو لله سبحانه، وهو مصداق تحقق صعوده في مقامات معرفة الحق والله.⁽⁷⁾

ثم عاد المفسر وأفرد للحديث عن بركات القرآن الكريم في فقرة أطال فيها الشرح عن نجاعة القرآن الكريم في الشفاء من كثير من الأمراض التي تصيب الانسان سواء في بدنه أو في روحه، وخاصة في مفاهيم الوقاية التي يقدمها كأفضل حل للإبتعاد عن كل ما يضر ويؤدي سواء جسدياً أو روحياً، وخصص كلامه عن أمراض الروح التي تملأها ذنوباً ومعاصي، وأنّ القرآن

(1) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 361-363.

(2) ينظر بحار الأنوار، العلامة المجلسي، المجلد 45، ج 89، ص 84-85.

(3) سورة الإسراء، الآية 82.

(4) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 336.

(5) سورة يونس، الآية 57-58.

(6) تفسير الإمام العسكري، الإمام أبي محمد بن الحسن ابن علي العسكري، تحقيق السيد علي عاشور، ص 26.

(7) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 336-337.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

الكريم يحزرننا من شهواتنا المظلمة المسببة لكل خراب في هذه الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (57)،⁽¹⁾ وقول الإمام علي مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام): "فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم فإن فيه شفاء من أكبر داء، وهو الكفر والنفاق والغي والضلال"⁽²⁾، وتابع وصفه في كثير من الروايات التي تدل على شمولية علاجات القرآن الكريم لكل المشاكل الأخلاقية والاجتماعية.⁽³⁾

وتابع في سرديّة جميلة مدللاً على فخامة القرآن الكريم، أنّه ليس فقط علاج للمريض في مرضه، إنّما حتى في فترات تعافيه ونقاوته من أتعابه، هو القرآن الكريم خير معين وخير سند على الخلاص من سلبيات ما أصاب الجسد والروح من أدوار العلل والإشكالات، وهو غير كل الأدوية علاج ليس فيه تأثيرات جانبية سلبية، على العكس إنّ التأثيرات الجانبية هي مزيد من القوى والثبات في مواجهة مزيد من الأمراض، وفيه أيضاً مزيد من المناعة بعد الشفاء والعافية، فلا يعود المريض للوقوع في الأمراض، وربما تشفى معه أمراض أخرى لم تكن منظورة.⁽⁴⁾

وأحسن الأمثال لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (27) ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (28)،⁽⁵⁾ فقد ذكر صاحب الأمثل في تفسير هذه الآيات أنّ القرآن الكريم شمل الناس جميعاً، مما حواه وذكره في كل شيء، وفي نصائحه وعبره وأسراره ونظمه، وكل ما كتب فيه من قوانين وأحكام، أي أنّه جعل كل أسباب الهداية موجودة بين أيدي الناس، لربما يتذكرون ويلتزمون طريق الحق ويعتمدونه منهجاً.⁽⁶⁾

وصاحب جامع الجوامع في شرح ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي أنّه كتاب سوي مستقيم خالٍ تماماً من أي تناقض أو اختلاف ولن تجد فيه اختلاف.⁽⁷⁾

وأحسن القصص في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (3)،⁽⁸⁾ فقد وجد صاحب الأمثل أنّ بعض المفسرين فسروا جملة ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ أنّها مجموع القرآن الكريم، والذي يدل عليه العبارة التي تلتها ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾، وأنّ القصص هنا ليست بمعنى الحكايات، إنّما بمعنى أصل الشيء عن جذر كلمة (نقصي) أي عمق البحث في تفاصيل الشيء، وأكد أنّ هذا القرآن يحمل أجمل وأعلى المضامين،

(1) سورة يونس، آية 57.

(2) نهج البلاغة، مجموعة مختارة، الشريف الرضي من كلمات الإمام علي، خطبة 176.

(3) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 338.

(4) ينظر المصدر السابق نفسه.

(5) سورة الزمر، الآيات 27 - 28.

(6) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 450.

(7) ينظر تفسير جوامع الجامع، الشيخ أبي علي الفضل بن حسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري، ج 3،

ص 218.

(8) سورة يوسف، الآية 1-3.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

وأشد الألفاظ فصاحة وبلاغة، بمعاني دقيقة جليّة، ومظاهر عذبة جميلة، تطرق الأسماع والقلوب بأجمل الأنعام.⁽¹⁾

والذكر الميسر لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَا بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (58)⁽²⁾، وقد ربط المفسر صاحب الأمثل تفسير هذه الآية بتفسير الآيات الأولى في هذه السورة، جاعلاً مقاصد القرآن العظيم وعمق معانيه من أول الآيات سبباً رئيساً في كون هذه الآيات أكبر دليل على عمق تأثيرها في النفس البشرية، وأنه رغم عظيم صفاته من عمق المعاني وترامي مقاصده وأبعاده فهو سهل سلس غير معقد واضح مفهوم من قبل الجميع، فيه من الأمثلة والقصص والتشبيهات والدلائل والبيانات وكل ما هو رائع وجميل وواقعي وواضح وسهل، يحمل أجمل صفات البلاغة مع مراعاة أدق قواعد النحو، وفيه تنبيه لكل غافل، وعلم لكل جاهل،⁽³⁾ كما قال عنه أمير المؤمنين علي (عليه السلام): "ما جالس أحد هذا القرآن إلا قام عنه بزيادة أو نقص، زيادة في هدى أو نقص من عمى".⁽⁴⁾

وقد تكرر معنى التيسير كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (17)⁽⁵⁾، وقد ركز المفسر في الأمثل في توضيحه لمعاني التيسير في هذه الآية على نقطة لطيفة أن هذا الكتاب الكريم قد أبدع في استخدام جميع ما يمكن أن يؤثر في النفس البشرية لغاية إصلاحها، ابتداء بكل أساليب البلاغة الرائعة من حسن وجمال اللغة، إلى عمق وسمو المعاني والوضوح في عرض المطالب في التهديد والوعيد، كذلك في الترغيب. واقعي بشكل واضح، غزير في محتواه، منطقته محكم، ودليله لا يرد، وكأن الله جعل له في قلوب العباد هيبه وخاصة قلوب الخيرين.⁽⁶⁾ وقد ذكر صاحب التفسير البسيط أن أحد معاني التيسير هو القراءة والحفظ، ومعنى آخر هو أن يفكروا فيه، ويعتدوا مما جاء فيه، وأيضاً التيسير هو سهولة قراءة كلماته وفهم معانيها.⁽⁷⁾ وأعجب الكتب في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ أُسْمِعَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (1)⁽⁸⁾، أشار صاحب الأمثل في شرحه للآية أن الجنّ لهم كل الحق في وصف هذا القرآن الكريم بالعجب، لأنه فعلاً كل ما فيه عجيب، وهو معجز في كل تفاصيله، لحنه عجيب معجز، ظاهره وباطنه عجيب ومعجز، بلاغته وتأثيره تأخذ بالقلوب والعقول، فيه كل الهداية إلى كل معاني

(1) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 188.

(2) سورة الدخان، الآية 58.

(3) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 24، ص 418.

(4) مستدرك الوسائل ومستنطب المسائل، تأليف الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي، المتوفى 1320 هـ، تحقيق

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ج 4، ص 239.

(5) القمر، آية 17.

(6) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 26، ص 341.

(7) ينظر التفسير البسيط، أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحد، ج 21، ص 102-103.

(8) سورة الجن، الآية 1-2.

الفصل الرابع: صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفات القرآن الكريم

الصالح والنجاح والتوفيق، وما تعلق به أحد إلا رفعه إلى الكمال والنجاة والسعادة،⁽¹⁾ وقد ورد في معجم تفسير مفردات القرآن الكريم (عجباً: أي لم يُعهد مثله ولم يعرف سببه)⁽²⁾.

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 28، ص 393-394.
(2) معجم تفسير مفردات القرآن، ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، ط 5، 1428 هـ - 2007 م، ص 674.

الفصل الخامس

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار

والشيطان في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل

المبحث الأول: صفات يوم القيامة:

المطلب الأول: القيامة واليوم الآخر والآخرة والساعة.

المطلب الثاني: البعث ويوم الخروج والقارعة ويوم الفصل ويوم الدين.

المطلب الثالث: الطامة الكبرى ويوم الحسرة والغاشية والواقعة ويوم الحساب ويوم الوعيد.

المطلب الرابع: يوم الأرزفة ويوم الجمع يوم التغابن والحاقة ويوم التناد يوم التلاق.

المبحث الثاني: صفات الملائكة:

المطلب الأول: جبريل وميكائيل (عليهما السلام).

المطلب الثاني: خزنة النار وخزنة الجنة.

المطلب الثالث: الملائكة القائمين بشؤون الخلق.

المبحث الثالث: صفات الجنة:

المطلب الأول: الجنة لها أبواب.

المطلب الثاني: عيون الجنة وأنهارها.

المطلب الثالث: عرضها كعرض السموات والأرض.

المبحث الرابع: صفات النار:

المطلب الأول: المحطمة، لظى، المؤلمة، السعير، خالدة العذاب، المتأججة.

المطلب الثاني: ذات أبواب، محيطة بالكافرين.

المطلب الثالث: المرصاد الرهيب، الهاوية، دار الذل.

المبحث الخامس: صفات الشيطان:

المطلب الأول: الجهل المطلق.

المطلب الثاني: مضلٌ ومفسد.

المطلب الثالث: عدو للإنسان وغادر.

المطلب الرابع: متكبر متعال وضعيف.

المبحث الأول:

صفات يوم القيامة في تفسير الأمل في تفسير كتاب الله المنزل:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۖ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُونَ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2)﴾⁽¹⁾، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: " إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد من الأولين والآخرين، عراة حفاة، فيقفون على طريق المحشر حتى يعرقوا عرقاً شديداً تشد أنفاسهم"⁽²⁾، وقد سمي يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾، " المراد به قيامهم من قبورهم كناية عن تلبسهم بالحياة بعد الممات لحكمه تعالى وقضائه بينهم"⁽⁴⁾

ومن أسماء يوم القيامة: يوم الحساب، لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾⁽⁵⁾، والغرض من يوم الحساب هو الاحتجاج على العاصي، وإبراز عدل الله تعالى على العباد في مقام الجزاء.⁽⁶⁾

وقد ورد في وصف يوم القيامة في القرآن الكريم بأسماء وصفات؛ فمن يتتبع هذه الأسماء وصفاتها ودلالاتها، يجد أن الغاية منها هي التدليل على ما يجعله الله سبحانه في هذا اليوم العظيم من أهوال ومخاطر. ولكل اسم معنى ودلالة خاصة، والواضح من سياق الآيات أن ذكر هذه الصفات والأسماء إنما مراده تحذير شديد اللهجة، عميق المعنى، لكل عباد الله من أهوال يوم القيامة؛ ليستعينوا بما علموا على زجر النفس الأمارة بالسوء عن المعاصي، وحملها على الطاعة والتقوى.

وتتضمن القيامة واليوم الآخر، والآخرة والساعة، وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول:

أولاً: القيامة: ويمكن بيانها عبر الآيات الآتية:

1. قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۗ قَالَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113)﴾⁽⁷⁾، وقد وصف المفسر في الأمل أن يوم

(1) سورة الحج، الآية 1-2.

(2) بحار الأنوار، ج 65، ص 99.

(3) سورة المطففين، الآية 6.

(4) الميزان في تفسير القرآن، الطبطباي، ج 25، ص 231.

(5) سورة إبراهيم - الآية 41.

(6) محاضرات في الإلهيات، جعفر السبحاني، ص 439-440.

(7) سورة البقرة، الآية 113.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

القيامة هو يوم تنكشف فيه خفايا كل الخلافات بين الطوائف، وخفايا ما في قلوبهم وضمائرهم، ومن هو صاحب الحق فيهم.⁽¹⁾

وقد جعل صاحب تفسير المحيط يوم القيامة هنا بمعنى يوم الفصل، من ناحية أن الله سبحانه يفصل بينهم بالحكم، إذ كلّ الناس سوف يشاهدون أهل النار وهم يساقون لعذابهم، وأهل الجنة لنعيمهم، وربما وقع التكذيب على الجميع بما قالوه واعتقدوه.⁽²⁾

2. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (174)⁽³⁾، يقول المفسر صاحب الأمتل: "إنّ واحدة من أعظم المواهب الإلهية في الآخرة أنّ الله يكلم المؤمنين تلطفاً بهم..... أضف إلى ذلك أنّ الله ينظر إليهم بعين لطفه، ويطهرهم بماء عفوهِ ورحمته، والمعنى أنّه أنّ حال الكافرين عكس ذلك تماماً".⁽⁴⁾ وفوقها لهم عذاب أليم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (177)⁽⁵⁾، يعني غير ذلك الإهمال لهم أليم العقاب، هذا الوصف ليوم القيامة عنى به المفسر أنّه يوم الرحمة الإلهية للمؤمنين، ويوم العذاب والذلّ للكافرين.

وقد أسهب صاحب تفسير البحر المحيط في شرح هذا العقاب يوم القيامة، أنّهم مغضوب عليهم، وقاطعهم لكي يظهر غضبه عليهم، وتحقيره لهم، أو أنّه ربما يكلمهم ولكن ليس بكلام طيب إنّما كلاماً قاسياً مهيناً، أو ربما منعهم من الكلام، وأجمعهم إمعاناً في إذلالهم وقهرهم، ومنعهم من الاعتذار، وحتى يجرمهم من تحية الملائكة لهم، وأعمالهم غير مقبولة، ومنازلهم مهانة، وهم مبعدون عن الطهارة والمغفرة.⁽⁶⁾ يجد الباحث أنّ إظهار أحوال يوم القيامة من أهوال وتكريم هو أفضل ما يمكن أنّ نصف به هذا اليوم، لكون وصف هذه الأهوال ووصف هذا التكريم يظهر حقيقة يوم القيامة وما سيحصل فيه.

3. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (161)⁽⁷⁾، فقد ناقش صاحب الأمتل هذا اليوم وأتته يوم يأتي به كل إنسان مصحوب بما عمل، وسوف يتحمل عاقبة أعماله، وللقائلين بقضية

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 1، ص 236.

(2) ينظر تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي، المجلد الأول، ص 523.

(3) سورة البقرة، الآية 174.

(4) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 1، ص 334.

(5) سورة آل عمران، الآية 177.

(6) ينظر تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي، المجلد الأول، ص 667-668.

(7) سورة آل عمران، الآية 161.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

تجسيم الأعمال يوم القيامة أنه ربما يأتي الشخص وهو مثقل بكل سيئاته، لأنها ستكون بمثابة قيد فيه شهادة مطلقة على سوء عمله.(1)

وقد ذكر صاحب الكشاف بعض الأمور حول تجسيد الأعمال يوم القيامة انطلاقاً من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أن كل إنسان يأتي بما سرق يوم القيامة، الذي يسرق بقرة يأتي في عنقه، والذي يسرق دجاجة يأتي وهي في عنقه، والذي يسرق ذهباً يأتي وهو في عنقه، وهكذا ثم عكف على المعنى العام أن هذا الغلّ هو بمعنى الكسب من السرقة أو الحلال فكله سيجزى عليه.(2)

4. قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (185)، يقول المفسر: "والجملة بمجموعها تعني أنّ الذين استطاعوا أن يحرروا أنفسهم من جاذبية النار، ودخلوا الجنة فقد نجوا من الهلكة ولقوا ما يحبونه، وكأنّ النار تحاول بكل طاقتها أن تجذب الأدميين نحو نفسها"،(4) أكد المفسر في الأمتل أن ما بعد هذه الحياة التي يعمل فيها الإنسان لكي يجد نتيجة أعماله في تلك المرحلة، وهي إما ينال ثوابها أو عقابها، فيوم القيامة هو يوم توزيع النتائج على الخلق، وكلّ بحسب سعيه، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

5. قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (5)، قال الشيخ الشيرازي: "وعبارته لا ريب الواردة في الآية وفي آيات أخرى إنما هي إشارة للأدلة القطعية البديهية على وقوع يوم القيامة"،(6) وعليه أنّ من صفات يوم القيامة قادم لا محالة في حتمية قدومه، ولا شك في مجيئه، وهذا في الفكر الإسلامي والعقيدة من الأمور البديهية مطلقاً، وعليها دلت الله سبحانه بتأكيد صدق حديثه وقوله، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلْ لِلَّهِ ۖ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۗ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (12)،(7) إذ تؤكد الآية على نفس المعنى، بأنّ يوم القيامة آت لا شك فيه، وأنّ الكل سيلقى حسابه فيه، وقد سمّاه صاحب تقريب القرآن موقف الحساب، إذ يجازى الجميع بأعمالهم كلها

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 2، ص 440-430

(2) ينظر تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المجلد الأول، ص 425-426.

(3) سورة آل عمران، الآية 185.

(4) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 4، ص 436.

(5) سورة النساء، الآية 88.

(6) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 203.

(7) وفي الأنعام، الآية 12.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

بلا استثناء، وأن هذا اليوم ومجيئه ليس محل للشك، حتى لو شك به أهل الباطل؛ لأن قول الله سبحانه صدق مطلق، وهو قادم لمحاسبة الجميع.⁽¹⁾

6. قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا² وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (47)⁽²⁾، فقد أشار صاحب الأمتل أن يوم العدل إذ يحسب الخلق بموازين العدل المطلق، والحساب الذي ليس فيه مثقال ذرة من الظلم، والعقوبة في هذا اليوم لا بد محيطة بالكافرين، والميزان على كل عمل مهما صغر أو كبير.⁽³⁾

وفي التفسير المعين موازين القسط أي العدل، وهي التي تقيم بها الأعمال.⁽⁴⁾

ثانياً: اليوم الآخر:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ⁵ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (136)⁽⁵⁾، وقد جعل المفسر صاحب الأمتل معنى الإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بالمبدأ والمعاد، وقد حدد أن هذا الإيمان ضرورة دينية وأساس من أسس الدين،⁽⁶⁾ وفي كل الآيات التي تتحدث عن هذه الصفة أنه اليوم الآخر، إما أخذها صاحب الأمتل على هذا المعنى، أو تعامل معها كأنها من واضحات الدين، وكأن اليوم الآخر عنى به أن هذه الحياة هي أيام، ونهايتها هو آخر يوم وهو يوم القيامة.

ثالثاً: الآخرة:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (77)⁽⁷⁾، إذ سمى المفسر في الأمتل الآخرة بيوم القيامة، وهو نفسه ما جاء في صفاته سابقاً أنه يوم الحساب، الذي يعطى فيه كل مستحق استحقاقه من العذاب أو الثواب،⁽⁸⁾ وعلى نفس المعنى أشار المفسر أنه هو يوم القيامة الذي

(1) ينظر تقريب القرآن إلى الأذهان، آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، المجلد الأول، ج 5، ص516.

(2) سورة الانبياء، الآية 47

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15 ص233.

(4) ينظر التفسير المعين للواعظين والمتعظين، محمد هويدي، دار الكتاب العربي، ص326.

(5) سورة النساء، الآية 136.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص285.

(7) سورة آل عمران، الآية 77.

(8) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 4، ص276.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمل

فيه الحساب أيضاً،⁽¹⁾ والذي يدعو لذلك ترادف الحديث عن الآخرة في الآية 77، وبعدها جاء الحديث عن القيامة في نفس السياق.

رابعاً: الساعة:

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أُوذَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾⁽²⁾، قال المفسر: "والساعة هي يوم القيامة وبغته تعني فجأة على حين غرة، إذ تقوم الساعة دون أن يعلم بموعدها سوى الله تعالى"،⁽³⁾ أن الساعة هي يوم تقوم القيامة، ولا أحد يعرف وقتها إلا الله سبحانه، وأن تسميتها بالساعة هو بسبب مجيئها بسرعة وفجأة، وأن الحساب فيها سوف يكون سريعاً، والناس سوف ينتقلون من البرزخ إلى القيامة بسرعة كبيرة.

وقيل أن الساعة هي الوقت الذي تبدأ به أحداث يوم القيامة وكامل أحداث هذا اليوم العظيم سماها الله سبحانه بالحاقة، وأيضاً أطلق عليها اسم الراجفة.⁽⁴⁾

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّبُهَا لَوْفَتَهَا إِلَّا هُوَ ۗ تَنَزَّلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁵⁾، يقول المفسر صاحب الأمل: "بالرغم من أن الساعة تعني نهاية زمان الدنيا -إلا أنها في الغالب أو دائماً كما ذهب البعض- تأتي بمعنى القيامة في القرآن الكريم"،⁽⁶⁾ أي أن الساعة تعني أن زمن هذه الدنيا التي نحن فيها قد انتهى، ولكن بمعظم الحالات كلمة الساعة في القرآن الكريم تأتي بمعنى يوم القيامة، وخاصة في هذه الآية؛ لأن محل السؤال فيها عن موعد قيام القيامة في تفسير الكشف والبيان الساعة يعني القيامة.⁽⁷⁾

المطلب الثاني:

ويتضمن يوم البعث، ويوم الخروج، والقارعة، ويوم الفصل، ويوم الدين وعلى النحو الآتي:

أولاً: البعث: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۗ وَتُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُّتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ

(1) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 286

(2) سورة الانعام، الآية 31.

(3) تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 7، ص 42.

(4) ينظر الكون واليوم الآخر، تأليف المهندس جميل رشيد عبد الله الصالح، عمان الأردن، رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية 2005\7\1605.

(5) سورة الأعراف، الآية 187.

(6) تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 8، ص 496.

(7) ينظر الكشف والبيان، الثعالبي، ج 4، ص 383.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنّة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

لَكَيْلًا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا⁽¹⁾ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بَهيج⁽⁵⁾ (1)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (56) ﴾ (2)، وقد حاول المفسر صاحب الأمتل في سورة الحج أن يظهر أنّ معنى البعث هو المعاد الجسماني للخلق، وحسابهم، وعلى ضوء الآية الكريمة استعرض سهولة حصول هذا المعاد للخلق، وخاصة أنّ الذي يعيشونه من قدرة الله سبحانه اللا محدودة متحقق معهم في الحمل والولادة، ومراحل النمو و التطور، فهل يصعب على الذي يفعل هذا أن يفعل ذلك. (3)

أما في سورة الروم فقد قال صاحب الأمتل: "إذ لبثتم في عالم البرزخ إلى يوم القيامة وهذا هو يوم القيامة"، (4) لم يخرج المفسر عن توضيح معنى البعث بيوم القيامة، وهو اليوم الذي أعده الله سبحانه لحساب الخلق أجمعين. كذلك صاحب تفسير البسيط عنده البعث هو نفس يوم القيامة، وأكمل الحديث أيضاً حول إمكانية المعاد الجسماني؛ لأنه لا فرق في قدرة الذي خلقكم من تراب أن يخلقكم مرة أخرى. (5)

ثانياً: يوم الخروج: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42)﴾ (6)، يقول المفسر: "وعلى كل حال فليست هذه الصيحة هي الصيحة الأولى التي تقع مؤذنة بنهاية العالم بل هي الصيحة الثانية أي الصيحة للنشور والحشر"، (7) فيوم الخروج أنّه الخروج من الأجداث، وإعادة إحياء الموتى ونشرهم، لكي يحاسبهم ربهم سبحانه على أعمالهم، وأنّ هذا اليوم بكل حيثياته من إصدار صيحته الأولى للإحياء، وصيحته الثانية للنشور، والحساب هو بيد الله سبحانه.

ثانياً: القارعة: قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ (1)﴾ (8)، ذكر صاحب الأمتل في توضيح هذه الآية أنّ الإسم يدل على هول تلك الحادثة، وخطورتها، وعظمتها، وهيبة ما سيحصل فيها من أحداث مهولة في صعوبتها، تحلّ على البشر وعلى العالم برمته، ولكن اشارة من خلال شرحه أنّ أكثر المفسرين جعلوا الإسم خاص بيوم القيامة، (9) قال صاحب إعراب القرآن الكريم وبيانه: "القيامة التي تفرع القلوب بأهوالها". (10)

رابعاً: يوم الفصل: قوله تعالى: ﴿هُذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (21)﴾ (11)، يقول المفسر صاحب الأمتل: "الملاحظ هو أنّ الكافرين يوم القيامة يطلقون على هذه اليوم إسم يوم

(1) سورة الحج، الآية 5.

(2) سورة الروم، الآية 56.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 16 ص 305.

(4) المصدر السابق، ج 19، ص 179.

(5) ينظر التفسير البسيط، أبي الحسن علي بن احمد بن محمد الواحي، ج 15، ص 257.

(6) سورة ق، الآية 42.

(7) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 25، ص 170.

(8) سورة القارعة، الآية 1.

(9) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 30، ص 388.

(10) إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، ط9، 1422 هـ - 2003 م، بيروت- لبنان، ج 8، ص 392.

(11) سورة الصافات الآية 21.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

الجزاء (هذا يوم الدين) فيما يطلق عليه الباري عز وجل في كتابه الحكيم إسم يوم الفصل (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ) (1)، فاليوم الذي تنصب فيه محكمة الله عز وجل، وفي هذا اليوم يفصل الله سبحانه بين أهل الحق وأهل الباطل، أو بين منطق الحق ومنطق الباطل، أو بين العاصيين المذنبين وبين المؤمنين المتقين، وكلها جعلها المفسر وصفاً ليوم القيامة، وقد لاحظ أيضاً أنّ أهل الباطل والجحود يسمّون هذا اليوم بيوم الجزاء، وأشار المفسر أنّ من أهوال هذا اليوم أنّ الأرحام تنفصل، بعضها يذهب إلى نعيم الجنان الخالدة، والآخرون إلى جحيم العذاب المؤبد؛ ولأنّ الدار دار حساب وفصل ممتزجات، وليس دار اختلاط، وهي دار كشف المستور وهذا الفصل واقع لا محالة، وقد أشار صاحب زاد المسير في علم التفسير، إلى أنّ يوم الدين هو اليوم الذي يحاسب فيه الخلق، وتسميته بيوم الفصل هو قول الملائكة؛ لأنّه اليوم الذي يُعرف فيه فاعل الخير وفاعل السوء، وكل مجموعة تحشر مع بعضها. (2)

خامساً: يوم الدين: قوله تعالى: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)) (3)، إذ أفرد المفسر صاحب الأمتل لهذه الآية عنوان يفسر الآية بالإشارة إلى يوم القيامة، وأنّ الإيمان بيوم القيامة هو أصل من أصول الإسلام، تحت إسم المعاد، وأنّ هذا الإيمان محور أساس من محاور الإصلاح في بناء المؤمن الأخلاقي، والسيطرة المطلقة من الله جلّ في علاه على حيثيات هذا اليوم، وهو اليوم الذي تنصب فيه المحكمة الكبرى لأجل أنّ ينال كل إنسان جزاءه، ومن صفات هذا اليوم أنّه يعود بالملك والتملك لأمر الله جلّ في علاه، كونه هو الخالق، وهو الربّ، والمالك الحقيقي بالملك المادي، والملك المعنوي، وأنّ الله سبحانه قد أشار لهذه المالكية في ذلك اليوم العظيم؛ لأنّ تملكه ليوم القيامة يوجب أنّ الحساب بيده، وأنّ كل عالم المادة لا قيمة له، وهو قد كان مقدّمة لما سيحصل في هذا اليوم، (4) وقد ورد عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنّه قال: "يوم الدين هو يوم الحساب" (5).

يقول المفسر صاحب الأمتل: "أمّا تفسير يوم الدين فحيث ما ورد في القرآن يعني يوم القيامة، وتكرر ذلك في أكثر من عشرة مواضع من كتاب الله العزيز، وفي الايات 17 و 18 و 19 من سورة الإنفطار ورد هذا المعنى بصراحة" (6) وأنّ أبرز وأهم أحداث ومجريات هذا اليوم العظيم هو حساب الناس على أعمالهم، وحضور هذه الأعمال أمامه لينال جزاءه.

(1) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 21، ص 210.

(2) ينظر زاد المسير في علم التفسير، الامام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجزري، المجلد الخامس، ج 6، ص 301.

(3) سورة الفاتحة، الآية 4.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 1، ص 36.

(5) أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، المصدر السابق، ج 2، ص 602، الحديث 13.

(6) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 1، ص 37.

المطلب الثالث:

ويتضمن الآتي الطَّامة الكبرى ويوم الحسرة والغاشية والواقعة ويوم الحساب ويوم الوعيد

أولاً: الطَّامة الكبرى: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَىٰ﴾ (34) (1)، فقد شرح المفسر صاحب الأمتل معنى الطَّم في اللغة لكي يصل بنا إلى المقصود من الطَّم على قوله هو: "ملء الفراغ والحفر، ويطلق بالطَّامة على كل شيء بلغ حده الأعلى" (2) وهذه دلالة على عظمة الأهوال، والتي على حسب قول المفسر فوق الدواهي كلها، وأعظم من الأهوال والمصائب، وكلها تدل أن يوم القيامة هو أخطر يوم في الوجود. (3)

وفعلاً هذا الكلام دقيق كل الدقة؛ لأنّ الذي بعد هذا اليوم ليس كالذي قبله، فبعده إمّا خلود في الجحيم، أو خلود في النعيم، وصاحب معاني القرآن قال: "القيامة تطمُّ على كل شيء" (4).

ثانياً: يوم الحسرة: قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (39) (5)، بحسب كلام المفسر صاحب الأمتل في تفسير الآية، فقد تعددت أسماء وصفات يوم القيامة، وأنّ من جملة صفاته أنّه يوم الحسرة إذ فيه الجميع متحسرون على ما فاتهم، وذلك لعظيم ما سيقابلهم، فكلّ مؤمن متألم حزين على ما فاتته من الأعمال، وكيف لم يجعل أعماله الخيرة كثيرة، حتى ينال بها أعلى الدرجات، لعظيم بركات المؤمنين، والكافر والمسيء تكون أشد الحسرة في قلبه لأنّه أضاع دنيا زائلة، وباع آخرته في ملفات تافهة قصيرة كالحلم. (6)

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: "فلولا أنّ الله قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أنّ الله قضى لأهل النار الحياة فيها والبقاء لماتوا ترحاً" (7).

وتضييع حق الله، وحقوق العباد، وحق النفس في هذا اليوم يستتبع حسرة لا تعوض أبداً. (8)

ثالثاً: الغاشية: قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (1) (9)، إذ استعرض المفسر داليتين لكلمة الغاشية، أولها أنّها تعني يوم القيامة، لأنّ أحداثها تغشى عالم الوجود كله، ولأجلها سيجمع الله سبحانه الخلق كلهم لحسابهم، وثانيها أنّها نار جهنم، لأنّ لهيبها سيغطي كل الوجوه التي جحدت ربّ

(1) سورة النازعات، الآية 34.

(2) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 29، ص 63.

(3) ينظر المصدر السابق نفسه.

(4) معاني القرآن، أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، توفي سنة 207 هجري، تقديم ابراهيم شمس الدين، ط1، 1423 هـ-2002م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، المجلد الثالث، ص 123.

(5) سورة مريم الآية 39.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 43.

(7) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، للامام أبي محمد الحسين ابن مسعود الفراء البغوي الشافعي، ج 3، ص 234.

(8) ينظر مشاهد يوم القيامة، مهدي باقر شريف القرشي، ط1، 1445 هـ- 2023 م، النجف العراق، ص 22.

(9) سورة الغاشية، الآية 1.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

العزة، وخالفت أوامره، وقد مال المفسر صاحب الأمتل إلى معنى يوم القيامة،⁽¹⁾ أيضاً من معانيها أنها ما يغشى الخلق جميعاً من شدة وعظم أهوالها.⁽²⁾

رابعاً: الواقعة: قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1)﴾،⁽³⁾ بالقاسمة والمدمرة، فقد شرح صاحب الأمتل أحداث يوم القيامة، وأن هذه الحوادث لعظمتها، وهولها، وشدتها، سوف يكون لها بالغ الأثر على كل الموجودات بكل تفاصيلها، ووقوعها حتمي مؤكّد، ولن يكون هناك أي مجال لإنكارها لشدة وضوحها وظهورها.⁽⁴⁾

خامساً: يوم الحساب: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (16)﴾،⁽⁵⁾ قال المفسر صاحب الأمتل: "أن المقصود هنا هو أن الله سبحانه وتعالى يسلم عباده صحيفة أعمالهم قبل حلول يوم الجزاء"،⁽⁶⁾ هذا اليوم هو يوم القيامة، ويوم الجزاء، والمحكمة العادلة التي ستقام لحساب الخلق، وفيه كل عبد سيستلم صحيفته، وفيها كل أعماله قبل أن يأتي هذا اليوم، وأشار من أن الناس في هذا الحساب سوف تنقسم قسمين، قوم يأخذون صحائفهم بأيديهم اليمين، وناس يأخذونها بأيديهم اليسار، و يبدأ الحساب إذ يخرج الله سبحانه كتاب كل عبد إذ سجل فيه أعمال الإنسان كلها التي عملها، مهما دقت وصغرت، ومهما كبرت، حتى قيل أن النوايا مسجلة؛⁽⁷⁾ وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (13)﴾،⁽⁸⁾

سادساً: يوم الوعيد: قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20)﴾،⁽⁹⁾ قال المفسر صاحب الأمتل: "أنضح أن المراد من نفخة الصور هو هنا هو النفخة الثانية ويوم النشور القيامة"،⁽¹⁰⁾ أن يوم الوعيد هو يوم الحساب، الذي يجمع فيه الخلق جميعاً للحساب بعدل الله سبحانه، ويجزى كل إنسان بما عمل.

المطلب الرابع:

ويتضمن يوم الأزفة، ويوم الجمع، ويوم التغابن، والحاقة، ويوم التناد، ويوم التلاق، وهو على النحو التالي:

- (1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 29، ص 223.
- (2) ينظر مشاهد يوم القيامة، مهدي باقر شريف القرشي، ص 23.
- (3) سورة الواقعة، الآية 1.
- (4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 26، ص 3-4.
- (5) سورة ص، الآية 16.
- (6) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 329.
- (7) ينظر مشاهد يوم القيامة، مهدي باقر شريف القرشي، ص 13.
- (8) سورة الإسراء، الآية 13.
- (9) سورة ق، الآية 20.
- (10) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 25، ص 148.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

أولاً: يوم الأرزفة: قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَازِمِينَ مِمَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (18) (1)، "الأرزفة هي القيامة" (2).

يقول المفسر صاحب الأمتل: "الأرزفة باللغة بمعنى القريب، ويا لها من كناية عجيبة، حيث أطلق سبحانه على يوم القيامة يوم الأرزفة كي لا يظن الجهلة أنّ هناك فترة طويلة تفصلهم عن ذلك اليوم" (3)، وهو الاسم الذي أطلقه ربّ العزة سبحانه على يوم القيامة، لكي ينبّه عباده على قربهم منهم، حتى لا يتصور هؤلاء الغافلين أنّ هذا اليوم بعيد، وتطمئن نفوسهم لنعيم الدنيا، وفيه دلالة أنّ كل هذه الدنيا بطولها وعرضها ليست شيئاً ذا بال تجاه أهوال ومخاطر يوم القيامة، وهذا لكي يدل على ضرورة الجهوزية التامة في كل وقت لاستقبال هذا اليوم.

وفي قوله تعالى: ﴿أَرْزَفْتِ الْأَرْزَفَةَ﴾ (57) (4)، بنفس المعنى فسر صاحب الأمتل كلام الله سبحانه، ووصف القيامة بالأرزفة، لكي يدل على ضيق الوقت أمام العباد، وأنّ وصف القيامة بالأرزفة فيه من البلاغة الكبيرة المحركة للهمم، للتنبيه على خطورة الأمر، وخاصة أنّ ما بعد القيامة هناك حال التأبيد، إمّا في نعيم الله سبحانه ورضاه، أو في عذاب جهنّم وألمها، وهذا ما يجعل أي زمن في هذه الدنيا هو أمر بسيط لا يُنظر به، لأنّه قصير، وله بداية ونهاية، أمّا الآخرة وأنّ بدأت فلا نهاية لما بدأت به (5).

ثانياً: يوم الجمع: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (7) (6)، قال المفسر في الأمتل: "ثم نذّر الناس في يوم القيامة وهو يوم الجمع الذي يجمع فيه الناس للحساب والجزاء وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه" (7)، إذ يجمع الله سبحانه كل خلقه، لكي يحاسبهم ويجازيهم على ما قدمت أيديهم، وأنّ من نتائج هذا اليوم أنّ الناس بعد الحساب سيقسمون إلى فريقين، فريق إلى نعيم الجنة، وفريق إلى سوء العذاب.

ثالثاً: يوم التغابن: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (9) (8)، فقد بيّن المفسر الشيرازي أنّ التغابن يشمل كلا الفريقين في يوم الحساب، فالفائز هو الغابن، والخاسر هو المغبون، لأنّ كليهما يرى له مكانه في الجنة، إمّا في الجنة أو في النار،

(1) سورة غافر الآية 18.

(2) معاني القرآن، أبي زكريا بن زياد بن عبد الله الفراء، المجلد الثاني، ص 306.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23، ص 44.

(4) سورة النجم، الآية 57.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 26، ص 318.

(6) سورة الشورى، الآية 7.

(7) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23، ص 208.

(8) سورة التغابن، الآية 9.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمل

ناسباً ذلك إلى وجود روايات، ولم يذكرها، وقد استدلّ على هذا المعنى في تفسير نور الثقلين، وذلك أنّ الفائز يرى مكانه في جهنم، وهو ليس فيه، فتعمّه الفرحة الشديدة لذلك، والخاسر يرى مكانه في الجنة، وهو ليس فيه، فيصيبه الغم الشديد لذلك.⁽¹⁾

رابعاً: الحاقّة: قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (3)﴾⁽²⁾، قال المفسّر الشيرازي: "ذهب أغلب المفسّرين إلى أنّ الحاقّة اسم من أسماء يوم القيامة باعتباره قطعي الوقوع ما الحاقّة وهو تعبير لبيان عظمة ذلك اليوم والتعبير وما أدراك بيوم القيامة للتأكيد مرة أخرى على عظمة الاحداث في ذلك اليوم العظيم"⁽³⁾، إنّ هذه الكلمات هي عنوان جديد لليوم الذي تقوم فيه الساعة، ويحلّ وقت الحساب، وهذه الكلمة بتكرارها ثلاث مرات ينبه أنّ المقصد هو حتمية تحقق وحضور ذلك اليوم العظيم، وذكر أنّ شدة أهوال ذلك اليوم حتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يدركها، وذلك أنّه عالم في غيبيات معارفنا، لأنّه لم يذهب أحد منّا إلى ذلك العالم، فهو لم يحن بعد، وقد احتمل أيضاً أنّ الحاقّة دلالة على شدة العذاب الإلهي على الجاحدين، الذين تمرّدوا على الحق، وأنّه سيحق عليهم ما أنكروه.

خامساً: يوم التناد: قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32)﴾⁽⁴⁾، أول ما بدأ صاحب الأمل في شرح هذه الآية الكريمة ذكر المشهور بين المفسّرين أنّ يوم التناد هو اسم من أسماء يوم القيامة، وساق على حسب المفسّرين عدة أدلة لهذه التسمية من الآيات الكريمة، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (50)﴾⁽⁵⁾، أو ربّما من نداء يوم الحشر ﴿...أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (18)﴾⁽⁶⁾، ونداء المؤمن والكافر فيه كل ينادي بما جنى، فالمؤمن يقول ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ (19)﴾⁽⁷⁾، والكافر ينادي ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ (25)﴾⁽⁸⁾، ولكن ساق المفسّر معاني أخرى لهذا التناد في الحياة الدنيا شمل فيه لحظات ضعف الإنسان، أو وصوله لمكان تُسدّ عليه الطرق، بسبب ما جنّته يديه من الآثام والذنوب.⁽⁹⁾

أمّا صاحب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ذكر أنّ المفسّرين عندهم معاني كثيرة لهذا التناد، ولكن أول ما ذهب إليه أنّه ما اختلف عليه من نداءات يوم القيامة، وشرح لها عدة

(1) ينظر تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 27، ص 195.

(2) سورة الحاقّة، الايات 1-3.

(3) تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 28، ص 319.

(4) سورة غافر، الآية 32.

(5) سورة الأعراف، الآية 50.

(6) سورة هود، الآية 18.

(7) سورة الحاقّة، الآية 19.

(8) سورة الحاقّة، الآية 25.

(9) ينظر تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23، ص 62-63.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

معاني من نداء أهل الجنة والنار لبعضهم، كما أورده صاحب الأمتل أو أنه يوم النفخ في الصور، أو هو النداءات القاسية من الله عزوجل على أهل الكفر والضلال، أو أجوبة الملائكة لنداءات الكفار. (1)

سادساً: يوم التلاق: قوله تعالى: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (15) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (16) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (18)﴾ (2)، يقول المفسر صاحب الأمتل في توضيح وتفسير يوم التلاق: "وهو إسم ليوم القيامة في هاتين الآيتين تم ذكر بعض خصوصيات القيامة وكل واحدة أكثر إثارة من الأخرى"، (3) معظم العناوين المحتملة لهذا التلاق، أنه اليوم الذي يلتقي فيه الله سبحانه مع خلقه، أو يلتقي فيه الخلق الأول مع المتأخرين، أو لقاء أهل الحق بأهل الباطل، أو ربما لقاء كل عبد بما قدمت يداه أمام محكمة عدل الله سبحانه، أو لقاء المظلومين المستضعفين بالظالمين المستجبرين، أو لقاء عالم الإنس بعالم الملائكة. (4)

وتحت عنوان يوم التلاق الذي جعله المفسر الشيرازي إسماً من أسماء يوم القيامة، وأظهر فيه صفات هذا اليوم، إذ تندك الأرض بكل تضاريسها، ويخرج العباد من أجدافهم، وتنفض أسرارهم، وخفايا قلوبهم، وتظهر خفايا حتى الأرض، وتنشر صحائف أعمال العباد، ويظهر ما فيها من خير، أو شر، وهو اليوم الذي تشهد فيه جوارح المرء على أعماله، وفيه أيضاً جميع خلق الله تعالى يظهرون لله سبحانه حيث لن يبقى فيه شيء إلا ويحضر صاغراً أمام قدرة الله جل في علاه. (5)

وعلى حسب الآيات الكريمة أكمل المفسر الشيرازي في توضيح أهوال ذلك اليوم العظيم، وقد رتب له ست خصائص، أولها اليوم الذي يبرز فيه كل ما خلق الله سبحانه لحضرة الله تعالى، وكلهم يحضرون أمامه إذ لن يبقى شيئاً خافياً أمام الله سبحانه، وثانياً أنّ هذا اليوم العظيم من هوله وخطره ينكشف كله أمام الله سبحانه، وهو بالأصل منكشف، ولكن كانت الغاية من هذا الكشف أنّ هذا الكشف يظهر أمام خلق الله إنكشاف الخلق له، وثالثها أنّ حاكمية الله سبحانه تنبسط على جميع خلقه المادي، والروحي، والنوراني، ويعود ملك الوجود بالملك لله تعالى، ورابعها أنه يوم يلقي فيه كل الخلق حسابهم، فيأخذ كل عامل حسابه بحسب عمله، وهو يوم عدل مطلق لا يمكن أن يظلم فيه

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي ابي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المجلد الرابع، تفسير الآية 32 من سورة غافر بتصرف.

(2) سورة غافر، الآيات 15-18.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23، ص 40.

(4) ينظر المصدر السابق نفسه.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 23، ص 41.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

أحد، لأنّ الله سبحانه علمه محيط بكل شيء، وسادسها صفة هي سرعة الحساب، إذ بلمح البصر، ودقيق جداً، ولا فرصة فيه للهروب من الحساب.⁽¹⁾

وعدد أيضاً صاحب تفسير الميزان معاني هذا اللقاء، لربما إلتقاء الله سبحانه الخالق بخلقه، أو ربّما يلتقي سكان السماوات بسكان الأرض، أو لقاء كل ظالم بكل من ظلمه، أو اليوم الذي يلتقي فيه كل عبد بما جنت وقدمت جوارحه كلها من أعمال، ووضّح في حقيقة اللقاء ومعانيه أنّه يومها يتترك كل ما يخلو كل مخلوق ما يشغله عن لقاء ربه، وتركيزه في عظمة هذا اللقاء، إذ زال كل همّ، وكل ما يشغل ويحجب عن الله سبحانه، ومراد الله تعالى، وزالت أسباب الغفلة، وصار جلياً واضحاً أنّ الله سبحانه صاحب الإرادة المطلقة في هذا الوجود، وكل شيء مكشوف أمام الله سبحانه، والباطن قبل الظاهر، وعندها كل هذا الوجود برمته تابع خاضع لله سبحانه، وله فقط وحده لا شريك له، وفي هذا اليوم كل مخلوق سينال حسابه وجزاء عمله، مهما كان بميزان عدل الله تعالى المطلق السريع، هذا اليوم القريب جداً من الجميع، والخوف والفرع سيد الموقف، إذ يسيطر على قلوب وعقول الجميع، فالقلوب منخلعة من مكانها، قد بلغت الحلقوم، وهم في حالة مهولة من شدة إخفاء ما بهم من خوف ورعب هذا اليوم، ليس للظالمين أيّة شفاعاة أو كرامة، أو قرابة، أو ناصر ينفعهم، فهم سيأخذون جزاء ظلمهم، وتعديهم في كل كبيرة وصغيرة، بميزان الحق من حاكم عادل.⁽²⁾

(1) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 41-43 بتصريف.

(2) ينظر تفسير الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين طبطبائي، ج 17، ص 319-320.

المبحث الثاني:

صفات الملائكة في تفسير الأمل في كتاب الله المنزل:

الملائكة مخلوقات لها حياة، ولها عقل، وعلم، طاعتها مطلقة لله سبحانه، ولها كامل الإختيار، خلقها الله سبحانه من التسبيح، وجعل لها سمعاً، وبصراً، وعقولاً نيرة فذة،⁽¹⁾ ومن أجل بيان المبحث فإنه يجب أن نقسمه إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول: جبريل وميكائيل (عليهما السلام):

أولاً: جبريل (عليه السلام): قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (97) ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (98)،⁽²⁾ يقول المفسر صاحب الأمل: "هذه الآيات الكريمة تعرفنا أنّ رسول الوحي الإلهي إلى النبي ومنزل القرآن على قلبه ولواسطة الوحي إسم آخر هو روح القدس أيضاً الروح الأمين ويصرح المفسرون أنّ المقصود بروح القدس والروح الأمين هو جبرائيل"⁽³⁾، وإسمه من مقطعين، جبر التي تعني قوة أو رجل، ونيل تعني الله، ظهر بصورته الحقيقية مرتين لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعندما كان يأتي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة كان يظهر له بدحيّة ابن خليفة الكلب، وهو رجل عرف بجمال طلعتة.⁽⁴⁾

وقد أشار صاحب البرهان في تفسير القرآن إلى جبريل (عليه السلام) أنّه الظهير، والسند، والمؤيد لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) ولجميع الأنبياء والمرسلين، وهو بالتالي مناصر لدين الله سبحانه،⁽⁵⁾ وذكر أيضاً بغض اليهود لجبريل (عليه السلام) لأنّه هو الذي ينفذ حكم ربهم فيهم، بما يكرهون.⁽⁶⁾

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (19) ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (20) ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (21)،⁽⁷⁾ ذكر صاحب الأمل أنّ الآيات أظهرت خمس صفات لجبريل (عليه السلام)، وسماه الله سبحانه فيها أمين الوحي، وأولها أنّه كريم، وتدلّ على شأنه العالي، وجلال مرتبته، وأنّه صاحب قوة كبيرة، ويملك قدرة عظيمة فائقة، تتيح له تنفيذ مهمته على أدق صورة، وخاصة بما يخدم إيصال الرسالة الربانية، وإنّه يتمتع بمكانة مرموقة لائقة عند الله جلّ شأنه، وعند غير الله سبحانه

(1) ينظر الملائكة في التراث الإسلامي، دراسة تحليلية، الشيخ حسن النصاروي، ط1، 1433 هـ - 2012 م، كربلاء - العراق، ص24.

(2) سورة البقرة، الآيات 97-98.

(3) تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 1، ص214.

(4) ينظر المصدر السابق نفسه، ص214.

(5) ينظر تفسير البرهان في تفسير القرآن، تأليف العلامة المحدث السيد هاشم البحراني، ج 1، ص290.

(6) ينظر المصدر السابق نفسه، ص289.

(7) سورة التكوير، الآيات 19-21.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

من الملائكة الذين يعملون معه وبأمره، ويطيعونه، وقد ذكر من قوته (عليه السلام) أنه قلب مدائن لوط الأربع ودمرها، وأنه شديد الإلتزام بأوامر الله سبحانه.⁽¹⁾

وقد أشار صاحب تفسير كنز الدقائق أنّ المعنيّ بالوصف هنا هو جبريل (عليه السلام)، واصفاً إيّاه أيضاً بأنه ذو قوة شديدة، ومكانة مرموقة عند الله سبحانه، تطيعه الملائكة، وهو مخلص في أداء الوحي.⁽²⁾

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (20)،⁽³⁾ قال: "يعني جبريل".⁽⁴⁾

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "جبريل (عليه السلام) صاحب الرياح والجنود"، قال: "أفضل الملائكة جبريل (عليه السلام)"، وقال أيضاً: "اسم جبريل في الملائكة خادم الله عز وجل"، وقال أيضاً: "جبرائيل أو جبريل إمام أهل السماء"، وقال أيضاً: "جبريل موكل بحوائج الناس".⁽⁵⁾

ثانياً: ميكائيل (عليه السلام): في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (98)،⁽⁶⁾ فقد ذكر المفسر صاحب الأمتل أنّ ميكائيل (عليه السلام) ذكر في كتاب دانيال أنّه حامي بني اسرائيل، ولم يزد عليه شيء.⁽⁷⁾ أما في تفسير مواهب الرحمن في تفسير القرآن الكريم ذكر أنّ ميكائيل (عليه السلام) هو الملك الذي وكله الله سبحانه بالأرزاق، وأنّ له أعواناً يعينونه، ولم يحدد ماهية هؤلاء الأعوان، ولكن ذكر أنّه لا يعلمهم إلا الله تعالى، و أنّه سبحانه هو المتحكم بالكل بلا استثناء.⁽⁸⁾

وأيضاً مما ذكر بأنّ "ميكائيل (عليه السلام) على النبات والقطر".⁽⁹⁾ وأنّه (عليه السلام) من الملائكة العظام، وهو على رأس الملائكة المختصين بتوزيع الأرزاق على الخلق، كالملائكة المتحكمين بالسحاب، والأمطار، والرياح.⁽¹⁰⁾

(1) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 29، ص 108-109.

(2) ينظر تفسير كنز الدقائق، المفسر الكبير العالم العارف الميرزا محمد رضا القمي المشهدي، ج 14، ص 170.

(3) سورة التكوير، الآية 20.

(4) تفسير كنز الدقائق، المفسر الكبير العالم العارف الميرزا محمد رضا القمي المشهدي، ج 14، ص 170.

(5) ينظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام عبد الرحمن ابن الكمال جلال الدين السيوطي، المتوفى 911 هـ،

1423 هـ - 2002 م، بيروت- لبنان، ج 1، ص 226.

(6) سورة البقرة، الآية 98.

(7) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 1، ص 214.

(8) ينظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن، فقيه عصره السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، ط 2، 1428 هـ -

2007 م، النجف الاشرف، العراق، ج 1، ص 478.

(9) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، ج 1، ص 226.

(10) ينظر الملائكة في التراث الإسلامي، دراسة تحليلية، الشيخ حسن النصاروي، ص 105.

المطلب الثاني: خزنة النار وخزنة الجنة:

أولاً: خزنة النار: قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ (77)﴾⁽¹⁾، إذ ذكر المفسر صاحب الأمتل وأنه مالك (عليه السلام) هو خازن النار.⁽²⁾ توسع صاحب الواضح في التفسير أكثر حول مالك (عليه السلام) أنه فعلاً هو خازن النار، ولكن عند نداء أهل النار له أوضح أنه هو الذي يرد عليهم الجواب، أنكم باقون في العذاب، وهو الذي يبين لهم الجريمة التي اقترفوها في حياتهم حين تركوا الحق الذي جاءهم من الله سبحانه، وكرهوه، وعلى ذلك استحقوا ما فيه من العذاب.⁽³⁾

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30)﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (31)﴾⁽⁴⁾، يقول المفسر صاحب الأمتل: "وقيل أنها تشير إلى تسعة عشر مجموعة من الملائكة وليست تسعة عشر نفراً"⁽⁵⁾، وقد أمرهم الله عز وجل أن يكونوا شديدين بأمر التعذيب للكفار، وقساة في غلظتهم، يقول المفسر صاحب الأمتل: "ملائكة أقوياء مقتدرون وكما يعبر القرآن غلاظ شداد قساة في مقابل المذنبين بجمعهم الغفير وهم ضعفاء عاجزون"⁽⁶⁾.

وقد أورد المفسر وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) للملائكة الذين لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه في خطبته الأولى من نهج البلاغة، إذ قال: "ثم فتق ما بين السماوات العلاء، فملأهن أطواراً من ملائكته، منهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصاقون لا يتزايلون، ومسبحون لا يسأمون، لا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان"⁽⁷⁾.

وقد أشار صاحب مجمع البيان إلى هؤلاء الملائكة أنهم مالك (عليه السلام)، ومعه ثمانية عشر ملك مظهرهم شديد القسوة، لهم أعين مثل البرق الذي يخطف الأبصار، ولهم أنياب كصياص الطير، وهناك لهب يخرج من أفواههم هيئته مربعة في ضخامتها، ليس عندهم رحمة، وهم شهوتهم

(1) سورة الزخرف، الآية 77.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 24، ص 366.

(3) ينظر الواضح في التفسير، السيد عباس علي الموسوي، ج 14، ص 301.

(4) سورة المدثر، الآية 30-31.

(5) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 28، ص 455.

(6) المصدر السابق نفسه، ص 457.

(7) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج 1، ص 91.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

ولدتهم وسعادتهم في إذاقة أهل النار ألوان العذاب، وأنه جعل هذا العدد من باب الإمتحان والإختبار للخلق.⁽¹⁾

وفي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُرُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (6)،⁽²⁾ يقول صاحب الأمتل: "أن ملائكة مجبولون على الطاعة غير مختارين إذ لا رغبة ولا قبل لهم إلى سواها"⁽³⁾، إن ملائكة النار جداً غلظاء خشنين لا مكان للرحمة في قلوبهم، ولا مكان للرحمة في جهنم، وأن هذه الغلظة والخشونة هي عين الطاعة لله سبحانه، وعلى حسب دقة أوامره سبحانه، وهذه الطاعة منهم هي في تكوينهم، وتكوين وجودهم، وهي الغاية من وجودهم، إذ لا تنتظر ذواتهم إلى غير طاعة الله سبحانه.⁴

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ (165) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (166)،⁽⁵⁾ تحدث المفسر صاحب الأمتل عن المكانة العالية والمرموقة للملائكة (عليهم السلام)، في دفاعه عن زعم المشركين أن هذه الملائكة هم من الإنانث، ووصف حديثهم بالجميل كونهم هم المتحدثين عن ذواتهم، فهم عارفون بقدرهم، ومكانتهم المحفوظة، فكل يعلم قدره ومكانه، وأنهم جميعاً في اصطفاة منظم، وفي حالة انتظار دائم لكل ما يصدر من رب العزة سبحانه من أوامر لتنفيذها، وهم جميعاً في حالة من التسبيح، والتنزيه للخالق سبحانه.⁽⁶⁾

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه: "ما في السماوات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي ويسبح".⁽⁷⁾

ثانياً: خزنة الجنة: قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (73)،⁽⁸⁾ وصف الشيرازي خزنة الجنة أنهم ملائكة رحمة، فقال: " أما ملائكة الرحمة فإنها تبادر أهل الجنة بالسلام المرافق للاحترام والتبجيل".⁽⁹⁾

(1) ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن، تأليف أمين الاسلام ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ج 10، ص 153-152.

(2) سورة التحريم، الآية 6

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 27، ص 243.

(4) ينظر المصدر السابق نفسه.

(5) سورة الصافات الآية 165 - 166.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 277- 278.

(7) الجامع لأحكام القرآن، تأليف حمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 2006، المجلد الثامن، ص 581.

(8) سورة الزمر، الآية 73.

(9) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 519.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

وذكر صاحب الميزان أنهم الملائكة الذين أولهم الله سبحانه على القيام بشؤونها.(1)
والملائكة الموكلون بشؤون الجنان أعدادهم كبيرة جداً، ورئيسهم رضوان (عليه السلام)، المسمّى خازن الجنان.(2)

المطلب الثالث: الملائكة القائمين بشأن الخلق:

أولاً: الكرام الكاتبون: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12)﴾(3)، وصفهم المفسر صاحب الأمتل أنهم الذين يحفظون أعمال العباد، وقدرهم عال، وكريم عند ربّ العزة سبحانه، مثابرون في أعمالهم، لا تصيبهم الفترة، والملل والتعب، وهم على علم دقيق بكل ما نقوم به من أعمال، يسجلون هذه الأعمال مهما كانت صغيرة أو كبيرة، وقد استشهد على دقة عملهم بالآية الكريمة ﴿إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَفِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17)﴾(4). (5)

وبالعودة إلى توضيح المفسر صاحب الأمتل، فقد قال: "بالإضافة الى إحاطة علم الله التام على ظاهر الإنسان وباطنه فهناك ملكان مأموران بحفظ ما يصدر عنه منه عن يمينه وشماله وهما معه دائماً ولا ينفصلان عنه لتتم الحجة عليه"،(6) وعن أوصاف الملائكة، ذكر أنّهما ملكان يسجلان كل ما يفعله ويقوله بنو آدم، وهما في حالة ملازمة دائمة مستمرة لنا، وهم شديدي الرقابة لأعمال الإنسان، ودقيقين في تسجيل كل شيء عنه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "هما الملكان، وقال عن العتيد هو الملك الذي يحفظ عليه عمله هذا"،(7) ومما قيل في الكرام الكاتبين هم الحفظة الذين يحرصون الإنسان، ويحفظون عمله ورزقه، ووقت أجله.(8)

ومما أورد صاحب الأمتل أنّ حال هذين الملكين هو الجلوس على كتفي الإنسان، والذي على اليمين اسمه رقيب، والذي على الشمال اسمه عتيد على حسب ما قال أنّه ورد في بعض الروايات، وأنّهما على أعلى مستويات الدقة في تدوين أعمال العباد في كل قول، وفعل، وذكر أنّ الحفظة يخليان بين كل المؤمنين اثنين، ويتحدثان في سر لهما.(9)

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): "ها هنا واحد، وها هنا واحد يعني شديقيه"،(10) وذكر صاحب الأمتل أيضاً: "وقد وصفت الآيات المبحوثة هؤلاء الملائكة بأنهم كرام؛ ليكون الإنسان أكثر

(1) ينظر تفسير الميزان، السيد الطبطبائي، ج 17، ص 211.

(2) ينظر الملائكة في التراث الإسلامي، الشيخ حسن نصرآوي، ص 120.

(3) سورة الإنفطار، الآيات 10 - 12.

(4) سورة ق، الآية 17.

(5) يتنظر تفسير الأمتل، ج 29، ص 124.

(6) المصدر السابق، ج 25، ص 142.

(7) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج 7، ص 287.

(8) ينظر الملائكة في التراث الإسلامي، الشيخ حسن النصرآوي، ص 126.

(9) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 25، ص 143-144.

(10) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج 7، ص 286.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

دقة في مراقبة نفسه وأعماله؛ لأن الناظر كلما كان ذا شأن كبير تحفظ الانسان منه أكثر وأكثر، واستحى من فعل المعاصي أمامه" (1) أن هذا الوصف للملائكة بكونهم كراماً، لكي يحفز الإنسان على أن يرتدع عن المعاصي، لكون الناظر له، والمسجل لأعماله ذو شأن رفيع، وأن علة ذكر الكتابة هو للتدليل على الدقة الحاضرة في تسجيل الأعمال، ونوره أيضاً إلى أن هؤلاء الملائكة لديهم علم واسع تام بكل أعمال العباد، يطلعون عليها أتم الإطلاع، ومعرفتهم، وتسجيلهم عن معرفة وعلم. (2)

ثانياً: الملائكة رسل الله سبحانه: قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (1)، (3)، وفي سياق توضيحه بين صاحب الأمتل أن رسالة الملائكة التي يحملونها للخلق هي رسالة تكوينية وتشريعية، ويحملون الوحي أيضاً للأنبياء، ويحملون مختلف أوامر الله سبحانه، ولكل خلقه، وفي حديثه عن أجنحة هؤلاء الملائكة، ذهب المفسر أن هذه الأجنحة ربما كناية عن قدرتهم وقوتهم، وإمكانيتهم لكونهم خلقاً عظيماً، قد هياهم رب العزة سبحانه بكل ما يلزمهم، لأداء مهامهم على أتم وجه، وذكر أن بعض الروايات جاءت بخبر أن لجبريل (عليه السلام) ستمئة جناح. (4)

وقد استعرض المفسر وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) للملائكة (عليهم السلام) إذ قال: "ومنهم أمناء على وحيه، والسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده، والسدنة لأبواب جنانه، ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الأفطار أركانهم، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسة دونه أبصارهم" (5). وحديث الإمام الصادق (عليه السلام): "الملائكة (عليهم السلام) لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، إنما يعيشون بنسيم العرش". (6)

ثالثاً: الملائكة عباد الله سبحانه: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (19)، (7)، يقول المفسر صاحب الأمتل: "يمكن أن يكون هذا الوهم نابعاً من أن الملائكة مستورون عن الأنظار، والنساء مستورات كذلك.... وقال أيضاً أو أن لطافة الملائكة ورقتها قد سببت أن يفسرونها كالنساء، حيث أن النساء أكثر لقطا ولطافة إذا قيست

(1) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 29، ص 126.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 29، ص 126.

(3) سورة فاطر، الآية 1.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 21، ص 8.

(5) نهج البلاغة، ابن أبي حديد، المصدر السابق، خطب الإمام علي (ع)، ج 1، ص 19.

(6) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، المجلد 17، ص 3.

(7) سورة الزخرف الآية 19.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

بالرجال"،⁽¹⁾ فالملائكة هم أشدّ عباد الله طاعة لله سبحانه، بتسليم كامل لله جلّ في علاه، لا جنس لهم، واستنكر المفسّر صاحب الأمتل على حسب الآيات اتصاف الملائكة بالجنس، وعزى وصف العرب لهم بالأنوثة لأنهم مخلوقات مستورة عن أنظارنا كما النساء، وربما هو تأنيث مجازي، أو ربما لطافة هذا الخلق العظيم جعلت العرب تشبّهه بالأنثى.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27)﴾،⁽²⁾ يقول المفسّر صاحب الأمتل: "أنّ هؤلاء على درجة من الأدب والخضوع والطاعة لله بحيث لا يسبقونه بالقول، وكذلك من ناحيه العمل أيضاً فهم مطيعون وهم بأمره يعملون"،⁽³⁾ والملائكة (عليهم السلام) هم على قمم الأدب، والتهديب في طاعتهم، وخضوعهم لله سبحانه في أعمالهم كلها، وعلى أجل درجات الإحترام في العمل، وفي الدقة في الطاعة، وفي صفتهم أنّ الله سبحانه جعل لهم مرتبة الشفاعة، ولكن لا تنال هذه الشفاعة منهم إلا بشروط، وفي حديث صاحب الأمتل عن خوف الملائكة أنّه ليس كخوف البشر، إنّما هو خوف مشبع بكل مظاهر التقدير، والتعظيم، وبعيد عن كل مظاهر الرياء، لذلك نراهم مشفقين ربما لشدة التصاقهم بربهم، وبكل تقديس وإجلال له سبحانه.⁽⁴⁾

(1) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 24، ص 316.

(2) سورة الانبياء، الآيات 26-27.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 217.

(4) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 218.

المبحث الثالث:

صفات الجنة في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل:

حبب الله سبحانه لعباده طاعته بوعدهم بأطياب كثيرة، ومنازل عالية، بعد يوم الحساب لكي يعينهم على نفوسهم وعلى حرب إبليس وجنوده، ومن أجل إيضاح المبحث فقد استلزم أن ينقسم على مطالب عدة على النحو الآتي:

المطلب الأول: الجنة لها أبواب:

مثل قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (23)،⁽¹⁾ يقول المفسر صاحب الأمتل: "إن للجنة عدة أبواب، ولكن هذا التعدد للأبواب ليس لكثرة الداخلين إلى الجنة فيضيق عليهم الباب الواحد، وليس كذلك للتفاوت الطبقي بل تعددت الأبواب بسبب الأعمال المختلفة للأفراد فهناك باب المجاهدين"⁽²⁾، وأنه على ما ذكرت الآية والشرح أن تعدد أبواب الجنة ليس دليلاً على كثرة الواردين إليها، فيضيق عليهم بابها إذا كان واحداً، أو ليس دليلاً على أنها أبواب خاصة بشرفاء قوم دون غيرهم، ولا هي أبواب كأبواب الدنيا، إنما تعدد هذه الأبواب لتعدد موارد أعمال العباد.

واستدل على أبواب الجنة بقول الإمام الباقر (عليه السلام): "واعلموا أن للجنة ثمانية أبواب عرض كل باب مسيرة أربعين سنة"⁽³⁾، و قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "والجنة فيها ثمانية أبواب، على كل باب منها أربع كلمات، كل كلمة خير من الدنيا، وما فيها لمن يعلم، ويعمل بها"⁽⁴⁾ وتابع استدلاله اللطيف على رحمة الله سبحانه، أن الله عزوجل جعل لجهنم سبعة أبواب وللجنة ثمانية أبواب، مدلاً على رحمة الله الواسعة، وأن طرق السعادة والرحمة أكثر من طرق العذاب، وقد جعل المفسر هذه الأبواب تابعة لصفات أصحاب الفكر السوي السليم في معرفة ربهم، والوصول إليه.⁽⁵⁾

ومن جميل ما وصف به صاحب الأمتل الجنات أنها دار تجمع الأحبة مع بعضهم بعضاً، من الأهل والذري والازواج، لأنها دار محبة، وتراحم، وفيها يتضاعف الحب والود، وهي دار نعيم مقيم.⁽⁶⁾ وقد أكمل الشيخ الشيرازي شرحه عن الجنان أن عدن كلمة عربية، تعني الاستقرار،

(1) سورة الرعد، الآية 23.

(2) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 12، ص 383.

(3) الخصال، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق، وهو أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، صححه علي أكبر الغفاري، ط6، 1424هـ، مؤسسه النسر، قم-إيران، باب الثمانية، حديث السبعة، ص 445.

(4) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، الشيخ محمد باقر المجلسي، ج 8، ص 362، حديث 67.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 12، ص 383.

(6) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 384.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمل

ولذلك دلت الكلمة على معنى الخلود، يقول المفسر صاحب الأمل: "العدن الاستقرار، وهنا جاءت الكلمة بمعنى الخلود ومنه المعدن المستقر العناصر الفلزية، ويستفاد من مختلف آيات القرآن أن الجنة دار خلود لأهلها وجنات عدن هي محل خاص في الجنة، ولها صفات ومنازل عالية، ولا يدخلها إلا ثلاثة، الأنبياء والصديقون والشهداء".⁽¹⁾

وقوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ (50) مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (51) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ الْأَنْزَابِ (52) هَذَا مَا تَدْعُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (53) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (54)﴾⁽²⁾، إذ جعل صاحب الأمل تفسيره للآيات الكريمة تحت عنوان أنها الوعد الذي أبرمه الله سبحانه لمن اتقى من عباده، يدخلون جنات البقاء، والإستقرار والخلود، وأنهم لكرامتهم على الله سبحانه، لا يفتحون أبوابها بأيديهم، إنما تكون لهم الأبواب مفتوحة بمجرد اقترابهم منها، وأنها دار سكونية، وأمان واطمئنان، جلساتهم فيها الإتكاء، ورزقهم فيها أطيب الطيبات تأتيهم على رغبات نفوسهم دون طلب، وأن حضور هذه الأطيبات إما بخدم يحضرونها، أو أنها تأتي من تلقاء نفسها، وأيضاً علل سبب أن الفاكهة هي أكثر غذاء أهل الجنة، وربما لكونها أحب وأسلم أغذية البشر في الدنيا، وقد جعلها الله سبحانه متعددة جداً في جنانه إكراماً لأهل الجنة، وحتى شرابها مثل فاكهة الجنة بكثرتة وطيبه، ثم تحدث عن نساء الجنة، وعظيم عفتهم وإخلاصهم، وشديد حيائهم، وتسترهم، وشبابهم الدائم، واقتران أعمارهم بأعمار أهل الجنة، وكلها صفات تجعلهم في غاية الجمال، والعلو في قلوب أزواجهم، وكلها تدل على عظيم ما في الجنة من الطيبات.⁽³⁾

قوله تعالى: ﴿وَسِيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73)﴾⁽⁴⁾، يقول المفسر صاحب الأمل: "فإن الجنة وملائكة الرحمة مشتاقه أكثر لوفود أولئك عليهم كما هو الحال بالنسبة الى المستضيف المشتاق للضيف والمتلطف لوفوده عليه، إذ أنه لا يجلس لانتظاره، وإنما يذهب لجلبه بسرعة"⁽⁵⁾، ومن جميل ما وصف الشيخ الشيرازي الجنة في معرض حديثه عن توضيح الآية أن من صفاتها شوقها الدائم لأهلها، ووصف هذا الشوق منها ومن الملائكة بأنه أشد من شوق أهل الجنة لها، وتعلقها فيهم أشد من تعلقهم فيها، وهذا من عظيم ضيافة الله سبحانه لأهل طاعته، ومن جليل إحترافه بهم، وتكريمه لهم.

(1) ينظر تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 12، ص 384.

(2) سورة ص، الآية 50-54.

(3) ينظر تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 379-380.

(4) سورة الزمر، الآية 73.

(5) تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 518.

المطلب الثاني: عيون الجنة وأنهارها

وهو على النحو الآتي:

أولاً: أنهار الجنة: كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (72) (1)، يقول المفسر صاحب الأمل: "لقد وردت هذه الموهبة الإلهية بأشكال وتفسيرات مختلفة من الروايات وكلمات المفسرين فتطالع في حديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن عدن دار الله التي لم تراها عين ولم يخطر على قلب بشر، ولا يسكنها غير ثلاثة النبيين والصدّيقين والشهداء" (2)، فقد وصف المفسر صاحب الأمل أنّ هذه الجنة نعمة، ونعمة كبيرة، وأنّها باقية مستمرة لا تفتنى، وعدن هي أميز وأطيب مكان فيها.

وقد وصفها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "عدن دار الله التي لم تراها عين، ولم يخطر على قلب بشر" (3)، كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۗ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (15) (4)، وقد ذكر المفسر صاحب الأمل أنّ في الجنة أربعة من الأنهار، وكل نهر اختص بنوع من الشراب الطيب، وفيها أيضاً أذ الفواكه، وفوقها كثير من الرحمة والمغفرة، التي تزيد العباد سعادة وبهجة، فنهر فيه ماء مبارك، زلال زكي في طعمه ورائحته، ونهر لبن باقي بنكهته الطيبة، ليس عرضة للتلف، وفيه نهر الخمر، والعسل، وكله بأعلى معايير الجودة التي نعرفها، والتي لا نعرفها، وكذلك ثمارها وفواكهها، وبعد كل ذلك لهم الأمان والطمأنينة، التي لا حدود لها، ولا يطيب شيء إلا بها (5).

يقول المفسر صاحب الأمل: "جاء في وصف أنهار الجنة أنّ (مائها غير آسن)، وأنّها (وأخر لم يتغير طعمه)، وهو يوحي بأنّ أشربة الجنة وأطعمتها تبقى على طراوتها وجديتها..... وطالما لم يكن للموجودات المفسدة مكان في الجنة فإنّ كل أشياءها صافية ونظيفة وطرية طازجة دائماً" (6)، وتعمق في وصف ما في الجنة من الأنهار، محاولاً تقريب مفاهيمها للأذهان، أنّها ليست كما تذكر حرقياً، فماؤها لري العطش، ولينها للغذاء، وخمرها ليس كخمر الدنيا وفساده، وعسلها

(1) سورة التوبة، الآية 72.

(2) تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 9، ص 252.

(3) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، الشيخ محمد باقر المجلسي، ج 8، ص 171.

(4) سورة محمد، الآية 15.

(5) ينظر تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 24، ص 543-544.

(6) المصدر السابق نفسه، ص 545.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

هو للهمة والنشاط، و أنها على حسب مراتب أهل الجنة، وهي أشربة وأطعمة لا يقربها ما يفسدها، ويغير طعمها، أو ريحها، وأن الجنة ليس فيها ما يفسد أو يعكّر.

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "أربعة أنهار من الجنة الفرات والنيل وسيحان

وجيحان، فالفرات الماء في الدنيا والآخرة، والنيل العسل، وسيحان الخمر، وجيحان اللبن".⁽¹⁾

ثانياً: عيون الجنة: قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا

(13) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا (14) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ

قَوَارِيرًا (15) قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (16) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (17)

عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (18) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (19)

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا (20) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوعًا أَسْوَرَ مِنْ

فِضَّةٍ وَسَقَلَهُمُ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (21) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا (22)﴾⁽²⁾، في

هذه الآيات الكريمة، الوصف ليس على الجنة خصوصاً، إنما على الذي في الجنة من المكافآت

العظيمة، والطيبات المباركة، والتي لا تقدر أن تتجاوزها لنصف الجنة، فصفت الجنة في هذه

الطيبات، وفي هذه المكافآت، فالجنة فيها من الأسرة والفرش أجملها، وأفخرها وأكثرها راحة للأبدان،

وهي أجمل وأبرك من تلك التي تهدي للعروس في عرسها، وهذه الجنة لا شمسها تؤذي، ولا بردها

يضر، إنما هم فيها في أتم الراحة، والسكينة لا يعرفون حراً، ولا برداً، وثمارها تقرب إليهم يقطفونها

دون أدنى تعب وكد، وبدون ذرة أذى من شوك، أو خدوش، وتقدم لهم المشارب والمطاعم بأوعية

وكؤوس، وأكواب من الفضة اللامعة الشفافة التي تشبه الزجاج، وليس مثلها في الدنيا، يقدمها أطفال

مناظرهم تسر القلوب، مشرقة وجوههم كحبات اللؤلؤ، وهذه الأشربة لطيبها ولذتها مزجت بزنجبيل

الجنة، الذي لا يضاهيه شيء في لذته، شراب هنيء سلس في شربه.⁽³⁾

ثم شرع الشيخ الشيرازي في وصف النعيم والملك في الجنة، كما وصفه الإمام الصادق

(عليه السلام) إذ قال: "أي لا يزول ولا يفنى".⁽⁴⁾ يقول المفسر صاحب الأمتل في شرح النعيم: "أن

نعيم الجنان لا توصف لكثرتها، وأن الملك الكبير هو استئذان الملائكة للدخول على أهل الجنان و

الملك الدائم والأبد المغترم بتحقيق جميع الأعمال والنعيم يراد به في اللغة النعم الكثيرة، وملك كبير

يخبر عن عظمة واتساع رياض أهل الجنة ولذا فإنّ لهما معنيين واسعين بحيث يشتملان جميع ما

قيل فيهما"⁽⁵⁾، ثم عرج بعدها إلى وصف ملابس سكان هذه الجنان فهي الحرير بكل أنواعه الناعم

الرقيق، والخشن الفخم، ويلبسون معها أجمل الحلي من أفقى وأعظم أنواع الفضة، وعليها الأحجار

(1) الخصال، الشيخ الصدوق، باب الأربعة، ص279، الحديث 116.

(2) سورة الإنسان، الآيات 12-22.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 28، ص514-516، بتصرف.

(4) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، الشيخ محمد باقر المجلسي، ج8، ص112.

(5) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 28، ص518.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

الكريمة، وفي سورة الكهف ﴿يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ (31)﴾، وقد ذكر أنّ الحلي ربما تكون من ذهب، وأعظم نعم الجنة هنا، وأظهرها لعظيم الاحترام والتقدير أنّ الله سبحانه في الجنة هو الساقى لعباده الشراب الطهور بيده، والذي يطهر العبد جسداً وروحاً من كل ما يشوبه من الأدران المادية والمعنوية.⁽¹⁾

وقد وصف الإمام الصادق (عليه السلام) هذا الشراب، فقال: "يطهرهم عن كل شيء سوى الله"⁽²⁾، كما قلنا أول هذه الفقرة أنه لا يسعنا ترك هذه الصفات لما في الجنة من النعيم حتى نصف الجنة، فهي لا تنفك بعضها عن بعض لكي نعرفها ببعضها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (22) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (23) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (24) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (25) خِثْمُهُمْ مَسَكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ أَلْمُتَنَفِّسُونَ (26) وَمَزَاجُهُ مِنَ التَّسْنِيمِ (27) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُعْرِضُونَ (28)﴾⁽³⁾، فقد أفاض المفسر صاحب الأمتل في شرح الآيات وتوضيح أوجه النعيم التي ينعم بها أهل الجنة من رغد العيش، وهنيء الأطعمة، والأشربة، وتنوعها ومفعول كل طعام وشراب، ونحن هنا نورد هذه الأوصاف لتقرب بها صفات الجنات التي تنتظر المطيعين على حسب ما رواه الأمتل، وقد ذكرنا سابقاً ما شرحه المفسر، وهنا ذكر الرحيق المختوم بالمسك، وأتته أطهر وأنقى الأشربة، وختام طعمه كريح المسك الطيب، الذي لا يشبهه طعم من هذه الأشربة، والأطعمة، وفوقه يمزج من التسنيم، إذ شرح هذا التسنيم أنه أعلى وأشرف مشارب الجنة، له من الإفاضات والبركات على روح شاربه، وختم كلامه أنّ هذه النعم والبركات التي ينالها أهل الجنة، وكل وصف لها ليس سوى عبارة عن صور، وأوصاف تقريبية للذهن البشري لأنها مناسبة له، ولحدود تفكيره وفهمه.⁽⁴⁾

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "لما خلق الله الجنة خلقها من لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وجعل حيطانها الياقوت، وسقفها الزبرجد، وحصائها اللؤلؤ، وترابها الزعفران، والمسك الأذفر".⁽⁵⁾

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (35)﴾⁽⁶⁾، فقد وقف الشيخ الشيرازي في إزالة غموض هذه الآية عند كلمة ﴿مَثَلُ﴾، وإتته لصعوبة وصف عوالم غيبية، وتوضيحها للناس، لذلك فهي تمثل هنا تمثيلاً، وأنّ طبيبات هذه الجنة من المطاعم دائمة لا تنقطع، ولا تخضع للمواسم والفصول، أو

(1) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 519-520.

(2) مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الاسلام، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ج 10، ص 411.

(3) سورة المطففين، الآيات 22-28.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 29، ص 149-151.

(5) الخصال، الشيخ الصندوق، باب العشرة، ص 476، حديث 22.

(6) سورة الرعد، الآية 35.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

الأمراض، أو النقص والزيادة، إنما هي دائمة ثابتة، وأسقطها على يقين المؤمنين بالتشبيه، وكذلك ظلها دائم؛ لأن شجرها دائم الخضرة، لذلك ظلها دائم، ولكن حتى بدوامه هو ليس كظل الدنيا، إنما هو كنعيم الآخرة دائم، وقد ناقش أيضاً فكرة إذا كانت الجنة لا برد فيها، ولا حر، قوله تعالى ﴿... لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (13)﴾⁽¹⁾، فلما الظل؟ أجاب على هذا النقاش أن الظل ليس بمعنى الحفظ من شعاع الشمس، إنما الظل هنا هو دليل على الانتعاش المتحصل لأهل الجنة، كالإنتعاش الذي يحصل لأهل الدنيا إذا لجأوا إلى الظل،⁽²⁾ وعن أبي عبد الله وعن أبي جعفر الباقر (عليهما السلام) قال: "أن أهل الجنة.... يُفكّهون ولا يُقطبون أبداً، ويُجبرون ويُسرون أبداً، ويأكلون فلا يجوعون أبداً، ويروون فلا يظمؤون، ويكسون فلا يُعرون أبداً، تأتيهم التحية والتسليم من الله أبداً"⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ^ط كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْتُمْ بِه مُتَشَابِهًا^ط وَلَهُمْ فِيهَا أَنْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ^ط وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)﴾⁽⁴⁾، يقول صاحب الأمتل في تفسير هذه الآية الكريمة: "النضارة تطفح على البساتين التي تمتلك ماء سقي دائم مستمر لا ينقطع أبداً، ومثل هذه البساتين لا يعترها جفاف ولا تهددها شحة الماء، وهذه هي بساتين الجنة.... والمقصود من قولهم ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أن هذه النعم التي أُغدقت علينا هو بسبب ما أنجزناه من عمل في الحياه الدنيا و غرسا و غرسنا بذوره من قبل"،⁽⁵⁾ ونعم الجنة الدائمة ببركاتها، والمستمرة بعطاياها، والسهلة بنوالها فبساتينها وأنهارها، وثمارها دائمة الخضرة، والحضور، وثمارها كثمار الدنيا لكي يأنس بها المؤمنون، ولكنهم إذا أكلوها وجدوا بها أطيب مما وجدوا في دار الدنيا، ومن شدة تمايز فخامتها لا تدري ما المرجح فيها، والأزواج في الجنة تامة الطهارة من كل ما يدنس هذه العلاقة من كدر القلب والبدن والروح، وأن ما يرفع منغصات نعم الجنة هو إستمرارها، ودوامها، وما يحققه هذا الاستمرار والدوام من طمأنينة في القلب والعقل.

المطلب الثالث: جنة عرضها كعرض السماء والأرض

وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ^ط ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ^ط وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (21)﴾⁽⁶⁾، وقوله

(1) سورة الإنسان ، الآية 13 .

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 12، ص430.

(3) الإختصاص، تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبر البغدادي الملقب بالشيخ المفيد، ص358.

(4) سورة البقرة، الآية 25.

(5) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 1، ص92-93.

(6) سورة الحديد، الآية 21.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (33) (1)، أشار المفسر صاحب الأمتل أن كلا الآيتين تشيران أن معنى كلمة العرض على الإتساع فقال: " ما استعمل هنا كاف التشبيه فيكون معنى هذه الآية هو أن سعة الجنة مثل سعة السماء والأرض، ومعنى الآية المبحوثة هنا هو أن سعة الجنة هي سعة السماوات والأرض فيكون المعنيان سواء، وينبغي أن نعلم أن المراد بالعرض هنا ليس هو الطول والعرض الهندسي المعروف بل المراد هو السعة" (2) يعني التعبير مجازي وليس حقيقي، ثم طرح سؤالين حول وجود الجنة والنار، هل هو وجود فعلي؟ أم أنهما مستقبلاً سوف يتم إيجادهما؟ وأين هما؟ وفي جوابه أكد على وجودهما، واستدل على الوجود بكلمة أعدت، والتي تدل على الوجود الفعلي الحالي، واستشهد أيضاً على هذا الوجود بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَىٰ (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (15)﴾ (3)، من قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7)﴾ (4)، من ثم ناقش جواب السؤال عن وجودهما فذكر أنه ربما وجودهما هو وجود باطني في عالم الوجود هذا ولكن لا نعيه، ولكي نعيه نحتاج لقدرات خاصة تساعدنا على أن نفهمه، أو ربما عالم الجن والنار هو عالم محيط بعالمنا نحن، ونحن ضمنه كالجنيين في بطن أمه (5).

وهذا التفسير ساقه المفسر في كلا الآيتين، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "أنهار الجنة تجري في غير أهدود أشدّ بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، طين النهر مسك أذفر، وحصاه الدر والياقوت" (6).

والجنة أعزّ دار للمؤمن، وبركاتها لا حدود لها لكثرتها، ونعمها لا تحصى، وفي وصفها الأحاديث الكثيرة في طيب ملذاتها، وعظيم خيرها، وسعادة سكانها من المؤمنين يرضى الله عليهم وبهم، وأعطائهم أطيب شهواتهم، وأزيد وأطيب ما يتمنون من هذه الدنيا وفوقها ما لا يخطر بأفكارهم وعقولهم من النعم والخير والرضا، فلا يصيبهم شيء من كل ما يكدّر صفو عيشتهم وهناءة حياتهم (7).

(1) وسورة آل عمران، الآية 33.

(2) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 4، ص 358. وج 26، ص 525.

(3) سورة النجم، الآيات 13-15.

(4) سورة التكاثر، الآيات 5-7.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 4، ص 358-360.

(6) الاختصاص، تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبر البغدادي الملقب بالشيخ المفيد، توفي 413 هجري صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، مؤسسه الاعلم بيروت- لبنان، 1402 هـ- 1982م، ص 357.

(7) ينظر الجنة وأهل الجنة، الشيخ علي الكوراني العامل، ط 1، 1444 هـ- 2023 م، ص 454-458 بتصرف.

المبحث الرابع:

صفات جهنم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل:

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): " من حذرَكَ كمن بشرك" (1)، وقد تشدّد الله سبحانه في وصف جنهم تحذيراً للعباد من أي عمل يوصلهم إليها رحمة بهم، وتشجيعاً لهم على التقوى، ويمكن تقسيم المبحث على النحو الآتي:

المطلب الأول: ويمكن بيانه على النحو الآتي:

أولاً: المحطّمة: قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (4)﴾ (2)، قال صاحب تفسير الأمتل: " الحُطْمَةُ صيغة مبالغة من حطّم أي هشمّ وهذا يعني أنّ نار جهنم تهشم أعضاء هؤلاء، ويُستفاد في بعض الروايات أنّ الحُطْمَةَ ليست كل نار جهنم بل هي طبقة رهيبة في حرارتها" (3)، وقد أشار صاحب فتح القدير أنّ الحُطْمَةَ هي النار، وأنّ الإستفهام الذي جاء بعدها ليدل على شدة قسوة عذاب النار بما لم ولن يخطر في الأذهان لشدته، وهي نار مشتعلة بأمر الله سبحانه، وأنّها لشدة هولها تحطّم وتكسّر كل الذي يُرمى فيها. (4)

ثانياً: لظى: قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَإِنَّهَا لَظَى (15) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى (16)﴾ (5)، فقد فسّر صاحب الأمتل هاتين الآيتين من صفات جهنم فقال: " أنّها لظى نار ملتهبة تحرق كل من يجانبها، وفي مسيرها (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) تقلع اليد والقدم وجلد الوجه" (6)، أنّ لها ناراً من شدة لهيبها تحرق حتى الذين يقتربون منها، أو يكونون في خط سيرها، وشدة اللهب لها قوة قادرة على تقطيع الأوصال وسلخ الجلد، وهذا التصوير الدقيق لهذه الأهوال هو لتحذير العباد من سوء العاقبة، وذكر صاحب إعراب القرآن وبيانه أنّ لظى هو اسم من أسماء جهنم، وذلك أنّ سبب التسمية هي حركتها في التلظى، وهو التلهّب على كل الذي يقترب منها ويدخل فيها. (7)

ثالثاً: المؤلمة: قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (100)﴾ (8)، فقد دلّل المفسّر صاحب الأمتل على شدة عذاب النار، وعظيم الألم والحزن، والذل والمهانة في جهنم لكون من يدخلها سيصرخ لقوة عذابها أشد الصراخ، وسوف لن يهتم أحد لصراخه وألمه. (9)

(1) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج 18، ص 195.

(2) سورة الهمزة، الآية 4.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 30، ص 414.

(4) ينظر فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ج 5، ص 656-657.

(5) سورة المعارج، الآيات 15 - 16.

(6) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 28، ص 357.

(7) ينظر إعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويش، المجلد 8، ص 66.

(8) سورة الأنبياء، الآية 100.

(9) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 283.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمل .

رابعاً: السَّعِير: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبُوحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (5) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (6) إِذَا أُلْفُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ (7) تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْفِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (9) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10)﴾⁽¹⁾، قال صاحب الأمل: "إنَّ حرارتها هائلة جداً، ونارها مزمجرة كما لو وضعنا إناءً كبيراً على نار محترقة فإنه لا يلبث أن يفور ويغلي بشكل يكاد فيه أن يتلاشى ويزوب أو كانسان يكاد أن يتفجر من شدة الغضب والثورة والإنفعال هذا هو منظر جهنم مركز الغضب الإلهي"،⁽²⁾ إذاً حال جهنم، وخصوصاً عندما يُلقى فيها الكفار يصدر منها صوت هائل عظيم في قوته، ورعبه لدرجة أنه يجعل الخوف مسيطراً على قلب كل من يسمعه. وعلى المعنى نفسه تقريباً تحدث صاحب فتح القدير أن السعير هي أقوى الحرائق في شدتها، أما صوتها فقد قال عنه أنه مشابه للصوت الذي تصدره أول نهيقها، وهو كناية عن قبح وبشاعة هذا الصوت، وأظهر رأياً آخر أن الشهيق ليس من النار، إنما هو صوت الكفار عند رميهم في النار لشدة عذابها، وشدة إحراقها لهم، وشبه أيضاً إحراقها لهم كالغليان الذي يكون في مراحل الغلي.⁽³⁾

خامساً: خالدة العذاب: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (74)﴾⁽⁴⁾، يقول المفسر صاحب الأمل في هذه الآية: "بملاحظة الآيات الشريفة التي تقول أن من يأتي ربه مجرمًا فإن له جهنم، والتي يظهر منها خلود العذاب"،⁽⁵⁾ إذاً جهنم هنا عذابها خالد لا ينتهي، ولا يموت صاحبه، ولا يخرج منها، وهذه الصورة من العذاب، وخلوده يجب أن تكون رادعة لكل من تخوّل له نفسه المعصية.

وعلى المعاني نفسها أشار المفسر الشيرازي في تفسير الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (36) يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخُرْجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّؤِيمٌ (37)﴾⁽⁶⁾، وأن الكفار مهما حاولوا الخروج من جهنم، وعذابها فلن يستطيعوا، ولن يتمكنوا من ذلك لأن عذاب جهنم خالد وثابت لا تغيير فيه.⁽⁷⁾

(1) سورة الملك، الآيات 5-10.

(2) تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 27، ص 262.

(3) ينظر فتح القدير للشوكاني، ج 5، ص 338.

(4) سورة طه، الآية 74.

(5) تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 15، ص 141.

(6) سورة المائدة، من الآيات 36 - 37.

(7) ينظر تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 6، ص 427.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمل

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (36)﴾ وَهُمْ يَصْطَرَّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۗ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)﴾⁽¹⁾، يقول المفسر صاحب الأمل: "ثم تضيف ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾، فمع إن تلك النار الحامية وذلك العذاب المؤلم يستطيع القضاء عليهم في كل لحظة إلا أنهم ولعدم صدور الأمر الإلهي بموتهم لا يموتون، يجب أن يبقوا على قيد الحياة ليدوقوا عذاب الله"،⁽²⁾ من الكلام نجد أن نار جهنم هي مقر ومسكن أبدي لكل من كفر بالله ورسوله، فهم لم ولن يموتوا فيها إنما هم باقون على قيد الحياة لكي يستشعروا الألم الأبدي الذي لا ينتهي ولا ينقص، وقد سدَّ الله عليهم هذه المنافذ سواء بالفناء، أو بتخفيف العذاب، وهذا أمر مجرد تصوّره شيء مرعب.

يقول المفسر صاحب الأمل: "نعم بمشاهدة نتائج أعمالهم السيئة، يغرقون في ندم عميق، ويصرخون من أعماق قلوبهم، ويطلبون المُحال العودة الى الدنيا للقيام بالأعمال الصالحة".⁽³⁾

سادساً: المتأججة: قوله تعالى: ﴿فَرَحَ الْمُخْلَفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ جِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرَهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81)﴾⁽⁴⁾، يقول صاحب الأمل: "كنهم للأسف لضعف إيمانهم وعدم الإدراك الكافي لا يعلمون أن أي نار تنتظرهم فشرارة واحدة من تلك النار أشد حرارة من جميع نيران الدنيا وأشد حرقاً وألماً"⁽⁵⁾، فنار جهنم بأنها نار هائلة عظيمة جداً، ودرجة حرارتها لا تقارن بنيران الدنيا مهما عظمت، لأن شرارة منها كما وصفها المفسر هي أشد وأقوى من حرارة كل النيران في هذه الدنيا، وكذلك شدة حرقها وألمه، فقد أشار صاحب التبيان في تفسير القرآن إلى قضية خطيرة في حقيقة اختيار هؤلاء للعودة عن نصره الله سبحانه، والجهاد وأن خيارهم في القعود يدل على جهلهم بخطورة القعود الذي سيورد نار جهنم، و لو كانوا يعلمون عذابها لما أختاروا هذا الخيار الجاهل، وهذا تدليل على شدة أهوال عذاب النار.⁽⁶⁾

المطلب الثاني: يمكن بيانه على النحو الآتي:

أولاً: ذات أبواب: قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71)﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَىٰ

(1) سورة فاطر، الآية 37.

(2) تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 21، ص 71.

(3) المصدر السابق نفسها، ص 72.

(4) سورة التوبة، الآية 81.

(5) تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 10، ص 269.

(6) ينظر التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة الطوسي، ج 5، ص 177.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

المُتَكَبِّرِينَ(72)﴿(1)﴾، على حسب ما فسّره صاحب الأمتل فإنّ جهنّم لها أبواب، وعلى هذه الأبواب حراس يتلقون الكفار بكلام فيه عتب، ولوم شديدين، ويذكرونهم أنّهم قد أساءوا لأنفسهم بتركهم الرسل، وعدم طاعتهم، والسير معهم، وقد وصف هذا الحدث بأنّه ذو أثر رهيب في إرهاب الكافرين وتدمير نفوسهم.(2)

وقد أشار صاحب الواضح في التفسير أنّ هذه الأبواب لجهنّم إمّا أن تفتح لوحدها مستشعرة قرب الكفار لها، أو أنّ خزنتها هم الذين يفتحوها.(3) وبحسب قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾(44)﴿(4)﴾، أنّ أبواب جهنّم سبعة، وقد ذكر المفسّر أنّ هذه الأبواب ربما قصد منها موارد دخول جهنّم، وعوامل سقوطهم فيها كما للجنة أبواب وموارد تُدخل صاحبها الجنة.(5)

ثانياً: محيطة بالكافرين: قوله تعالى: ﴿هُذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (19) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (20) وَلَهُمْ مَقْمِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ (21) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَرِيقِ (22)﴾(6)﴾، أشار صاحب الأمتل إلى أنّ نار جهنّم سوف تكون محيطة بالكافرين من كل مكان فقال: "العقاب الأول حول لباسهم فتقول الآية ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾، ويمكن أن تكون هذه العبارة إشارة إلى لباسهم الذي أعدّ لهم من قطع من نار أو كناية عن إحاطة نار جهنّم بهم من كل جانب"،(7) ولن تترك لهم مفر، وفوقها سوف يصب فوقهم وعلى هاماتهم الحمم، وهو من سوائل جهنّم شديدة الحرارة لدرجة سوف يذيب هذا السائل دواخل الكفار وخارجهم، وفوق كل هذا فإنّ في جهنّم سياط جعلت من حديد حرارته محرقة، وبعد كل ذلك فإنّ هذا العذاب، وهذه النار لن يقدرُوا أنّ يخرجوا منها، وكل ما حاولوا الخروج، أو الهروب منها لكي يخلصوا من شدة ألمها، وعظيم عذابها سوف تتم إعادتهم لها لكي يستمر عليهم العذاب والألم.(8)

وقد دلّل صاحب الواضح في التفسير على أنّ هذه صورة من صور العذاب، غايتها بث الرعب في قلوب العباد، وهي سوف تحيط بهم إحاطة الثوب بالبدن، فهي كثياب من نار خصصت لهم لكي تلبسهم، ووصفت الآيات ألوان العذاب من صبّ الماء المغلي الذي يحرق بواطنهم، وتذيب أجسادهم من الداخل والخارج، وتُعاد في كل مرة لتذوق العذاب، وأيضاً قد جهزت لهم أدوات

(1) سورة الزمر، الآيات 71-72.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 515-516.

(3) ينظر الواضح في التفسير، عباس بن علي الموسوي، ج 13، ص 494.

(4) سورة الحجر، الآية 44.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 12، ص 539.

(6) سورة الحج، الآية 19-22.

(7) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 16، ص 326.

(8) ينظر المصدر السابق نفسه، ص 326.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

العذاب من السياط الحديدية، والمطارق إمعاناً في إذلالهم، وإخضاعهم جزاءً لما اقترفت أيديهم، وهذا يعاد ويكرر بلا نهاية.⁽¹⁾

وفي سورة الكهف أشار صاحب الأمتل بحسب الآيات ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ مِمَّنْ شَاءَ فُلْيُومِنَ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِنْ يَسْتَكْبِرُوا يُعَاقَبُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (29)⁽²⁾، يقول المفسر صاحب الأمتل: "تصوّر هل يمكن شرب الماء الذي إذا اقترب من الوجه؟ فإنّ حرارته تشوي الوجه، لقد كان لهؤلاء في حياتهم الدنيا سرادق عالية وباذخة ليس فيها نصيب للفقراء، وهذه السرادق ستحول الى خيام عظيمة من لهيب نار جهنّم".⁽³⁾

ثالثاً: المرصاد الرهيب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21) لِلطَّغْيِينِ مَّآبًا (22) لِبِئْسَ فِيهَا أَحْقَابًا (23) لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (25) جَزَاءً وَفَاقًا (26)﴾⁽⁴⁾، وصف المفسر الشيرازي نار جهنّم بالمرصاد الرهيب، إذ صور ملائكة العذاب كيف يلتقطون أهل النار، ويقودوهم إليها، وهي مكان استقرار كل من طغى، وتجبر ورجوعهم إليها، ومكوّتهم فيها أزماناً طويلة متلاحقة متتابعة، لا نهاية لها، وهم في هذه الأزمنة ليس لهم سوى العذاب الشديد، إذ لا هوادة، ولا لحظة راحة من العذاب حتى تُنتن جلودهم وتتقرح، ويقطر منها أنواع السوائل العفنة.⁽⁵⁾

رابعاً: الهاوية: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ (10) نَارٌ حَامِيَةٌ (11)﴾⁽⁶⁾، ذكر المفسر الشيرازي أنّ الهاوية هو إسم من أسماء جهنم، وذلك لأنّه المكان الذي يهوي فيه المذنبين، وهي دلالة على عمق وديان جهنم، وشديد عذابها، وقد دلت أيضاً بأنّ نار جهنّم تتمتع بقدرة عظيمة على الإحراق، وأنّ قوة إحراقها، وعظيم لهيبها لا يمكن لبشر أن يتصوره، ويتخيل كيف يكون، وقال: "قيل إنّ الأم عند العرب هي الدماغ، وبه يكون معنى الآية أنّ رؤوس هؤلاء هاوية في جهنّم أي أنّ هؤلاء يلقون على رؤوسهم في نار جهنّم".⁽⁷⁾

وقد رأى صاحب قيس من نور القرآن الكريم أنّ الكافر الشقي الذي لا خير في عمله مسكنه قعر نار جهنّم، والأم هنا من كون الأم هي مفزع الولد، - وهذا من غريب الفهم والتفسير - ومأواه

(1) ينظر الواضح في التفسير السيد عباس بن علي الموسوي، ج 10، ص 404-405.

(2) سورة الكهف، الآية 29.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 14، ص 447.

(4) سورة النبأ، الآية 21-26.

(5) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 29، ص 29-30.

(6) سورة القارعة، الآيات 8-11.

(7) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 30، ص 391.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل

كذلك جهنم مأوى لكل مجرم، فهي مسكنهم ومصيرهم المحتوم، وهذا الكافر يبقى يهوي في هذه النار سبعين عاماً، لكي يصل إلى قعرها.(1)

خامساً: دار النذل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (47) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (48)﴾،(2) فقد ذكر المفسر صاحب الأمتل أن الكفار في يوم القيامة سوف يلقون أشد وأقسى ألوان العذاب، وكل عذابات الدنيا لا شيء في قبال عذاب ساعة من الآخرة، ومن ألوان عذابها أنهم سوف يجزون على وجوههم بكل إذلال، ومهانة، ووجوههم ملتصقة بأرض جهنم، أو قسم منها، والمسمى سقر، ويدلّ هذا أنّ شدة إحراقه تصيب العقل بالذهول، والصدمة.(3)

وقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): "أنّ في جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له سقر، شكى إلى الله شدة حره، وسأله أن يأذن له أن يتنفس، فتتنفس فأحرق جهنم".(4)

(1) ينظر قيس من نور القرآن الكريم، دراسة تحليلية موسعة بأهداف ومقاصد السور الكريمة، الشيخ محمد علي الصابوني دار الفكر، بيروت- لبنان، ط1، 1418 هـ - 1997م، ط2، 1424 هـ-2022م، ج 16، تفسير جزء عمّ.
(2) سورة القمر، الآية 47-48.
(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 26، ص364.
(4) تفسير الصافي، تأليف فيلسوف الفقهاء استاذ عصره المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني، ج 3، ص382.

المبحث الخامس:

صفات الشيطان الرجيم في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): "أنّ إبليس أول من كفر، وأنشأ الكفر".⁽¹⁾ وإنطلاقاً من هذا المعنى فإنّه يمكن تقسيم المبحث إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول: الجهل المطلق:

قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (36)⁽²⁾، إذ قال المفسر صاحب الأمتل: "أنّ الشيطان هو إسم شامل للشيطان الأول، ولجميع الشياطين، أمّا إبليس فإسم علم للشيطان الذي وسوس لأدم (عليه السلام)".⁽³⁾

وذكر أيضاً أنّ إبليس لم يكن من ملائكة الله سبحانه، حتى لو أنّه وُجد بينهم، وأنّ طائفته هي الجن لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۗ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (50)⁽⁴⁾، وهو مخلوق مادي، وأنّ الذي منعه من طاعة الله سبحانه جهله المطلق، الذي أدى به إلى الغرور، والنظرة الذاتية؛ لأنّ بجهله اعتقد أنّه أفضل من آدم (عليه السلام)، وأنّ آدم (عليه السلام) هو الذي يجب أن يسجد له، ويطيعه لأنّه لم يجد الحق في أمر الله سبحانه؛ ولذلك ضاع عليه ثواب طاعته السابقة، والله سبحانه أثبت عليه الكفر حين وصفه في الآية: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (34)⁽⁵⁾، كفره حتى قبل صدور الأمر الإلهي له بالسجود، وأنّه كتم في قلبه العصيان وقد ذكر المفسر رواية للإمام العسكري (عليه السلام) في نيته لرفض السجود.⁽⁶⁾

وقد أشار صاحب تقريب القرآن في شرحه لهذه الآيات الكريمة أنّ إبليس هو الشيطان نفسه، وأشار أنّ الحديث عن كفر إبليس هو لكي يلفتنا إليه الله سبحانه في ذكر هذا الأمر فلا مدعاة للإستغراب من فعله، لأنّ إبليس صفته الكفر، حتى قبل الأمر له بالسجود، وهو نفس ما دلّ عليه صاحب الأمتل من ذكر رواية الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): "فقال إبليس لئن أمرني الله

(1) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ص206.

(2) سورة البقرة، الآية 35-37.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 1، ص116.

(4) سورة الكهف، الآية50.

(5) سورة البقرة، الآية 34.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزّل، الشيرازي، ج 1، ص116.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

بالسجود لهذا لعصيته"⁽¹⁾، إذ نوه المفسر إلى تحريض إبليس هو السبب في فعل آدم وحواء (عليهما السلام)، ووصفه بالعدو لهما.⁽²⁾

ومن أفضل ما أظهر صاحب الأمتل من صفات إبليس أنّ كلمة الشيطان هي وصف لكل ما يسبب الأذى والضرر، ويعمل على حرف مسار العباد عن جادة الصواب لكي يثير الفساد، والإفساد، والخراب، والمعصية في أرجاء بلاد الله سبحانه، وأيضاً أنّ الله سبحانه لم يخلق الشيطان بهذه الأخلاق والصفات، إنّما هو الذي انحرف عن جادة الحق إلى الطغيان والتمرد، وأنّه ليس به أي خطر على المؤمنين الأطهار، ووجوده خير لأنّه محرك للطاقات، والقوى الكامنة في النفس للتطور والتقدم.⁽³⁾

المطلب الثاني: مضلّ ومفسدّ:

أولاً: مضلّ: لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ^ط وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ(36)﴾، يقول صاحب الأمتل: " لكن الشيطان أبى إلا أن ينفذ بقسمه في إغواء آدم وذريته، فطفق يوسوس لآدم ويعده وزوجه بالخلود، وبتأخذ شكل الملائكة، وأقسم لهما أنّه لهما من الناصحين"⁽⁴⁾، أنّ خروج آدم وزوجه من الجنة هو بسبب إلحاح و وساوس إبليس لعنه الله.

وقد ذكر صاحب الميزان في تفسير هذه الآية أنّه لم يكن لإبليس غاية وهمّ، إلا أن يظهر لآدم وزوجه ما أخفاه الله سبحانه من سوءاتهما، وفي هذه دلالة على عناده وإلحاحه في قضية الإغواء الإضلال.⁽⁵⁾

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ النِّقْيِ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا^ط وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ^ط إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ(155)﴾⁽⁶⁾، أثبت صاحب الأمتل أنّ الذنوب والمعاصي، والميل عن الحق ونتيجة لما قام به الشيطان من تزيين للباطل، وتشويه للحقائق، والذنوب، ولأنّ الذنوب تجر إلى ذنوب أخرى، بمعنى الإنجرار لمكائد إبليس، توقع في مكائد أخرى أشدّ منها.⁽⁷⁾

والشيطان عدوّ الإنسان، همّه وهمّته في إغواء الإنسان، وإبعاده عن طريق الهداية، وجرّه للكفر والضلال، ومحاولاته واضحة في إضلال كل بني آدم.⁽⁸⁾

(1) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، الشيخ محمد باقر المجلسي، ج 63، ص 274.

(2) ينظر تقريب القرآن للأذهان، محمد الحسيني الشيرازي، المجلد الأول، ص 122-123.

(3) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 1، ص 122-123.

(4) المصدر السابق نفسه، ص 118.

(5) ينظر الميزان في تفسير القرآن، السيد الطبطبائي، ج 1، ص 96.

(6) سورة آل عمران، الآية 155.

(7) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 4، ص 390.

(8) ينظر مشاهد يوم القيامة، مهدي باقر القرشي، ط 1، ص 198.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (91) (1)، ذكر صاحب الأمتل أن هناك أضرار هي محط إرادة الشيطان لكي يوقع بها عباد الله تعالى، وهذه من عظيم دسائسه، وأشراكه. (2)

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (21) (3)، فسّر صاحب الأمتل الشيطان في هذه الآية الكريمة أنه كل مخلوق يسبب الأذى أو يجلب الفساد والخراب، وهذا وصف يشمل جميع مجريات حياة العباد التي تؤدي بهم إلى غضب الله تعالى. (4)

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (169) (5)، يقول صاحب الأمتل: "منهج الشيطان يتلخص في ثلاثة أبعاد هي السوء والفحشاء والتقول على الله" (6)، نجد أن خطة إبليس المحكمة هي في أن يحرض، ويدلّ، ويشجع على ثلاثة أمور هي فعل السيئات، والخروج بالعباد عن الحق لكي يعملوا كل منكر وقبيح، سواء في السر أو في العلن حتى يجعلهم أبعد ما يكونون عن الله سبحانه، وأشدّها خطراً هي الإفتراء على الله تعالى بما لم ينزل سبحانه، وبما لم يقله أو يأمر به، أو ربما توجيه العباد إلى الشرك بالله سبحانه، والعياذ بالله.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (16) ثُمَّ لَا تَبِيَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمُنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ۗ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (17) (7)، وقوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أُغْوِيَنِي لِأُرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (39) (8)، يتبين أن صنعة إبليس وعمله هي تهيج العواطف التي يملكها البشر كالخوف، والرغبة، والشهوات، والمشاعر كالحب والغضب والكره، وهو بإعترافه سوف يجمل كل ما هو باطل، ومشوّه، وخسيس مستغلاً تعلق قلوب البشر بما يحبون، وبهذه الأفاعيل ليوقع بني البشر في المعصية، ويصرفهم عن الطاعة. (9)

(1) سورة المائدة، الآية 91.

(2) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 6، ص 528.

(3) سورة النور، الآية 21.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 11، ص 56.

(5) سورة البقرة، الآية 169.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 2، ص 322.

(7) سورة الأعراف، الآية 16-17.

(8) سورة الحجر، الآية 39.

(9) ينظر المخلوقات الخفية في القرآن الكريم، الملائكة والجن وإبليس، العلامة السيد محمد حسين طباطبائي،

ص 51.

المطلب الثالث: عدو للإنسان وغادر:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (168)، قال صاحب الأمل: "عبارة (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) تكررت في القرآن عشر مرات بعد الحديث عن الشيطان كي تحفز الإنسان، وتجعله متأهباً لمجابهة هذا العدو اللدود الظاهر". (2)

وقد قال الشيخ الشيرازي: "وصفت الشيطان أنه عدو مبين، وذلك إما لعدائه لآدم بعد أن أوى السجود له، وخسر كل شيء على أثر ذلك، وإما بسبب إغوائه الواضح لبني البشر ودفعهم على طريق الإجرام، وواضح أن هذا الدفع لا يصدر إلا من عدو لدود، أو لأن الشيطان أعلن عداوة صراحة للإنسان وعاهد نفسه على إغوائهم إذ قال ولأغويهم أجمعين"، (3) عداوة إبليس للإنسان، عداوة قديمة وواضحة، وذلك لأنه أبغض آدم كونه رفض طاعة الله بالسجود له، وعليه تم طرده من رحمة الله سبحانه، وإبليس أيضاً أعلن بكل وضوح و جلاء أن آدم وبنيه هم أعداءه إلى يوم الدين، وأنه لن يدخر جهداً في سبيل إغوائهم بدون استثناء، وذلك لعداوته الشديدة.

ومن شديد عداوة إبليس للإنسان أن كل المعاصي التي من الممكن أن يقتربها بنو آدم فإن إبليس هو الذي أسسها ورسخها، وروايات الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة جميعاً (عليهم أفضل الصلاة والسلام) كثيرة في إظهار هذه الحقيقة، كالإستكبار والقياس والكفر، لقول أمير المؤمنين (عليه السلام): "إبليس أول من كفر وأول من رسخ الكفر واللواط والسحاق والبكاء والنحيب والغناء والإنشاد والحسد والتعصب في غير محله"، (4) والإمام الصادق (عليه السلام) قال إبليس لنوح: "إياك والحرص فإنه أخرج أبويك من الجنة، وإياك والحسد فإنه أخرجني من الجنة". (5)

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُؤْني وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (22)، يقول صاحب الأمل: "ثم يشير القرآن الكريم الى موقف آخر من مواقف القيامة والعقاب النفسي للجبارين والمذنبين وأتباعهم الشياطين، حيث يقول تعالى: ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم﴾ وبهذا الترتيب فالشيطان وجميع المستكبرين الذين هم قادة طرق الضلال أصبحوا يلومون ويوبخون تابعيهم البؤساء"، (7) إذاً إبليس يتصرف بقمة

(1) سورة البقرة، الآية 168.

(2) تفسير الأمل، ج 2، ص 322.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 324.

(4) ينظر إبليس في القرآن والحديث، محمد باقر حجتى، ص 45-47، بتصرف.

(5) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، الشيخ محمد باقر المجلسي، ج 60، ص 250.

(6) سورة إبراهيم، الآية 22.

(7) تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 12، ص 454.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

الغدر، واللؤم بعدما أوصل أتباعه إلى النار، صار يوبّخهم لأنهم أطاعوه، ويقول لهم أنتم الذين عصيتم، واللعنة عليكم أنتم، ولن أنقذكم كما أنكم لم تتمكنوا من إنقاذي، وقد برأت إلى الله من شرككم، أيضاً أشار إلى أن دعوة إبليس لهم لا تسلبهم إرادتهم.

وقد يعلم الإنسان أن كل أفكار العصيان والسوء التي تنتابه هي نتاج عقله، وهو اجس نفسه، رغم أن إبليس هو الذي يشعل الرغبة فيها، ويوجه العباد إليها، ولذلك في كل مرة ينفي إبليس عن نفسه أنه الذي أغوى أو أضلّ إنّما هو فقط دعا، ويعلم كل إنسان أنه ليس له أن يقاضي إبليس؛ لأنه لم يجبره على المعصية، والكفر، إنّما فقط خلق الرغبة، والتوجّه، والإنسان انصاع لها بضعفه وجهله.(1)

المطلب الرابع: متكبرٌ ومتعالٍ وضعيف:

قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيٍّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (76) قَالَ فَأَخْرِجْ مَنَهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80)﴾(2)، قال صاحب الأمتل في تفسير هذه الآيات: "إنّ عناد الشيطان وغروره وتكبره وحسده تسبب في سقوطه من مقامه الشامخ الرفيع إلى الحضيض وأغرقه بوحل اللعنة إلى الابد"،(3) يتضح أنّ إبليس شديد العناد، مصرّاً على عصيانه، شديد الغرور والتكبر، وقد تسبب حسده لآدم (عليه السلام) أنّ صبّ جام حقه عليه، وعلى زوجه، حتى أخرجه من الجنة بالوسوسة المستمرة، وكل هذه الرزائل التي اتصف بها اسقطته في غضب الله عزّ وجل، وحرمة رحمته، وغفرانه حرماناً أبدياً، وقد سمّاه المفسّر العدو الكبير لبني آدم.

يقول المفسر صاحب الأمتل: "التكبر والغرور من أقبح الأمور التي يبنتلى بها الإنسان إذ أنّهما يسدلان الستار على عينه وبصيرته ويحرماه من إدراك الحقائق وفهمها، ويؤديان به الى التمرد والعصيان، ويخرجانه أيضاً من صفوف المؤمنين المطيعين لله سبحانه إلى صف الكافرين الجبارين والطاغين، ذلك الصف الذي يترأسه إبليس ويقف في مقدمته"،(4) وأنانية إبليس وتكبره هي أهم أسباب حقه، وحسده لآدم، ورفضه للسجود له طاعة لله سبحانه، وهذه الأنانية، وهذا التكبر أشعلت في نفسه، وجميع جند الحميّة، والعصبيّة لرفض أوامر الله سبحانه.(5)

وفي دفاع إبليس أمام ربّ العزة سبحانه عن سبب عدم سجوده لآدم لكونه هو مخلوق من نار، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم، عندما فاضل إبليس بنفسه على آدم (عليه السلام) حين قال الله

(1) ينظر المخلوقات الخفيه في القرآن الكريم، العلامة السيد محمد حسين الطبطبائي، ص52.

(2) سورة ص، الآية 74-80.

(3) تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص391.

(4) المصدر السابق نفسه، ص392.

(5) ينظر المخلوقات الخفيه في القرآن الكريم، العلامة السيد محمد حسين الطبطبائي، ص78.

الفصل الخامس: آيات صفات يوم القيامة والملائكة والجنة والنار والشيطان في تفسير الأمتل .

تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (76) (1)، وقوله ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ (19) (2)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (50) (3)، والجهل أيضاً سمة رئيسة من سمات إبليس، إذ قاس النار بالطين جهلاً، والجهل المطبق في منطق إبليس هو ضلال مطلق؛ لأنه أراد أن يستقل في قراره أو حكمه عن قرار وحكم الله عز وجل، وذلك بسبب جهله المطبق، وبسبب غروره، وتعالیه، وحقده، وحسده لكل ما يخص آدم (عليه السلام)، وقد طرده رب العزة من رحمته، وأخرجه منها خروجاً لا رجعة فيه (4) وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (76) (5)، أشار صاحب الأمتل على حسب الآية الكريمة إلى أن إبليس وجنده، وأتباعه، وكل من معهم لا قدرة لهم، ولا طاقة، وهي إن وجدت فهي فارغة من داخلها، لا تتمتع بمقومات القوة الداخلية، هشّة، ومهزوزة، فهم لا هدف لهم سوى الإضلال، إذ لا إيمان ولا عقيدة، ولا يقين، لديهم سوى بالحقد، والإضلال؛ لأن أساس الشيطان هو الجهل، وهو أهم عامل في تكوين وجوده، وطالما الجهل هو الأساس، وصحيح أن الحديث هنا عن كيد الشيطان، وتخطيطه، ولكن يصف ضعف كيده، ويدل على عظيم جهله، وفراغ وهشاشة وجوده (6)

إن أعمال إبليس وجنوده كثيرة، فهو عدو واضح تام لأركان العداوة لبني آدم، وقد ورد ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ عنه في أكثر من آية، وهو المُغري نحو كل عمل سيء، وقبيح، ويشجع الكذب على الله سبحانه، وعلى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو يخوف أولياء الله تعالى، وأتباعه دائماً، فهو كاذب مخادع غادر في كل أعماله، وأفعاله، سوف يسري بكل ألوان الفتنة، والخديعة بين الناس، وهو في عداوته للأنبياء (عليهم السلام) أشد من عداوته لغيرهم من بني آدم، لأنهم الهداة، والقادة للخير، إن الإغواء بالوسوسة، والخلف بالوعد، والكذب، والغش، وتزيين كل عمل بغيض لصاحبه حتى يراه حسناً، هي دأب إبليس، ويسعى جاهداً أن يُنسي المؤمنين لذكر ربهم، إضافة إلى ما ذكرناه سابقاً كلها أعمال هذا المخلوق، وعلينا دائماً أن نعمل جهدنا بالإستعانة بالله سبحانه، والإستعاذة من إبليس بالله عزّ وعلا، ومن شرّه، وشروره، وشرور أتباعه، وجنده (7)

(1) سورة ص، الآية 67.

(2) سورة الرحمن، الآية 19.

(3) سورة الكهف، الآية 50.

(4) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 22، ص 393-395 بتصرف.

(5) سورة النساء، الآية 76.

(6) ينظر تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، ج 5، ص 178-179.

(7) ينظر إبليس في القرآن والحديث، الدكتور محمد باقر حجتی، ص 52-57، بتصرف.

الخاتمة

الخاتمة:

منذ ألف وأربع مئة عام وأهل الفكر والكلام من كل مذاهب الإسلام يكتبون ويدونون الكتب حول القرآن الكريم وعلومه، وما فيه من مواضيع حتى أصبحت المدونات لا حصر لها، وكذلك كتب فيه وعنه من أهل الفكر من غير المسلمين، وما زال القرآن الكريم خلاقاً ملهماً نبعاً للمعارف يهز نفوس أهل العلم وغيرهم من البسطاء والعبّاد، فكان كل ما فيه ينطق بأنّه كتاب معجز، وأنّ مصدره الخالق سبحانه، ولو قرأنا آياته على غير المسلمين لهزت مشاعرهم ونفوسهم، ولو قرأ التفاسير كلها نجد أنّ في كل منها فكر جديد، وعلم نافع، وكل الذي كُتب في القرآن الكريم نجده جذاباً للنفس، ومحبيها لها، وتفسير الأمتل في كتاب الله المنزل من أمتع التفاسير التي تستحق القراءة والدراسة والبحث، لما فيه من عميق الأبحاث واتساعها، وموضوع الصفات فيه من المواضيع الأشدّ جذاباً للنفس البشرية، انطلاقاً من صفات الله سبحانه وتعالى، والتي تأخذ حيزاً مهماً في عمل العقل البشري إلى صفات الرسل (عليهم السلام)، وجاذبيتها للنفس لكونهم القادة لنا في الدنيا والآخرة، ولجمال ما جاءت به هذه الصفات من قصص جميلة لطيفة وعبر ولأنّ النفس دائماً تتوق في طلبها للمعرفة بكل صفات الكمال من الصفات الربانية إلى صفات الرسل، وكذلك البحث في صفات القرآن الكريم الذي لا تشبع النفس منه، وحتى إلى صفات الجنّة وصفات الملائكة، وما فيها من أمور تهتمُّ كل باحث عن رضا الله سبحانه، وحتى صفات النّار وما تُحدث في العقول من دهشة، وكذلك صفات الشيطان المهمة لكشف ألعيبه ومعرفة خباياه وحيله، وأنّه لطالما رافق الباحث في بحثه هذا شرفٌ وعزٌّ البحث في القرآن الكريم، ولطالما رأى ذلك البحث مكرمة إلهية حباه الله تعالى بها، ووجد فيها لذة لا تعدلها لذة رغم التعب والجهد، ويرى الباحث أنّ القرآن الكريم سيبقى خلاقاً للعلوم، منبعاً للخير، ويرى أنّه الحل الوحيد لكل البشرية على الأرض، على أن يكون الإهتمام فيه نابعاً من حبٍّ ورغبة، وأنّه يتحتم على أهل العلم أن ينجسوا الحب والعشق كوسيلة وسبيلٍ من أفضل الوسائل والسبل لإدخال القرآن الكريم إلى قلوب الناس وطلاب العلم والمعرفة، والصلاة والسلام على محمد وآله والحمد لله رب العالمين.

النتائج والتوصيات

النتائج:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد وآله الأطهار، والحمد لله رب العالمين حمداً دائماً أبداً لا ينقطع الذي غمرنا بعظيم رحمته، وجيل توفيقه طيلة فترة الدراسة، وكتابة البحث حتى وصلنا إلى كتابة هذه الخاتمة، لنقطف بها ثمار ما بذلنا من جهد وتعب.

وقد توصل الباحث إلى جملة من النتائج:

1. إن تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل هو من أفضل وأجلّ التفسيرات للقرآن الكريم، والتي تنتظر بكل ما يحتاجه أي قارئ وطالب للمعرفة، سواء الأكاديمية أو المعرفة الذاتية، إذ أجاد المفسر وطلابه المشاركون له في هذا النتاج المعرفي التفسيري، وظهرت ثمار تعبهم في هذا العمل الرائع المعاصر المناسب لجميع طلاب المعرفة.
2. المفسر في تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل دائماً كان يحاول ويؤكد على أهم أهداف القرآن الكريم في محاولة الربط بين القرآن الكريم كآيات مقروءة، وبين ضرورة التركيز على الإخلاص في تطبيق مضامين الآيات الكريمة للنهوض بواقع المسلمين على كل صعيد.
3. حاول الشيخ الشيرازي في كل مرة ناقش فيها كل ما هو موصوف في الآيات من صفات الله عزّ وجلّ إلى صفات الرسل (عليهم الصلاة والسلام) إلى صفات الملائكة (عليهم السلام) إلى صفات يوم القيامة، والنار، والجنة، والشيطان إلى ربط هذا الوصف، وهذا التوضيح بأفضل وأهم ما يمكن أن ينفع العباد به، وكيف أنه على العباد استفادة الدروس من هذه الصفات، واستخلاص العبر لما فيه الخير.
4. ومما لفت الباحث بأن موضوع الوصف في القرآن الكريم هو منهج تربوي دقيق، وهو منهج إلهي يعلم الله سبحانه الذي خلق الخلق أهميته في تربيته خلقه وتعليمه، وهذا ما ظهر في كل كتب التفسير، وبالأخصّ عند صاحب تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل.
5. دافع المفسر الشيرازي ضد آراء كثير من الحداثيين وأصحاب الآراء المخالفة في تفسيره لآيات الصفات، وفي رد شبهاتهم وتفنيدهم اعتراضاتهم.
6. عالج تفسير الأمتل الكثير من المشاكل المعاصرة التي يعيشها المسلمون، من خلال الوصف كأسلوب قرآني فيه الكثير من الفوائد، وقد نجح في توظيف هذا الوصف في غاياته.
7. ركز تفسير الأمتل على الناحية التربوية الأخلاقية، خلال مناقشته للصفات المذكورة، من خلال الترغيب بصفات الخير لوجه الله عز وجل، وللسعي في سبيل التكامل للتقرب من الله تعالى والإقتداء بصفات الأنبياء.

التوصيات والمقترحات:

وفق ما تمّ عرضه من نتائج توصل إليها الباحث، فإنه يوصي بمجموعة توصيات منها العام، وأهمها:

1. ضروره التركيز على كتاب الله القرآن الكريم، والعلم، والعمل على التوسع في نشر ثقافة القرآن الكريم في القراءة والفهم، وضرورة ربط هذه القراءة بمفهوم الإخلاص في العمل على تطبيق كل ما جاء فيه، وتعليمه لكل فئات المجتمع، بكونه حبل الله الممدود بين الله سبحانه وعباده، ونجاح أمة الإسلام رهن بذلك.
2. محاوله الإستفادة من أهم الوسائل الحديثة في نشر ثقافة القرآن الكريم، وأهمها وسائل التواصل الإجتماعي كلها؛ كونها هي التي تشغل أوقات جميع الفئات العمرية لكل المجتمع، وبالأخص فئة الشباب، مع التركيز على أن يجتمع أهل الاختصاص من العلماء الأفاضل للوصول إلى منهج علمي حديث بمساعدة أحدث الوسائل لغاية جعل المجتمع الإسلامي مجتمع قرآني لأهمية القرآن الكريم في حفظ وحدة العالم الإسلامي لكون الكل مجمع عليه، وخاصة في هذا الوقت الذي يتعرض فيه هذا المجتمع إلى هجمات مستعرة، ومتلاحقة، ومستمره من كل أعداء الإنسانية والإسلام لتدمير كل ما هو جيد في العالم الإسلامي.

وهذا على صعيد العام أما على الصعيد الخاص بتفسير الأمتل يوصي الباحث:

1. بتعريف أوسع بشخصية العالم الجليل ناصر مكارم الشيرازي، وإظهار فضله وعلمه، ودوره الريادي المعاصر المؤثر في عدد كبير من علماء وشباب العالم الإسلامي.
2. إيلاء مزيد من الإهتمام والإشارة إلى تفسير الأمتل في كتاب الله المنزل؛ لأنه من أجلّ التفاسير المعاصرة، وينافس أعظم التفاسير القديمة والحديثة؛ لكونه من التفاسير الجامعة الواسعة التي تراعي أفضل المعايير العلمية الحديثة في توضيح كتاب الله الكريم، وتوجيه مزيد من الدراسات العلمية والرسائل والأطاريح حتى يُشبع بحثاً ودراسة؛ لأنّ فيه منافع جليّة.
3. توضيح أهمية موضوع الوصف والصفات في القرآن الكريم، وفي الأحاديث والروايات الشريفة لما في هذا الموضوع من أهمية بالغة، وكونه منهج قرآني ونبوي تظهر له فوائد عظيمة في استنهاض النفس البشرية، وتوجيه طاقاتها بإتجاه إصلاح ذاتها، واستدراك أخطائها، ومحاربة كل ما يعطل بناء النفس المؤمنة، والمجتمع الإسلامي السليم القابل للنهوض والحياة، ومواجهة التحديات، والمُؤهل لكل مؤمن لدخول جنات النعيم.
4. يلتمس الباحث كل من يقرأ بحثه بالدعاء، واعتماده منهجاً وطريقة عيش في كل لحظة وكيفما توجّه، وعلى المؤمن أن يدعو لنفسه ولكل إخوانه من المؤمنين؛ لأنه لولا الدعاء لم يكن لأحد

أن يحقق أي غاية من غاياته والسلام ختام والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الرحمة والمعرفة وآله الطيبين الطاهرين.

المصادر

القرآن الكريم.

1. إبليس في القرآن والحديث، محمد باقر حجتى، دار المجتبى، ط1، 1413هـ — 1993م، بيروت-لبنان.
2. ابن الإعرابي، أبو عبدالله محمد بن زياد بن الاعرابي الهاشمي، إمام لغة وراوية، 150-231هـ.
3. الإتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط1، 1426هـ-2600م، بيروت لبنان.
4. الاحتجاج، العلامة أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، من علماء القرن السادس، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان.
5. الإختصاص، تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبر البغدادي الملقب بالشيخ المفيد، توفي 413 هـ، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، مؤسسه الأعلم بيروت- لبنان، 1402 هـ- 1982م.
6. أسرار معرفة الله، تأليف الدكتور سمير عبد الحليم، دار طيبة الغراء، دمشق، ط1، 206م-1427هـ.
7. أسماء الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وألقابه وكناه وصفاته، عباس تبريزيان، ط1، بيروت 1426هـ-2005م.
8. أسماء الله الحسنی ومعانيها وأسرارها وخصائصها، الحاج عبد العظيم جاسم.
9. أسماء الله الحسنی وأثرها في الواقع النفسي والاجتماعي، الدكتور الشيخ محمد هويدي، دار المحجة البيضاء، بيروت لبنان، ط1، 1439هـ-2008م.
10. أسماء الله الحسنی، حسين الشيخ هادي القرشي.
11. الأسماء والصفات، الإمام الحافظ أبي بك أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفي 458هـ، حقق نصوصه الدكتور عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ - 1997م.
12. أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، توفي 329هـ، باب الإرادة.
13. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، ط9، 1422 هـ - 2003 م، بيروت- لبنان.
14. الإلهيات على هدي الكتاب والسنة والعقل، الشيخ جعفر السبحاني، بقلم حسن محمد مكي العاملي، ط5، 1423هـ، مؤسسة الإمام الصادق، قم، مكتبة التوحيد، ساحة الشهداء.
15. أمالي الطوسي، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى سنة 460هـ، تحقيق: نضال علي - علاء الدين الاعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان.
16. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، ط1، 1429هـ- 2008م، بيروت- لبنان.
17. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، حققه لجنة من العلماء والمحققين، ط2، 1427هـ، 2006م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.
18. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، 745-794 هـ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، 1428 هـ - 2007، مدار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
19. تاريخ الأنبياء، سيد محمد حسين الطباطبائي، اعداد الشيخ قاسم الهاشمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
20. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، 385-460هـ، قدم له الامام المحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني، ط1، 1434هـ-2013م.

21. الترغيب والترهيب في الحديث الشريف، تأليف الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد الغوي المنذري، المتوفي سنة 656هـ، ضبطه وخرج أحاديثه إبراهيم شمس الدين، ط3، 2003م-1424هـ.
22. تعليقه على نهاية الحكمة، محمد تقي مصباح اليزدي، مؤسسة الطريق الحق، قم 1405هـ، التعليقة رقم 62.
23. تفسير الأصفى، الفيض الكاشاني، ط1، 1433هـ-2012م، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان.
24. تفسير الإمام العسكري، الإمام أبي محمد بن الحسن ابن علي العسكري، تحقيق السيد علي عاشور، طبعة 1426هـ، 2005م.
25. تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، تأليف ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1434هـ-2013م، بيروت-لبنان.
26. تفسير الباليساني المعروف بحسن البيان في تفسير القرآن، المرحوم العلامة الشيخ محمد بن طه الباليساني، ط1، 1438هـ-2017م.
27. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي، توفي 745هـ، دراسة وتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، طبعة جديدة مراجعة ومصححة، 2001م-1422هـ.
28. تفسير البسيط، أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحد، متوفي 468هـ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الورثان، دار المصور العربي، مصر-الاسكندرية.
29. تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، المتوفي سنة 516هـ، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط2، 1423هـ-2002م، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
30. تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبي الخير عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي، اعداد محمد بن عبدالرحمن المرعشلي، توفي 691هـ، ط جديدة منقحة، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان.
31. تفسير التحرير والتنوير المعروف في تفسير ابن عاشور، تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ط1، 1420هـ - 2000م.
32. تفسير الثعالبي، المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، الإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن أبي زيد الثعالبي المالكي، 786 - 875هـ، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي ، ط1، 1418هـ - 1997م، بيروت- لبنان.
33. تفسير الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة، تأليف العلامة سرج الإسلام وقودة أهل الفضل والإيمان يوسف بن أحمد بن عثمان الشهير بالفقيه يوسف، طباعة وزارة العدل اليمنية، ط1، 2002م، بتحقيق العلامة محمد قاسم الهاشمي والدكتور عبد الله عبد الله الحوثي.
34. تفسير الجلالين تصنيف جلال الدين محمد بن احمد بن محمد المجلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط 1419هـ - 1998م، تصنيف محمد بن عبد الوهاب التميمي.
35. تفسير الحداد كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل لأبي بكر الحداد اليمني، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم يحيى أستاذ تفسير القرآن وعلومه الجامعة الأسمرية، زليتن ليبيا، دار المدار الإسلامي، ط1، 2003.
36. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تأليف الفقيه الزاهد أبي ليث نصر بن محمد بن أبي ابراهيم السمرقندي الحنفي، جامعة الأزهر، دار الكتب العلمية - لبنان ، 2014م.

37. تفسير الصافي، تأليف فيلسوف الفقهاء استاذ عصره المولى محسن الملقب بالفيز الكاشاني، المتوفى سنة 1091 هـ، تصحيح العلامة حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، ط1، 1429 هـ - 2008م، بيروت- لبنان.
38. تفسير الطبري المسمى جامع البيان في أي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
39. تفسير العياشي، المحدث الجليل محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي المعروف بالعياشي، المتوفى 320 هـ، المحقق محمد حسين الطباطبائي، آخر ذي القعدة 1380 هـ، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان.
40. تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الامام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، 544- 604 هـ، تقديمه الشيخ خليل محي الدين الميس.
41. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، تأليف محمد رشيد رضا، طبعة 1414 هـ - 1993م، دار المعرفة، بيروت لبنان،
42. تفسير القرآن الكريم العظيم، العز بن عبد السلام، 578-660 هـ، تحقيق حمد فتحي عبد الرحمن حجازي، دار الكتب العلمية.
43. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، المتوفى 329 هـ، إشراف المحقق السيد محمد باق الموحد الأبطحي الاصفهاني، ط جمادى الأولى، سنة 1435 هـ، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة.
44. التفسير الكاشف، الشيخ محمد جواد مغنية، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 2005.
45. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله أبو القاسم، 467-538 هـ، دار الكتب العلمية.
46. تفسير المراغي، تأليف أحمد مصطفى المراغي استاذ الشريعة الإسلامية والعربية بكلية دار العلوم، توفي 1371 هـ، ط 1، 1365 هـ - 1946م.
47. التفسير المعين للواعظين والمتعظين، محمد هويدي، دار الكتاب العربي.
48. التفسير الموضوعي لسور من القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم جامعة الشارقة، ط1، 1431 هـ - 2010م، ص 42
49. تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة، سلطان محمد الجنازدي الملقب بسلطان علي شاه، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط1، بيروت لبنان، 1988م.
50. تفسير روح البيان، الامام العالم الشيخ الفاضل إسماعيل حق البروسوي، المتوفى 1137 هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
51. تفسير فرات الكوفي، تأليف أبي القاسم فرات بن ابراهيم الكوفي بن فرات الكوفي، من أعلام الغيبة الصغرى، تحقيق محمد الكاظم، ط1، 1410 هـ، ط2، 1416 هـ - 1995م.
52. تفسير كنز الدقائق، المفسر لكبير العالم العارف الميرزا محمد المشهدي، تحقيق حسين دركاهي، دار الغدير، قم، ط1، 1424 هـ - 2003م.
53. تفسير نور الثقلين، المحدث الجليل العلامة الخبير عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، توفي 1112 هـ، تحقيق الرشيد علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، ط1.
54. تقريب القرآن إلى الأذهان، آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، ط1، 1424 هـ - 2003م، دار العلوم، بيروت- لبنان.

55. التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته، تقرير الأبحاث السيد كمال الحيدري، بقلم جواد علي كسار، ط 7.
56. التوحيد، الشيخ الصدوق هو أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المتوفي 381 هـ، ط 1، 1427 هـ-2006م، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.
57. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، 1307-1376 هـ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويح، ط 1، 1421 هـ-2000م.
58. جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف بتفسير الطبري، المتوفي 310 هـ، تأليف الامام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتعليق محمود شاكر، ط 1، 1421 هـ-2001م.
59. جوامع الجامع، المفسر الكبير الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري، تحقيق مؤسسة النسر الإسلامي، قم المقدسة.
60. الجامع الوجيز في تفسير آي الكتاب العزيز، جمع وإعداد الدكتور أيمن فاتح العامر مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط 1.
61. الجديد في تفسير القرآن المجيد، الحجة الشيخ محمد السبيزواري النجفي، دار التعارف للمطبوعات، ط 1، 1402 هـ-1982م، بيروت-لبنان.
62. الجنة وأهل الجنة، الشيخ علي الكوراني العامل، ط 1، 1444 هـ-2023 م.
63. جواهر البحار في فضائل النبي المختار، جمعه الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، متوفي سنة 1350 هـ، صححه محمد أمين الضناوي.
64. الجواهر السنوية في الأحاديث القدسية، الشيخ العلامة محمد بن حسن الحر العاملي، 1104 هـ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت لبنان.
65. حاشية القنوي، تفسير الإمام البيضاوي عصام الدين اسماعيل بن محمد الحنفي، المتوفي سنة 1195 هـ، المجلد السادس عشر، ط 1، 1422 هـ-2001م، بيروت لبنان.
66. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، صدر الدين محمد الشيرازي، متوفي 1050 هـ، دار إحياء التراث العربي، طباعة بيروت 1410 هـ.
67. الخصال، الشيخ الجليل الأقدم الصدوق، وهو أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، صححه علي أكبر الغفاري، ط 6، 1424 هـ، مؤسسه النسر، قم-إيران.
68. خواص الأسماء الحسنی وشرح معانيها، ضياء الدين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط 1، 1420 هـ-200م، بيروت-لبنان.
69. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام عبد الرحمن ابن الكمال جلال الدين السيوطي، المتوفى 911 هـ، 1423 هـ-2002 م، بيروت-لبنان.
70. الدر المنظم في اسم الله الأعظم، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة 911 هـ، ط 1، 1422 هـ-2001 م.
71. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، الحافظ محب الدين أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، 615 - 694 هـ، طبعة مكية، القدس، 1356 هـ.
72. رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف الإمام الحافظ عز الدين بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسعيني الحنبلي، 589-661 هجري، دراسة وتحقيق الاستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بندهيش، ج 2، ط 1، مكة المكرمة، 1429 هـ-2008م.

73. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف أبي الثناء شهاب الدين الألوسي البغدادي، متوفي 1270 هـ، تحقيق أبو عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبدالغفار.
74. رؤية الله وفلسفة الميثاق والولاية، عبد الحسين شرف الدين العاملي، إعداد وتحقيق مهد الانصاري القمي، ط1، دار اللوح المحفوظ، إيران-طهران.
75. زاد المسير في علم التفسير، الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجزري، توفي 597 هجري، ط2، 1422 هـ- 2002 م، دار الكتب العلمية.
76. زبدة التفاسير، تأليف المولى فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني، متوفي سنة 998 هـ، ط1، 1423 هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية، إيران-قم المقدسة.
77. سر النجاح و الموفقية (ذكريات من حياة آية الله العظمى مكارم الشيرازي)، المؤلف: مسعود مكارم، ط1، دار النشر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، 1431 هـ- 2009 م، قم- إيران.
78. سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، تأليف المحدث الخبير والمحقق الجليل المرحوم الشيخ عباس القمي رحمه الله، الطبعة القديمة والحديثة.
79. سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح، أحمد بن عيسى الترمذي، توفي 279 هـ، كتاب المناقب، باب فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، دققه وصححه خالد عبدالغني محفوظ، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
80. سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى 748 هـ - 1374 م، دار الحديث، القاهرة- مصر.
81. السيرة النبوية برواية أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، الشيخ علي دعموش العاملي، ط1، 1429 هـ- 2008 م، دار الهادي-بيروت.
82. شخصية الرسول الأعظم قرانياً، الشيخ جلال الحنفي البغدادي، طبعة أولى بغداد، 1418 هـ- 1997 م.
83. شرح الأسماء الحسنى، كتاب في توحيد الشهود والعيان، تصنيف العارف بالله الشيخ صدر الدين القنوي، المتوفى 673 هجري، ضبطه الشيخ الدكتور عاصم ابراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، ط1، 212 م، لبنان.
84. شرح الفصول النصيرية، السيد عبد الوهاب الأستر آبادي، من أعلام القرن التاسع الهجري، تحقيق قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط1، 1433 هـ- 2014 م، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان.
85. الصافي في تفسير كلام الله الوافي، الملا محسن الفيض الكاشاني، توفي 1090 هـ/ 1679 م، 1090 هـ، إصدار مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان.
86. صحيح ابن حبان، مجموعة المصادر السننية، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط2، 1414 هـ- 1993 م.
87. علل الشرائع، الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، المتوفى 381 هـ، تصحيح وتعليق السيد فضل الله الطبطبائي، ط2، المطبعة العلمية، 1367-1384 هـ، إيران-قم.
88. عيون أخبار الرضا (ع)، الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، إصدار مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان.
89. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، توفي بصنعاء 1250 هـ، دار المغني، بيروت لبنان، ط1، هـ- 1418-1997 م، رؤية الله وفلسفة الميثاق

- والولاية، عبد الحسين شرف الدين العاملي، إعداد وتحقيق مهد الانصاري القمي، ط1، دار اللوح المحفوظ، ايران-طهران.
90. قيس من نور القرآن الكريم، دراسة تحليلية موسعة بأهداف ومقاصد السور الكريمة، الشيخ محمد علي الصابوني دار الفكر، بيروت- لبنان، ط1، 1418هـ - 1997م، ط2، 1424هـ-2022م، تفسير جزء عمّ.
91. قصص أخلاقية في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، السيد هادي المدرسي، ط1، 1425هـ-2400م.
92. قصص الأنبياء، الطبطائي، إعداد وتحقيق الشيخ قاسم الهاشمي، ط2، مطبعة البرهان، دار المجتمع، رقم 929 على 150.
93. الكافي، ثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب الكليني الرازي، تحقيق قسم إحياء التراث، ط3، مطبعة دار الحديث، إيران، قم المقدسة، 1430هـ.
94. كحل البصر في سيرة سيد البشر، الشيخ عباس القمي، دار الصفوة، ط1، 1413هـ-1993م، بيروت-لبنان.
95. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، الامام الهمام أبو اسحاق أحمد المعروف بالامام الثعلبي، توفي 427 هجري، دراسة وتحقيق الامام ابي محمد عاشور، ط1، دار احياء التراث، بيروت- لبنان، 1422 هـ- 2002م.
96. الكون واليوم الآخر، تأليف المهندس جميل رشيد عبد الله الصالح، عمان-الأردن، رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية 1605\7\2005.
97. لسان العرب ابن منظور المجلد الرابع عشر، المجلد التاسع، ط1، 1424 هـ - 2003 م، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
98. مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الاسلام، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ط1، 1430هـ-2009م، دار الفارئ للطباعة والنشر، بيروت-لبنان.
99. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي ابي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المتوفي سنة 546هـ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة محققة عن نسخة آية صوفيا اسطنبول، ط2، سنة 1428هـ - 2007م.
100. الجامع لأحكام القرآن، تأليف حمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 2006.
101. محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وصورته في عيون المنصفين، د. محمد بسام الزين.
102. المخلوقات الخفية في القرآن، الملائكة والجن وإبليس، العلامة السيد محمد حسين الطبطائي، دار الصفوة ط1، 1415هـ-1995م، بيروت- لبنان.
103. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، تأليف الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي، المتوفى 1320هـ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
104. مشاهد يوم القيامة، مهدي باقر شريف القرشي، ط1، 1445 هـ- 2023 م، النجف العراق.
105. معاني الأخبار، الشيخ الجليل الأقدم أبو جعفر محمد بن محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، المتوفى 381هـ، صححه وعلق عليه الأستاذ علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسي بقم المشرفة.
106. معاني القرآن، أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، توفي سنة 207 هجري، تقديم ابراهيم شمس الدين، ط1، 1423هـ-2002م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
107. المعجم الوسيط، ط2، 1420هـ، معجم اللغة العربية دار الدعوة، باب الواو.

108. معجم تفسير مفردات القرآن، ألفاظ القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، ط 5، 1428هـ - 2007م.
109. مفاهيم القرآن الكريم، جعفر السبحاني بقلم جعفر الهادي، مؤسسة الإمام الصادق، ايران قم.
110. مفردات الراغب الاصفهاني، 2009 م، دار القلم الدار الشامية، مفردات الراغب، كلمة عزم.
111. الملائكة في التراث الإسلامي، دراسة تحليلية، الشيخ حسن النصاروي، ط1، 1433 هـ - 2012 م، كربلاء - العراق.
112. من هدي القرآن، السيد حسن تقي المدرسي، سلسلة علم التفسير، موضوع تفسير القرآن الكريم، ط2، دار القارئ، 1429هـ - 2008م.
113. مناقب آل أبي طالب أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندي، تحقيق د. يوسف البقاعي، ط1، 421هـ.
114. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، فقيه عصره السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، ط2، 1428هـ - 2007م، النجف الاشرف، العراق.
115. موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ، الشيخ محمد الريشهري، بمساعدة محمد كاظم الطبطبائي - محمود الطبطبائي، مؤسسة دار الحديث الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ - 2000م، بيروت-لبنان.
116. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطبطبائي، ط1، 1430هـ - مطبعة روح الأمين، قم.
117. ميزان الحكمة محمد الريشهري، طبعة جديدة منقحة وملونة، ط1، 1422هـ - 2001م، الناشر دار الحديث، الموزع دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
118. نهج البلاغة، مجموعة مختارة، الشريف الرضي من كلمات الإمام علي، بخط الدكتور محمد صبحي الصالح، بيروت 1967م.
119. الواضح في التفسير، السيد عباس علي الموسوي، ط1، 1433 هـ - 2012 م، بيروت- لبنان، مركز الغدير.
- المواقع الإلكترونية:
1. الموقع الإلكتروني الرسمي لسماحة الشيخ الشيرازي، متاح على: <https://www.makarem.ir/main.aspx?typeinfo=3&lid=2>
2. معجم معاني المعاني، متاح على الموقع: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-?/ar/%D8%AE%D8%B4%D9%83%D8%A7%D8%B1>
3. شبكه المعارف الاسلاميه الثقافيه، متاح على: <https://www.almaaref.org/maarefdetails.php?id=14132>

Abstract

Abstract

The book *Tafsir al-Amthal in the Interpretation of the Book of God Revealed* stands as one of the most encompassing modern Quranic commentaries. Penned by the Grand Ayatollah Sheikh Naser Makarem Shirazi in collaboration with a cadre of his esteemed colleagues and disciples, it carries profound scholarly weight, rendering it an invaluable wellspring for delving into the verses of the Noble Quran. The researcher has selected as the study's title: *The Attributes of God, His Prophets, Angels, Paradise, and Hellfire in the Quranic Text: Tafsir al-Amthal as a Paradigm - An Objective Inquiry*. This work thoughtfully explores the exegete's perspective -that of Ayatollah Shirazi- on the verses delineating these exalted themes. The inquiry reveals that the commentator employs a rich tapestry of approaches: at times, dedicating bespoke chapters to elucidate these attributes, extracting their lessons and benefits with graceful precision; on other occasions, gliding over them in succinct lines. His elucidations are buttressed by antecedent interpretive traditions, noble narrations, and, wherever they fortify his insights, the findings of contemporary sciences. The researcher has endeavored to illuminate the exegete's interpretive exertions, which emerge as a sincere and luminous endeavor, casting light upon every description proffered by the Quran.

The study urges a deepened focus on such comprehensive modern exegeses in scholarly pursuits and researches, for the manifold treasures they unveil, bearing witness to the Quran's boundless scope. At its heart, the dissertation seeks to discern the methodologies and stylistic nuances through which *Tafsir al-Amthal* addresses these attributes, as it embodies a contemporary, pedagogically attuned commentary that lingers with particular affection on ethical and societal dimensions. It further aims to uncover the educational tenets distilled by its author from the verses, and the manner in which he deploys them to edify readers, stirring their resolve toward obedience to God Almighty and steadfast adherence to the Quran. The study's significance resides in its emphasis upon the Quran's practical

Abstract

horizons, and in apprehending the modern interpretive path charted by Ayatollah Shirazi in engaging the sacred text especially given that Tafsir al-Amthal ranks among the most holistic exegeses of the Quran.

In summation, the research concludes that al-Amthal has masterfully spotlighted every descriptor amenable to nurturing the human soul, underscoring the imperative to forge a fruitful bridge between readers and this luminous work.



Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Karbala / College of Islamic Sciences

Department of Quranic Studies and Jurisprudence

**Attributes of Allah, His Prophets, Angels,
Paradise, and Hellfire in the Quranic Text: Tafsir Al-
Amthal as a Model
- An Objective Study-**

A thesis submitted to the Council of the College of Islamic Sciences /
University of Karbala, As part of the requirements for the Master's degree
in Sharia and Islamic Sciences.

Written by the student

Aeman Akel Rajoub

Under the supervision of

Prof. Dr. Muhammad Husayn Abbud Al-Taei

Assist. Prof. Dr. Asma Qasim Muhammad

October 2025

Jumada al-Ula 1446